

جامعة صنعاء  
مركز الدراسات العليا والبحث العلمي  
كلية الآداب  
قسم التاريخ  
شعبة التاريخ الإسلامي

# الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اليمن في عصر الدولة الأيوبية

(٥٦٩-٦٢٦ هـ / ١١٧٣-١٢٢٨ م)

بحث لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي وحضارته

مقدم من الطالب:

عبد الفتاح قاسم ناصر يحيى الشعيبي

## إشراف

أستاذ مشارك د. محمد صالح بلعفير  
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية  
كلية الآداب - جامعة عدن  
مشرقاً مساعداً

د. محمد عيده محمد السروري  
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية  
كلية الآداب - جامعة صنعاء  
مشرقاً رئيساً

٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ



رقم القرار (213) لسنة 2009م

تاريخ القرار: 2009/9/9م

مكان المناقشة: علي ولد زايد

## قرار لجنة المناقشة والحكم رقم (213) لسنة 2009م

في يوم الثلاثاء 9/رمضان/1430هـ الموافق 2009/9/9م اجتمعت لجنة المناقشة والحكم على الدكتوراه المقدمة من الطالب / عبد الفتاح قاسم ناصر يحيى المسجل بكلية الآداب قسم/التاريخ بقرار من مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي في محضر اجتماعه (السادس) بتاريخ 2009/9/9م بتشكيل لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة:-

رئيساً	المشرف الرئيس على الرسالة	محمد عبده السروري
عضوا	ممتحناً خارجياً - جامعة عدن	شاييف عبده سعيد
عضوا	ممتحناً داخلياً - جامعة صنعاء	عبد الرحمن العاني

### مآلاته الموسومة بـ (الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر الدولة اليمنية في اليمن)

الدالاب بعرض موضوع رسالته بشكل مختصر  
الاجنة الطالب وبناء على ما تقدم توصي الاجنة بالآتي:-

بمقام الطالب / عبد الفتاح قاسم ناصر يحيى ، درجة الدكتوراه في التاريخ  
لأعضاء لجنة المناقشة والحكم على القرار مع التوصية بقبولها على حساب جامعة عدن

أ.د/ محمد عبده السروري  
أ.د/ شاييف عبده سعيد  
أ.د/ عبد الرحمن العاني

نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ.د/ حاتم محمد الصباحي

عماد الدراسات العليا

الدرجة تمنح بدون نظارة مع العلم بأن الطالب لموضوع رسالته أثناء المناقشة لا يعتبر تقديراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

”رب اوزعني لما اشكر نعمة التي انعمت عليّ وعلي والديّ ولما  
أعمل صالحاً ترضاه واورثني برحمتك في عبادة الصالحين“

سورة النمل : الآية رقم (١٩)

## الإهداء

إلى مَنْ ربّاني واهتمّيا بي صغيراً وسانداني كبيراً، أبي وأمي أطال الله في عمرهما

إلى مَنْ شجّعني في طلب العلم، وكان داعماً لي في جميع المراحل، أخي عبدالسلام  
(أبو عمّر)

إلى مَنْ شاطرّني متاعب الحياة في رحلتي الدراسية، زوجتي العزيزة

إلى إخواني وأخواتي وأبنائهما جميعاً

إلى فلذات كبدي، أبنائي وبناتي، فتحي، افتتاح، عبدالسلام، جيهان، رويدا

إلى جميع من شجّعني ووقف إلى جانبي

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل .

عبدالفتاح



## شكر وتقدير

ليس بوسعي وأنا أضع اللمسات الأخيرة في هذه الرسالة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الوافر الى الأستاذ الفاضل الدكتور محمد عبده محمد السروري المشرف العلمي على هذه الرسالة، لما قدمه لي من نصح ورعاية وإرشاد وخصني بالكثير من وقته وعلمه الوافر ومنهجه العلمي الدقيق، وتذليله كافة الصعوبات التي واجهتني في مسيرة بحثي هذا، كما أذكر لشخصه الكريم دماثة أخلاقه وسعة صدره ولطافته التي تلازمه على الدوام .

ومن الوفاء والإنصاف أن أقدم جزيل شكري وإمتناني الى من فتح أمامي آفاق البحث العلمي أستاذي الفاضل الدكتور محمد صالح مبارك بلعغير المشرف المشارك على هذه الرسالة الذي قدم لي الكثير من الجهد والنصح والمناقشة والمتابعة المستمرة، والملاحظات العلمية السديدة والمستفيضة، وأذكر لمعاليه حسن الأخلاق وأستقبله لي في منزله بكل سرور ومنحه لي الكثير من وقته لتبديد العثرات التي كانت تواجهني .

ومن العرفان أيضاً أن أشكر الأستاذ الفاضل الدكتور عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع لما غمرني به من عناية وتشجيع، فلم أتردد يوماً في الإتصال به والتواصل معه والاستفسار والمناقشة لبعض المسائل التي سهلت لي الكثير من الجهد، وأتقدم بالشكر كذلك للأستاذ الفاضل الدكتور شائف عبده سعيد لما قدمه لي من آراء سديدة تتعلق بالرسالة، فضلاً عن توفيره بعض المصادر والمراجع التي أفادتني كثيراً .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ العزيز الدكتور عبدالكريم أسعد قحطان رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية صبر لمراجعته وتصويباته اللغوية للرسالة، وأتقدم بالشكر الى جميع موظفي جامعة صنعاء من العاملين في الدراسات العليا والبحث العلمي، والى جميع موظفي مركز البحوث والدراسات اليمينية بجامعة عدن وعلى رأسهم الأستاذ عبدالله بامطرف، والأستاذة ناهد باشمماخ . الذين قدموا لي كل التسهيلات للإطلاع والإعارة . ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في سبيل إنجاز هذا البحث وإخراجه الى حيز الوجود .

**عبدالفتاح الشعبي**

## بيان الرموز والاختصارات

ت	:	توفى
تح	:	تحقيق
ج	:	جزء
ح	:	حاشية
د.ت	:	بدون تاريخ طبع
ط	:	طبعة أو طبع أو طباعة
ق	:	ورقة أو القسم الأول
ق أ	:	الصفحة الأولى من ورقة المخطوط ، مثلاً (ق ٢ أ)
ق ب	:	الصفحة الثانية من ورقة المخطوط ، مثلاً (ق ٢ ب)
م	:	ميلادية
مج	:	مجلد
مط	:	مطبعة أو مطابع أو مطبوعات
هـ	:	هجرية

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	الإهداء
ت	شكر وتقدير
ث	بيان الرموز والاختصارات
ج	فهرس المحتويات
١	المقدمة :
١	أ- نطاق البحث .
٦	ب- تحليل المصادر .
١٧	تمهيد .

## الباب الأول : الحياة الاجتماعية في بلاد اليمن في عصر الدولة الأيوبية :

### الفصل الأول : عناصر السكان وطبقات المجتمع

٤٨	المبحث الأول : عناصر السكان :
٤٨	أولاً - القبائل اليمنية .
٥٤	ثانياً- العناصر الأجنبية :
٥٤	١- الفُز .
٥٦	٢- المماليك .
٥٨	٣- الرقيق .
٦٠	٤- أهل الذمة .
٦٤	المبحث الثاني : طبقات المجتمع :
٦٥	أولاً - الطبقة الخاصة :
٦٥	١- فئة الحكام .
٧١	٢- فئة العلماء .
٧٥	٣- فئة كبار الملاك .

٧٧	ثانياً - الطبقة العامة :
٧٨	١- فئة الجُند .
٨٠	٢- فئة الرعايا :
٨٣	أ- الفلاحون .
٨٤	ب -الحرفيون .
٨٧	ثالثاً - المذاهب الدينية :
٨٧	١- أهل السنة .
٨٨	٢- الزيدية .
٩٠	٣- الإسماعيلية .
٩٢	٤- الخوارج .

### الفصل الثاني : مظاهر الحياة الاجتماعية

٩٦	أولاً - مكانة المرأة في المجتمع اليمني :
١٠٠	ثانياً - الزواج وإجراءاته :
١٠٠	١- الخطبة .
١٠٣	٢- المهر .
١٠٦	٣- الطرح .
١٠٨	ثالثاً - الاحتفالات بأنواعها :
١٠٩	١- حفلات الولادة والختان:
١٠٩	أ- حفلات الولادة .
١١١	ب -حفلات الختان .
١١٢	٢- الأعياد والمواسم :
١١٢	أ- ليالي رمضان .
١١٤	ب - عيد الفطر والأضحى .
١١٦	ج - أعياد ومواسم أخرى .
١١٧	٣- المواكب والاستقبالات .
١٢٤	رابعاً - العادات والتقاليد الأخرى .

١٣٤	خامساً - المأكل والملبس :
١٣٤	١- المأكل .
١٣٧	٢- الملابس .
١٤٢	سادساً - وسائل التسلية :
١٤٣	١- المتنزهات .
١٤٤	٢- الصيد .
١٤٦	٣- الرماية .
١٤٦	٤- الشطرنج .
١٤٧	٥- سباق الخيل .
١٤٨	سابعاً - الأوقاف وأثرها في الحياة الاجتماعية :
١٥٤	ثامناً - العمارة :
١٥٤	١- تخطيط المدن .
١٥٦	٢- العمارة الدينية :
١٥٦	أ - المساجد الجامعة .
١٥٩	ب - المدارس الدينية .
١٦٠	٣- العمارة العسكرية :
١٦٠	أ- الحصون والقلاع العسكرية .
١٦٣	ب- أسوار المدن وأبوابها .
١٦٤	٤- العمارة المدنية :
١٦٤	أ- القصور والبيوت .
١٦٦	ب- الأسواق والحمامات والخانات .
١٦٧	ج - الطرق .

## الباب الثاني : الحياة الاقتصادية في بلاد اليمن في عصر الدولة الأيوبية :

### الفصل الأول : الزراعة والثروة الحيوانية في بلاد اليمن

- أولاً - الزراعة :
- ١٧١
- ١- المقومات الزراعية :
- ١٧١
- أ- المقومات الطبيعية .
- ١٧٢
- ب - المقومات البشرية .
- ١٧٣
- ٢- نظم الري وطرقه :
- ١٧٣
- أ- الري بمياه الأمطار .
- ١٧٥
- ب - الري بمياه السدود .
- ١٧٦
- ج - الري بمياه الغيول والينابيع .
- ١٧٦
- د - الري بالمياه الجوفية (الآبار) .
- ١٧٧
- ٣- المراحل التي تمر بها الزراعة الحقلية :
- ١٧٨
- أ- تسميد الأرض .
- ١٧٨
- ب - حرث الأرض .
- ١٧٩
- ج - بذر البنور .
- ١٨٠
- د - الحصاد .
- ١٨١
- هـ - درس الحبوب وتخزينها .
- ١٨٢
- ٤- الآفات الزراعية والكوارث الطبيعية المؤثرة على الزراعة .
- ١٨٣
- ٥- أنواع الملكية الزراعية :
- ١٨٦
- أ- الملكية الخاصة .
- ١٨٦
- ب - ملكية الدولة .
- ١٨٨
- ١- عن طريق المصادرة والصوافي .
- ١٨٨
- ٢- عن طريق الشراء .
- ١٨٩
- ٣- عن طريق الاستصلاح .
- ١٩٠
- ج - الأرض المقطعة .
- ١٩١
- د - أراضٍ موقوفة .
- ١٩٢
- هـ - أراضٍ غير مملوكة .
- ١٩٢
- ٦- مظاهر تشجيع الزراعة في عصر الدولة الأيوبية .
- ١٩٣

١٩٥	٧- المحاصيل الزراعية .
٢٠٤	ثانياً - الثروة الحيوانية :
٢٠٤	١-المراعي .
٢٠٥	٢-الحيوانات .
	<b>الفصل الثاني : الصناعة في بلاد اليمن</b>
٢١٠	أولاً - مقومات الصناعة .
٢١٣	ثانياً - أهم الصناعات الحرفية .
٢١٣	١-الصناعات المعدنية :
٢١٣	أ- صناعة الذهب والفضة .
٢١٧	ب - صناعة الحديد والنحاس .
٢٢٢	٢-صناعة المنسوجات والملابس :
٢٢٣	أ- المنسوجات الحريرية .
٢٢٤	ب - الثياب .
٢٢٥	ج - البرود .
٢٢٧	٣- الصباغة والزخرفة :
٢٢٧	أ- الورس .
٢٢٨	ب - القوة .
٢٢٩	ج - النيله .
٢٣٠	٤- الصناعات الجلدية .
٢٣٢	٥- الصناعات الفخارية والخزفية .
٢٣٤	٦- الصناعات الزجاجية .
٢٣٦	٧- صناعة العطور والطيب .
٢٣٧	٨- الصناعات الخشبية والمعمارية :
٢٣٧	أ- الصناعات الخشبية .
٢٣٩	ب - الصناعة المعمارية .
٢٤٢	٩- صناعات أخرى :

٢٤٢	أ- صناعة النبيذ .
٢٤٣	ب - صناعة الحلويات .
٢٤٤	ج - صناعة الزيوت .
٢٤٥	د- صناعة السكر .
	<b>الفصل الثالث : التجارة في بلاد اليمن</b>
٢٤٧	أولاً - التجارة الداخلية :
٢٤٧	١- الحركة التجارية بين الأسواق اليمنية .
٢٤٩	٢- الأسواق في المدن والبضائع والسلع :
٢٤٩	أ- أسواق عدن
٢٥٢	ب- أسواق زبيد
٢٥٤	ج - أسواق صنعاء
٢٥٨	د - أسواق تعز
٢٥٨	هـ - أسواق ظفار الحبوضي
٢٥٩	و - أسواق الشحر
٢٦١	٣- الحسبة والمحتسب .
٢٦٣	ثانياً- التجارة الخارجية :
٢٦٣	١- الطرق التجارية :
٢٦٣	أ- الطرق التجارية البحرية .
٢٦٤	ب - الطرق التجارية البرية :
٢٦٥	-الطريق الساحلي
٢٦٥	-الطريق الجبلي
٢٦٦	-طريق السهل الشرقي
٢٦٧	٢-مراكز التجارة في عصر الدولة الأيوبية :
٢٦٧	أ - مدينة عدن .
٢٧٠	ب - مدينة زبيد .
٢٧٠	ج - مدينة صعدة .



٢٧١	د - مدينة صنعاء .
٢٧١	٣ - حركة الصادرات والواردات وإجراءاتها :
٢٧٢	أ- الصادرات .
٢٧٣	ب - الواردات .
٢٧٦	ج - الإجراءات المتبعة في حركة الصادر والوارد .
٢٧٨	ثالثاً - وسائل المعاملات التجارية :
٢٧٨	١ - التداول النقدي :
٢٧٩	أ - الدينار الملكي .
٢٨٠	ب - الدينار المصري .
٢٨٠	ج - الدرهم الفضي .
٢٨٧	٢ - الموازين والمكاييل والمقاييس :
٢٨٨	أ - الموازين :
٢٩٢	ب - المكاييل :
٢٩٥	ج - المقاييس :
٢٩٧	رابعاً - علاقات اليمن التجارية :
٢٩٧	١ - مع الصين والشرق الأقصى .
٢٩٨	٢ - مع الهند .
٣٠٠	٣ - مع مصر .
٣٠٢	٤ - مع شرق إفريقيا .
٣٠٤	٥ - علاقات أخرى .
	<b>الفصل الرابع : النظام المالي في بلاد اليمن</b>
٣٠٧	أولاً - الدواوين المالية :
٣٠٧	١ - ديوان الخراج .
٣٠٨	٢ - ديوان الجيش .
٣٠٩	٣ - ديوان الوقف .
٣١٠	ثانياً - الموارد المالية للدولة :

٣١١	١-الموارد الثابتة :
٣١١	أ- الزكاة .
٣١٣	ب-الخراج .
٣١٨	ج - الجزية .
٣٢١	٢ - الموارد غير الثابتة :
٣٢١	أ- العشور والضرائب والرسوم والمكوس التجارية .
٣٣٢	ب- الغنائم .
٣٣٣	ج - المصادرات .
٣٣٥	د - المصالحات .
٣٣٦	هـ - العقوبات المالية على القبائل .
٣٣٧	و - الموارث الحشرية .
٣٣٨	ز - الأوقاف .
٣٣٨	ثالثاً - مصروفات مالية الدولة :
٣٣٨	١-الصدقات .
٣٣٩	٢-الهدايا والهبات والخلع والأعطيات .
٣٤١	٣-الأموال المخصصة للصالح .
٣٤٢	٤-الرواتب .
٣٤٤	٥-الاتفاقات العسكرية .
٣٤٦	٦-الاتفاقات على المنشآت الدينية والمدنية .
٣٤٦	أ- المنشآت الدينية .
٣٤٧	ب- المنشآت المدنية .
٣٤٩	الخاتمة
٣٥٤	الملاحق
٣٦٠	المصادر والمراجع
٣٩٦	ملخص البحث باللغة الإنجليزية

## المقدمة

### ١) نطاق البحث :

على الرغم من أن تاريخ اليمن في العصور الإسلامية الوسطى قد حظي في الآونة الأخيرة باهتمام كبير من قبل باحثين مختصين عرباً وأجانب، سواء كان ذلك على شكل رسائل أكاديمية علمية أو أبحاث في مجلات دورية، إلا أن ذلك التاريخ لا يزال يكتنفه الغموض والنقص في بعض جوانبه، وخصوصاً في فترة الوجود الأيوبي في اليمن الذي استمر من سنة ٥٦٩ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ، أي ما يقرب من ٥٨ سنة، لذا فإن ذلك التاريخ يحتاج إلى إبراز بعض جوانبه، وبخاصة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي لم تنل في تقديرنا الحظ في التطرق إليها ودراستها بعمق وتفصيل، ولذلك فنحن معنيون بدراستها وإبراز تلك الجوانب على ضوء ما توافرت لدينا من معلومات زودتنا بها المصادر التي كتبت عن تلك الفترة رغم قلتها، والمراجع التي تناولت جوانب تلك الفترة وما شابها من نقص في التعرف والوقوف على حقيقة الأوضاع التي كانت تعيشها اليمن في عصر الدولة الأيوبية، وطبيعة الصراع الذي حدث على الأرض اليمنية، أكان بين القوى المحلية في ذلك الوقت أو بينها وبين الأيوبيين وإنعكاس ذلك على مجمل الأوضاع .

### أ- أهمية البحث :

إن أهمية هذا البحث تكمن في أنه أول دراسة خصصت لتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اليمن في عصر الدولة الأيوبية وذلك بشكل مدروس ومفصل، لاسيما إذا عرفنا أن معظم الدراسات الأكاديمية التي اهتمت بهذه الدولة لم تتعد عن إطار البحث في الأوضاع العامة السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية والعلمية، ولم تخرج عن هذا الإطار مثلما تم في هذه الدراسة التي حاولنا فيها إخراج مواضيع التاريخ الإسلامي لليمن من العام إلى الخاص، وذلك لسد النقص الذي تعانيه المكتبة اليمنية خاصة والمكتبة العربية الإسلامية عامة، وكذلك لاستكمال ربط الحلقات المفقودة في التاريخ اليمني والتي هي في حاجة إلى جهود الباحثين والمهتمين والدارسين والمتخصصين لملئها بالدراسات الجادة والرصينة .

## ب - أسباب اختيار البحث :

لقد كان من الأسباب التي دفعت الباحث الى التفكير في الكتابة عن هذا الموضوع رغبته في الوقوف على حقيقة الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في اليمن في تلك الفترة والتي تعد ضرورة من الضرورات الملحة؛ لكي يتسنى معرفة الجوانب الاجتماعية والمتغيرات التي حصلت خلال فترة الدراسة، وكذا معرفة وتقدير حجم الإمكانيات الاقتصادية المتعددة في اليمن، ومدى الاستفادة من تلك الإمكانيات آنذاك .

## ج - أهداف البحث :

يهدف هذا البحث الى إعداد دراسة تاريخية أكاديمية جادة ورصينة للتعرف بشكل جلي على مكان القوة والضعف في الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي سادت اليمن في ظل الوجود الأيوبي وذلك من خلال التتبع التاريخي لتلك الجوانب ورصدها وتحليلها وربطها، وبالتالي إيجاد رسالة علمية أكاديمية يمكن الإستفادة منها في الدراسات اللاحقة .

## د - الدراسات السابقة :

إن الدراسات السابقة التي عُثيت بالعصر الأيوبي في اليمن كانت قليلة جداً، وجاءت شاملة أي إنها أسترضت حياتها السياسية والعلمية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية، وأهم تلك الدراسات هي: مظاهر الحضارة في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول) للدكتور أسامه أحمد حماد، والأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي الى عصرهم، للدكتور محمد عبدالعال أحمد، والحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٦٩ - ٦٢٦هـ)، للدكتور محمد بن علي مسفر عسيري، والمظاهر السياسية والحضارية في اليمن على العهد الأيوبي، لنصاري فهمي محمد غزالي، وعلى الرغم من قيمة هذه الدراسات إلا أنه وجب القول إنها لم تسلط الأضواء الكافية على الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية، فجاءت معلوماتها شحيحة وكل ماتناولته في هذه الجوانب لا يتجاوز عنواناً واحداً فقط من جملة عناوين أخرى من عمر هذه الدولة .

## هـ - الصعوبات :

لقد واجهت الباحث خلال مسيرة البحث هذه العديد من الصعوبات التي ماكانت ستُدلّل لولا العزيمة والإصرار من الباحث لإتمام هذا العمل، وأهم هذه الصعوبات: شحة المصادر بل وندرتها والتي أرّخت للحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر موضوع الدراسة، وتبعثر المعلومات المتعلقة بتلك الجوانب، وعدم وجود دراسات متخصصة بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وهو الأمر الذي تطلب جهوداً مضنية لجمع المعلومات من بين متون المصادر .

## و - حدود البحث :

يتناول هذا البحث دراسة تاريخية للحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في عموم المناطق اليمنية في فترة العصر الأيوبي (٥٦٩هـ - ٦٢٦هـ)، وهي الفترة التي شهدت فيها اليمن دخول عناصر جديدة وفدت إليها من الخارج واختلطت بالمجتمع اليمني وقادت البلاد نحو النهوض الاقتصادي النسبي .

## ز - منهج البحث :

إن هذه الدراسة لم تكن إلا محاولة بسيطة ومتواضعة حاولنا فيها بما استطعنا من جهد أن نجمع المعلومات وندرسها، مستخدمين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي التاريخي أكان ذلك في الحياة الاجتماعية أم الاقتصادية، أي دراسة المعطيات التاريخية وتحليلها بعمق للوصول من خلالها الى نتائج منطقية من واقع تلك المعلومات أو المعطيات، مع التأكيد على أن هذا المنهج اقتضى طريقة كتابة التاريخ الهجري في هذا البحث تاركاً ما يقابله في التاريخ الميلادي باستثناء ترتيب المصادر والمراجع في نهاية البحث .

## ح - هيكل البحث :

لقد حتمت طبيعة البحث هذا تقسيمه الى تمهيد وبابين وخاتمة، خُصص التمهيد لتناول الحياة العامة في اليمن قبيل الوجود الأيوبي، حيث تناولنا فيه جغرافية اليمن وتقسيماتها الطبيعية المختلفة والتي قامت على ضوئها الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية وهي موضوع دراستنا، كما تناولنا الحياة السياسية في اليمن قبيل الوجود

الأيوبي، حيث عرضنا لبعض الكيانات السياسية والقبلية والمذهبية التي وجدت في اليمن ومنها: آل زريع في عدن، وبنو حاتم الهمدانيون في صنعاء، وآل مهدي في زبيد، والأشراف الزيديون في صعدة، وتم تناول الدوافع التي جعلت الأيوبيين يفكرون بالسيطرة على اليمن، كما تم استعراض الحياة السياسية التي عاشتها اليمن خلال فترة الوجود الأيوبي .

واشتمل الباب الأول على الحياة الاجتماعية في بلاد اليمن في عصر الدولة الأيوبية، وقد ضم هذا الباب فصلين قسمناهما كالتالي :

الفصل الأول، تناول السكان في اليمن، فتحدث عن عناصر السكان في فترة الدراسة، مثل القبائل اليمنية والعناصر الأجنبية وأهل الذمة والرقيق، وتناول طبقات المجتمع، ومنها الطبقة الخاصة والتي تشمل فئة الحكام، حيث تضم بين دفتيها السلاطين والأمراء والزعماء القبليين والأشراف والأحبوش والغز (الأكراد - الأيوبيون)، كذلك ضم هذا الفصل فئة العلماء، ومنهم الفقهاء والقضاة والمحدثين والقراء والمفسرين، وكذا ضم فئة كبار الملاك (ملاك الأراضي الزراعية)، والتجار، أما الطبقة العامة فقد ضمت فئة الجند والرعايا والفلاحين والحرفيين والصناع ، وتكلم هذا الفصل عن المذاهب الدينية في بلاد اليمن وأهمها: أهل السنة والزيدية والإسماعيلية والخوارج .

أما الفصل الثاني، فقد اشتمل على دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية، وتم تقسيمه إلى (ثمانية أقسام)، تناول القسم الأول منها مكانة المرأة ودورها في المجتمع، أما القسم الثاني فقد تطرق إلى الزواج وإجراءاته، ومنها الخطبة والمهر والطرح، وعرج القسم الثالث على الاحتفالات بأنواعها كحفلات الختان والولادة والأعياد والمواسم بما تضمنته من ليالي رمضان، وعيدا الفطر والأضحى، والجمعة والمناسبات الدينية، وموسم نضج النخل، والمواكب والإستقبالات، وألقى القسم الرابع الضوء على العادات والتقاليد الأخرى، أما القسم الخامس فقد تناول المأكولات والملبوسات . وفي السادس تم التطرق إلى وسائل التسلية التي كانت تمارس في العصر موضوع الدراسة مثل: المتنزهات، والصيد، والرماية، والشطرنج، وسباق الخيل، وبحث القسم السابع من هذا الفصل الأوقاف وأثرها في الحياة الاجتماعية،

ومنها أوقاف الفقراء والمساكين والطلاب الأيتام وأوقاف بناء المساجد وإصلاحها وبناء المدارس، وفي القسم الثامن والأخير من هذا الفصل استعرضنا بصورة تفصيلية مظاهر العمران بما تضمنه من مدن ومساجد وقصور ومدارس وحصون وطرق أنشئت في عصر أيوبية اليمن .

أما الباب الثاني فقد تناول الحياة الاقتصادية في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، اشتمل هذا الباب على أربعة فصول جاءت كما يلي:

الفصل الأول، تضمن الزراعة والثروة الحيوانية، حيث تم تقسيم هذا الفصل الى جزئين رئيسيين، تناول الجزء الأول منهما الزراعة، وضم هذا الفصل بين دفتيه المقومات الزراعية الطبيعية والبشرية في بلاد اليمن، ونظم الري وطرقه، والمراحل التي تمر بها الزراعة الحقلية من تسميد الأرض وحرثها وبذرها، فضلاً عن ذلك تناول هذا الفصل الآفات الزراعية والكوارث الطبيعية المؤثرة على الزراعة، وكذا أنواع الملكية الزراعية من ملكية خاصة الى ملكية الدولة الى أراضٍ موقوفة، وتقبيلية (أي تأجير الأرض من مالِكها مقابل مبلغ من المال يتم الإتفاق عليه بين الطرفين) ومرهونة، كذلك تناول هذا الفصل موضوع درس الحبوب وتخزينها، ومظاهر تشجيع الزراعة في العصر الأيوبي، مع ذكر لأهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها اليمن في العصر موضوع الدراسة، بينما خصص الجزء الثاني من هذا الفصل للثروة الحيوانية فتطرق الى المراعي والحيوانات المعروفة في بلاد اليمن في العصر الأيوبي أما الفصل الثاني، خُصص للبحث في الصناعة ببلاد اليمن في العصر الأيوبي، وقد ضم هذا الفصل قسمين، ضمن القسم الأول، المقومات الصناعية، أما القسم الثاني فقد شمل أهم الصناعات الحرفية ومنها: الصناعات المعدنية وأهمها: الذهب والفضة والعقيق والكبريت والحديد، وصناعة المنسوجات والملابس وأبرزها: المنسوجات الحريرية، والثياب والبرود وزخرفتها، والصباغات ومنها: الورس، القوة، النيلة، كذلك تناول هذا القسم الصناعات الجلدية، والصناعات الفخارية والخزفية، والصناعات الزجاجية، وصناعة العطور والطيب، والصناعات الخشبية والمعمارية، بالإضافة الى عدة صناعات أخرى .

الفصل الثالث، شمل دراسة حول التجارة في بلاد اليمن، حيث تم تقسيمه الى أربعة أجزاء، الأول، تكلم عن التجارة الداخلية، لاسيما الحركة التجارية بين الأسواق اليمنية، وأهم الأسواق التجارية في فترة الدراسة، وأنواع السلع والبضائع المتواجدة فيها، كما شمل هذا الجزء الحديث عن الحسبة والمحتسب في الأسواق اليمنية في عصر الدولة الأيوبية .

أما الجزء الثاني فقد تناول التجارة الخارجية، فعرض للطرق التجارية البحرية والبرية، ومراكز التجارة في العصر الأيوبي، ومنها: عدن، وزبيد، وصعدة، وصنعاء، وأوضح هذا الجزء كثيراً حركة الصادر والوارد للسلع والبضائع من وإلى اليمن وإجراءاتها . أما الجزء الثالث فقد تضمن وسائل المعاملات التجارية، حيث بحث في العملة المتداولة في اليمن في العصر الأيوبي، وكذا الموازين والمكاييل والمقاييس وأنواعها . وأفرد الجزء الرابع لعلاقات اليمن التجارية في ذلك العصر مع البلدان الخارجية ومنها: الصين، والهند، ومصر، وشرق أفريقيا . الفصل الرابع، بحث في النظام المالي المتبع في العصر الأيوبي في بلاد اليمن، حيث ألقى هذا الفصل الضوء على أهم الدواوين المالية (الموارد) بأنواعها الشرعية (الثابتة) وغير الشرعية (غير الثابتة) وطرق تحصيلها، وكذا المصروفات وأغراضها .

وتنتهي الدراسة بخاتمة تحوي أهم النتائج والاستنتاجات التي تم التوصل إليها، وملاحق معززة لبعض جوانب الدراسة .

## ٢) تحليل أهم المصادر :

لا شك أن الكتابة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لليمن في العصر الأيوبي تحتاج إلى بحث مكثف في صفحات المصادر المختلفة التي نادراً ما كانت تكتب بكثرة عن مثل هذه الموضوعات، وإن وجدت كتابات فهي معلومات قليلة مبعثرة متناقضة أحياناً بسبب اعتماد مؤلفيها على السماع والنقل لبعض الروايات، ولبعد عصرهم من الأحداث التي كانت تدور على الأرض اليمنية؛ وعليه فإن بحثي عن المعلومات التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة دفعني أيضاً إلى التنقل بسين صنعاء وعدن وحتى اضطرت لتكليف أحد أقاربي المتواجدين في جمهورية مصر العربية لزيارة بعض مراكزها العلمية الهامة مثل معهد إحياء المخطوطات العربية



التابعة لجامعة الدول العربية، ودار الكتب المصرية، وتصوير مايمكنه تصويره مما أعددت له من كتب، بالإضافة الى تكليفه بزيارة مكتبة الوعي الإسلامي في مدينة العتبة بالقاهرة، والتي تعرفت على صاحبها في زيارات سابقة لي الى مصر، وقد ذلل لي صاحبها كثيراً من مشقة البحث عن المصادر المخطوطة والمطبوعة، وفورها بمدة زمنية قصيرة بحكم ارتباطه بالمهنة ومعرفته أماكن تلك المؤلفات ولكثرة المرتادين إليه من الباحثين في مجال التاريخ والدراسات الإسلامية من شتى مناطق الوطن العربي . وبهذا أمكنني جمع العديد من المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة والتي سيتم استعراض وتحليل أهمها خدمة للحقيقة التاريخية والمنهجية العلمية لا التقليل من قيمتها أو القدح فيها؛ وبناءً على ذلك فقد تم ترتيبها على حسب أقدمية تاريخ وفاة مؤلفيها :

١- كتاب "طبقات فقهاء اليمن" لمؤلفه عمر بن علي بن سمرة الجعدي، (المتوفى بعد سنة ٥٨٦هـ)، ويعتبر هذا المصدر من أقدم كتب الطبقات اليمنية المعروفة، وكان ابن سمرة من المعاصرين للحكم الأيوبي في اليمن، لذلك كانت معلوماته في هذا الكتاب ذات فائدة في بعض موضوعات الدراسة .

٢- كتاب السيرة المنصورية: "سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (٥٦١-٦١٤هـ)" لمؤلفه أبو فراس بن دعثم الصنعاني، (المتوفى بعد سنة ٦١٤هـ)، ويتكون هذا الكتاب من مجلدين يحتويان على الجزئين الثاني والثالث من السيرة المنصورية التي فقد منها الجزآن الأول والرابع، وعلى الرغم من ميل المؤلف في كتابه هذا للإمام عبدالله بن حمزة وذكره لتفاصيل العلاقة التي ربطت الإمام عبدالله بالقادة والأمراء الأيوبيين، وهو الأمر الذي لم نجده في المصادر الأخرى حتى الزيدية منها، إلا أن هناك معلومات تاريخية استفدنا منها في بعض فصول الدراسة، فضلاً عن الاستدلال لوجود نظام الحسبة في اليمن من خلال نصين أوردهما في سيرته هذه؛ وكذلك معلومات ذات قيمة فيما يتعلق بسك الدراهم المنصورية وأنواع مصادر الموارد المالية، وكذا المصروفات أو الإنفاقات المختلفة في العصر موضوع الدراسة، كما تشمل هذه السيرة على معلومات عن العمارة وخاصة عمارة حصن ظفار . الجدير بالذكر أن هذه السيرة التي كتبها ابن دعثم، قام الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي

بتحقيقها في سنة ١٩٩٣م فبذل جهداً رائعاً في إبراز وتوضيح مواقع الكثير من البلدان والحصون والقرى والتي وردت في السيرة والتي لانجد تفاصيل عنها حتى في معجم البلدان لياقوت الحموي .

٣- كتاب "صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز والمسماء بـ: (تاريخ المستبصر)" لمؤلفه جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ابن المجاور، (المتوفى بعد سنة ٦٣٠هـ)، ويعتبر المصدر الرئيس من المصادر الجغرافية التي تم الاعتماد عليها في أغلب فصول الدراسة إن لم يكن في جميعها لما له من قيمة وأهمية في هذه الدراسة فابن المجاور كان معاصراً للعصر الأيوبي في اليمن، وقد تضمن كتابه وصفاً شبه شامل للأحوال الاجتماعية والاقتصادية، حيث زودنا ابن المجاور بمعلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية في بلاد اليمن ومنها عناصر السكان وأجناسهم وأشكالهم، وأسمائهم وطعامهم ولباسهم وعاداتهم وتقاليدهم في الزواج وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية؛ ودور المرأة في المجتمع اليمني ومشاركتها الرجل أعباء الحياة، والعمل بالتجارة والفلاحة؛ والاحتفالات الشعبية التي كانت تقام في النخل متى أينع ثمره وحان قطافه، والتي اشتهرت باسم (السبوت) لأنها كانت تقع في أيام السبت .

كذلك قدم لنا الكثير من المعلومات القيمة في مجال الحياة الاقتصادية سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة فأمدنا بمعلومات مفصلة عن أنواع الزراعات المحلية باليمن، وكذلك الزراعات التي أدخلت لليمن بدءاً من عصر بني أيوب؛ وتبين مناطق الثروة الغابية أو الخشبية، كما أورد الكثير من المعلومات عن الفنون الصناعية باليمن في العصر الأيوبي، مثل صناعة الجلود وصناعة النسيج وغيرها من الصناعات الأخرى، كما تناول بإسهاب النشاط التجاري في اليمن، وطرق المواصلات، والمراكز التجارية الكبرى في عدن وزبيد وصنعاء، وحركة التجارة بها وماتدره من إيرادات لخزينة البلاد، كما أمدنا بقوائم مفصلة لأنواع الصادرات والواردات ومقدار العشور المفروضة عليها، فضلاً عن تحديده أنواع السلع المعفاة من العشور، وذكر الإجراءات الجمركية الصارمة التي تميز بها ميناء عدن، وما يتعرض له الوافد الى البلاد من تفتيش دقيق تساوى فيه النساء بالرجال، كما أشار أيضاً الى البلدان التي تتعامل تجارياً مع اليمن، وأنواع المعاملات التجارية السائدة في بلاد اليمن، ففصل لنا النقد السائد في

اليمن في العصر الأيوبي ومنه الدينار الملكي والدينار الأحمر أو المصري مبنياً قيمتهما وتباين هذه القيمة من وقت لآخر تبعاً لتطورات الأوضاع الاقتصادية، كما أشار إلى أنواع المكايل والموازيين والمقاييس المستخدمة في أسواق اليمن سواء بالنسبة للتجارة الداخلية أو الخارجية، وأبرز السلع التي تكال وتوزن بهذه المكايل والموازيين، وعلاوة على ذلك فقد خصص ابن المجاور جزءاً كبيراً من كتابه لوصف مدينة عدن بحكم كونها من أكثر المراكز التجارية في الشرق الأدنى الإسلامي أهمية، فزودنا بمعلومات ذات قيمة أفادتنا عند الحديث عن مدينة عدن وتطورها العمراني في العصر الأيوبي .

غير أن الشيء الذي يؤخذ على ابن المجاور رغم أهمية مصنفه واعتماده على ملاحظاته المباشرة اعتماده على الروايات الشعبية التي دونها دون تمحيص والتي كانت مليئة بالأساطير والخرافات، الأمر الذي أدى إلى الخلط بين المشاهدة الميدانية وبين الروايات مما جعل الباحث يتعامل مع تلك المعلومات بحذر شديد .

٤ - كتاب "روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكت الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسمار"، لمؤلفه أبو الحسن محمد بن يوسف بن محمد المعروف بـ: الحجوري، (المتوفى سنة ٦٣٦هـ)، وهو مخطوط يتألف من أربعة أجزاء، ويتناول تاريخ العالم منذ المبتدأ، وفي الأنساب، وفي تاريخ اليمن ومن تملكه حتى القرن السابع الهجري، وتعد روضة الحجوري أول مصدر تاريخي يمني يتناول التاريخ العالمي كله .

وأفدنا من هذا المخطوط في بعض مواضع الدراسة، إذ سرد حوادث مهمة قبل عصر الدولة الأيوبية في اليمن وفي عصرها أيضاً، والأهم من ذلك أنه ذكر انقسام بلاد اليمن وتجزؤها إلى دويلات وإمارات منذ سنة ٥٥٩هـ الأمر الذي سهل للأيوبيين السيطرة التامة على اليمن، وقد تم الاستفادة من مؤلفه في الجزء الأول المتعلق بنسب القبائل اليمنية ومواطنها، والجزء الرابع الذي تناول العلاقات القائمة بين الدويلات والسلاطين داخل اليمن في العصر الأيوبي .

٥ - كتاب "ملح الملاحه في معرفة الفلاحه" لمؤلفه الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول، (المتوفى سنة ٦٩٦هـ)، وقد زودنا هذا المصدر بالكثير من المعلومات المهمة

عن الزراعة، والتي أثرت البحث بما أوردته عن أنواع المزروعات التي عرفتها بلاد اليمن والمحاصيل الرئيسة بها وأماكن زراعتها، وأنواع المحصولات الشتوية والصيفية، والأوقات الملائمة لزراعة كل محصول منها وحصاده، وأنواع التربة الملائمة لكل محصول، وعمليات الزراعة من حرث وبذر وتسميد وري، وغير ذلك من العمليات المصاحبة للزراعة من جني المحصول وحصاده وتخزينه، والأدوات المستخدمة في الزراعة .

٦- كتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، لمؤلفه جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن واصل، (المتوفى سنة ٦٩٧هـ)، وهو من المصادر المهمة التي تناولت تاريخ بني أيوب عموماً بما في ذلك دولتهم في اليمن، وأهم ملوكها، وأهم الأحداث في عهودهم، ونظراً لذلك، فقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات تاريخية أستفدنا منها عند الكتابة عن العلاقة التي كانت تربط بني أيوب بالسلطين والمشاخ داخل اليمن .

٧- كتاب "السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن"، لمؤلفه الأمير بدر الدين محمد بن حاتم الياامي، (المتوفى بعد سنة ٧٠٢هـ)، وبعد كتاب السمط من أقدم المؤلفات التاريخية في اليمن التي تناولت فترة الحكم الأيوبي في هذه البلاد، وجزءاً من الدولة الرسولية، فمادة الكتاب العلمية تغطي أخبار الأيوبيين منذ افتتاح المعظم توران شاه لليمن سنة ٥٦٩هـ، وحتى سقوط دولتهم سنة ٦٢٦هـ، ثم يتبعها بأخبار الدولة الرسولية الى نهاية عهد الملك المظفر يوسف بن عمر، وقد استقى ابن حاتم معلوماته عن الثقة وأورد في كتابه ما أمكنه الحصول عليه من أخبار الغز في اليمن معتمداً على ما أمده به الرواة " باختلاف واتفاق واجتماع في طرق الأخبار وافتراق"، وقد أفادنا هذا الكتاب كثيراً في أغلب فصول الدراسة إن لم يكن في جميعها من خلال المعلومات التي أوردتها والإشارات التي دونها في معرض حديثه عن سيرة حكام بني أيوب في اليمن وإنجازاتهم المختلفة وإقطاعاتهم وصراعات عناصرهم مع بعضها ومع الكيانات السياسية والدينية والقبلية اليمنية أثناء حكمهم، وكذا المعاهدات والمصالحات التي كانت تجري بين الأيوبيين من جهة والقوى المحلية داخل اليمن من جهة أخرى وبخاصة الأئمة الزيدية .

لذلك يعتبر هذا الكتاب المصدر الأول الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة لما زخر به من معلومات غزيرة عن العصر موضوع الدراسة . تجدر الإشارة الى أن العديد من المؤرخين مثل، الجندي والخزرجي وابن عبدالمجيد وابن الديبع وبامخرمة ويحيى بن الحسين، قد نقلوا عن ابن حاتم، وأضافوا من جانبهم معلومات في مؤلفاتهم .

٨- كتاب " السلوك في طبقات العلماء والملوك " لمؤلفه بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي، (المتوفى سنة ٧٣٢هـ)، والكتاب هو تاريخ عام لعلماء اليمن وملوكها بدأه من ظهور الإسلام الى زمنه ورتبه على الطبقات، وهو من المصادر الموثوقة التي استفدنا منها فائدة جمة لما شمله من معلومات عن ملوك وأمراء وحكام وشخصيات يمنية، مبيناً بعض الإنجازات العمرانية المختلفة من مدارس ومساجد وقصور شيدت في العصر موضوع الدراسة، وفائدة هذا المصدر بالنسبة لهذه الدراسة قد غطت أغلب فصول الرسالة، إلا أن فائدته الكبرى ظهرت جلية في الحياة الاجتماعية وبخاصة في موضوع الأوقاف وأثرها في الحياة الاجتماعية، حيث أورد الجندي معلومات مهمة لم نجدها بغزارتها في أي مصدر آخر .

٩- كتاب " بهجة الزمن في تاريخ اليمن "، لمؤلفه تاج الدين عبد الباقي بن عبدالمجيد، (المتوفى سنة ٧٤٤هـ)، وهو كتاب أهتم بتاريخ اليمن، وقد نقل ابن عبدالمجيد عن سبقوه مثل عمارة اليمنى الحكمي في كتابه الذي يحمل عنوان: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأدبائها وأعيانها؛ ومن خلال إيجازه الشديد لأخبار القرون الأولى من تاريخ اليمن، تمكن المؤلف من استعراض تاريخ اليمن والدول التي قامت فيه، والأسر الحاكمة التي تعاقبت على حكمه بأسلوب سهل العبارة، وبالجملة فهو كتاب يصعب الاستغناء عنه رغم قلة معلوماته عن العصر موضوع الدراسة .

١٠- كتاب " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " لمؤلفه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، (المتوفى سنة ٧٤٩هـ)، وقد حفل هذا الكتاب ببعض المعلومات عن مظاهر الترف والنعيم الذي حظي بها أفراد الطبقة الخاصة في اليمن

ولباسهم وعلاقاتهم ودورهم في تشجيع أصحاب الحرف، ورغم أن العمري لم يزر اليمن، إلا أنه أعتمد في معلوماته على بعض ممن ألتقى بهم من اليمن .

١١- كتاب " تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " المسماة بـ: رحلة ابن بطوطة، لمؤلفه أبو عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بـ: ابن بطوطة، (المتوفى سنة ٧٧٩هـ)، وقد زودنا هذا المصدر بالكثير من المعلومات التي أفادت البحث في العديد من نقاطه وبخاصة فيما يتعلق بمظاهر الحياة الاجتماعية في اليمن مثل الإحتفالات الخاصة بجني الرطب والمعروفة " بالسبوت " في زبيد وأنحاء تهامة، وبعض العادات والتقاليد المتبعة في اليمن آنذاك، مثال ذلك عدم امتناع نساء زبيد عن الزواج من الغريب الوافد الى بلادهم، ورضاؤهن بالقليل من النفقة والكسوة، ورفضهن أشد الرفض الخروج عن بلدن، مهما بذل لهن الأزواج في هذا السبيل، كذلك تحدث ابن بطوطة عن أخلاقيات نساء اليمن، لاسيما نساء زبيد واتسامهن بالجمال والاحتشام، معارضاً في ذلك ما ذكره ابن المجاور من قول مخالف لذلك تماماً، كما تناول بالحديث عناصر السكان في المدن اليمنية، مثل عدن وطارق الحبوضي، والزي السائد ، كما تطرق للحديث عن النواحي الاقتصادية فتكلم عن أشهر مزروعات اليمن، وعناية حكاهم بجلب أنواع الغراسات المختلفة من الهند وغيرها من البلدان لإثراء الحياة الزراعية باليمن، كما تحدث عن أسواق المدن اليمنية، وأشهر السلع المتبادلة فيها، وبعض أنواع المعاملات التجارية .

١٢- كتاب " المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك "، لمؤلفه موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي، (المتوفى سنة ٨١٢هـ)، وهو مخطوط، ويعتبر من المصادر المهمة التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة، وبما ان هذا المصدر عبارة عن تاريخ عام وسجل حافل بأخبار اليمن منذ فجر الإسلام وحتى عصر المؤلف، فقد استفدنا من جزءه الرابع فائدة جمة في بعض موضوعات الدراسة؛ فقد أورد الخزرجي في هذا الكتاب قدراً من المعلومات المتعلقة بالعصر الأيوبي في اليمن، سواء فيما يخص الحياة الاجتماعية أو الحياة الاقتصادية، فضلاً عن إشارات كثيرة للنواحي المالية كجانب من الحياة الاقتصادية، وكذا النواحي العمرانية كمظهر من المظاهر الحضارية، حيث أورد الخزرجي معلومات عن

المنشآت المعمارية التي أقامها حكام اليمن في العصر الأيوبي، وخص حكام وأمرأء بني أيوب بذلك، فتحدث عن مدينة المنصورة التي أسسها الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين، وعن القصور والبساتين وتكنات الجند التي أُقيمت بها لتكون بمثابة مدينة عسكرية وقاعدة للجيش الأيوبي، وأشار إلى بناء المدارس في عهد المعز إسماعيل بن طغتكين، وفي عهد الأتابك سيف الدين سنقر وزير الناصر أيوب بن طغتكين، كذلك نجد ضمن معلوماته ذكراً لعدد من المساجد (الجوامع) التي شُيّدت في العصر الأيوبي، والقائمين على عمارتها، وكيفية تصريف شئونها والإنفاق عليها؛ ولما كانت فائدة هذا المصدر جمة في هذه الدراسة فهذا لا يعني أن الخرجي قد تنزه عن الخطأ والسهو من دون المؤرخين الآخرين، فقد ساءت تقديراته في تاريخ بعض الحوادث التي حصلت في اليمن في العصر الأيوبي، مثل عدم دقته في تحديد تاريخ دخول الأتابك سيف الدين سنقر إلى صنعاء، ومرجع ذلك ربما يعود إلى بعد عهده، واعتماده على مؤلفات من سبقوه من المؤرخين في نقل الوقائع التاريخية . وقد اعتمدنا في ترقيم صفحات المخطوط كما جاءت مصورة من الجهة الناشرة (وزارة الإعلام والثقافة مشروع الكتاب ١/٦) .

١٣- كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، لمؤلفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، (المتوفى سنة ٨٢١هـ)، ويتألف هذا الكتاب من أربعة عشر جزءاً، أمدنا الجزآن الرابع والخامس منه بمعلومات تاريخية عن الدولة الأيوبية في اليمن وأخبار ملوكها، مع تفسير لبعض المصطلحات السياسية والعسكرية المتعارف عليها في تلك الفترة، ويحتوي الجزآن المذكوران أيضاً على معلومات قيمة عن نمط الحياة الاجتماعية لبعض الفئات وأحوالها في ذلك العصر، مثل فئة السلاطين والأشراف والموظفين، وكذا ذكر معلومات اقتصادية قيمة تتعلق بالزراعة .

١٤- كتاب "بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد"، لمؤلفه عبدالرحمن بن علي بن الديبع، (المتوفى سنة ٩٤٤هـ)، ففي بغية المستفيد الذي اشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة خصص الباب السادس منه للحديث عن الأيوبيين ودخولهم اليمن، وتبرز الفائدة من هذا الكتاب في ما احتواه من إشارات عن اهتمامات الأيوبيين بعمران تلك المدينة لا سيما العمران العسكري والديني، حيث داوم ملوك وأمرأء بني

أيوب على عمارتها وتجديد أسوارها وجوامعها وأبوابها وحفر خنادقها وتعبيد دروبها لإضفاء الحصانة والمنعة عليها، ويحتوي هذا الكتاب أيضاً على معلومات تتعلق بالحياة الاجتماعية، فتحدث عن العادات والتقاليد المتوارثة عند أهل زبيد ومنها عادة الشفاعة بقبور الأولياء، وبيوت الفقهاء والعلماء، وغير ذلك من تفاصيل الحياة الاجتماعية والتي أشرنا إليها في مواضعها من الدراسة . وللمؤلف نفسه كتاب " قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون " فقد أفادنا في العديد من موضوعات الدراسة وبخاصة في ما يتعلق بالنظم المالية، وكذا ما يتصل بالزراعة وأنواع الغراسات في العصر موضوع الدراسة؛ ومن الملاحظ أن ابن الديبع اعتمد في كتابه هذا على من سبقه من مؤرخي اليمن، كعمارة في كتابه (المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد)، وابن سمرة في كتابه (طبقات فقهاء اليمن)، والجندي في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك)، وابن عبد المجيد في كتابه (بهجة الزمن)، والخزرجي في كتابه (العسجد المسبوك)، ونهج في كتابه هذا نهج الخزرجي في كتابه (العسجد) في التلخيص والترتيب، وعمل ابن الديبع على إضافة معلومات أخرى إلى كتابه هذا، غير الذي أخذ من الخزرجي .

١٥- كتاب " تاريخ ثغر عدن " لمؤلفه أبو محمد الطيب بن عبدالله بامخرمة، (المتوفى سنة ٩٤٧هـ)، ويتألف من جزئين، الأول عن عدن وما قيل عنها، والثاني يشتمل على تراجم لمن نشأ فيها ومن جاء إليها من رجال علم ودين ودولة وسلاطين وملوك وغيرهم خلال عصري حكم بني أيوب وبني رسول . وتضمنت هذه التراجم مادة حضارية وفيرة، مثال ذلك حديثه عن المواقب السلطانية والاحتفالات المختلفة التي كانت تقام بثغر عدن عند قدوم سلاطين اليمن إليها للإشراف على أوضاع المدينة والجلوس للنظر في المظالم وبحث شكايات الرعايا وإنصافهم . وللمؤلف كتاب " قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر "، فهو يتألف من ثلاثة مجلدات قام بتحقيقه ثلاثة باحثين، وقد تناول بامخرمة في هذا الكتاب تاريخ اليمن وساداتها منذ بدايئة العصر الإسلامي وحتى سنة ٩٢٧هـ وخصّ بني أيوب بجزء خاص في كتابه أي في الوريقات الأخيرة من المجلد الثاني والأولى من المجلد الثالث، وقد أفادنا في بعض مواضع الدراسة . وعموماً فالكتابان لاغنى عنهما لدراستنا .



١٦- كتاب "إنباء أنباء الزمن في تاريخ اليمن" لمؤلفه يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، (المتوفى سنة ١١٠٠هـ)، فهو مخطوط مرتب على المنهج الحولي دون فيه تاريخ اليمن منذ بداية العصر الإسلامي، وأنهى بذكر الأحداث التي وقعت في اليمن إلى سنة ١٠٤٦هـ؛ وللمؤلف نفسه كتاب "غاية الأمان في أخبار القطر اليماني" ويعرف أيضاً بـ: عقيلة الدمن المختصر من إنباء الزمن، فهو كتاب عام دون فيه تاريخ اليمن منذ ظهور الإسلام حتى سنة ١٠٤٦هـ، وتبرز أهمية مؤلفات يحيى بن الحسين هذه في أنه أهتم كثيراً بذكر تفاصيل الصراع الذي دار داخل اليمن بين الزيدية والأيوبيين، ورغم أن يحيى بن الحسين يمثل وجهة نظر الزيدية في ذلك الصراع وإيراده تفاصيل الأحداث السياسية التي حدثت في العصر موضوع الدراسة والتي جمعها من مصادر نادرة أحصاها بنحو سبعة وخمسين مؤلفاً، إلا أن الإشارات ذات الأهمية البالغة عن موضوعات تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية لاغنى عنها من هذه المؤلفات، فقد أهتم بذكر تعدد عناصر السكان في المدن اليمنية، وعلى رأسها مدينة صنعاء، وأورد إشارات هامة تتصل بالعمائر الأيوبية في اليمن والمنشآت التي أقيمت في عهدهم ذكراً اهتمامات سيف الإسلام (طغتكين) بالبناء والتشييد وإنشاء البساتين، وتناول أنواع الزراعات الجديدة وأصناف الأشجار والرياحين والورود التي شغف حكام اليمن بجلبها من أقطار عديدة وغرسها في بساتينهم الملكية، كذلك أورد إشارات عدة حول تعرض الزراعات للكوارث الطبيعية والبشرية، فضلاً عن معلوماته للمصالحات والمصادرات التي حصلت في اليمن في العصر الأيوبي، وذكره الوسائل والطرق المتبعة في تقدير الضرائب على المزروعات وذلك في نهاية العصر الأيوبي وتعرف بطريقة (خرص الثمار) أي تقدير ما على النخيل وأشجار الكروم من ثمار ظناً لا إحاطة .

ولم تكن تلك المؤلفات إلا نموذجاً للكثير من المصادر التي رجعنا إليها في دراستنا هذه، مع العلم أن هذه الرسالة أستفادت كثيراً من كتب أخرى كان لها الفضل في استكمال وتفسير وتعريف ما غمض من المعلومات والمصطلحات والأسماء، مثل كتب الأنساب والجغرافية والمعاجم واللغة، فضلاً عن بعض الكتب الأجنبية المعربة وغير المعربة، والرسائل الجامعية والبحوث التي تمت الاستفادة من آراء ووجهات

نظر ونتائج واستنتاجات مؤلفيها وماتوصلوا إليه من جديد في تاريخ هذه الدولة، ولكننا تجنبنا التعريف بها خشية الإطالة .

وفي الأخير أرجو من الله العزيز القدير أن أكون قد وفقت بجهدتي المتواضع هذا في إعداد دراسة علمية أكاديمية جادة ورصينة ومفيدة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، كما أرجو أن أكون قد وفقت أيضاً في إخراجها بالصورة المطلوبة، فإن تحقق ذلك فبتوفيق من الله تعالى وعونه، وإن قصرت في ذلك أو أخطأت فمن نفسي، والله ولي التوفيق والهداية .

## تمهيد:

ان الدارس للحياة الاجتماعية والاقتصادية في اليمن لابد له ان يلم بمقدمة جغرافية عنها بغية الوقوف على طبيعتها ومدى تأثيرها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل والحياة العامة للسكان في هذا الجزء المهم من شبه الجزيرة العربية، وهذا ما سنحاول استعراضه في هذه الصفحات .

## أولاً: جغرافية اليمن وتقسيماتها الطبيعية :

طبيعة اليمن الجغرافية هي جزء من الطبيعة الجغرافية المكونة لبلاد العرب والتي اختلفت المصادر حول تحديدها، فبينما نجد بعض المصادر تحصر حدود بلاد العرب التي تمثل اليمن طرفها الجنوبي بالمنطقة التي يحيط بها البحر أي من بحر فارس(الخليج العربي) شرقاً الى بحر القلزم(البحر الأحمر) غرباً<sup>(١)</sup>، نجد مصادر أخرى تتجاوز ذلك الحصر الجغرافي وتضيف المنطقة الشمالية؛ لأن التحديد السابق لا يمثل سوى ثلاثة أرباع بلاد العرب<sup>(٢)</sup> فقط .

ومن حيث التقسيم يرى المقدسي أن بلاد العرب قد قُسمت الى أربع كور<sup>(٣)</sup> جليلة وأربع نواح نفيسة، فأما الكور فهي الحجاز واليمن وعمان وهجر<sup>(٤)</sup>، وأما

(١) المقدسي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تح : دي جويه م . ي ، لندن ، ١٩٠٦م ، ص ٦٨ ؛ موس ، هـ . سانت ل . ب ، ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد ، راجعه : السيد الباز العريني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ٢٧٠ .

(٢) ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل محمد النصيبي ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٣) أحسن التقاسيم ، ص ٦٨ ؛ والكور: الإبل الكثيرة العظيمة ، والكور أرض باليمامة ، والكور أرض بلجران . ياقوت ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٨٧٠م ، ج ٤ ، ص ٤٨٩ .

(٤) هجر أو الهجر: قرية من عزلة وادي زبيد ، ناحية حيدان ، محافظة صعدة . ابن دعثم ، أبو فراس بن دعثم الصنعاني ، السيرة المنصورية (سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ٥٩٣-٦١٤هـ) ، تح: عبدالغني محمود عبدالعاطي ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، (ح ٢) ، وهجر التي وردت في النص المقصود بها مدينة وقاعدة البحرين ، وقيل بأنها ناحية البحرين كلها . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٩٣ .

النواحي فهي الأحقاف والأشجار واليمامة وقرح<sup>(١)</sup>، وعند الهمداني نجد التقسيم يختلف حيث جعلها خمسة أقسام، وهي: تهامة ونجد والحجاز والعروض واليمن<sup>(٢)</sup>، ويضيف ابن حوقل<sup>(٣)</sup> إليها باديتي العراق والشام والجزيرة، ويرى القلقشندي<sup>(٤)</sup> أن كل تلك التقسيمات عليها خلاف كبير يطول شرحه وإذا كانت المؤلفات الجغرافية قد برز فيها الاختلاف حول تحديد رقعة بلاد العرب الجغرافية، فقد برز أيضاً فيها الاختلاف حول رقعة بلاد اليمن، حيث ترى بعض المصادر القديمة أن حد اليمن من جهة الشمال يبدأ من بلدة الهجيرة<sup>(٥)</sup> بالمنطقة النجدية، وبعضها يرى أن حصن السرين<sup>(٦)</sup> على ساحل تهامة هو نقطة البداية لذلك التحديد، فالحد النجدي يبدأ من بلدة الهجيرة متجهاً ناحية الغرب على جبال السراة، فيصعد الجبل عند بلدة عثر<sup>(٧)</sup>، ثم يميل إلى الشمال قليلاً ويهبط إلى ناحية البحر عند ميناء حمضة الواقعة جنوب حلى<sup>(٨)</sup>، وهذا الحد يقع إلى الشمال قليلاً من خط عرض ١٧،

(١) قرح : هو سوق وادي القرى ، وكانت من أسواق العرب في الجاهلية . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ . والأحقاف والأشجار هي حضرموت .

(٢) للمزيد من التفاصيل انظر : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، أشرف على طبعه : محمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، د . ت ، ص ١٥٨ .

(٣) صورة الأرض ، ج ١ ، ص ١٨-١٩ ؛ والمقصود بادية الجزيرة الفراتية وليس العربية .

(٤) أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، شرح وتعليق : نبيل خالد الخطيب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج ٤ ، ص ٢٤٥ .

(٥) الهجيرة أو المهجرة : هي الحد الفاصل بين عمل مكة وعمل اليمن ، وتقع على مسافة ستين فرسخاً (٤٤ كم تقريباً) إلى الشمال من صنعاء . ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، تح : دي جويه م . ي ، لندن ، ١٨٨٩م ، ص ١٣٥ .

(٦) السرين : ميناء قديم بين جده والقنفذة ، ويقع إلى الجنوب من جبل يللم الذي يمتد من الشرق إلى الغرب فيعترض الطريق الساحلي الواصل بين الشمال والجنوب ، مما يحول دون سيطرة الحجاز عليه ، وهو على أربعة أيام من مكة . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٥ ؛ الحسيني ، عبد المحسن ، الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٦-٧ ، سنة ١٩٥٢-١٩٥٣م ، ص ١١٩ .

(٧) عثر : مخلاف عظيم ، ومدينة طيبة لأنها قسبة الناحية وفرضة صنعاء وصعدة ، وناحية جليلة . الهمداني ، صفة ، ص ٧٦-٧٧ ، (ج ٦) .

(٨) حلى : يقال لها حلى بن يعقوب ، وهي مدينة واقعة في ساحل تهامة ، وعلى منتهى حدود اليمن الطبيعي ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام . عمارة ، نجم الدين عمارة بن علي اليمني ، تاريخ اليمن المسمى بـ : المفيد في

وبالتالي الى الجنوب من السرين<sup>(١)</sup> وقد بين ذلك التحديد الهمداني على حسب ما ارتأه، وأخذ ياقوت عنه ذلك التحديد وأكد على صحته<sup>(٢)</sup> أما الحد الشمالي الثاني فيتجه من السرين على ساحل تهامة الى الشرق حتى ينتهي الى ناحية يلملم، ثم على ظهر الطائف ممتداً على نجد اليمن الى بحر فارس شرقاً، فيكون ذلك نحو ثلثي بلاد العرب<sup>(٣)</sup> وهذا الحد يسير مع خط عرض ٢٠ ° تقريباً، ولهذا فهو يقع الى الشمال كثيراً من الحدود النجدي وفي ضوء ذلك فإننا نجد أن خط الحدود في منطقة جبال السراة أو المنطقة الوسطى بين نجد وتهامة يختلف وفقاً لموقعه من نقطة البداية وهو ما أشار إليه بعض الجغرافيين<sup>(٤)</sup>.

ويرى الهمداني أن الحد الشرقي لليمن يبدأ من حدود عمان ويبرين<sup>(٥)</sup> الى حد ما بين اليمن واليمامة<sup>(٦)</sup> حيث يتصل بالحدود الشمالية، بينما يرى أن الحد الجنوبي لليمن يسير محاذياً لبحر العرب أو المحيط الهندي وخليج عدن، أما الحد الغربي لليمن فهو بلا شك البحر الأحمر، وهو ما أكده وبينه الهمداني ونقل ذلك عنه ياقوت<sup>(٧)</sup>، وإذا كانت تلك نظرة المؤلفات القديمة حول الحدود الجغرافية لليمن، فإن الكتب والدراسات الحديثة والمتأخرة قد أوضحت ذلك وبينت الملحقات التابعة لليمن كالجزر المحاذية لسواحلها، ومنها جزر فرسان قرب ساحل جيزان، ودهلك

= أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تح: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، ط ٣، المكتبة اليمنية، صنعاء، ١٩٨٥م، ص ٥٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٣.

(١) الحسيني، الأقسام الجغرافية، ص ١١٩.

(٢) انظر: صفة، ص ٥١؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٣٥.

(٣) الأضطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، مسالك الممالك، تح: محمد جابر عبد العال ومحمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٠م، ص ١٤.

(٤) الحسيني، الأقسام الجغرافية، ص ١١٨، ١١٩.

(٥) يبرين: هي على محجة عمان إلى مكة وهي صحراء الربع الخالي. الهمداني، صفة، ص ٣١١؛ الحسيني، الأقسام الجغرافية، ص ١١٦.

(٦) الهمداني، صفة، ص ٥٤، واليمامة: هي بلاد البحرين حالياً.

(٧) للمزيد من التفاصيل انظر: صفة، ص ٥٧؛ معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٣٦.

في جنوب البحر الأحمر وزقر بقرب زبيد وغيرها من الجزر وهي كثيرة<sup>(١)</sup> .  
والملاحظ من هذا التحديد الجغرافي لليمن قدمه وأنه كان ينطبق على دول  
اليمن القديمة أثناء اتساعها، وإذا كان التحديد الجغرافي لأي بلد يخضع لعامل القوى  
السياسية من حيث الاتساع في حالة القوة، والانكماش في حالة الضعف، فإن تقسيم  
اليمن في فترة الدراسة كان يشمل المخلاف السليماني واليمن وحضرموت وهي  
المناطق التي كانت تشكل وحدة سياسية في العصر الأبوبي .  
وفي ضوء تلك التقسيمات فإن سطح اليمن الطبيعي، في فترة الدراسة، يمكن  
تقسيمه الى ثلاثة أقسام هي :

١- سهل تهامة في الغرب والجنوب ٢- سلسلة المرتفعات الوسطى ٣- الهضبة  
الشرقية .

الجدير بالإشارة أن كل قسم من هذه الأقسام يشتمل على مخاليف<sup>(٢)</sup> عديدة .

#### ١- سهل تهامة (السهل الساحلي الغربي والجنوبي):

وهو سهل ساحلي يحاذي البحر الأحمر، يمتد ابتداءً من السرين شمالاً الى  
نهاية ذلك البحر جنوباً، ومنها بمحاذاة خليج عدن والمحيط الهندي في الجنوب،  
ويمتاز هذا السهل بشدة الحرارة وارتفاع نسبة الرطوبة، وأمطاره قليلة في معظم  
السنة ولا تزيد عن ١-٢ بوصة، ومع ذلك تهطل في بعض الأوقات أمطار عاصفية  
غزيرة في فصل الصيف، وتعتمد الأراضي في تهامة في سقيها على عدد من

(١) انظر: الويسي، حسين بن علي، اليمن الكبرى (كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي)، ط٢، مكتبة الإرشاد،  
صنعاء، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج١، ص ١-٢ .

(٢) المخلاف: هو الرجل الكثير الإخلاف . الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس  
المحيط، ط٢، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، ج٣، ص ١٣٧؛ أما الزبيدي فيقول أن ولد قحطان لما اتخذوا أرض اليمن  
مسكناً وكثروا فيها ولم يسعهم المقام في موضع واحد، أجمعوا رأيهم على المسير في نواحي اليمن فيختار كل  
بني أب موضعاً يعمرونه ويسكنونه، فكانوا إذا صاروا في ناحية واختارها بعضهم تخلف  
بها عن سائر القبائل وسماهم باسم تلك القبيلة المتخلفة فيها، فسموها مخاليف لتخلف بعضهم عن بعض .  
السيد محمد المرتضى الزبيدي، تاج العروس في شرح القاموس، ط١، دارصادر، بيروت، ١٣٠٦-  
١٣٠٧هـ/١٨٨٨-١٨٨٩م، ج٦، ص ٩٧؛ والمخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام والكسرة لأهل  
العراق والرساتيق لأهل الجبال والطساسيج لأهل الأهواز . ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان  
العرب، ط بيروت، ١٩٥٦م، مج٩، ص ٨٤ .

الأودية<sup>(١)</sup> التي تتحدر من المرتفعات العالية التي تطل على تهامة من الشرق والملاحظ أن اتساع هذا السهل يختلف من مكان إلى آخر، فبينما يتراوح عرضه في المنطقة المطلة على البحر الأحمر ما بين ستين ومائة كيلو متر تبين أنه يقل في الجزء المطل على خليج عدن والمحيط الهندي حتى يكاد يتلاشى في أقصى الجنوب الغربي، ومع ذلك فإنه يأخذ في الاتساع في أماكن أخرى بحيث تصل المسافة في تلك الأماكن إلى خمسين كيلو متراً وأكثر<sup>(٢)</sup>، وقبيل السيطرة الأيوبية على اليمن كانت منطقة تهامة المطلة على البحر الأحمر مقسمة إلى جزئين رئيسين: الأول: المخلاف السليماني<sup>(٣)</sup>؛ ويقع هذا القسم في الشمال وعاصمته حرض<sup>(٤)</sup> والتي يمتد منها إلى حدود الحجاز، والأشراف السليمانيون هم حكام هذا القسم، ولا تزال ذريتهم معروفة في تهامة عسير<sup>(٥)</sup>؛ أما القسم الثاني فيقع في جنوب منطقة الأشراف السليمانيين، وعاصمته زبيد، ويحكم من قبل دولة بني مهدي<sup>(٦)</sup>؛ أما منطقة تهامة

(١) أهم الأودية التي تروي سهل تهامة اليمن مرتبة من الشمال إلى الجنوب هي: حرض، مور، سررد، رمع، زبيد، رسيان، الجريه، موزع، عسيري، محمد بن علي مسفر، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٦٩-٦٢٦)، ط١، دار المدني، جدة، ١٩٨٥م، ص ٢٨؛ وللمزيد من التفاصيل عن تلك الأودية انظر: الهمداني، صفة، ص ١٢٠-١٦٠.

(٢) محمد عبدالعال أحمد، الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص ١٨.

(٣) ينتسب بنو سليمان إلى موسى بن عبدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكانوا قد تغلبوا على مكة وأسسوا فيها دولة السليمانيين سنة ٣٠١هـ، وفي سنة ٤٥٤ هـ هزمهم الهواشم وطردوهم منها، فنزحوا إلى اليمن ونزلوا بالمخلاف السليماني، عمارة، المفيد، ص ٥-٦، ١٢٢.

(٤) حرض: وادٍ مشهور بالشمال الغربي من حجة، ينسب إلى حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير، تقوم على شطه مدينة حرض وهي مدينة أثرية في تهامة، عثر تحت أنقاضها على آثار حميرية - الحجرية، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، نج: إسماعيل بن علي الأكوخ، ط٢، دار الحكمة، صنعاء، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، مج ١، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٥) حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، ط١، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٢٣٣، (ح ٨)؛ الهمداني، حسين بن فيض الله، و حسن سليمان محمود، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، دار المختار للطباعة، دمشق، ١٩٥٥م، ص ١٥٢.

(٦) تنسب هذه الدولة إلى مؤسسها الأول أبو الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبدالله بن محمد المنتهي نسبته إلى رعين الحميرية - حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي، ص ٢٣٧.

المطلّة على خليج عدن، فقد شملت هذه المنطقة عدن التي كان يحكمها آل زريع<sup>(١)</sup>؛ ثم حضرموت (الوادي) والشحر (الساحل) وكانتا تحت حكم آل راشد بن أبي قحطان الحميري<sup>(٢)</sup>.

## ٢- سلسلة المرتفعات الوسطى:

وتشكل هذه المنطقة الجزء الجنوبي لجبال السراة التي تقع الى الشرق من سهل تهامة، وهي عبارة عن قمم جبلية عالية، ومنحدرات وهضاب واقعة بينها، ويصل أعلى ارتفاع لها الى ٣٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، أما أقل ارتفاع لها فيصل الى ٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر<sup>(٣)</sup>، ويقع بين هذه القمم قيعان أو ما تسمى بالمناطق السهلية المستوية، حيث يزيد ارتفاعها على ١٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، وهذه المنطقة مجزأة بدورها الى عدة أقسام وهي:

أ- اليمن الأسفل أو ما سمي بمخلاف المعافر<sup>(٤)</sup>، وهو في الجنوب وعاصمته تعز، ويمتد هذا القسم من شمال عدن الى مدينة إب<sup>(٥)</sup>.

ب- اليمن الأعلى وعاصمته صنعاء، ويمتد هذا القسم من طرف إب الشمالي الى نهاية أعمال صنعاء.

ج- منطقة البون<sup>(٦)</sup> وعاصمتها ريده؛ ثم منطقة الظاهر الواقعة الى الشمال الغربي

(١) سوف يأتي ذكر نسبهم في سياق الحديث عن الحالة السياسية في اليمن قبيل الوجود أو السيطرة الأيوبية .  
انظر: ص ٢٤ (ج ٢) من هذه الرسالة .

(٢) البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، القاهرة، ١٩٤٩م، ج ١، ص ٨٠ .

(٣) محمد عبدالعال، الأيوبيون في اليمن، ص ١٩ .

(٤) المعافر: مخلاف وهو بلاد الحجرية الآن . الجرافي، عبدالله عبدالكريم (القاضي)، المقتطف من تاريخ اليمن، تقديم: إلياس عبود، ط ٢، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٩ .

(٥) إب: هي اليوم ومن الخمسينات مركز الاقليم الأخضر مخلاف ذي الكلاع الأخضر لواء إب، وهي من أنظر مدن اليمن وأحسنها مرافق، وهي معدودة من مخلاف السحول، ومخلاف جعفر في القديم . الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، ط ١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ١، ص ٢٣٩، (ح ٨) .

(٦) البون: منطقة من أوسع قيعان نجد اليمن . الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السنافية، القاهرة، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، ج ١٠، ص ١٦، (ح ٢)؛ وهو حقل يقع شمال صنعاء بمسافة (٤٨ كيلومتراً)، وهو في الأصل بونان: البون الأعلى ومن قراه رقاعة وقارن، والبون الأسفل ومن قراه عمران وريده . الحجري، مجموع، مج ١، ج ١، ص ١٣٠ .



من البون، وتلي بلاد الظاهر<sup>(١)</sup> تأتي صعدة شمالاً، ثم في أقصى شمال اليمن تأتي نجران والتي تضم أكثر مخاليف بلاد اليمن<sup>(٢)</sup>.

وتعتبر هذه المنطقة من أغزر مناطق اليمن أمطاراً وأكثرها انتظاماً، وتوجد فيها عيون الآبار والأنهار والغيول.

## ٢- الهضبة الشرقية لليمن :

تقع في شرق اليمن على مسافة ٢٥٠ كيلو متراً تقريباً من البحر الأحمر، وهي منطقة مسطحة نسبياً وموازية لنهامة وسلسلة الجبال، ويبلغ ارتفاعها عند بدايتها في الغرب نحو ألفي متر فوق مستوى سطح البحر، وتنحدر هذه الهضبة تدريجياً باتجاه الشرق حتى تضيق وسط الصحراء<sup>(٣)</sup>، وتتخلل هذه الهضبة الجبال العالية وأهمها المحيطة بصنعاء<sup>(٤)</sup>، كما يشق هذه الهضبة العديد من الأودية من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال منها: وادي حريب، والجوبة، ومأرب وبه سد وادي مأرب التاريخي، ووادي الجوف وغيل مراد وغيرها<sup>(٥)</sup>، وتتخلل هذه المرتفعات والأودية العديد من السهول المنبسطة الصالحة للزراعة، ومناخ هذه المنطقة، وخصوصاً الجزء الشرقي منها أحسن مناخاً وأوفر أمطاراً، وخصوصاً في العصور القديمة<sup>(٦)</sup>؛ وعلى الصعيد السياسي فقد كان لهذه

(١) الظاهر : نطلق كلمة الظاهر على كل ما ارتفع من البلدان ، والمقصود هنا ظاهر بلاد همدان .

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوخ ، ط١، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ج١٠ ، ص ١٢٩ .

(٢) توجد أكثر مخاليف اليمن في منطقة الجبال التي تضم بين دفتيها المعافر والجند والسحول ويحصب وأنس وعنس ووصاب وعتمة وحراز وسنحان وحمدان وصنعاء وشبام وحجور ووادة ونجران ورازح وصعدة وغيرها . الجرافي ، المقتطف ، ص ١٩ .

(٣) أبو العلا، محمود طه ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ج ٣ ، ص ٣٠ . وتضم هذه المنطقة الجوف وبيحان والحوالق ويقع ورداع وغيرها . الجرافي، المقتطف، ص ١٩ .

(٤) ومن هذه الجبال: نغم وبراش وجبال سنحان شرق صنعاء وجبال خولان العالية على بعد ٤٠ كيلو متراً غرب مأرب . الويسي ، اليمن الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٦ .

(٥) الويسي ، المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٢٦ .

(٦) وهي الهضبة التي مثلت أرض الجنيتين التي ذكرت في القرآن الكريم ، وأقيم فيها العمران الذي أظهر حضارة سبأ ومعين وغيرها من الحضارات اليمنية العريقة في التاريخ ، كما أن سد مأرب يمثل دليلاً وشاهداً

المنطقة شأن كبير في محاربة الأيوبيين الذين لم يتمكنوا من إحكام السيطرة المستمرة عليها، حيث كانت، وبخاصة الجوف، معقلاً من معاقل الزيدية<sup>(١)</sup> والتي ظلت شوكة في خاصرة الدولة الأيوبية طوال فترة وجودها في اليمن .

## ثانياً: الحياة السياسية في اليمن أثناء السيطرة الأيوبية:

### ١- الحياة السياسية قبل السيطرة الأيوبية:

لم تكن الحياة السياسية في اليمن مستقرة قبل السيطرة الأيوبية، بل كانت تعاني من وطأة الفتن الداخلية المذهبية والسياسية والقبلية التي أنهكتها، وهي التي مزقتها وفككتها وأفقدتها وحدتها السياسية، وبالتالي ظهرت وحدات سياسية مختلفة فيما بينها مذهبياً ومتعادية سياسياً ومتحاربة عسكرياً<sup>(٢)</sup> .

على عظمة الإنجازات التي أقيمت في هذه المنطقة . انظر: السقا ، أحمد حجازي ، تاريخ اليمن القديم (من إبراهيم عليه السلام الى ظهور الإسلام ) ، ط ١ ، مكتبة الناقد ، الجيزة ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٧ - ٧٨ .

(١) الزيدية : فرقة إسلامية شيعية ، تنسب الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولد بالمدينة المنورة سنة ٨٠هـ ، وكانت إقامته بالكوفة ، وقتل سنة ١٢٢هـ على أثر ثورة قام بها من الكوفة ضد الخلافة الأموية في عهد الخليفة هشام بن عبدالمك . انظر: الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، قدم له ووثق نصوصه ووضع حواشيه: عصام محمد الحاج علي، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص ٥٠١ ؛ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، راجعه وقدم له وأعد فهرسه: نواف الجراح ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، مج ٤ ، ص ١٤٢٤ - ١٤٢٩ ؛ المحلي ، الحسن حسام الدين حميد بن أحمد ، الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ، مخطوطة مصورة ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٢م ، ج ١ ، ق ٦٨ - ٧٥ ؛ الموسوي ، عبدالرسول ، الشيعة في التاريخ (١٠هـ / ٦٣٢م - ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ، ط ٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٧٢ ؛ فلهاوزن ، يوليوس ، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة) ، ترجمه عن الألمانية : عبدالرحمن بدوي ، ط ٣ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٨م ، ص ١٧٨ . والزيدية تقول بإمامة زيد ، وتتمسك بأقواله . الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ج ١ ، ص ١٣٦ . والزيدية في تعاليمها أقرب الى أهل السنة . أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ط ١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ٢٧٢ ؛ ضحى الإسلام ، ط ١٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ .

(٢) السروري ، محمد عبده محمد ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة (من سنة ٤٢٩هـ - إلى ٦٢٦هـ) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٢٥٩ .

فالدولة الزيرية<sup>(١)</sup> كانت مسيطرة على عدن ولحج وأبين، وامتد نفوذها الى بعض المناطق في تعز<sup>(٢)</sup> ومخلاف جعفر<sup>(٣)</sup>، أما سلاطين جنب<sup>(٤)</sup> فقد بسطوا سيطرتهم على مدينة ذمار ومخاليقها، بينما حكم بنو حاتم<sup>(٥)</sup> حصن أشيخ في أنس<sup>(٦)</sup> وصنعاء وما حولها، ووصل سلطانهم الى بلاد الظاهر في البون من حاشد شمال صنعاء<sup>(٧)</sup>، أما آل مهدي فإنهم تمكنوا من حكم تهامة من حرص حتى تعز وبسطوا سيطرتهم على الجند وجبل صبر وجبل حبشي<sup>(٨)</sup>، بل وعلى مدينة تعز

(١) نسبت دولة بني زريع إلى أولاد زريع بن العباس بن الكرم الهمداني ، لأنهم أول من استقل بحكم المنطقة كاملاً ، في حين أن بعض المؤرخين ينسبون هذه الدولة الى الكرم الهمداني الجد الأعلى لبني زريع وأنشاء عمومهم أولاد المسعود ، وكانت هذه الإمارة مشتركة بينهما ، فيسمونها إمارة أو دولة بني الكرم . انظر : حسن سليمان محمود ، تاريخ اليمن السياسي ، ص ٢٢٢ .

(٢) مثل حصن منيف والسواء والسمدان والذملوة . انظر : السروري ، الحياة السياسية ، ص ٢٥٩ .

(٣) ومنها ذي جبلة وحصن (حب) في بعدان وقيسان ونقيل سماره . المرجع نفسه والصفحة ؛ ومخلاف جعفر : ينسب الى قبيلة مذحج . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ؛ ويعرف بالعدين والحبيش . يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي ، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ، تح وتقديم : سعيد عبدالفتاح عاشور ، مراجعة : محمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ج ١ ، ص ٢٤٥ ، (ح ٢) .

(٤) جنب : قبيلة كبيرة من مذحج مواطنها حول مدينة ذمار جنوب صنعاء . الهمداني ، صفة ، ص ١١٨ ، (ح ١) ؛ وهي بطن من مراد من القحطانية . يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ، (ح ٢) . وجنب : مخلاف شمال جبل حضور من أعمال بني مطر . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ١٩٢-١٩٣ . (٥) يعتبر حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني هو المؤسس الحقيقي لدولة بني حاتم في اليمن . محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٥٦ .

(٦) حصن أشيخ : من معاقل اليمن المشهورة بالمناعة والعزة وموقعه من مخلاف أنس ثم في عزلة بني سويد ، ويعرف الآن بحصن ظفار إلا أنه أطلال وخرائب ، وهو في الشمال الغربي من ضوران ، بمسافة ( ٣٠ كيلومتراً ) . ابن جرير الصنعاني ، إسحاق بن يحيى بن جرير الطيري ، تاريخ صنعاء ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، مكتبة السحائي ، صنعاء ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١١٢ ، (ح ٤) ؛ عمارة ، المفيد ، ص ٨٢ ، (ح ٣) ؛ وأنس : هو جبل ضوران الذي في ثنائيه مدينة ضوران من الشمال . الهمداني ، صفة ، ص ١٠٦ ، (ح ٥) .

(٧) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣١٦ ؛ السروري ، الحياة السياسية ، ص ٢٥٩ .

(٨) جبل حبشي : هو جبل مصالب لجبل صبر من الغرب وبينهما وادي الضباب . الهمداني ، صفة ، ص ١٠٠ . سيتم التعرف بجبل صبر .

نفسها ، كما مدوا نفوذهم الى ذي جبلة<sup>(١)</sup> من مخلاف جعفر ، وتمكن الشريف قاسم بن غانم بن وهاس من حكم المخلاف السليماني ، أما الإمام الزيدي أحمد بن سليمان فقد حكم صعدة والجوف وما حولها<sup>(٢)</sup> . ونتيجة لهذا الوضع السياسي الممزق فقد سعى كل من هذه الكيانات السياسية والقبلية والدينية إلى توسيع نفوذه على حساب الأطراف الأخرى مما أوجد أوضاعاً سياسية غير مستقرة في اليمن ، وهذا ما شجع القوى الخارجية ممثلة بالأيوبيين على التفكير في السيطرة على اليمن وتنفيذ القضاء على الكيانات المتواجدة فيها .

## ٢- العوامل التي أدت الى سيطرة الأيوبيين على اليمن :

أ- الاقتصادية : من الثابت ان اليمن تتمتع بموقع استراتيجي مهم على المستوى العالمي ، فهي تطل على البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وهي بالتالي تتحكم بباب المندب الذي تمر عبره السفن القادمة من الهند وشرق آسيا متجهة نحو مصر الذي يتولاها صلاح الدين الأيوبي<sup>(٣)</sup> ، وبذلك فهذا القائد رأى بعين بصيرة أن هذا الموقع الذي يتحكم بطرق التجارة الآتية من الشرق الى مصر لابد له من تأمين ، خصوصاً وأن النشاط التجاري البحري عبر اليمن قد بدأ يضعف في العصر الأيوبي ، خلافاً

(١) ذي جبلة : مدينة باليمن شمال الجند يطل عليها جبل التعكر وهي على بعد ٦٠ كم من صبر المطل على تعز . ابن سمره ، عمر بن علي بن سمره الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، تح : فؤاد سيد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص ٣١٥ ؛ وسميت ذي جبلة نسبة الى يهودي يسمى جبلة كان يبيع الفخار في الموضع الذي به دار العز . عمارة ، المفيد ، ص ١١٤ .

(٢) للمزيد انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣١٦ ؛ الكبسي ، محمد بن إسماعيل ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : (أبو حسان) خالد ابن زايد الأنرعي ، ط ١ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ٩٤ ؛ المروري ، الحياة السياسية ، ص ٢٥٩ .

(٣) هو صلاح الدين يوسف بن أيوب ابن شاذي صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والحجازية واليمنية ، ولد سنة ٥٣٢هـ بقلعة تكريت وتوفي سنة ٥٨٩هـ ، ودفن في الجهة الغربية من قلعة دمشق . للمزيد عن حياته وأعماله ، انظر : ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ، الكامل في التاريخ ، تح : علي شيري ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، مج ١٠ ، ص ١٨٣-١٨٦ ؛ بامخرمة ، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد ، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، دراسة وتتح : عبدالرحمن محمد جيلان صغير ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، مج ٢ ، ص ٢٥٢٥-٢٥٤٠ .

لما كان سائداً في العهد الفاطمي بمصر، وذلك الضعف قلل من دخل مصر المالي<sup>(١)</sup>، وهز أركان الاقتصاد الأيوبي. وإذا سلمنا بالرأي القائل بأن شمس الدولة توران شاه<sup>(٢)</sup> كان ينفق أموالاً طائلة بكرمه وسخائه وكان إقطاعه بمصر لا يكفي، فقد جاء تحريض عمارة اليمني<sup>(٣)</sup> لتوران شاه بالذهاب إلى اليمن ووصفه لها بأنها كثيرة الخيرات والأرزاق لينبش ما كان يجيش في نفسه من رغبة في زيادة الإقطاعيات الخاصة به، لذلك فالعامل الاقتصادي كان هو الأهم في تفكير الأيوبيين في السيطرة على اليمن لزيادة موارد دولتهم وإقطاع ولائهم، ويعزز ذلك قيام الأيوبيين بالسيطرة على الشريط الساحلي الممتد من تهامة إلى عدن مروراً بتعز، بينما ترك أمر إحكام السيطرة على المناطق الجبلية والمدن، ومنها صنعاء، إلى مراحل قادمة، ومما يبرهن أيضاً على أن الهدف كان اقتصادياً وهو الإستيلاء على المراكز التجارية المهمة التي تعود بالفائدة على الدولة<sup>(٤)</sup>، كتاب صلاح الدين إلى عثمان بن علي الزنجيلي نائب

(١) جميل حرب محمود حسين، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ط ١، نشر تهامة، مط سحر، جدة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٦٧؛ الشمري، محمد كريم إبراهيم، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦-٦٢٧ هـ)، ط ٢، إصدار جامعة عدن، عدن، ٢٠٠٤ م، ص ٢١٨، ٢١٩؛ عسيري، الحياة السياسية، ص ٦٧.

(٢) توران شاه: شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب فخر الدين، وهو أخو صلاح الدين، وكان أكبر منه، توفي بالإسكندرية سنة ٥٧٦ هـ. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه وعلق عليه ووضع فهرسه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٦ م، ج ١، ص ٢٧٣-٢٧٦.

(٣) هو عمارة بن علي بن زيد بن أحمد الحكمي، ولد ٥١٢ هـ، وهو أديب وشاعر يماني قدم مصر سنة ٥٥٠ هـ في سفارة من أشرف مكة إلى الخليفة الفاطمي الفائز فأعجبته مصر فأقام بها، ونال مكانة كبيرة لدى الفاطميين حتى أصبح من أعيان الدولة الفاطمية، وعندما زالت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين لم يجد عمارة عنده مثل ما كان يتمتع به عند الفاطميين من الجاه والمكانة، فأخذ يتقرب من توران شاه ويمدحه ويحثه على الاستيلاء على اليمن، وكان هدفه إضعاف قوة صلاح الدين وإعادة النفوذ الفاطمي، ولم يتحقق هدفه ومن معه من المصريين، حيث تم اكتشاف مخططهم، وقبض على المشاركين فيه، وتم صلبهم، وعلى رأسهم عمارة وذلك سنة ٥٦٩ هـ. ابن الأثير، الكامل، مج ١٠، ص ٦٥؛ أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، تح: محمد حلمي ومحمد مصطفى زيادة، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦٢ م، ج ١، ص ٢١٩-٢٢٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٠٥-٢٠٨؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٣٢-٢٤٣٥.

(٤) الأشرف الرسولي، أبي العباس إسماعيل بن العباس الرسولي الغساني، فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفسن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر والزمن (الباب الخامس)، دراسة وتح: علي حسن علي

توران شاه على عدن الذي جاء فيه: "البلاد لك فيها عدة سنين وأنت فيها مؤتمن على مال الله، فأذه إلى من يجاهد به أعداء الله" <sup>(١)</sup>، وكذلك مخاطبة توران شاه لجنده عندما هموا بتخريب عدن حين دخولهم إليها بقوله: "ماجننا لنخرب البلاد، وإنما جننا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها" <sup>(٢)</sup>.

**ب- الدينية:** المعروف انه قبل الوجود الأيوبي في اليمن وانتشار مذهب السنة الذي تدين به الخلافة العباسية وكذا الأيوبيون الذين يستمدون السلطة منها، كان يوجد في اليمن مذاهب مختلفة تدين بها الكيانات القائمة على أرضها، فبالإضافة الى زيدية اليمن كانت الدولتان الزيدية والحاثمية تدينان بالمذهب الإسماعيلي الشيعي الفاطمي <sup>(٣)</sup>، ودولة آل مهدي تدين بالمذهب الخارجي <sup>(٤)</sup>، والأشراف الزيديون أو

= معيلي ، رسالة دكتوراه ، جامعة تونس ، تونس ، ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ م ، ص ١٠٣ ؛ السيد الباز العريني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ١٥٩ .

(١) انظر: أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٦ ؛ عسيري ، الحياة السياسية ، ص ٦٨-٦٩ .

(٢) ابن عبدالمجيد ، تاج الدين عبدالباقى ، تاريخ اليمن المسمى بـ (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) ، تح: مصطفى حجازي ، دار العودة ، بيروت/دار الكلمة ، صنعاء ، د.ت ، ص ٧٦ .

(٣) وهذا المذهب نشره في اليمن أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب ، دان بمذهب الإمامة الاثنا عشرية الذي يعتقد بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، أوفد ابن حوشب الى اليمن من قبل الإمام المستور الحسين بن أحمد سنة ٢٦٧ هـ ، وأوفد معه رفيقه اليماني علي بن الفضل لنشر الدعوة للفاطميين ، وأخذاً ينشران الدعوة سرّاً في اليمن للفاطميين على مدى عامين ، ثم أظهرتا دعوتهما سنة ٢٧٠ هـ ، فمال إليهما كثير من أهل اليمن وتسمى أبو القاسم (منصور اليمن) وصار بيت الدعاة في سائر بلاد اليمن واليمنية والبحرين ، وكانت وفاته سنة ٣٠٢ هـ . للمزيد عن الشيعة الإسماعيلية ، انظر: زكار ، سهيل ، الجامع في أخبار القرامطة في (الإحساء ، الشام ، العراق ، اليمن) ، ط ٣ ، دار حسان ، دمشق ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٥٣ وما بعدها ؛ شلبي ، أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط ٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٦ م ، ج ٢ ، ص ١٦٩-١٩٤ .

(٤) الخوارج : فرقة نشأت كما ترجح الآراء بسبب التحكيم في الخلاف بين الإمام علي بن أبي طالب والوالي الأموي معاوية بن أبي سفيان في موقعة صفين ، انظر: أحمد بن يحيى ، الخوارج طليعة التكفير في الإسلام (رسالة الرد على مسائل الإباضية) ، تح: إمام حنفي سيد عبدالله ، ط ١ ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ٣٥ وما بعدها ؛ البغدادي ، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد ، الفرق بين الفرق ، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٧٢ ، ٧٣ ؛ جوبان ، محمد محفوظ ، اليمن والخوارج حتى نهاية العصر الأموي ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٧٧ ؛ الحريري ، محمد عيسى ، الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ط ٢ ،

الحمزيون<sup>(١)</sup> يُدينون للشيعة الزيدية، فبالإضافة الى العامل الاقتصادي كان تفكير صلاح الدين الأيوبي بإرسال حملة عسكرية للسيطرة على اليمن يهدف أيضاً الى القضاء على ما كان بها من مذاهب مخالفة لمذهب الخلافة العباسية، ونشر مذهب أهل السنة<sup>(٢)</sup> وهو الهدف الذي بذلوا من أجل تحقيقه كل غالٍ ونفيس وتم لهم ذلك، فضلاً عن أن فكرة توحيد الجبهة الإسلامية ضد الخطر الصليبي الذي كان يهدد العالم الإسلامي لا تتم إلا بالقضاء على جميع المذاهب الإسلامية التي كانت موجوده آنذاك من شيعة وخوارج وتوحيدهم في مذهب ديني واحد هو مذهب أهل السنة أو مذهب الخلافة العباسية، ووفقاً لهذا المسعى فقد تحتم على صلاح الدين أيضاً العمل على تحقيق سيادة المذهب السني عن طريق القضاء على خلافة الفاطميين بمصر والتخلص من النفوذ الشيعي في اليمن، وتأمين المقدسات الإسلامية في الحجاز، والتي كانت هدف الأعداء الصليبيين ومواجهة دولة الحبشة المسيحية .

**ج- السياسية :** أخذت أيضاً العوامل السياسية حيزاً كبيراً في عقول الأيوبيين وشغلتهم بالتفكير في السيطرة على اليمن على اعتبار ان صلاح الدين الأيوبي كان يريد توسيع حدود دولته السنية وإنشاء دولة إسلامية موحدة تضم العرب والمسلمين وضمنان

= عالم الكتب ، بيروت ، ١٣١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ص ١٠ ؛ الشجاع ، عبد الرحمن عبدالواحد ، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى ، ط ٤ ، ٢٠٠٢م ، ص ١٤١-١٤٧ .

(١) نسبة الى عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة والمنتهي نسبة الى علي بن أبي طالب ، وعبدالله يعد من الشخصيات المهمة في تاريخ اليمن الإسلامي عامة والدولة الزيدية خاصة ، كان عالماً بالفقه واللغة وأديباً وشاعراً وخطيباً بليغاً ، ولد في عيشان وهي بلدة واقعة في الشمال الشرقي من شهبارة وذلك في الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ٥٦١هـ ، وتوفي في يوم الخميس الثاني عشر من شهر المحرم سنة ٦١٤هـ في حصن كوكبان والواقع في الغرب الشمالي من صنعاء ، وقبر في ظفار وهو حصن من بلاد همدان من أعمال ذيبين ، للمزيد عنه انظر: ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ؛ عبدالله بن حمزة ، الثغافي ، نج: مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي ، ط ١ ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣ ؛ الخزرجي ، علي بن الحسن ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، عني بتصحيحه : محمد بسيوني عسل ، مط الهلال ، القاهرة ، ١٢٣٩هـ/ ١٩١١م ، ج ١ ، ص ٢٣ ؛ محمد عبدالعال أحمد ، بنو رسول وبنو ظاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدها (٦٢٨-٩٢٣هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م ، ص ٧٧ .

(٢) محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٨٠ ؛ جميل حرب ، الحجاز واليمن ، ص ٩٨ ؛ عسيري ، الحياة السياسية ، ص ٦٥ .

ولأنها للحكم الأيوبي تحسباً لأي طارئ يحصل سواء من قبل الأعداء المتربصين بالأيوبيين في الداخل أو لمقاومة الأعداء الصليبيين في الخارج، وكذلك في حال تشكيل دولة أيوبية منسلخة من لدن الخلافة العباسية بحكمها بنو أيوب، وما رسالة صاحب المخلاف السليماني<sup>(١)</sup> الذي يستند فيها بالخلافة العباسية وولاتها الأيوبيين ضد عبد النبي مهدي الذي جار عليهم وتعامل معهم بقسوة شديدة، وكذلك اضطراب أحوال اليمن وتفرق أهلها وضعف حكامها<sup>(٢)</sup> إلا مبرر ونبش لمكنونات النفوس التواقّة لتحقيق المسعى السياسي في التوسع، ويعزز هذا أنه ما أن قرّر القائد صلاح الدين بإنفاذ جيش إلى اليمن حتى بادر إلى إرسال أخيه توران شاه على رأس حملة عسكرية معززة بجميع إمكانيات القتال، وهي الحملة التي تمكنت من تحقيق الهدف السياسي في التوسع<sup>(٣)</sup>. وكيفما كان الأمر في أسباب إحتلال الأيوبيين لليمن ومدى صحتها، فأننا نعتقد أن السبب الطبيعي المنطقي لإحتلال الأيوبيين لليمن هو الدفاع عن مجال مصر الاقتصادي في البحر الأحمر والسيطرة على مداخله الجنوبية.

**٣- الحياة السياسية في عصر الدولة الأيوبية في اليمن :** حكم الأيوبيون اليمن ما يقرب من ٥٨ سنة، وخلال مدة حكمهم شهدت الحياة العامة الكثير من المتغيرات في مختلف الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ورغم أن دراستنا تخص الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اليمن في فترة الحكم الأيوبي، إلا أن تلك الدراسة لن تتم وتكتمل دون دراسة الحياة السياسية التي عاشتها اليمن في تلك الفترة والتي عكست نفسها على مجمل النواحي ومنها الاجتماعية والاقتصادية.

(١) الشريف قاسم بن غانم السليماني الذي قام ابن مهدي بقتل أخيه وهاس بن غانم وعدد من أهل حرض سنة ٥٦١هـ ، وقد كان الشريف قاسم وأهل تهامة من أهل السنة ، موالين للخلافة العباسية ، السروري ، الحياة السياسية ، ص ٢٦١ .

(٢) ابن حاتم ، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد الياضي ، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، نج: ركس سمث ، ط لندن ، سنة ١٩٧٤م ، ص ١٥-١٦ .

(٣) المقرئزي ، نقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، نج: مصطفى زيادة ، ط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٤م ، ج ١ ، ص ٦٧-٦٨ ؛ انظر أيضاً: السيد عبدالعزيز سالم ، والعبادي ، أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٣م ، ج ١ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦١ ؛ السيد الجاز العريني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص ٥٩ وما بعدها .



**أ) في عهد توران شاه :** لقد بدأ حكم الأيوبيين في اليمن بمقدم توران شاه بن أيوب، الذي أرسله أخاه صلاح الدين على رأس حملة عسكرية معدة إعداداً حسناً وذلك سنة ٥٦٩هـ، ودون الخوض في مسير الحملة، فقد توجه الأيوبيون بقيادة توران شاه نحو زبيد، وهناك حصلت المعارك بينهم وبين جيش عبد النبي مهدي الذي قاتل قتالاً شديداً<sup>(١)</sup>، ولما رأى أصحاب ابن مهدي ضخامة الجيش الأيوبي وكفاءة رجاله ومقدرتهم العسكرية الفائقة في القتال، وكذلك مساعدة الأشراف المسلمين لهم، انهزموا وولوا الأدبار بعد إغلاقهم أبواب زبيد المسورة، إلا أن الأيوبيين نصبوا السلالم وصعدوا عليها إلى السور الذي لم يكن محمياً، ففتحوا الأبواب ودخلوا المدينة وسيطروا عليها، وتمكنوا من أسر عبد النبي بن علي بن مهدي<sup>(٢)</sup>، ولما تملكوا زبيد تم قتل عبد النبي مهدي وإخوانه<sup>(٣)</sup>، وبعد ذلك نهض توران شاه من زبيد إلى الجند<sup>(٤)</sup> وأخذ حصن تعز، ثم سار نحو عدن فقاتله نائب آل زريع فيها ياسر بن بلال بن جرير المحمدي<sup>(٥)</sup> وتمكن توران شاه من القبض عليه، ثم عاد

(١) ابن الديبع ، عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشيباني ، قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون ، تلخ: محمد الأكوخ

، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ٢٦٧ .

(٢) ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن ، ص ٧٥ .

(٣) اختلفت أقوال المؤرخين حول المصير الذي لقيه بنو مهدي في زبيد ، فبينما يورد ابن حاتم في كتابه السمط الغالي ، ص ١٦- ١٧ أن توران شاه قبض على عبد النبي مهدي وإخوانه ؛ نجد ابن عبدالمجيد يذكر في كتابه بهجة الزمن ، ص ٧٥- ٧٦ أنه تم أسر عبد النبي حتى مات في أسره وربما شق ؛ أما يحيى بن الحسين في غاية الأمانى ، ج ١، ص ٣٢١ والكبسي في اللطائف ، ص ٩٦ فأنهم أوردوا أن عبد النبي قُتل في الحرب وأسر إخوته ؛ والراجح أنه تم القبض على ابن مهدي وإخوانه عند دخول الأيوبيين زبيد وبقيوا في الأسر عند نائب توران شاه على زبيد مبارك بن كامل بن منقذ ونتيجة لعدم استقرار الأحوال السياسية في زبيد جاءت أوامر توران شاه إلى نائبه في زبيد بقتل عبد النبي مهدي وإخوانه سنة ٥٧٠هـ ، وهذا ما أكد عليه أيضاً ابن حاتم . للمزيد انظر: ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٠ .

(٤) الجند : يطلق على نفس المخلاف وعلى المدينة نسبة إلى الجند بن شهر ، بطن من المعافر وكانت أحد أمهات مدن اليمن النجدية وأحد أسواق العرب المشهورة في الجاهلية والإسلام وأول مدينة باليمن أسس فيها مسجد على التقوى فيه يذكر اسم الله على يد الصحابي الجليل معاذ بن جبل الأنصاري . عمارة ، المفيد ، ص ٥٤ ، (ح ٣) .

(٥) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٦٧ ، ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب ابن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها: أوسكر لوفقرين ، ط ٢، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٢٦ .

واستولى على التعكر<sup>(١)</sup> في مخلاف جعفر<sup>(٢)</sup> وعلى الأعمال التابعة له في المخلاف المذكور، ثم اتجه نحو صنعاء وأعمالها التي يحكمها بنو حاتم الهمدانيون، وفي طريقه اعترضته قبيلة جنب في بلاد دمار وحاربته مما اضطر إلى عقد صلح معهم على أن يدفع الجنوبيون إتاوة رمزية للأيوبيين مقابل عدم تدخلهم في منطقة نفوذهم<sup>(٣)</sup>، وبعدها واصل الأيوبيون السير حتى وصلوا صنعاء ودخلوها دون قتال من قبل سلاطينها بنو حاتم الذين فضلوا الانتقال إلى خارج صنعاء دون الدخول في حرب قد تكون نتائجها ليست لصالحهم.

ومكث توران شاه أياماً في صنعاء، ثم أناب عنه من يقوم بتسيير شئونها وعاد إلى مدينة زبيد، وحدث أن أغار أهل بُرَع<sup>(٤)</sup> على أحماله التي كانت في مؤخرة جيشه وهي في طريقها إلى زبيد ونهبته بما عليها من أموال وعتاد، وفي زبيد أكمل توران شاه استعداداته وتقدم إلى مخلاف جعفر وأخضع بقية مناطق المخلاف، كما تسلم من نائب آل مهدي في جبل صبر<sup>(٥)</sup> ومن نائبهم في جبل ذخِر (جبل حبشي)<sup>(٦)</sup> الجبلين وكانا من أمتع المعاقل آنذاك، واستولى على باقي الحصون<sup>(٧)</sup> التابعة لآل

(١) التعكر : حصن منيع من مخلاف جعفر ، يطل على مدينة ذي جبلة . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .

(٣) كان الصلح الذي أبرم بين الأيوبيين والسلطان عبدالله بن يحيى الجنبى ، أما سلطان جنب الثاني محمد بن زيد الجنبى فإنه رفض الصلح وفضل مقاتلة الأيوبيين حتى تم هزيمته والإستيلاء على حصن المصنعة الذي كان بحوزته .

(٤) بُرَع : جبل مبارك في قعدة نهامة ولعسان وهي البطائح والمواطن الواقعة فيما بين باجل وسهام وبرع وحراز . عمارة ، المفيد ، ص ٨٢ ، (ح ٨) .

(٥) جبل صبر : جبل عظيم يطل على مدينة تعز من جهة الجنوب وهو واسع المساحة وبه العديد من القرى والحصون والبساتين والزروع والكروم ومع ذلك فهو صعب المسالك ممتنع من الغزاة . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٥٦ .

(٦) جَبَلُ ذَخِر : وهو المسمى جبل حبشي وقد سبق التعريف به .

(٧) مثل حصني بادبة وشرياق غرب مدينة تعز ، وبقية الحصون الأخرى ، انظر : ابن الديبع ، قعدة العيون ، ص ٢٦٩ .

مهدي عن طريق القوة، ثم قصد بلاد المعافر واستولى على جميع حصونها ومعقلها<sup>(١)</sup> ما عدا الدملوة<sup>(٢)</sup> لامتناع نائب آل زريع فيها أبي الدر جوهر المعظمي، فتركها وعاد إلى ذي جبلة التي لم يمكث فيها إلا أياماً، حيث توجه بعدها توران شاه إلى زبيد .

لم يطل المقام بتوران شاه في اليمن إذ قرر وبعد سنة كاملة العودة إلى الديار الشامية لمبتغى في نفسه، فكتب إلى أخيه صلاح الدين يستأذنه في العودة إليه، فحاول صلاح الدين بجوابه الأول أن يرغبه في الإقامة باليمن، إلا أن توران شاه كان غير راغب في البقاء باليمن ولم تجد محاولات أخيه صلاح معه شيئاً، فأذن له بجواب ثانٍ بالعودة، ولما عزم السفر آخر سنة ٥٧٠هـ، رتب له النواب في اليمن، فولى على زبيد وما إليها سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ<sup>(٣)</sup>، وعلى عدن وأعمالها عز الدين بن عثمان الزنجيلي<sup>(٤)</sup>، وعلى تعز وأعمالها ياقوت التعزي، وجعل مظفر الدين قايمار على ذي جبلة وحصن التعكر ومخلاف جعفر<sup>(٥)</sup>، ورتب في كل قلعة نائباً من أصحابه<sup>(٦)</sup>.

لم تستقر الحياة السياسية في اليمن تماماً بعد رحيل توران شاه، فلم يمض وقت طويل منذ رحيله حتى قرر نائبه على زبيد، سيف الدولة مبارك بن منقذ، الرحيل عن

(١) انظر: ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٦٩ .

(٢) الدملوة: قلعة عظيمة في جبل الصلوة من بلاد الحجرية جنوب شرق تعز . الهمداني، صفة، ص ١٣٥؛ الحداد، محمد يحيى، التاريخ انعام لليمن (السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن)، ط ١، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج ٢، ص ٩٦ .

(٣) هو أبو الميمون مبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكـنـانـي . بامخرمة، أبو محمد الطيب عبدالله بن أحمد، تاريخ نجر عدن، ط ٢، دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج ٢، ص ٣٨؛ ولد سنة ٥٢٦هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٥٨٩هـ . ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٧١، (ح ٣) .

(٤) هو عز الدين أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي، نسبة إلى قرية زنجيلة من قرى دمشق، ويقال له الزنجاري . بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٠٦-٢٥٠٧ .

(٥) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٢٠؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٧٢؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٥١-٢٤٥٢؛ الكبسي، اللطائف السنية، ص ٩٨ .

(٦) ابن الأثير، الكامل، مج ١٠، ص ١٩؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ٧٦ .

اليمن بعد ان أعياه المرض، فأنا ب مكانه أخاه خطاب ابن منقذ، وكذا ضعف أمر مظفر الدين قايماز في نيابة جبلة وضواحيها، وبعد فترة زادت الأوضاع السياسية سوءاً خصوصاً عندما علم النواب بوفاة شمس الدولة توران شاه في الإسكندرية سنة ٥٧٤هـ<sup>(١)</sup>، فمنعوا إرسال الخراج الى مصر، واختلفوا في ما بينهم وادعى كل واحد منهم الملك لنفسه، وضرب كل منهم السكة باسمه، وسيطر الزنجيلي على حضرموت، وعندما علم صلاح الدين بسوء الأوضاع في اليمن خشي أن تخرج عن السيطرة الأيوبية<sup>(٢)</sup>، فأرسل الأمير المقدم صارم الدين خطباً بن موسى والي القاهرة حينها والذي توجه بحملته الى عدن فاستقبله عثمان الزنجيلي وتوجهها الى زبيد لمحاربة خطاب بن منقذ، إلا أن موت خطباً عند وصوله زبيد أعاق تحقيق الغرض من الحملة فاستمر الخلاف .

**ب) في عهد طغتكين<sup>(٣)</sup>:** بلغ صلاح الدين خبر موت خطباً فبعث أخاه طغتكين بن أيوب الى اليمن، فوصلها في سنة ٥٧٧هـ، واستولى على جميع ما كان نواب أخيه قد تغلبوا عليه، واتخذ تجاه النواب إجراءات تضمن استتباب الأمور وعدم خروجهم عن الطاعة، وكذا لضمان التوسع في المناطق التي لم تصل أيديهم إليها من قبل، فقام بالاستيلاء على معاقل اليمن ومدنها، وذلك في بلاد الغدين<sup>(٤)</sup> والحجرية

(١) ابن الدبيع ، قرّة العيون ، ص ٢٧٢ ؛ أما بامخرمة فقد أورد ان وفاة توران شاه كان في سنة ٥٧٦هـ . قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٤٥٢ ؛ والرأي الراجح بوفاة هو ما جاء عند بامخرمة ويعزز هذا الرأي ان ابن الأثير في كتابه الكامل ، مج ١ ، ص ٦٧ ذكر أنه في سنة ٥٧٧هـ ، لما بلغهم (يعني النواب) وفاة صاحبهم اختلفوا وجرت حرب بينهم ؛ فلا يعقل ان يتوفى في سنة ٥٧٤هـ ولم يبلغ الخبر بوفاة إلا في سنة ٥٧٧هـ وهي السنة التي سير بها صلاح الدين الى اليمن والياً يدعى قنقج أبه ويقال خطباً عندما سمع بخبر الاختلاف الحاصل في اليمن .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، مج ١٠ ، ص ٦٧ ؛ ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ٧٧ .

(٣) هو أبو الفوارس السلطان الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو صلاح الدين وتوران شاه ، كان ملكاً ، شهماً ، شجاعاً ، توفي سنة ٥٩٣هـ بالمنصورة في نعر ( وهي مدينة أخطتها باليمن سنائي على ذكرها ) بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٥٢ - ٢٥٥٣ ؛ تاريخ نعر عدن ، ج ٢ ، ص ١٠٢ وما بعدها ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ج ٦ ، ص ١٢٧ .

(٤) الغدين : منطقة واسعة وكبيرة وتقع في الشمال الشرقي من نعر . أحمد وصفي زكريا ، رحلتي الى اليمن ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٧٥ .

ومخلاف جعفر وعلى ريمة<sup>(١)</sup> وعُتمة<sup>(٢)</sup>، وبعد تلك الإنجازات العسكرية توجه سنة ٥٨١هـ لأداء فريضة الحج، وبعد عودته من الحجاز توجه إلى نمار وأخضع باقي الحصون التي عصت، ثم عزم على المسير إلى صنعاء، إلا أن السلطان علي بن حاتم ما إن علم بذلك حتى خرج من صنعاء مع أخيه بشر وتوجه إلى براش<sup>(٣)</sup> وأرسل ابن عمه حاتم بن أسعد الهمداني للتفاوض مع طغتكين للرجوع عن قراره في التوجه إلى صنعاء، فقبل الأخير صلحاً مع بني حاتم لمدة سنة، ثم تم تجديد ذلك الصلح لعام آخر في زيارة السلطان بشر بن حاتم لطغتكين إلى تعز .

بعد إنتهاء مدة الصلح استولى طغتكين على صنعاء، وغزا بلاد ثلاً<sup>(٤)</sup> وكوكبان<sup>(٥)</sup> وهي من مناطق النفوذ الحاتمي، وكذلك جرت بينه وبين الإمام عبدالله بن حمزة عدة وقائع حول صنعاء كانت في الغالب لصالحه، ثم قصد حصن ذي مرم<sup>(٦)</sup> وهو المعقل الأخير لبني حاتم، حيث ضرب عليه الحصار لمدة تزيد عن الثلاث سنوات، وأفضى إلى عقد صلح بين الطرفين، بموجبه احتفظ بنو حاتم بالحصن المذكور، إضافة إلى مناطق معينة تابعة للحصن، بمقابل أن يدفع بنو حاتم للدولة الأيوبية

(١) ريمة : ويقال لها ريمة الأثباط وريمة جبلان حصن يقع إلى الشرق من مدينة بيت الفقيه ، ويقع إلى الجنوب الشرقي من الحديدة بمسافة (٧ كيلو متراً)، ويتبع إدارياً محافظة صنعاء . المقضي ، إبراهيم بن أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ط٢، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٩٢ .

(٢) عُتمة : ناحية في محافظة ذمار بالغرب الجنوبي منها بمسافة (١٢ كيلو متر) . المقضي ، معجم ، ص ٤٣٦ .

(٣) براش : حصن مطل على مدينة صنعاء على جبل نغم . البغدادي ، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تح وتعليق : علي محمد البجاوي ، ط١، دار إحياء الكتب العربية ، حلب ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ج ١، ص ١٧٤ .

(٤) ثلاً : حصن وقرية للمرانيين من همدان ، ويسكنها أوزاع من حميريين وحمدانيين وغيرهم ، الهمداني ، صفة ، ص ٢١٢ .

(٥) كوكبان : حصن مشهور، مطل على شياح كوكبان في الغرب الشمالي عن صنعاء ، يقال أنه سمي كوكبان لأن قصره كان مبنياً بالفضة والحجارة ، ودخلها الياقوت والجوهر يلتمع مع حلول الليل كما يلتمع الكوكب ، فسمي كذلك . انظر : الحجري ، مجموع ، مج ٢، ج ٤، ص ٦٦٩ .

(٦) ذي مرم : حصن يقع شمال شرق صنعاء بمسافة (٢٣ كيلو متر)، وتقع شياح الغراس على أحد سفوحه . ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ٢٣ ، الأكوخ ، إسماعيل بن علي (القاضي) ، البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي ، الكويت ، ١٩٨٥م ، ص ١١٣ .

شهرياً خمسمائة كيلة وخمسمائة دينار، وبقي هذا الصلح قائماً بين الطرفين حتى وفاة طغتكين بن أيوب، وفي أثناء ذلك استطاع بنو حاتم بقيادة السلطان علي بن حاتم استعادة بعض الحصون عن طريق شرائها من النواب الأيوبيين .

**ج) في عهد المعز إسماعيل بن طغتكين<sup>(١)</sup>:** اضطربت الحياة السياسية عندما تولى المعز اليمن بعد وفاة أبيه، خصوصاً وأنه كان قد تمذهب للشيعة خلاف مذهب أبيه السني، وقد لاقى الكثير من المتاعب في فترة حكمه القصيرة، حيث دخل في حروب عديدة كان أهمها حروبه مع الإمام عبدالله بن حمزة، وعلى الرغم من انضمام الكثير من قادة جيشه إلى صف الإمام بسبب سوء سياسته تجاههم، إلا أنه تمكن من احراز النصر على أعدائه في المعارك التي خاضها ضد الإمام والقادة العسكريين الخارجين عن طاعته، فقد هزم الإمام ودخل صنعاء، كما خاض حروباً مع السلاطين بنو حاتم في بلاد كوكبان التي كانت في عهده مقر بنو حاتم، انتهت بعقد صلح بينهما قضى بتسليم حصني كوكبان وبكر<sup>(٢)</sup> للأيوبيين مقابل الإفراج عن السلطان بشر بن حاتم المعتقل لدى المعز، وعاد المعز بعدها إلى زبيد، لكن ما لبث أن داخلته الخيلاء في عقله، وادعى الخلافة، وانتمى إلى بني أمية<sup>(٣)</sup>، إلا أن

(١) هو المعز أبو الفداء إسماعيل بن طغتكين بن أيوب، تولى الحكم في التاسع عشر من ذي القعدة من سنة ٥٩٣هـ، كان فارساً شجاعاً، تأمر عليه جنده، وقتلوه في مكان يقال له عجي شامي زبيد، وذلك في الثامن عشر من رجب سنة ٥٩٨هـ نظراً لظلمه وعيئه وسفكه للدماء بغير حق . انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٢٤ - ٥٢٥؛ ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٨١؛ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٥، ص ٢٨؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٩؛ قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٧٢-٢٥٧٣؛ العامري، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين العامري الحرصي اليمني، غربال الزمان في وفيات الأعيان، صححه وعلق عليه: محمد ناجي زعبي العمر، الإشراف: عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، دار الخير، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٤٨٥ .

(٢) بكر: حصن في منتهى ضلع كوكبان، ويطل على مركز الطويلة من مغارب حمير . ابن الديبع، قرة العيون، ج ١، ص ٢٩٨، (ج ٢) . وبكر أيضاً: قرية حصينة في سفح ضلع كوكبان، وتقع إلى الشمال الغربي من حصن كوكبان في الغرب الشمالي من صنعاء بمسافة (٥٠ كيلومتراً) تقريباً . انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٦١؛ الحجري، مجموع، مج ١، ج ١، ص ١٢٥؛ المقحفي، معجم، ص ٥٥ .

(٣) ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ٨٠؛ الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله، تاريخ اليمن (من كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار)، دراسة وتح: عبدالمحسن مدعج المدعج، ط ١، مؤسسة-

أعمامه أنكروا عليه فعله ذلك . الجدير بالإشارة ان المعز بادعائه ذلك جعل القادة والأمراء يخافون منه فخرجوا عليه وكان أهمهم الأمير سنقر<sup>(١)</sup> الأتابك<sup>(٢)</sup>، مع عدد كبير من الجنود المماليك، بينما الأكراد الذين بقوا في جيش المعز هم الذين تولوا قتله في زبيد سنة ٥٩٨هـ، بعدما تفاحش أمره في دعوى الخلافة .

**د) في عهد الناصر أيوب بن طغتكين:** بعد مقتل الملك المعز عمت الفوضى البلاد، واستولى قتلته على مدينة زبيد ونهبوها، فبادر سيف الدين سنقر إلى أخذ البيعة للناصر أيوب بن طغتكين أخي المعز رغم صغر سنه، إلا ان سنقر قام بأمور الدولة مقام الناصر، وصالح الأكراد في زبيد وأخذ البيعة منهم للناصر وأقطع الأمير وردسار<sup>(٣)</sup> صنعاء وأعمالها، وكان المتولي صنعاء في عهد المعز هو الشهاب الجزري الذي انضم إلى صف الإمام عبدالله بن حمزة .

= الشراع العربي ، الكويت ، ١٩٩٢م ، ص ٩٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .  
(١) هو الأمير سيف الدين سنقر أحد مماليك الملك طغتكين بن أيوب ومن كبار الأمراء في عهد ابنه الملك المعز إسماعيل ، وكان من الأمراء الذين ثاروا على سياسة المعز إسماعيل ، وقد أصبح له شأن كبير بعد وفاة المعز، حيث أصبح وزيراً ومديراً للملك الناصر أيوب بن طغتكين الصغير، وكان يقال له الأتابك لأنه رعى الملك الناصر أيوب في صغره . عسيري ، الحياة السياسية ، ص ١٢٣ ، (ح ٣) ، السروري ، الحياة السياسية ، ص ٣١٨ .

(٢) الأتابك : كلمة تركية مكونة من مقطعين ، أتا، وتعني أب ، وبك، وتعني الأمير ، فيصبح معناها أبو الأمير أو مربي الأمير ، وقد تطلق هذه الكلمة أيضاً على أمير أمراء الجيش فيقال أتابك العسكر . بافقيه ، محمد بن عمر الطيب ، تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر ، تح: عبدالله محمد الحبشي ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، ص ٢٥٨ ، (ح ٣) ؛ الباشا، حسن ، الأقطاب الإسلامية في التاريخ والآثار ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ١٢٢-١٢٥ ؛ دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ١١ ؛ الخطيب ، مصطفى عبدالكريم ، معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٦م ، ص ١٧ ؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤف ، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ١٥ ، ص ١٥ ؛ ضومط ، أنطوان خليل ، الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري) ، ط ١ ، دار الحديث ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٣٨١ .

(٣) وردسار: هو الأمير علم الدين وردسار بن سامي المعزي ، رجل مقدم وشجاع ، تولى حكم صنعاء، وكانت له وقعات وحروب عديدة وأيام ووفقات مذكورة مع الإمام عبدالله بن حمزة ، وكذلك مع بنو حاتم ، وتوفي سنة ٦٠٩هـ أو ٦١٠هـ مسموماً من قبل الناصر بن أيوب بن طغتكين . انظر: ابن الديبع ، قرة

وبتولي وردسار صنعاء دخلت الحياة السياسية عهداً جديداً من المصالحات والحروب، فبعد وفاة السلطان علي بن حاتم سنة ٥٩٧هـ صالح وردسار بنو حاتم جميعاً، واشتدت شوكتهم بهم، وعقد صلحاً مع الإمام عبدالله بن حمزة، وكذلك عقد سيف الدين سنقر صلحاً مع الإمام عبدالله بن حمزة<sup>(١)</sup>، قضى بوقوف كل في حده لمدة سنة.

ولما نقض أكراد زبيد الصلح الذي أبرمه معهم سيف الدين سنقر، أمر نائب صنعاء وردسار بالتحرك إلى زبيد وتحرك هو أيضاً من تعز وأوقعوا بالأكراد شر هزيمة، واستولوا على زبيد ونهبوها وعاد بعدها وردسار إلى صنعاء<sup>(٢)</sup> بينما بقي سنقر في زبيد فترة من الزمن حاول إصلاح الأمور فيها واجتثاث بقية الأكراد من أرض تهامة.

وعندما عاد وردسار إلى صنعاء، وجد الإمام عبدالله بن حمزة وأصحابه قد نقضوا الصلح، فدخل معهم في حروب، وبعدها قامت بين الأمير سنقر القائم بشؤون الدولة الأيوبية في اليمن وبين الإمام عبدالله بن حمزة عدة معارك، منها: معركة لصف وهو وادي قريب من العشة<sup>(٣)</sup>، ومعركة عقار باليون الأعلى من بلاد حاشد، ومعركة ردمان في بلاد أرحب، وغيرها من المعارك التي جرت بين الفريقين، والتي توقفت لفترة نتيجة عقد صلح بينهما سنة ٦٠١هـ<sup>(٤)</sup> قضى بتسليم الإمام عبدالله بن حمزة حصن كوكبان للأيوبيين، مقابل توقف الحرب لمدة عامين، وبهذا يظهر مدى تفوق الأيوبيين في حربهم ضد الإمام والقوى السياسية الأخرى.

استأنف سيف الدين سنقر حروبه مع الإمام عبدالله بن حمزة، خصوصاً عندما انتهت مدة الصلح، فحدثت بينهما عدة معارك، كان قائد الجيش الأيوبي في تلك الحروب وردسار، وقائد جيش الإمام أخوه الحسن بن حمزة، واستمرت الحرب بينهما حتى انعقد صلح آخر سنة ٦٠٥هـ قضى بأن يكون للإمام

= العيون ، ص ٢٨٩ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٦٥٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٥٥ وما بعدها ؛ السروري ، الحياة السياسية ، ص ٣١٧ وما بعدها .

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٦٨-٣٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(٣) العشة : بلدة من عزلة الأبقر ناحية سحار ، محافظة صعدة . المقحفي ، معجم ، ص ٤٥٥ .

(٤) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٩٣ .



الظاهر<sup>(١)</sup> والجوفان<sup>(٢)</sup> وصعدة مقابل ان يحمل للدولة الأيوبية مائة جمل موقرة بالحديد من صعدة الى صنعاء وعشرة أفراس في كل سنة<sup>(٣)</sup> وتحتفظ الدولة الأيوبية أيضاً بما كان تحت نفوذ الإمام من أرض البونان الأعلى والأسفل؛ وعندما توفي سيف الدين سنقر سنة ٦٠٨ هـ<sup>(٤)</sup>، استقل الملك الناصر بالملك على الرغم من صغر سنه البالغ خمس عشرة سنة<sup>(٥)</sup>، وأسند الوزارة الى الأمير بدر الدين غازي بن جبريل أستاذ داره<sup>(٦)</sup>، فقاد بنفسه بعض المعارك خصوصاً في بلاد حجة<sup>(٧)</sup> بالتعاون مع وردسار، ونتيجة لسياسة القتل والإرهاب التي اتبعها الملك الناصر وأتابكه الجديد لم تستقر الحياة السياسية، فقد انقسمت القوى الأيوبية، وبدأ الضعف يدب في جسد الدولة الأيوبية في اليمن، حيث تم اغتيال الشهاب الجزري<sup>(٨)</sup> الذي سلمه الناصر إلى الأمير وردسار، وأغتيل القائد بكتمر السيفي<sup>(٩)</sup>، باتفاق بين وردسار والناصر على ذلك، وأخيراً تجرع الأمير وردسار كأس المنية التي سقاها الجزري بعد أن دس الملك الناصر له السم، فتوفي في حصن

(١) الظاهر : تطلق كلمة الظاهر على كل ما ارتفع من البلدان ، والمقصود هنا ظاهر بلاد همدان . الهمداني ، الإكليل ، ج ١٠ ، ص ١٢٩ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٦٣ .

(٢) الجوف : مدينة قديمة في الشمال الشرقي من صنعاء ، وتنقسم إلى الجوف الأعلى والجوف الأسفل باعتباره منهقاً من الأرض بين جبل نهم الشمالي وأوين الجنوبي . الهمداني ، صفة ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، (ج ٢) ؛ الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٣) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .

(٤) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٩ ؛ يحيى بن الحسين ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٥٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

(٦) الأمانة دار : من أكبر موظفي البلاط السلطاني ، وهو المسؤول عن بيوت السلطان كلها من المطابخ الى الشراب خانا والحاشية والخلمان ، وله الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء ما يحتاج إليه بيت السلطان من النفقات والكسوات وغيرها ، كل ذلك بعد موافقة السلطان ، انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ ؛ المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، نج : أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٢٦٣ ، (ج ٢) .

(٧) حجة : جبل باليمن فيه مدينة مسماه به ، وهي لحاشد في سراة قدم قرب صنعاء . الهمداني ، صفة ، ص ١١٣ .

(٨) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

(٩) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٤٩ .

السَّمدان<sup>(١)</sup> سنة ٦١٠ هـ<sup>(٢)</sup> .

وفي نفس السنة التي توفي فيها وردسار خرج الملك الناصر الى صنعاء<sup>(٣)</sup>، ودخلها وأقام بها مدة من الزمن، ثم نهض منها لحرب الإمام في مستهل شهر محرم من سنة ٦١١ هـ<sup>(٤)</sup>، وتذكر المصادر التاريخية أن الأتابك غازي سقاه السم في منطقة الجُرَاف<sup>(٥)</sup> خفية، وعلى أثر هذا السم قرر الملك الناصر العودة إلى صنعاء والتي ما أن وصلها حتى توفي فيها<sup>(٦)</sup> .

وبعد وفاة الناصر رام الأتابك غازي الملك لنفسه، ونهض إلى تعز، وفي أثناء الطريق تعرضت له جموع القبائل الذين نهبوا ماله ورحاله، ولم ينته به الأمر على ذلك، فما أن وصل إلى إب حتى قتله الأيوبيون الموجودون فيها، بتحريض من أم الناصر لكونه سمّ ابنها الناصر<sup>(٧)</sup>، وفي أثناء ذلك رجع الإمام وسيطر على صنعاء بعد أن كان الملك الناصر قد أخرجه منها .

**هـ) في عهد المعظم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه الأيوبي :** بعد مقتل الأتابك غازي اتفق كبار رجال الدولة ورؤساء الجيش على إسناد الملك إلى أخوات الملك الناصر ونصبن عنهن رجلاً منهم يعرف بالمجاهد<sup>(٨)</sup>، فقام بإدارة شؤون الدولة حتى قدم إلى اليمن المعظم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه الأيوبي<sup>(٩)</sup> في السنة

(١) السَّمدان : حصن في بلد الرجاعية من بلاد المعافر (الحجرية الآن) إلى الغرب من قرية ذبحان بمسافة (١٥ كيلو متراً) . المقحفي ، معجم ، ص ٣٣١ .

(٢) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٩ .

(٣) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١، ص ٣٩٨ .

(٤) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٥٢ ؛ ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨١ .

(٥) الجُرَاف : قرية ملاصقة لصنعاء من ناحية الشمال الشرقي . الحجري ، مجموع ، مج ١، ج ١، ص ١٨٢ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٣١ .

(٦) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٠ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١، ص ٣٩٨ .

(٧) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٥٢، ١٥٤ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٠ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ١١٩ .

(٨) هو أحد أمراء الأجناد في الجيش الأيوبي ، أقيم أتابكاً لأم الناصر وبويع له على الطاعة . يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١، ص ٣٩٩ ؛ محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٢٣٢ .

(٩) هو سليمان بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، المعروف بالصوفي . للمزيد عنه انظر: الخرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١، ص ٣٠ ؛ ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٢ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٠ =

نفسها، وكان سبب قدومه الى اليمن انه جاء من مصر الى مكة لأداء فريضة الحج في الوقت الذي توفي فيه الملك الناصر وأتابكه غازي في اليمن وتم تنصيب المجاهد، وما ان علمت به أم الملك الناصر حتى استدعته للمجيء الى اليمن<sup>(١)</sup>، فلبى دعوتها ووصل إليها في السنة نفسها أي في سنة ٦١١هـ، وطلبت منه أن يعيد الأمن والنظام ويرعى شؤون البلاد وقالت له: "إنا نخشى العرب أن تطمع فينا ونحن نساء لا حيلة لنا وقد ساقك الله إلينا فقم بملك ابن عمك واستول على ملك اليمن"<sup>(٢)</sup>، فلبى طلبها، وبعد ذلك تزوجها، وحلف له الجند ورجال الدولة على الطاعة والولاء، ثم قبض على المجاهد بعد ان كان قد هرب وتحصن في السمدان، ثم تخلص منه بعد أيام من إيداعه وأصحابه السجن<sup>(٣)</sup>.

عندما تخلص سليمان من المجاهد اتخذ عدة إجراءات أهمها : إسناده ولاية صنعاء للأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول، وأمره بإخراج الإمام عبدالله بن حمزة الذي كان قد استعاد صنعاء في فترة الاضطرابات التي عانتها الدولة الأيوبية في اليمن، فتمكن بدر الدين حسن من استعادة صنعاء، إلا ان الخلافات دبت بين السلطان سليمان والأمير حسن الرسولي، فأعلن خروجه عن طاعة سليمان، وغادر صنعاء الى تهامة<sup>(٤)</sup>، وفي أثناء ذلك تمكن الإمام من الرجوع الى صنعاء والاستيلاء عليها، بينما نهض السلطان سليمان لمحاربة الأمير حسن الرسولي، فوقع بينهما قتال شديد كانت الغلبة فيه للأمير الرسولي، وآل الأمر في النهاية الى التصالح بينهما ورجعا كليهما الى زبيد<sup>(٥)</sup>.

**و في عهد المسعود بن الكامل الأيوبي :** لم يطل عهد الملك سليمان بن تقي الدين

= محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٣٤٠ .

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٣٥ .

(٢) ابن الدبيع ، قرة العيون ، ص ٢٩١ .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٥٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٠٢ ؛ محمد عبدالعال ،

الأيوبيون في اليمن ، ص ٢٣٧ .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

كثيراً، حيث أنفذ ملك مصر العادل أبوبكر بن أيوب الى اليمن ابن ابنه المسعود يوسف بن الكامل محمد بن العادل على رأس حملة عسكرية كبيرة، وعين العادل للمسعود نائباً هو مربيه جمال الدين فليت، فدخل المسعود ونائبه الى زبيد في مستهل المحرم سنة ٦١٢هـ<sup>(١)</sup>، فملكها من غير قتال، وأرسل فرقة عسكرية الى تعز لإخضاع الملك سليمان الذي تحصن فيها فأطبق الحصار عليه، ونهض المسعود بنفسه لقتال سليمان خصوصاً بعد تحريض الأمير حسن الرسولي الذي قال للمسعود: "إنك لا تجد في الجبال من يصدقك عنها، والرأي أن تكتب الى المماليك بتسليم سليمان إليك"<sup>(٢)</sup>، فلما كان قريباً من تعز راسل من في حصنها من المماليك بان يقبضوا على سليمان ويسلموه إليه، ففعلوا ذلك، وسلموه الى المسعود الذي قام بدوره بإرساله الى الديار المصرية<sup>(٣)</sup>، وتسلم المسعود حصن تعز وبقي فيه أياماً، ثم نزل الى مدينة تعز واستقر فيها .

دخلت الحياة السياسية مرحلة جديدة من الصراعات، فما إن استقر المسعود بتعز حتى جهز جيشاً كبيراً جعل نائبه ومربيه جمال الدين فليت قائداً لذلك الجيش وأنفذه الى صنعاء لاستعادتها من يد الإمام عبدالله بن حمزة الذي كان قد بسط السيطرة عليها، فتمكن فليت من استعادتها وأخضع الكثير من الحصون والقبائل التي كانت قد خرجت على الدولة الأيوبية، الجدير بالذكر أنه عند استعادة صنعاء خرج الإمام الى كوكبان، إلا أن فليت ظل يحارب الإمام في مقره الجديد، وانتهت الحرب بينهما بعقد صلح كان الوسيط فيه السلطان محمد بن حاتم الياضي، ونص على قيام هدنة بينهما لمدة ستة أشهر<sup>(٤)</sup>، على أن يحمل الإمام للدولة الأيوبية عشرين فرساً وعشرين جمل<sup>(٥)</sup>، وتكون للأيوبيين أيضاً المناطق التي أخضعوها والتي كانت تابعة للإمام، كل ذلك في مقابل أن يطلق فليت الرهائن التي

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣، ص٤٢ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص٩٤ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ،

ص ٢٩٢ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٨٢ .

(٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج١ ، ص٤٠٤ .

(٣) ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص٨٣ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج١ ، ص٤٠٤ .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج١، ص٤٠٥ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص١٦٩-١٧٠ .

كان قد قبضها من حامية حصن بيت نعم<sup>(١)</sup> عند استيلائه عليه<sup>(٢)</sup>، وتوفي بعد ذلك الإمام في حصن كوكبان سنة ٦١٤هـ، ثم نُقل إلى حصن بكر في تابوته وحمل إلى مشهده بظفار<sup>(٣)</sup>. وعندما انتهت مدة الهدنة تواقف كل من الأمير عز الدين محمد ابن الإمام عبدالله بن حمزة، الذي خلف أباه في الإمامة، والأتابك جمال الدين فليت وذلك في بئر الخولاني<sup>(٤)</sup>، وكانت بينهم عدة وقائع، إلا أن المنية عاجلت فليت في الموقع نفسه فتوفي في نفس السنة التي توفي فيها الإمام عبدالله<sup>(٥)</sup>.

ولما علم المسعود بوفاء الأتابك فليت خرج يريد صنعاء فوصل محطة بئر الخولاني<sup>(٦)</sup>، ثم وقع الصلح بين الملك المسعود وبين عز الدين بن الإمام على تسليم كوكبان وكذلك براش للمسعود، ثم تسلم بعد مدة حصن الشوافي<sup>(٧)</sup>، ثم أطبق المسعود الحصار سنة ٦١٧هـ على حصن بكر، وهو بيد عماد الدين يحيى بن حمزة أخي الإمام عبدالله بن حمزة، وكان في الحصن من أولاد الإمام وأمهات أولاده طائفة، فجمع عز الدين محمد ابن الإمام عبدالله جموعاً كثيرة، وقصد تهامة لغزوها على غرة من المسعود، إلا أن أحد أفراد آل حمزة وهو علم الدين سليمان بن موسى الحمزي، خالف عليه، فرجع إلى محطة بكر وانضم إلى صفوف الأيوبيين، فأكرمه المسعود، وجهاز معه جيشاً لمنازلة

(١) نعم: قرية في أعلى وادي ظهر شمال غربي صنعاء بمسافة (٤ كيلومتراً)، وهي من قرى ناحية همدان .  
المقهي، معجم، ص ٧٠٢.

(٢) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٤٠٥.

(٣) ظفار: حصن من بلاد همدان من أعمال ذيبين، وكان يعرف سابقاً بأكمة أبي الفتح الديلمي، أعاد الإمام عبدالله بن حمزة بناء سنة ٦٠٠هـ، ثم ارتبط اسمه لاحقاً بدأود بن عبدالله بن حمزة . الحجري، مجموع، مج ٢، ج ٣، ص ٥٦٤؛ المقهي، معجم، ص ٤٢٠-٤٢١؛ الأكوخ، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج ٣، ص ١٢٨٣، ١٢٨٦.

(٤) بئر الخولاني: موضع باليمن فيه بؤور . النهداني، صفة، ص ١١٦.

(٥) الأشرف الرسولي، فاكهة الزمن، ص ٣٠٥؛ الحمزي، كنز الأخبار، ص ٩٤؛ ابن الديبع، قرة العيون، ٢٩٣؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ٨٣.

(٦) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٤٠٧.

(٧) الشوافي: من المواضع المأهولة بالسكان في إقليم سحول وبه حصن، وهو مخلاف في الشمال الغربي من مدينة إب بمسافة يسيرة، ويسكنه آل قاسم الكلاعيين . عمارة، المفيد، ص ١٨٩، (٣).

عز الدين، فكانت بينهما حروب سجال، قتل بعدها الحمزي<sup>(١)</sup>، وعلى أثرها تسلم المسعود حصن بكر سنة ٦١٨هـ، ثم توجه سنة ٦١٩هـ لغزو مكة واستولى عليها بالسيف وكان الحاكم فيها الشريف حسن بن قتادة<sup>(٢)</sup>، ثم عاد الى اليمن . وفي سنة ٦٢٠هـ عزم المسعود على مغادرة اليمن، فأقام مكانه نور الدين عمر بن علي بن رسول نائباً عنه على اليمن نيابة عامة، وأخاه بدر الدين بن رسول نائباً على صنعاء خاصة<sup>(٣)</sup>، ومن تعز توجه الى الديار المصرية لخدمة والده السلطان الملك الكامل، فوصل إليها سنة ٦٢١هـ<sup>(٤)</sup>.

ولما غادر المسعود الى مصر ثار رجل في الحقل من بلاد يريم<sup>(٥)</sup> يدعى مرغم الصوفي<sup>(٦)</sup>، ومَدَّ نفوذَه الى زبيد، واستفحل أمره في تلك المواطن، إلا أن النواب من بني رسول تمكنوا من إخماد تلك الفتنة التي قادها الصوفي، حيث انتهى به الأمر شريداً ومتقللاً يحمل الخوف، حتى وافاه الأجل سنة

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

(٢) هو حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم العلوي الحسني ، كان أبوه أمير مكة ، وفي زمانه أذن المؤذن يحيى على خير العمل ؛ تولى حسن الإمارة بعد وفاة أبيه ، وأختلف مع أخيه راجح ، ويقال ان حسن خنق أباه ، وسم عمه ، وقتل أخاه ، كانت أفعاله الفضيعة تهدف الى المحافظة على السلطة وبقائها بيده ، ولكنه طرد منها في حملة المسعود ، وحاول استرداد الملك له دون فائدة تذكر، وخط به المقام أخيراً في العراق وتوفى فيها وحيداً بعيداً عن الأهل والخلان في جمادى الأولى سنة ٦١٧هـ . انظر: عبدالله بن حمزة ، مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، تج: عبدالسلام بن عباس الوجيه ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمان ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ، (ح ١) ؛ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تج: جمال الدين الشيال ، دار العلم ، القاهرة ، د . ت ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٤) ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٤ .

(٥) يريم : هي منطقة مشهورة بأرض يحصب ، حالياً تتبع محافظة إب ، وهي من أخصب أراضي اليمن وكثرة خيراتها في جبالها أو أوديتها . انظر : الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٦٥ .

(٦) اسمه مرغم بن منيف الصوفي الحميري النسب ، كان يلقب بالعبد الصالح ، وهو من قوم أولي بأس وقوة وسلطان وسطوة يسكنون بلد حمير المصاقبة لنعمان وصاب ، كان مرغم أمياً ، إلا انه اشتهر بالصلاح والتقى والورع ، ويقال انه أخذ التصوف خرقه ارتدى بها وتأزر . انظر : ابن السديع ، قرة العيون ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٥ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٤ - ٨٥ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٤١١ .

٦٢٢هـ<sup>(١)</sup>، وما أن تم الخلاص من فتنة الصوفي حتى بدأت مرحلة الصراع مع منافسي الدولة الأيوبية من الزيديه، فتمكن النواب الرسوليون من إخماد ثوراتهم، فذاع صيت أبناء رسول وعظم شأنهم، فأخذ الشعراء يمدحونهم ويشيدون بانتصاراتهم<sup>(٢)</sup>، خصوصاً في معركة عصر<sup>(٣)</sup>، التي انتصر فيها الأميران حسن وعمر ابنا علي رسول على الأمير عز الدين بن الإمام عبدالله بن حمزة وذلك في سنة ٦٢٣هـ<sup>(٤)</sup>.

بلغت المسعود وهو في مصر أخبار تلك المعارك التي حدثت وكذا ارتفاع مكانة وسمعة النواب أبناء علي رسول خصوصاً بعد انتصاراتهم على الأشراف، فخاف المسعود على اليمن من بني رسول<sup>(٥)</sup>، فخرج على الفور إلى اليمن، وعند وصوله قبض على الأمراء بدر الدين حسن وفخر الدين أبي بكر وشرف الدين موسى أبناء علي بن رسول، وأودعهم السجن في حصن تعز، ثم سيرهم مقيدون بعد ذلك إلى الديار المصرية حيث بقوا هناك معتقلين، ودار المسعود في أقطار اليمن، تمكن خلالها من تهدئة الأمور، فاستقرت الحياة السياسية، فاستتاب المسعود على اليمن جميعه السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول<sup>(٦)</sup>، ومن زبيد خرج قاصداً العودة إلى الديار المصرية، وأثناء مروره بمكة عاجلته المنية فيها، فتوفى سنة ٦٢٦هـ<sup>(٧)</sup> وهي السنة التي أنهى فيها الوجود الأيوبي الفعلي من اليمن، وجاء بعد ذلك عصر جديد ظهر فيه بنو رسول مُشكّلين لهم دولة حكمت اليمن رداً من الزمن .

(١) ابن الدبيع ، قرّة العيون ، ص ٢٩٥ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٥ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤١١ .

(٢) انظر: ابن حاتم ، السمت الغالي ، ص ١٨٦ - ١٨٨ ؛ ابن الدبيع ، قرّة العيون ، ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

(٣) عصر: قرية وجبل غربي صنعاء ومن ضواحيها ، وفيها غيل وفواكه البرقوق والبس والقات . ابن الدبيع ، قرّة العيون ، ص ٢٩٥ ، ج ١ .

(٤) ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٥ ؛ بعد ذلك انتصار للنواب الرسوليين ، رجع الأشراف بقيادة عز الدين بن الإمام منهزمين إلى ظفار ، فلبث هناك بضعة أيام ، ثم توجه إلى حوث ، وابتدأ المرض ، فمات هناك في السابع من ذي الحجة من السنة المذكورة ، وحمل إلى ظفار فدفن في المشهد الذي بجانب مشهد أبيه . يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤١٦ .

(٥) ابن حاتم ، السمت الغالي ، ص ١٨٩ ؛ ابن الدبيع ، قرّة العيون ، ص ٢٩٨ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤١٦ .

(٦) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤١٧ .

(٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤٣ ؛ ابن الدبيع ، قرّة العيون ، ص ١٩٨ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٥ ؛ ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٥ .

## **الباب الأول**

**الحياة الاجتماعية في بلاد  
اليمن في عصر الدولة  
الأيوبية**



## **الفصل الأول**

### **عناصر السكان وطبقات المجتمع**



وسلطانهم، ومن ثم نجد أن الحياة القبلية التي عاشها الإنسان اليمني قد أثرت في توجيه السياسة العامة للدولة حتى تسير طبيعة الوحدة الاجتماعية وهي القبيلة .

فلاحظ أن البطون الحميرية كانت منتشرة في المنطقة الواقعة بين صنعاء وعدن، فبينما نجد بعض البطون قد نزلت في المناطق الممتدة وسط هضبة جنوب صنعاء حتى عدن مثل: ذو أصبح، السحول، المعافر، رعين، ذو الكلاع، لحج<sup>(١)</sup>، نجد بطون أخرى نزلت في شرق الهضبة مثل: أبين، يافع، رداع، عنس، الأوزاع<sup>(٢)</sup>، كذلك نزلت بعض بطون حمير في غرب الهضبة ومنها: حراز، وصاب، بنو مجيد، جبلان، الهان<sup>(٣)</sup>، وتعد قبيلة خولان بطناً من بطون كهلان، وتنقسم بدورها إلى فرعين، هما: خولان قضاة ومساكنهم في صعدة، وخولان العالية ومساكنهم شرق وجنوب شرق صنعاء حتى مأرب<sup>(٤)</sup> .

أما كهلان، فأشهر قبائلها همدان، وهذه سكنت شمال صنعاء، وتنقسم بدورها إلى فرعين، هما: بكيل، وتنزل في شرق هضبة صنعاء، وحاشد، وتنزل في غرب الهضبة، والحد الذي يفصل بين الفرعين، هو مدينة خيوان<sup>(٥)</sup>، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود الاختلاط بين القبيلة والأخرى<sup>(٦)</sup>، وقد وجدت إلى جانب الفرعين حاشد وبكيل، قبائل همدانية أخرى مثل: أرحب، شاكر، يام، وادعة، حجور، قدم، نهم، عذر<sup>(٧)</sup> .

(١) الهمداني، صفة، ص ١٠١، ٢٠٣، ٢٠٧ - ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٠، ٢٢٥ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨، ٢٠٣، ٢٢٧ - ٢٢٨؛ الحميري، نشوان بن سعيد، منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٧٦؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٦م، ج ٢، ص ٤٠١ .

(٤) الهمداني، صفة، ص ٩٨، ٢٣٥؛ الإكليل، ت ح وتعليق: محمد بن علي الأكوع، ط ٣، منشورات المدينة، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢١٠؛ الحميري، منتخبات، ص ٦١، ٧٦؛ المقحفي، معجم، ص ٢٢٢؛ الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، "القبائل الكهلانية ودورها في التاريخ اليمني الإسلامي"، مجلة اليمن، العدد (٢٠)، مركز للبحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، نوفمبر، ٢٠٠٤م، ص ٤٧ .

(٥) خيوان: مدينة وواد مشهور باليمن إلى الشمال من صنعاء بمسافة (١٢٢ كيلومتراً)، الهمداني، صفة، ص ٩٧؛ الحجري، مجموع، مج ١، ج ٢، ص ٣٢٣؛ المقحفي، معجم، ص ٢٣٤ .

(٦) الهمداني، صفة، ص ٩٧، ٢٣٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٦٩؛ السروري، الحياة السياسية، ص ٦٥٣؛ الشجاع، تاريخ اليمن، ص ٣٢ .

(٧) الهمداني، صفة، ص ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٨ .

ومن كهلان اشتهرت قبيلة مذحج التي نزلت في الجزء الشرقي من ذمار<sup>(١)</sup>، ومن أشهر بطونها: بنو الحارث بن كعب، وسعد العشيرة، وجعفي والنخع ومراد وجنب وصدا ورها وعنس<sup>(٢)</sup>.

كذلك اشتهرت من كهلان قبيلة الأزد التي استقرت في مأرب، فبرزت منها بطون عدة أهمها: دوس، غامد، بارق، أحجن، الجنادبة، زهران، عك<sup>(٣)</sup>، وغيرها . أما كندة فقد استقرت في حضرموت، فبرز منها: تجيب، السكاسك والسكون<sup>(٤)</sup> .

وفي ضوء ذلك فإن القبائل اليمنية قد اندمج بعضها مع بعض وتعايشت وضممتها روابط الدم والنسب؛ فقد سكن الأشاعر، وهم من الأزد في القحمة<sup>(٥)</sup> إلى جانب أقوام من خولان وهمدان<sup>(٦)</sup>، وفي صعدة سكنت يرسم من ذي الكلاع من حمير وقبائل من همدان إلى جانب خولان قضاعة<sup>(٧)</sup>، وسكن رداع خليط من حمير وخولان<sup>(٨)</sup>، أما في الجند فقد سكن إلى جانب حمير قوم من السكاسك من كندة، وفي المعافر سكن إلى جانب حمير قوم من همدان، هم بنو مران وقوم من السكاسك من كندة ومن

(١) الهمداني، صفة، ص ١٧٥؛ الإكليل، ج ١، ص ١٤٥؛ البكري، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، نج: مصطفى السقا، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٣٠٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥، ٣٧؛ السروري، الحياة السياسية، ص ٦٥٤ .

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٩؛ البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٣٠٤ - ٣٠٥؛ الحجري، مجموع، مج ١، ج ١، ص ١١٤؛ وج ٢، ص ٣٩٢؛ مج ٢، ج ٣، ص ٦١٣؛ وج ٤، ص ٧٠٢؛ المقحفي، معجم، ص ٤٧٤، ٦٠٦؛ إسماعيل الأكوخ، البلدان اليمنية، ص ٢٦٤ .

(٣) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل في أنساب ولد الهميسع بن حمير بن سبا، نج وتعليق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، ط ٣، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج ٢، ص ٢٣٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٩٠ .

(٤) الهمداني، صفة، ص ١٢٧، ١٦٩، ١٧٦؛ السروري، الحياة السياسية، ص ٦٥٤؛ الحديثي، نزار عبداللطيف، أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت، ص ٥١-٥٦ .

(٥) القحمة: قرية تهامية خربة بالقرب من جبل القحمة على وادي ذوال إلى الشمال الشرقي من زبيد، بين بيت الفقيه والمنصورية. المقحفي، معجم، ص ٥١٦ .

(٦) الهمداني، صفة، ص ٦٩، ٩٦، ٢٤٤ .

(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٩؛ إسماعيل الأكوخ، البلدان اليمنية، ص ١٠١-١٠٢ .

(٨) السروري، الحياة السياسية، ص ٦٥٤ .

بني واقد، وفي نجران تعايش قوم من همدان في شرقها مع قوم من قبيلة مذحج في شمالها، كما سكنت نجران قبائل من حمير ومن كهلان<sup>(١)</sup>. ونتيجة لتعدد القبائل اليمنية، فقد غلب عليها طابع النزاع والصراع فيما بينها<sup>(٢)</sup>، واختلفت من حيث المصالح، وسعت كل قبيلة إلى تحقيق أهدافها ومطامعها أكان ذلك عبر الولاء للدولة والانضمام إلى صفها، أم عبر التعصب للقبيلة والبقاء إلى جانبها. ولذلك أدت القبائل اليمنية دوراً بارزاً في الحياة السياسية في بلاد اليمن خصوصاً في عصر الدولة الأيوبية، فقد كانت تلك القبائل في أحيان كثيرة تقف ضد الحكام والسلاطين، وأحياناً تقف إلى جانبهم، وأبرز مثال على ذلك، ما حصل من بعض القبائل في حضرموت، والتي لم تقبل بالوجود الأيوبي؛ ففي سنة ٥٧٦هـ أعلنت العصيان والخروج عن الطاعة، فأرسل إليهم الوالي على عدن، عثمان الزنجيلي، جيشاً تمكن من إنزال الهزيمة بتلك القبائل المتمردة والقضاء على عصيانها، وقتل العديد من شيوخها ورجالاتها، وبذلك تمكن الأيوبيون من السيطرة على حضرموت كلها<sup>(٣)</sup>. وزاد الطين بله ما حدث في دمار سنة ٥٨٣هـ في عهد الملك طغتكين بن أيوب، فقد ذكرت بعض المصادر أن الشيخ زيد بن عمرو الجنبى جمع حشوداً هائلة من قبائل جنب وعبس وغيرها وقصد بهم دمار وهاجمها وانتزعها من الأيوبيين، ولما علم طغتكين باستيلاء القبائل على دمار عظم عليه ذلك وغادر ذي جبلة التي كان فيها، واتجه إلى دمار، وحين دخلها نكل بقبيلة جنب وقتل منها خلقاً كثيراً<sup>(٤)</sup>. وكذلك ما حدث في صنعاء سنة ٥٩٩هـ، حيث شق أهلها عصا الطاعة على الأيوبيين، وأعلنوا العصيان وذلك في ولاية وردسار على صنعاء، إلا أنهم لم يحققوا من ذلك التمرد شيئاً، فقد تم القضاء على العصيان، وأنزل الأيوبيون بمذبهره أشد

(١) الهمداني، صفة، ص ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١١٨، ١٦٥، ٢٢٤-٢٣٢.

(٢) انظر: الهمداني، الإكليل، ج ١، ص ٢٠٨، ٢٩٨؛ وج ٢، ص ١١٩؛ محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة {عصر الولاة}، ط ١، مط الكيلاني، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٠٥.

(٣) ابن حاتم، السمع الطغالي، ص ٢٣؛ الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٢٤.

(٤) الحجوري، يحيى بن يوسف، روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكت الآثار ومواظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسفار، مخطوط مصور معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ميكرو فيلم، رقم ٤٣٦، ج ٤، ق ٣٠٨ ب؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٢٩؛ الكبيسي، اللطائف السنية، ص ٩٩.

العقاب<sup>(١)</sup>؛ ظلت حركات عصيان القبائل اليمنية تتكرر بين الحين والآخر واشتدت وطأتها على الدولة الأيوبية، فالذي حدث من قبائل وصاب سنة ٦٠٤هـ كان ضربة موجعة للأيوبيين، فقد قويت شوكة الأشراف في اليمن الأعلى، وتمكنوا من التغلب على الأمير وردسار الذي نزل إلى زبيد ليتقوى بالأتابك سنقر ويعودا لاسترجاع المناطق التي انتزعها الأشراف من تحت أيديهم، فلبى سنقر دعوة وردسار وتحرك القائدان لمواجهة الأشراف، فأطبقا الحصار على أهل وصاب في حصنهم، وفضل أهل وصاب تسليم رهينة من قبلهم كدليل على طاعتهم وعرض ذلك على الأيوبيين، إلا أن الأتابك رفض العرض وطمع في تسليم رهائن أكثر، وهذا ما رفضه أهل وصاب، فاشتد عزمهم على قتال الأيوبيين حتى تمكنوا من هزيمة جيش الأتابك وقتل ١٧٠ من أفراد<sup>(٢)</sup> . وبعد ذلك أدرك أهل وصاب أن الأيوبيين لن يتركوهم، فسعوا إلى عقد صلح بينهم والأتابك سنقر، بموجبه عفا عنهم سنقر وصفح وأكرمهم وضاعف الإحسان لهم، وكتب لأهل وصاب منشوراً بالصدقة عليهم ببلادهم، وأن لا مطلب عليهم فيها، وعادوا إلى بلادهم<sup>(٣)</sup> .

لقد كانت هذه الاضطرابات القبلية وحركات العصيان والتمرد بمثابة معاول هدم لنظام الحكم القائم في اليمن، ونتيجة لذلك حاول العديد من الملوك والسلاطين إخماد هذه الحركات وردع أهل العصيان بوسائل، متعددة منها: استخدام القوة، ومحاولة تجريدهم مما يملكون من السلاح والخييل لإضعافهم تارة<sup>(٤)</sup>، ومحاولة السيطرة عليهم عن طريق المهادنة بالمال والهبات والإقطاعات الواسعة،

(١) انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٠٠-١٠٦ ؛ الكبيسي ، اللطائف السنية ، ص ١١١-١١٥ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٣٧٤-٣٧٥ ؛ عسيري ، الحياة السياسية ، ص ١٢٥ ؛ كذلك ثار الشيخ جبير بن سالم وكثير من الناس ضد الأيوبيين في جهة تنعم ، فقتلوا عساكر وردسار عن آخرهم ، ولكن وردسار قاد حملة ضدهم وتمكن من هزيمة الشيخ والأهالي . يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٤) انظر : الأنف ، عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبدالله ، نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام في اليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار ، مخطوط مصور ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ميكروفيلم ، رقم ٢٢٥٣ ، ق ١٧ ؛ الكبيسي ، اللطائف السنية ، ص ٩٩ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١١٦ .

تارة أخرى<sup>(١)</sup> . ومع ذلك فإن العديد من رجال القبائل شاركوا مشاركة فعالة في الحكم الأيوبي، وتتضح هذه المشاركة في حرص الملوك الأيوبيين على استئلاف مشائخ القبائل وأخذ البيعة منهم، ومثالاً على ذلك ما فعله الأيوبيون مع القاضي حاتم بن أسعد، حيث يشير ابن حاتم أنه لما تعثرت المساعي بين السلطان علي بن حاتم والملك طغتكين وكان الوسيط بينهما القاضي حاتم بن أسعد، مال القاضي إلى صف الأيوبيين وأخذت البيعة منه وحلف لهم، وبذلك أصبح حليف طغتكين، وخلع عليه الخلع وأحسن إليه<sup>(٢)</sup> .

كذلك استفاد الأيوبيون من رجالات القبائل العربية التي ضمت إلى جيوشهم والتي شاركت إلى جانب عناصر أخرى<sup>(٣)</sup> في الحروب التي خاضها الأيوبيون، فمثلاً: استفاد الأيوبيون من معاونة بني سليمان أصحاب المخلّاف السلیماني في القضاء على دولة بني مهدي في زبيد سنة ٥٦٩هـ، فكافأهم توران شاه على ذلك بإقرارهم على حكم المخلّاف<sup>(٤)</sup>، كما استعان الأيوبيون بالقبائل اليمنية وعناصرها العربية في الحروب التي خاضوها، أكان ذلك ضد الأئمة الزيدية أم ضد بنو حاتم<sup>(٥)</sup>، وقد منحت لبعض مشائخ القبائل الذين قاموا بدور بارز في العمليات الحربية رتب عسكرية، ومنهم الشيخ محمد بن علي المعلم الذي كان أحد المقدمين في عسكر الغز في عهد المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبي<sup>(٦)</sup>، والشيخ راشد بن مظفر بن الهرش،

(١) انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٠، ٢٦، ٢٩، ٣٢، ٩٠، ٩٢ : طرخان ، إبراهيم علي ، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، دار الكتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص ١٥٤-١٥٥ .

(٢) السمط الغالي ، ص ٣٣ .

(٣) ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى ، مسائل الأبطال في ممالك الأمصار " القسم الخاص بمملكة اليمن " ، تح: أيمن فؤاد سيد ، دار الاعتصام ، القاهرة ؛ ٢٠٠٥ ، ص ١٥٣ ؛ التلقضي ، صبح الأعشى ، ج ٥، ص ٣٣ .

(٤) انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٦، ١٧ ؛ محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٨٦ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٣٧، ١٥٢-١٥٣، ١٧٦ ؛ الحجوري ، روضة الأخبار ، ج ٤ ، ق ٣٠٨ ب ؛ يحيى بن الصين ، غابة الأمان ، ج ١، ص ٣٣٣ ؛ ومع ذلك فقد وقف بنو حاتم إلى جانب الدولة الأيوبية في بعض حروبها مع الأشراف . انظر: ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٨٠-١٨١ .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٥٩-٦١ ؛ وجاء عند ابن الديبع ، ان اسم الشيخ هو علي بن أحمد المعلم ، وقد كان هذا الشيخ ضامن مخلاف جعفر في عهد السلطان طغتكين ، ولما عجز عن أداء المبلغ المعلوم الذي عليه=

الذي كان بدوره أحد قواد العرب في الجيش الأيوبي، وقد لقي مصرعه في المعركة التي دارت رحاها بين الأيوبيين بقيادة الأمير نور الدين عمر بن رسول ومرغم الصوفي أحد الخارجين على سلطان الدولة في منطقة الحقل من بلاد يريم سنة ٦٢٢هـ<sup>(١)</sup>، ومنهم أيضاً الشيخ بدر الدين حسن بن علي المذحجي الذي كان مقدماً للركاب السلطاني في حملة ظفار الحبوضي<sup>(٢)</sup>، وكان تحت قيادته أكبر عدد من المشاة والفرسان من رجال القبائل المصاحبين للحملة<sup>(٣)</sup>، ولم تقتصر مشاركة رجال القبائل اليمنية في العمليات العسكرية فحسب، بل تعدتها إلى المشاركة في شئون الحكم والإدارة، فتولى الكثير منهم وظائف عليا في الدولة وأهمها: الولاية والوزارة والقضاء<sup>(٤)</sup>، وفي ضوء ذلك يمكن القول أن العنصر القبلي كان يشكل الغالبية العظمى في أفراد المجتمع اليمني، كما أنهم (أي القبائل) كانوا سكان البلاد الأصليين.

## ثانياً- العناصر الأجنبية :

### ١- الغز<sup>(٥)</sup>:

كانت بداية وفود الغز إلى اليمن سنة ٤٨٦هـ، إذ استدعى جيش

= شدد طغتكين عليه الخناق ، فاضطر إلى الهرب ، فصادر الملك طغتكين جميع أملاكه ، وقيل أنه الذي سم طغتكين ، ولما تولى المعز خلفاً لوالده ، أعاد الشيخ علي على المخلاف ، ثم بعد فترة أسره وهدم دوره ، ثم شقعه سنة ٥٩٦هـ ، وكان ابن المعلم كريماً شريف الهمة . قرّة العيون ، ص ٢٨٣ .

(١) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ص ٨٨٤ ، عسيري ، الحياة السياسية ، ص ٢٩١ ؛ كما استفاد الأيوبيون من أبناء راشد الذين كانوا مشائخ سحان حينها .

(٢) ظفار الحبوضي : مدينة تقع على الساحل بين حضرموت وعُمان وهي اليوم جزء من عُمان . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٢٨ ، (ج ٧) .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٨٢ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٥١٢ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٩ ، ٣٤٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٧ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٠٣ ، ٢٥٢٢ ، ٢٥٥٨ ، ٢٥٦٦ ، ٢٥٨٢-٢٥٨٣ ؛ عسيري ، الحياة السياسية ، ص ٢١٣ ، ٢٩٠ .

(٥) جماعة من عنصر الأتراك ، انقسموا إلى قبائل عديدة . انظر: القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، قلند الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، حققه وقدم له ووضع فهرسه : إبراهيم الإبياري ، ط ٢ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، ص ٢٨ ؛ و . بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة : أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، ص ١١٧-١١٨ .



بن نجاح طائفة منهم قُدر عددهم بألفي فارس، لمحاربة الداعي الصليحي سبأ بن أحمد<sup>(١)</sup>، ثم قدموا إلى اليمن ضمن حملة توران شاه الأيوبي سنة ٥٦٩هـ، ولذلك شكل الغز عنصراً أساسياً من عناصر السكان في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، وتسمية الغز أطلقها أهل اليمن على الأيوبيين وهم من الأكراد وكذلك الأتراك<sup>(٢)</sup>، كَوْنُ الأكراد والأتراك العنصر الأكثر حظوة بين السكان، فامتدت سلطتهم لتشمل كافة مقاليد الأمور ببلاد اليمن، فعملوا في خدمة الجيش الأيوبي، كما شغلوا العديد من المناصب سواء ما كان منها في الأجهزة الحكومية المختلفة أم في البلاط السلطاني، ولعل أبرز مثال على ذلك، النواب الذين خلفهم توران شاه على حكم بلاد اليمن، وكان معظمهم من الأكراد، وظلوا يتسابقون على السلطة والنفوذ، ولم تنته فتنهم إلا بقُدوم سيف الإسلام طغتكين وتولييه إدارة البلاد وتخلصه من نفوذ النواب، وبذلك أمكنه إقرار الأوضاع في ربوع اليمن<sup>(٣)</sup> .

والملاحظ أن الأكراد في الجيش الأيوبي كانوا يفوقون الأتراك في العدد والمكانة، فأصبح لهم في العصر الأيوبي القيادة في الجيش، وتشكل منهم أغلب عناصر الفرق العسكرية، خاصة فرق الجُند المحيطة بالملك، وفي فترات معينة شكلوا خطورة على الدولة، حيث تمادوا في صلاحياتهم ووصل بهم الأمر إلى حد الاعتداء على الملوك، وأكبر دليل على ذلك، إقدامهم على قتل المعز إسماعيل بن طغتكين في زبيد سنة ٥٩٨هـ<sup>(٤)</sup> .

أما الأتراك فإن شوكتهم لم تقوَ إلا في عهد الأتابك سيف الدين سنقر، الذي عمل جاهداً على التخلص من سطوة الأكراد ونفوذهم؛ لأنه أساساً ينتمي إلى الأتراك، وبعمله ذلك اشتعلت الفتنة بين العنصرين في زبيد سنة ٥٩٩هـ، وكانت نتيجتها

(١) انظر: عمارة، المفيد، ص ١٧٣- ١٧٤؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٢٧٨ .

(٢) وهي العناصر التي قدمت إلى اليمن من مصر، خاصة وإن هذا المسمى جاء عند ابن حاتم الهمامي في مؤلفه السمط الغالي، وظل الأسم متداولاً في الفترات اللاحقة للوجود الأيوبي حيث شمل السلاطين من بني رسول .

(٣) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٢٢- ٢٤؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٧١- ٢٧٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٤٦٩ .

(٤) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٨١- ٨٢؛ الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٣٥- ٥٣٦؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٢٩؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٨٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٣٦؛ الكبيسي، اللطائف السنية، ص ١١١؛ الحمزي، كنز الأخبار، ص ٩٢ .

انهزام الأكراد والتجهيز عليهم واستئصال شأفتهم انتقاماً لمقتل المعز، فتمكن الأتراك بقيادة سنقر من السيطرة على زبيد وإخضاعها لسلطتهم<sup>(١)</sup> .

ومما لاشك فيه أن الغز سواء من الأكراد أم الأتراك الذين استقروا في اليمن بأعداد كبيرة قد تملكوا الدور والأراضي في شتى المناطق، وتوزعوا في مدن اليمن الكبرى مثل صنعاء وعدن وذمار وتعز والدليل على اندماج الغز داخل المجتمع اليمني وأثره في الحياة الاجتماعية، ما ذكره ابن حاتم، حول أخذ أحد الأئمة الزيدية البيعة والعهد من أهل صنعاء، فقد ذكر أن سكان المدينة كانوا مابين غزي وعربي وحضري<sup>(٢)</sup> .

## ٢- المماليك :

هم من عناصر المجتمع اليمني الهامة، وقد لعبوا دوراً خطيراً في تاريخ اليمن منذ قدومهم جنوداً في الحملات الأيوبية للسيطرة على اليمن وأبلوا بلاء حسناً في فتح اليمن، وتذكر المصادر أن تواجدهم كان بأعداد كبيرة في العصر الأيوبي، فابن الديبع يذكر أن عسكر الملك الناصر أيوب بن طغتكين في بداية توليه الحكم خلفاً للمعز إسماعيل، كان يضم بين عناصره ثلاثمائة مملوك<sup>(٣)</sup>، كما أن ابن حاتم قد أورد أسماء بعض المماليك ممن كانوا في خدمة أمراء الأيوبيين ومنهم بكتمر السيفي<sup>(٤)</sup>، وذكر أيضاً أن عدد مماليك الأمير وردسار أمير صنعاء بلغ مائتين وستين مملوكاً<sup>(٥)</sup> .

وعمل المماليك في أحيان كثيرة على زعزعة الأمن والاستقرار في البلاد اليمنية عن طريق تأمرهم على الملوك، وبالخلافات التي كانت تنشب فيما بينهم وإحداثهم أعمال السلب والنهب<sup>(٦)</sup>، فمن المعروف أن الملك المجاهد هو من الأمراء المماليك الذين

(١) ابن الديبع ، قرعة العيون ، ٢٨٧ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ١٣٧ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) السمط الغالي ، ص ١٥٥ .

(٣) قرعة العيون ، ص ١٨٧ ؛ وكان من حق الأمير الأيوبي أن يقتني أكثر من مملوك ، فيدربهم على حمل السلاح واستعماله . غزالي ، المظاهر السياسية والحضارية ، ص ٢٤٥ .

(٤) السمط الغالي ، ص ١٥١ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٤٩ ، ١٥٣ - ١٥٤ .

(٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣١٢ ؛ ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٢٩٠ .

سعوا الى الفتنة عقب وفاة الناصر أيوب بن طغتكين، فلما خلف الناصر الأمير غازي بن جبريل، عمل المجاهد على تحريض المماليك للأخذ بثأر الناصر، فتمكن المماليك من قتل الأمير غازي<sup>(١)</sup>، ونصبوا المجاهد قائداً لهم وعقدوا له البيعة وحلفوا له على الطاعة .

ولقد سكنت في اليمن جماعات أجنبية عديدة الى جانب السكان الأصليين من القبائل اليمنية وكذا الى جانب العناصر الأجنبية الأخرى، كالأكراد والأتراك والمماليك، واندمجت هذه الجماعات داخل المجتمع اليمني وتعايشت معه وفقاً لمنظومة الحياة الاجتماعية السائدة، وتشير المصادر الى أن مدينة عدن قد انفردت عن غيرها من المدن اليمنية بكثرة عناصر سكانها وخصوصاً من هذه الجماعات، حيث ينتمي أغلب سكانها إلى أهل مصر والمغرب وفارس والحبشة والصومال والهند<sup>(٢)</sup>، فربما كان الموقع الجغرافي والميزة التجارية التي حظيت بها عدن هما الذان جعلتا منها محطاً للجماعات السكانية التي أرادت التكسب والعيش في الأماكن التي تتاح فيها فرص الرزق والإثراء، ومع ذلك فإن هذا لا يعني عدم وجود جماعات لعناصر أجنبية في مناطق أخرى، فالخزرجي يمدنا بمعلومة عن جماعة فارسية سكنت وادي زبيد<sup>(٣)</sup> وهي التي وفدت ضمن جند ابن زياد حينما قدم من العراق الى اليمن، أما الجماعة الحبشية والنوبية التي سكنت تهامة، والتي جلبت أساساً كرفيق لأغراض الخدمة المنزلية والعسكرية<sup>(٤)</sup>، فقد اختلطت بالجماعات الأخرى وقد امتزجت مع المجتمع اليمني، ويوضح هذا عمارة بما أورده على لسان المكرم الصليحي بقوله: "اعلموا أن عرب هذه التهائم، يستولدون الجوار السود، فالجلدة السوداء تعم العبد والحر"<sup>(٥)</sup>، ويشير الهمداني إلى وجود جماعات من الأبناء في

(١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٥٤؛ ابن الدبيع، قرة العيون، ص ٢٩٠؛ الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٣٧؛ الحمزي، كنز الأخبار، ص ٩٢-٩٣.

(٢) ابن المجاور، المستبصر، ص ١١٧، ١٣٤، ١٣٦-١٣٧.

(٣) العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ١٩٢.

(٤) عمارة، المفيد، ص ٦٥، ٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٠.

صعدة وصنعاء وذمار<sup>(١)</sup>، كذلك وجدت عناصر حبشية في صنعاء<sup>(٢)</sup> .

### ٣- الرقيق :

انتشر الرقيق انتشاراً واسعاً في بلاد اليمن، وقد تم استخدامهم في الأعمال المنزلية والزراعية والعسكرية، وكان العبد يعمل في كل ما يأمر به سيده من أعمال وضيعة وغير شريفة، فأقبل السادة من الحكام وأعيان البلاد على استعمال الرقيق في قصورهم؛ لأن الرقيق يعد من بعض ملكيته مثل سائر الممتلكات التي يحق لمالكها التصرف بها كما يحلو له، فكان الرقيق أكثر استغلالاً وقهراً<sup>(٣)</sup>، حيث كانوا يعملون في الأعمال الشاقة، فالحجر الذي كان يستعمل في عدن للعمارة وبناء البيوت كان يحمله العبيد والجواري، فقد ذكر ابن المجاور أن أبا الحسن علي بن الضحاك الكوفي عندما سكن عدن كان يشتري عبيداً زنوجاً يقطعون الحجر من جبال عدن، وكانت الجواري ينقلن هذه الأحجار على رؤوسهن<sup>(٤)</sup>، وقد ازداد الرقيق في بلاد اليمن في عصر الدولة الأيوبية، إلا أن لونه وجنسه قد تغير فكانوا من الترك أو الأكراد، وهم العناصر التي جلبها معهم الأيوبيون حينما قدموا إلى اليمن، ولم يلبثوا أن ازداد نفوذهم السياسي<sup>(٥)</sup>، وكان الرقيق يجلب إلى اليمن من بلاد الهند والسند والترك

(١) الهمداني ، صفة ، ص ٧٩ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٨٦ ، والأبناء : كما يذكر المسعودي هم الذين ساروا إلى اليمن مع خرزاد ابن نرسي ، وكان أبو شروان ملك فارس قد أنفذ وهرز بجيشاً إلى اليمن صحبة سيف بن ذي يزن منجداً له على الحبشة ، وعاش الأبناء في اليمن وتزوجوا من نساء اليمن . أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، التنبيه والإشراف ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٢٦ ؛ الحميري ، منتخبات ، ص ١١٥-١١٦ ؛ تسترشتين ، دائرة المعارف الإسلامية ، ط طهران ، توما ، أميل ، ج ١، ص ٦٦-٦٧ (مادة الأبناء) .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٠٧ .

(٣) بتروفسكي ، م . ب ، تاريخ اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة ، تعريب : محمد محمد الشعبي ، ط ١، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٢٠٦ .

(٤) المستبصر ، ص ١٢٦ ؛ الفقي ، عصام الدين عبدالرؤف ، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول ، ط ١، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٢٨٣ ؛ ويذكر عمارة أن بلاد اليمن كان يدخلها في كل سنة ألف رقيق وخمسمائة وصيف وخمسمائة وصيفة حبشية ونوبية . المفيد ، ص ٦٥ ؛ السروري ، الحياة السياسية ، ص ٦٥٧ .

(٥) ابن الدبيع ، وجيه الدين عبدالرحمن بن علي الشيباني ، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، نج : عبدالله محمد الحبشي ، ط ١، مركز الدراسات اليمني ، صنعاء ، ١٩٨٩م ، ص ٧٦ ؛ الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٢٨٣ .

وغيرها عن طريق عدن، ويعد الرقيق من السلع المهمة التي كان أهل اليمن يتاجرون بها<sup>(١)</sup>، وكانت الحروب مصادر العبيد، لأنه يترتب عليها الأسر، فيحمل الأسرى عنوة من بلاد الأعداء على شرط أن يكونوا كافرين عند أخذهم<sup>(٢)</sup>، وهناك العبيد الذين يباعون في الأسواق والذين يولدون من الإماء المملوكات<sup>(٣)</sup>، وقد تملكهم السادات من أهل اليمن، ونجد ذلك صريحاً في عبارة لابن فضل الله العمري يقول فيها: "ولأهل اليمن سيادات بينهم محفوظة ٠٠٠ ولأكابرهم حظاً من رفاهية العيش والتنعيم ٠٠٠ وتكون له الحاشية والغاشية والحبوش، وفي بيته الصالح من الإماء، وعلى بابه جملة من العبيد والخدم والخصيان"<sup>(٤)</sup>.

وعن هذا العنصر يصف لنا ابن المجاور سوق الجواني في عدن وطريقة بيعهم، فيذكر أن النخاسين إذا أرادوا بيع الجارية فإنها تتبخر وتطيب وتعدل ويشد وسطها بمنزر ويأخذ المنادي بيدها، ويدور بها في السوق، وينادي عليها، ويحضر التجار الراغبون في الشراء فيفحصونها فحصاً دقيقاً، فيقبلون يدها ورجلها وساقها، ويشمل الفحص كل أعضاء جسدها، وذلك رغبة في التأكد من جمالها وعمرها التقريبي، وكلما كانت الجارية صغيرة السن خالية العيوب وفائقة الجمال، أقبل الميسورون والتجار على شرائها، وارتفع أيضاً ثمنها، وإذا حدث أن أحد الأفراد اشترى جارية، واتضح أن بها عيباً، طلب من الحاكم أن يعيدها إلى صاحبها، فإذا لم يقتنع الحاكم بالعيب، رفض إعادتها، وإذا اقتنع أعادها إلى صاحبها، ورد الثمن إلى المشتري<sup>(٥)</sup>.

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٤.

(٢) وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَتَا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾. سورة محمد، الآية رقم (٤).

(٣) ابن سلام، أبو عبيد القاسم، الأموال، ط ١، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٨؛ الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد، الحور العين، نج: كمال مصطفى، ط ٢، دار أزال، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٣٣٧؛ أنم مبرز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط ٤، بيروت، ١٩٦٧م، ج ١، ص ٣١٤؛ وقد وجد في صعدة أيضاً سوق لبيع العبيد الذين كانوا يجلبون من أماكن عدة. ابن المجاور، المستبصر، ص ١٧٥.

(٤) مسائل الأَبصار، ص ١٥٩.

(٥) المستبصر، ص ١٤٥-١٤٦؛ المسقا، تاريخ العرب القديم، ص ١٥٧؛ السروري، الحياة السياسية، ص ٦٥٨.

ولقد ازدهرت تجارة الرقيق المستوردة من إفريقية الشرقية في منطقة تهامة، حتى أن إحدى بلدان اليمن الصغيرة هناك سميت باسم "بيت العبيد" (١).  
يذكر أن الإسلام قد منح الرقيق فرصة شراء حرياتهم بدفع قدر من المال وحبس في عتقهم كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ؛ فَكَ رَقَبَةً﴾ (٢)، كما نادى بحسن معاملتهم، حيث أوصى القرآن الكريم بالعدل والرحمة بهم؛ لأن الحر والعبد كلاهما من عباد الله ومتساويان، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٣).

#### ٤- أهل الذمة (٤):

أهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وقد سموا بذلك لأنهم بدفعهم الجزية آمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وأصبحوا في ذمة المسلمين (٥)، فقبل الإسلام وجد في بلاد اليمن اليهود والمجوس والنصارى (٦)، وبعد ظهور الإسلام في اليمن أصبح يهود ونصارى اليمن من أهل الذمة ودخل مجوس اليمن في حكمهم (٧).

وقد انتشرت أعداد من اليهود والنصارى في عدد من مدن بلاد اليمن وقراها، إلا أن

(١) الفقهي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٨٤.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم (١٢-١٣).

(٣) سورة النحل، الآية رقم (٧١).

(٤) الذمة في الثقة، العهد والأمان في قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيَسْغَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ﴾، وأذنته: أجازته وأذنته وجده مذموماً. الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تح وضبط: حمزة فتح الله، ترتيب: محمود خاطر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٢٢٣؛ الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تح: إبراهيم الإبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٤٣.

(٥) الخربوطلي، حسن، الإسلام وأهل الذمة، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٦٥.

(٦) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج ١، ص ١٩٧-١٩٨.

(٧) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، بإشراف لجنة تحقيق التراث، ط١،

بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٨٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٧.

تلك الأعداد كانت متفاوتة في وجودها من منطقة الى أخرى، فقد عاش عدد من اليهود في مدينة جبلة<sup>(١)</sup>، بينما سكنت جزيرة سقطرى<sup>(٢)</sup> أعداد كبيرة من النصارى، حيث كانوا يشكلون غالبية سكان الجزيرة، فقد ذكر الإدريسي، أن بقايا من ذريات النصارى ما زالوا يقيمون في الجزيرة في أيامه (أي سنة ٥٤٨هـ) فاندمجت النصارى مع بقية السكان فيها<sup>(٣)</sup>، وربما استمر تواجدهم وبشكل أكبر في عصر أيوبية اليمن . ومما يجدر ذكره أن أهل الذمة من النصارى واليهود ظلوا يقيمون في نجران، فالعلوي الذي عاش في القرن الرابع أورد إشارة الى أملاكهم في نجران في سيرة الهادي قائلاً: «و[أ]ما أصحاب الضياع من اليهود والنصارى فمن كان في يده قديماً بالوراثة من أجداده فليس لنا عليه سبيل»<sup>(٤)</sup>، واستمر الحال كذلك في تواجدهم وسط المجتمع اليمني وخاصة في نجران في عصر الدولة الأيوبية، ودليلنا على ذلك ما ذكره ابن المجاور حول مجتمع نجران، وهو الذي عاش في فترة الدراسة، فقد ذكر أن ثلث سكانها هم من اليهود وثلث من النصارى والثلث الأخير هم مسلمون<sup>(٥)</sup>. وعلى الرغم من وجود أهل الذمة في المناطق المذكورة، إلا أنهم استوطنوا مناطق أخرى في اليمن مثل: صعدة وزبيد وعدن والجند وصنعاء<sup>(٦)</sup>، وهكذا أصبح يهود ونصارى ومجوس اليمن من أهل الذمة الذين فرضت عليهم ضريبة الجزية نظير بقائهم على دينهم، وكانت تلك الجزية

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٦٨؛ الحبشي، عبدالله محمد، حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول،

ط ٢، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٠م، ص ٤٨؛ عسيري، الحياة السياسية، ص ٢٩٤.

(٢) سقطرى: اسم جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تناوح عدن من الجنوب، وهي الى بر العرب أقرب منها الى بر الهند والساكن الى بلاد الزنج يمر عليها، وأكثر أهلها نصارى عرب. ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٩.

(٣) الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مؤسسة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج ١، ص ٥١.

(٤) العلوي، علي بن محمد بن عبيدالله العباسي، سيرة الهادي الى الحق يحيى بن الحسين، تح: سهيل زكار، ط ٢، بيروت، ١٩٨١م، ص ٤٧.

(٥) المستبصر، ص ٢٠٩.

(٦) ابن المجاور، المستبصر، ص ٣٢-٣٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ١٨٩، ٢٤٢؛ ج ٢، ص ١٧٨،

٢٠٨؛ المروري، الحياة السياسية، ص ٦٥٦.

تصرف في بعض النواحي كرواتب لبعض القضاة وخصوصاً المقربين للسلطان<sup>(١)</sup>، وأهل الذمة كما يقول أبو يوسف: "لا يظلمون ولا يؤذون ولا يكلفون فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم"<sup>(٢)</sup>، وحرى بنا أن نعرف ما لهذه العناصر من خصوصية اجتماعية داخل بلاد اليمن، حيث كانت لها حرية التحرك بطريقة تنظمها الدولة، وكذلك مالها من حرية دينية، حيث سمح لها بممارسة شعائرها الدينية في حدود معينة، وتطبيق شرائعهم الخاصة بهم، وقد كان يهود اليمن يتبعون روحياً تعليمات زعمائها أينما كان وجودهم، ففي عصر الدولة الأيوبية كان اليهود في اليمن يتبعون روحياً لموسى بن ميمون زعيم طائفة اليهود في مصر، فكانوا يرسلونه ويستشيرونه في الأمور الصعاب المتعلقة بالعقيدة اليهودية، وكان يرد على أسئلتهم الدينية بإجابات شافية، مثل رده في سنة ٥٦٨هـ بإجابة عرفت باسم الرسالة اليمنية، والتي أكد فيها أن سلطته الروحية تشمل يهود اليمن<sup>(٣)</sup> .

ليس هذا فحسب بل لقد شغل اليهود اليمنيون مكاناً بارزاً في الحياة الاقتصادية في المدن والقرى، حيث سُمح لهم بتملك الضياع والآبار وشاركوا المسلمين في التجارة<sup>(٤)</sup> والصناعة، وقد برع يهود اليمن في صناعة النحاس بنوعية الأصفر والأحمر، وبرعوا في صناعة الحلبي والخناجر اليمنية المرصعة بالجواهر<sup>(٥)</sup> (الجبينية) والأثواب المطرزة وأدوات المطبخ والأقفال الخشبية والأحذية والصناعات الجلدية، كما كانوا يقومون بسك النقود، وكان لباسهم بزي مخصوص وهو لباس

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١، ص ٢٠٧ ؛ يرى الباحث أن هذه المصروفات من الجزية كان التعامل بها في عصر الدولة الرسولية ، إلا أن ذلك يمكن اعتباره وجه التعامل في عصر الدولة الأيوبية على اعتبار أن مختلف الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية التي عملت بها الدولة الرسولية هي امتداد للأنظمة التي سبقتها وهكذا .

(٢) يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف) ، الخراج ، تح : القاضي محمود الباجي ، تونس ، ١٩٨٤م ، ص ١٢٧ ؛ ويؤكد ريسلر على أن العرب والمسلمين راعوا حقوق أهل الذمة أكثر بكثير من الديانات السابقة . جاك ، س ، ريسلر ، الحضارة العربية ، ترجمة : غنيم عبدون ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٧٧ ؛ بتروفسكي ، اليمن قبل الإسلام ، ص ٢٣٦ .

(٣) franke , ( A . K . ) , The Jewsh of Yemen (In Yemen ٣٠٠٠ Years ) , P , ٢٦٦ , ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤) البريهي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، طبقات صلحاء اليمن المعروف بـ : ( تاريخ البريهي ) ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط ٢ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ١٧٧ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٣٢ ؛ غزالي ، المظاهر السياسية والحضارية ، ص ٢٤٥ .



السواد وطاقيّة سوداء من القطن، وإذا كان زعيماً دينياً فعل منديلاً أسود يربطه فوق الطاقية، يتميزون به عن المسلمين، هذا وكان اليهود والنصارى ممنوعين من تولي وظائف الدولة ولا يسمح لهم بذلك أبداً<sup>(١)</sup>.

جدير بالإشارة أن اليهود والنصارى قد تملكوا الدور في صنعاء وضواحيها، وكذا في مناطق أخرى، وكانت دور النصارى في صنعاء أقل شأنًا بالمقارنة مع اليهود الذين امتلكوا الدور العديدة والراقية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) محمد حسين ، قلب اليمن ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٤٧م ، ص ١٥٦ .

(٢) الرازي ، أحمد بن عبدالله ، تاريخ مدينة صنعاء ، تح ودراسة : حسين عبدالله العمري ، ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت / دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ١٦٣ ؛ بتروفسكي ، اليمن قبل الإسلام ، ص ٢٣٦ وما بعدها .

## المبحث الثاني : طبقات المجتمع

كانت الدولة الأيوبية دولة إقطاعية مركزية نسبياً تحت سيطرة قوية من ملوك و سلاطين أقوياء، ولوجود إقطاع عسكري متطور. وتميز عصر الدولة الأيوبية بازدهار وتطور التجارة الدولية التي كانت اليمن أحد محاورها، وكذا لتمييز عصرها بغلبة العناصر الكردية والتركية، وفي عصرها كان تركيب المجتمع اليمني بشكل عام، لا يختلف عما كان عليه في مصر والشام في عصر الأيوبيين<sup>(١)</sup>، فقد تمثل المجتمع اليمني في عصر الدولة الأيوبية بعدة طبقات ضمت الطبقة الواحدة في طبقاتها مجموعة فئات وانطوت تحت الفئات طوائف وشرائح، فمثلاً : فئة الفقهاء ضمت طائفة فقهاء الشافعية وكذلك المالكية وكذا الحنفية<sup>(٢)</sup>، وبناءً على ذلك يمكن تقسيم المجتمع في بلاد اليمن في عصر الدولة الأيوبية الى قسمين :

**الأول : الطبقة الخاصة ، وتشمل: فئة الحكام، فئة العلماء، فئة كبار الملاك<sup>(٣)</sup>.**

**الثاني : الطبقة العامة ، وتشمل: الجند والراعياء والفلاحين، وأرباب الحرف .**

وجميع هذه الطبقات تشكلت من عناصر المجتمع اليمني كافة، عربياً كان أم أعجمياً، علماً بأن التشكيل الطبقي في المجتمع اليمني ظل في حراك دائم وكان أفراد الطبقة الاجتماعية يعتبرون أحراراً في عمليات التحرك والانتقال ما بين أعلى السلم الاجتماعي وأسفله<sup>(٤)</sup> أطوال الفترات التاريخية المختلفة، وعلى أساس ذلك تيم تقسيم المجتمع في فترة الدراسة الى طبقات ومراتب اجتماعية سنقوم باستعراضها للتدليل على وجودها في المجتمع اليمني في عصر الدولة الأيوبية .

(١) شائف عبده سعيد ، "الصراع الاجتماعي في اليمن في عهد الأيوبيين والرسوليين" ، مجلة سبأ ، العدد (٧) ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٧م ، ص ٨٧ .

(٢) الخزرجي ، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن ، العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ، مخطوطة مصورة ، ط٢ ، نشر وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ١/٦ ، صنعاء ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ١٢٦ ؛ ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٣٥٧ .

(٣) انظر: هذيل ، طه حسين عوض ، الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨) ، رسالة دكتوراه ، جامعة صنعاء ، صنعاء ، ٢٠٠٧م ، ص ٩٧ وما بعدها .

(٤) أبو غانم ، فضل علي أحمد ، البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير ، ط٢ ، دار الحكمة اليمنية ، صنعاء ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ١٩٢ ؛ السروري ، الحياة السياسية ، ص ٦٥٩ .

## أولاً - الطبقة الخاصة : وتضم الآتي:

### ١ - فئة الحكام :

تضم هذه الفئة الملوك والسلاطين والولاة وزعماء القبائل والقادة العسكريين وكبار الموظفين وكل من يشترك معهم فيما يتعلق بالحكم، وقد تعددت عناصر الحكام في اليمن، فمنها الزعامات القبلية، والأشراف، والأحباش، ثم الغز<sup>(١)</sup> .

فشيوخ القبائل يستمدون مرتبتهم الاجتماعية والسياسية من الزعامة الوراثية التي تنتقل من جيل إلى آخر، ولذلك فقد كانوا من أهم العناصر التي تولت السلطة في بلاد اليمن وإن كانت سلطتهم لا تشمل اليمن كاملاً، ويرجع السبب في ذلك إلى وجود الصراعات الداخلية بين تلك الزعامات القبلية وغيرها من الزعامات السياسية والمذهبية والتي مزقتها وأنهكتها الحروب فيما بينها، ولنا في الزعامات القبلية من آل يعفر وبنو حاتم وآل زريع وآل مهدي والأشراف السليمانيون والحمزيون مثال على توليها السلطة في اليمن، وكانت الغالبية العظمى من تلك الزعامات القبلية تسندها وتؤيدها قوى خارجية، فمثلاً : آل يعفر من حمير كانت تؤيدهم الخلافة العباسية، وبنو حاتم وآل زريع الهمدانيون كانت تؤيدهم الخلافة الفاطمية رغم أن بنو حاتم كانت تسندهم قوى وزعامات قبلية داخلية، أما بالنسبة لآل مهدي الحميريين فإنهم تجردوا من التبعية لأية قوة خارجية وفرضوا سلطتهم بالقوة . على أن الأشراف أو ما يُسمون بالسادة كانوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم من سلالة آل بيت الرسول (ﷺ) ولذلك كانوا في فئة الحكام، وانحصرت وظائفهم في غالب الأوقات في الشؤون الدينية، وتنوعت مذاهبهم، فمنهم من دخل في مذهب أهل السنة ومنهم من تذهب بالزيدية، فالأشراف من بني حمزة هم من الذين اعتقدوا المذهب الزيدي باليمن، وحكموا مناطق عدة وكونوا دولة<sup>(٢)</sup>، واستمر الأشراف الحمزيون يحكمون

(١) السروري ، الحياة السياسية ، ص ٦٦٠ .

(٢) انظر: عبدالله بن حمزة ، الإمام المنصور بالله ، المجموع المنصوري : العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين ، نج: عبدالسلام بن عباس الوجيه ، ط١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمان ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص ٥٧ ، ١٨٠ وما بعدها ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٢٩ وما بعدها ؛ المحلي ، الحقائق الوردية ، ج ٢ ، ق ١٧٣ .

المناطق الشمالية، وبخاصة صعدة وما جاورها، طيلة فترة الوجود الأيوبي، ولم تخضع لسلطة الدولة الأيوبية العسكرية<sup>(١)</sup>.

أما الأشراف السليمانيون فقد اعتنقوا مذهب أهل السنة وحكموا المخلاف السليمانى لفترة طويلة من الزمن، فأثناء دخول الأيوبيين اليمن بقيادة نوران شاه سنة ٥٦٩هـ كان في استقبالهم في حرص الشريف قاسم بن غانم الذي استعان بهم على عبدالنبي بن مهدي الذي جار عليهم في المخلاف السليمانى، فتعاونوا على القضاء على ابن مهدي، فأبقى الأيوبيون الشريف قاسماً بن غانم حاكماً على المخلاف السليمانى<sup>(٢)</sup>، ومن بعده تولى حكم المخلاف ابنه المؤيد بن قاسم السليمانى، وفي عهده قدم الملك المسعود الأيوبي سنة ٦١٢هـ، فقدم له هذا الشريف فروض الطاعة والولاء، ولذلك أبقاه المسعود حاكماً على المخلاف، وأقطع له حرص والهلية<sup>(٣)</sup>.

وظل بنو حاتم الهمدانيون حكاماً على صنعاء وما حولها لفترة من الزمن حتى في ظل الوجود الأيوبي، ولم تنته سلطتهم على صنعاء إلا بعد سنة ٥٨٤هـ<sup>(٤)</sup>، ومع ذلك فقد بقوا حكاماً على بعض القلاع والحصون، وكان لهم نفوذهم داخل المجتمع اليمني حتى زوال الدولة الأيوبية من اليمن .

(١) فقد حرص الجانبان كلما سنحت الأحوال على عقد الصلح والهدنة وذلك لبقاء كل من الطرفين في المناطق التي تحت يديه ، على أن ذلك لا يخلو من بعض المشاكل التي كانت تجر الطرفين إلى حروب مستمرة في ضوئها يتم رسم الحدود المستجدة بينهما ، وظل الحال كذلك إلى نهاية الدولة الأيوبية في اليمن . انظر: يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١، ص ٣٣٣ وما بعدها ؛ الميسري ، محمد عبدالله سعيد سالم ، الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ودوره في إحياء الدولة الزيدية في اليمن (٥٩٣-٦١٤هـ)، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ص ٤٦-٨٠ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ١٦؛ محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٨٣-٨٥ .

(٣) الهلية: قرية من أعمال زبيد ، ياقوت ، معجم ، ج ٥، ص ٤٠٩ ؛ يذكر أن الملك المسعود حين اتصل به خبر أن المؤيد بن قاسم يمتلك حصاناً جميلاً اسمه الحوماني ، طلبه منه ، إلا أن المؤيد رفض إعطائه الحصان فساعت العلاقة بينهما ، فأقطع المسعود حرص لأمير اسمه الخوارزمي ، وأقطع الهلية لأمير اسمه المجاهد النظامي ، فجرت بينهما وبين المؤيد حروب ، فتمكن المؤيد من قتل الخوارزمي والنظامي في تلك المناطق . ابن حاتم ، السمط الغالى ، ص ١٧٣ .

(٤) انظر: فرحان ، عباس علوي حسين ، بنو حاتم الهمدانيون (دراسة سياسية حضارية)، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٥، ص ٨٤ .

كما أن الأحباش دخلوا في فئة الحكام في تهامة اليمن، ونقلوا المناصب العليا في الدولة النجاشية كأمراء ووزراء، بعد أن كانوا عبيداً جلبوا لخدمة القصور أو كجنود يُستعان بهم في الحروب، وظلوا يحكمون تهامة حتى دخلوا في صراع مع ابن مهدي الذي أزال دولتهم، ومع ذلك فقد بقوا في تهامة وكان لهم تأثيرهم كقوة اجتماعية تعيش وسط المجتمع اليمني في تهامة، بل ولقد كان الحكام الأحباش مختلطين بالمجتمع اليمني، فتزوجوا منه<sup>(١)</sup> .

ومن فئة الحكام في اليمن الأيوبيون ونوابهم، فقد كان الملك الأيوبي يأتي على قمة الهرم الاجتماعي، وهو المالك الإقطاعي الوحيد الأول لأرض الدولة يقطعها لمن يشاء، حيث ساد في عصر هذه الدولة الإقطاع العسكري، وترتبط بالملك حاشيته وأسرته وبطانته وحكومته من الوزراء والقادة العسكريين، وقد سيطر الأيوبيون على اليمن كلها عدا صعدة وبعض المناطق المجاورة لها، ابتداءً من حكم توران شاه سنة ٥٦٩هـ ، وانتهاءً بحكم الملك المسعود الذي كان آخر ملوك الدولة الأيوبية في اليمن والتي انتهت سنة ٦٢٦هـ<sup>(٢)</sup> .

جدير بالإشارة إلى أن فئة الحكام بمراتبها المختلفة تعد من أهم الفئات تأثيراً على المجتمع إيجاباً وسلباً، ونستدل على ذلك بما أوجزه السروري عن فئة الحكام بقوله: "فهي عامل مساعد على نهوض المجتمع أو ركوده، كما أن لها الدور الأكبر في استمرار الحكم لفترة طويلة أو انهياره بسرعة"<sup>(٣)</sup> .

فالدولة الزيدية، بقيادة عبدالله بن حمزة الذي كان ينافس الدولة الأيوبية في اليمن، شهدت تطوراً ملحوظاً في مختلف أوجه النشاط الاجتماعي، وشهدت تطوراً في مختلف أنواع العمارة، حيث كان الإمام كثير الاهتمام بإنشاء الحصون والمدارس والدور وترميمها، وعلى الرغم من فقر الدولة الزيدية وضعف مواردها<sup>(٤)</sup>، إلا أن

(١) واكبر دليل على ذلك زواج الأمير جيشاش بن نجاح الحبشي من امرأة من أهل موزع . الجندي ، ج١، ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٩٥ ؛ محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٢٧٣ .

(٣) الحياة السياسية ، ص ٦٦٣ .

(٤) عسيري ، الحياة السياسية ، ص ٢١٥ .

الإمام استطاع من خلال هذه الموارد الشحيحة فعل الكثير في مجال العمران، والتي لا تزال بعض معالمه الباقية الى يومنا هذا شاهدة على ذلك الاهتمام الذي أولاه هذا الإمام للعمران بمختلف أشكاله ومظاهره، ومنها: العسكرية، الدينية، المدنية، وحصن ظفار الذي ماتزال بقاياه الى اليوم شاهدة على عظمة ذلك الإنجاز في فترة حكم الإمام الزيدي عبدالله بن حمزة<sup>(١)</sup>.

كذلك فإن السلاطين والمشائخ من بنو حاتم الهمدانيين قد أظهروا عناية فائقة بالعمارة، وبخاصة العمارة الحربية كضرورة اقتضتها ظروف الصراع السياسي والعسكري القائم في المنطقة، فكانوا كفة حاكمة قد شيدوا الأسوار الحصينة على مدينة صنعاء وعمروا المعامل والحصون<sup>(٢)</sup> وأحصنوها لتكون أكثر منعة. ولتنظيم إدارة البلاد الواقعة تحت نفوذهم، عمل سلاطين بنو حاتم على تقسيمها الى وحدات إدارية، وعينوا عليها ولاة من ثقة الرجال للقيام بالمهام الإدارية والمالية والخدماتية. أما عن الحكام الأيوبيين، فهناك أعمال جليلة قام بها الملك طغتكين حيث بنى مدينة المنصورة، وبنى البيوت والحمامات للعساكر، وبنى الجوامع وقام بتوسيع وترميم القديم منها، كما بنى دار السعادة في عدن ودار السلطان في صنعاء<sup>(٣)</sup>، وبنى الحصون في الأماكن المختلفة<sup>(٤)</sup>. وفي فترة الأتابك سنقر شهدت البلاد نهوضاً معمارياً، كان علامة بارزة على عظمة إنجازاته، فقد عمل هذا الأتابك على بناء المدارس<sup>(٥)</sup>، وشيد مباني ومناظر في أماكن عدة، كذلك عمل الحكام الأيوبيين

(١) للمزيد من التفاصيل عن عمارة الحصن وسنة عمارته، انظر: السيرة المنصورية، مج ٢، ج ٣، ص ٤٨٢؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٨٥؛ العزبي، عبدالله بن حمود، عرض لحياة وأثار الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (٥٦١-٦١٤هـ)، ط ١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٢٨.

(٢) التقفي، سليمان بن يحيى، سيرة الإمام أحمد بن سليمان (٥٣٢-٥٦٦هـ)، نج: عبدالغني محمود عبدالعاطي، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٨؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ٧٢؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٣٩٢.

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ١١١؛ ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٣٨؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ١٦٨.

(٤) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١، ص ١٣٣.

(٥) الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ١٧٨؛ ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٧٧؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٩٥؛ الأكوخ، إسماعيل بن علي، المدارس الإسلامية في اليمن، منشورات جامعة صنعاء، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٢٨، ٢٤، ٣١.

عدداً من الإنجازات مثل عثمان الزنجيلي حيث بنى مسجداً في عدن والحاكم وردسار الذي بنى عمارة المنارة الغربية بجامع صنعاء سنة ٦٠٣هـ، وأمر ببناء المطاهير وحفر بئر وعمل بركة، وكذا مجرى من البئر إلى المطاهير<sup>(١)</sup>.

لم تقتصر أعمال الحكام الأيوبيين على الأعمال المذكورة ، بل شملت أعمالهم إصلاح الطرقات كالطريق من إب إلى المغربية<sup>(٢)</sup> وهي دليل على اهتمامهم بتلك الناحية أيضاً، ولقد قاموا بالعديد من الأعمال في شتى النواحي والتي لا يسعنا المقام هنا لذكرها، إلا أنه يجب الإشارة إلى أن فئة الحكام بمراتبها المختلفة كان لها أيضاً أثرها السلبي داخل المجتمع اليمني، قال مهدي الذين حكموا (زبيد) قد استخدموا جميع الأساليب من القتل والإرهاب وإخافة الناس وإحراق القرى والجوامع<sup>(٣)</sup>، كذلك استخدم بعض حكام بني أيوب الأساليب نفسها، ومنهم الملك المعز إسماعيل الأيوبي، الذي ظلم وأخاف الكثير من ممالك أبيه مما جعل الكثير منهم يهربون منه وينضمون إلى صف الإمام عبدالله بن حمزة<sup>(٤)</sup>، ودليل ظلمه أنه بمجرد توليه السلطة قام بقتل والييين من الولاة الذين عينهم والده قبل وفاته، وهما: القاضي الأسعد، والي حرص، والهام أبا ريا، والي صنعاء سنة ٥٩٤هـ<sup>(٥)</sup>، ونتيجة لظلمه وطغيانه تمرد عليه الكثير من الجند، وبخاصة الأكراد وتأمرؤا عليه وعملوا على قتله في زبيد سنة ٥٩٨هـ<sup>(٦)</sup>.

(١) الحجري ، محمد بن أحمد ، مساجد صنعاء ، ط٢، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٢٣-٢٨ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٧٥-١٧٦ .

(٣) فقد قام آل مهدي بإحراق مسجد الجند قبل دخول الأيوبيين بعام فقط أي سنة ٥٦٨هـ فأحرقوه بمن فيه من الضعفاء والعجزة والعاكفين وغيرهم ، كما أنهم قتلوا الشريف وهاس بن غانم السليماني أخا حاكم المخلاف السليماني قاسم بن غانم ، الأمر الذي أدى إلى استنجد السليمانيين بالأيوبيين عند أول دخولهم إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ . الجندي ، السلوك ، ج٢، ص ٥١٨-٥١٩ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص ١٣٦-١٤٥ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٦٤-٣٧٣ .

(٤) أمثال حكو المملوكي ، وهشام الكردي ، وشمس الخواص ، وهننري ، ووردسار ، والأتابك سنقر . انظر: السروري ، الحياة السياسية ، ص ٣١١-٣١٩ .

(٥) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص ٢٠٣ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٧٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ١١٠ ؛ بغية المستفيد ، ص ١٠ .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٨٢ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٢ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٦ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١، ص ٥٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١، ص ٣٥٧ ؛ العامري ، غربال الزمان ، ص ٤٨٥ ؛ محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ١٨٢ .

وقد كانت فئة الحكام متميزة، حيث كانت لها سلطات واسعة في الميادين الحكومية المختلفة، فهي صاحبة الحق في العزل والنولية وإقرار القوانين أو إلغائها<sup>(١)</sup>، وهي الفئة التي تمتعت بالثراء الفاحش<sup>(٢)</sup>، فامتلكت القصور العديدة والفخمة والتي كانت تحيط بها البساتين الخضراء التي تجلبُ زروعها من كل مكان وتحيط بتلك القصور الآبار وخزانات المياه وتؤمنها الأسوار العالية، ولنا في مدينة المنصورة، التي أسسها الملك طغتكين بن أيوب، مثال على تميز فئة الحكام، حيث شيد بها الملك قصرًا له، وبني بيوتًا وحمامات للعساكر الذين يحمون حكومته ومقره وممتلكاته، ليس هذا فحسب بل بني له قصرًا في صنعاء سمي دار السلطان وقصرًا في عدن سمي بدار السعادة، وبني الأتابك سنقر له دارًا في مدينة تعز<sup>(٣)</sup>، كذلك امتلك الملك المعز إسماعيل بن طغتكين دارًا في عدن على جبل حقات سمي بدار المنظر<sup>(٤)</sup>، وامتلك الإمام عبدالله بن حمزة دارًا في صعدة، وجعل مكانه بعيداً عن العامة، ولم يجالسه فيه إلا المقربون من أفراد أسرته، وقد عبر ابن المجاور عن ذلك بقوله: "وأما درب الإمام فهو حصن بناه أبو محمد عبدالله بن حمزة ما بين الشمال والمشرق منفرداً بذاته لم يخالطه شيء قريب من البلد، لم يسكنه إلا الإمام وعترته"<sup>(٥)</sup>.

ونتيجة لتمييز فئة الحكام فقد كان لهم في قصورهم الخدم والحشم والجواري والمغنيات والراقصات<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ٨٠، ١٤٠.

(٢) ومثال على ذلك ممتلكات ابن مهدي في زبيد، وهو الذي حارب الدولة الأيوبية في أول دخولها فقد أوضح عمارة حجم الممتلكات التي جمعها ابن مهدي بقوله: "وحصل في خزائن ابن مهدي وملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن، فمنها أموال أهل زبيد ١٠٠٠٠ ألف، المفيد، ص ١٨٨؛ وكذلك الثراء الذي بلغه ابن منقذ نائب توران شاه في زبيد وعثمان الزنجيلي في عدن وكانا قد تحصلا لثروتهما من الأموال والذخائر. أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٢٥؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ٧٨؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ١٨٩؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ١٠٤.

(٣) وهو الدار الذي اشتراه الملك طغتكين وجعله مدرسة سميت بالمدرسة السيفية. الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ١٧٣؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٤٠٣؛ بغية المستفيد، ص ٧٦.

(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص ١١١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٦) الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ٢٠٤؛ الشرفي، أحمد بن محمد بن صلاح، اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية، مخطوط مصور، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ميكرو فيلم، رقم (٥٨)، ج ٢، ق ٣٣؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٩١.



## ٢- فئة العلماء :

تعد فئة العلماء من أهم فئات المجتمع اليمني؛ لأنها ضمت في طياتها نخبة الفقهاء والقضاة والمحدثين والقراء والمفسرين بالإضافة إلى الأدباء والشعراء واللغويين وكل مهتم بالجوانب العلمية، وهذه الفئة تميزت في وجودها داخل المجتمع من حيث إنها نبوتاً وظائف ومناصب عليا في الدولة، وأهمها: القضاء والفتوى . وقد أوردت العديد من المصادر التي كتبت عن تاريخ اليمن أسماء لعديد من رجالات هذه الفئة الذين كان لهم نفوذ واسع وكانوا محط احترام وتقدير الحاكم والمحكوم .

فقد شكل الفقهاء فئة اجتماعية اكتسبت شهرة اجتماعية واسعة داخل المجتمع اليمني، حيث كان الناس يفخرون أن ببلدهم فقهاء يضرب بهم المثل في العلم وتشتهر بلدانهم بسبب وجودهم، حيث كان الفقهاء حاذقين وبارعين لأدلة الفقه بصيرين بدقائقها وأشكالها مبرهنيين لإجمالها يتناظرون فيما بينهم على سبيل الإقناع حتى يكونوا محل ثقة المجتمع . ولمكانة هذه الفئة وخصوصاً في العصر الأيوبي فقد تولوا أحكام نواحيهم<sup>(١)</sup>؛ ولجليل قدرهم أيضاً، فقد قصدهم الملوك والسلاطين والأمراء وارتادوا مجالسهم، وأكبر برهان على ذلك ما فعله الملك توران شاه، حين زار ذي أشرق<sup>(٢)</sup> فأصداً الفقيه عبدالله بن عبدالرزاق ليتبرك به، وسأله الدعاء له، فدعا له الفقيه بالصلاح<sup>(٣)</sup>، وكذلك ما فعله الملك طغتكين سنة ٥٨٤هـ، فقد لزم مجلس الفقيه سعيد بن أحمد المسكني في حصن شواحط<sup>(٤)</sup>، ولمحبة هذه الفئة وسبط المجتمع فضل الكثير من اليمنيين اختيار أزواج لبناتهم من هذه الفئة<sup>(٥)</sup> .

(١) أمثال بني صالح في حراز . الجندي ، السلوك ، ج ١، ص ٣٤٩ ؛ وكذا علي بن الحسين السيري الذي حكم زبيد في عهد توران شاه . بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٤٦٥ .

(٢) ذي أشرق: بلدة أثرية في سفح جبل التعكر جنوب غرب إب وأعلى وادي نخلان من ذي الكلاع ، ويقال لها (ذي شراقة) ، المقحفي ، معجم ، ص ٣٢ .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥١ .

(٤) الأهدل ، بدر الدين أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن محمد ، تحفة الزمان في تاريخ اليمن ، تج: عبدالله محمد الحبشي ، ط ١، منشورات دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٣٠٨ ؛ وحصن شواحط : حصن

لآل الغرباني يطل على السحول من جهة الشرق فوق وادي الجنات . المقحفي ، معجم ، ص ٣٧٦ .

(٥) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ .

ولمكانة العلماء فقد شكل القضاة أيضاً فئة اجتماعية داخل المجتمع، كان لها أثر بارز على الحياة الاجتماعية في اليمن، وقد كان لهم إسهامات كبيرة في مجال تدريس العلوم والإنفاق عليها، وقد تولى الكثير منهم منصب القضاء، مثل: حسان بن الفقيه العمراني الذي ولي قضاء الجند وإليه انتهت رئاسة الفتوى والتدريس بها، وعبد الرحمن الصرحي الذي ولي قضاء حرص وإليه انتهت رئاسة الفقه فيها<sup>(١)</sup>، وعلي بن عبدالله بن أبي الفتح الذي ولي قضاء جبلة<sup>(٢)</sup>، ولالأهمية التي تحتلها فئة العلماء فقد عُرضَ منصب قضاء زبيد في عهد الملك توران شاه وكذا في عهد الملك طغتكين، على الفقيه والمحدث الحسين بن أبي بكر الشيباني، إلا أنه رفض ذلك، ولجليل قدره استشاروه فيمن يصلح لقضاء زبيد فأشارهم<sup>(٣)</sup>، وبذل رفضه وكذا غيره من الثقات الذين عُرضَ عليهم ذلك المنصب، على أن منصب القضاء كان عرضة للمخاطر والعلوم من قبل الناس، لذلك فضل الكثير منهم الابتعاد عن منصب القضاء حتى لا يفقدوا علاقاتهم الاجتماعية أو أن تشوب علاقاتهم بالمجتمع بعض الشكوك أو الريب فيما قد يترتب عليه نطقهم ببعض الأمور أو القضايا المتعلقة بالأهالي والتي تكون في غالبها من اختصاص القضاة .

كما تبوأَت فئة العلماء مكانة رفيعة الى درجة أن بعض الولاة كانوا يأمرّون البوابين الذين على قصورهم بأن لا يمنعوا العلماء من الدخول إليهم في أي وقت<sup>(٤)</sup>، كما أن الناس كانوا يعتقدون بهم وينسبون إليهم الكرامات أو بعضها، ويقومون بعد صلاة الجمعة بزيارة قبور بعض الفقهاء أو العلماء الصالحين<sup>(٥)</sup>.

وقد بلغ الكثير من العلماء مبلغاً كبيراً في النواحي العلمية، فتولوا قضاء

(١) انظر : بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٤٥٦ .

(٢) وليها في عهد طغتكين تقريباً، أما في عهد توران شاه فقد كان متولّي قضاء جبلة علي بن أسعد بن المسلم . المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ٢٤٥٧ ، ٢٤٧١ .

(٣) حيث أشارهم على تولية عبدالله بن محمد العقامي ، فولاه قاضي اليمن حينها الكثير منصب قضاء زبيد . انظر : ابن سمره ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٣٨-٢٣٩ : الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢٩ : بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٠٦ : العامري ، غربال الزمان ، ص ٤٦٨ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٣ : الشرجي ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف ، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، ط ١ ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء / دار المناهل للطباعة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٠٤ ، ٢٦٤ - ٢٦٧ .

المدن والمناطق المهمة في اليمن في عصر الدولة الأيوبية مثل صنعاء التي ولي قضاءها سري بن إبراهيم المنتهي نسبه الى العرشاني<sup>(١)</sup>، وعدن، الذي تولى قضاءها لفترة عمر بن محمد الكبيري<sup>(٢)</sup> وأبين الذي ولي قضاءها علي بن الفقيه بن عمر بن أبي قرّة لفترة معينة<sup>(٣)</sup>، وإب والمعاقر وغيرها<sup>(٤)</sup>، وللمكانة الرفيعة لهذه الفئة فقد أطلق على رجالها العديد من الألقاب مثل إمام وعالم ورئيس مذهب أو علم. وأقام هؤلاء الرجال مجالس التدريس، وأبلغ مثال على ذلك ما وصل إليه أحمد بن محمد بن عبدالله البريهي من مكانة إلى درجة أنه لُقِبَ بالإمام سيف السنة، وإليه انتهت الرئاسة في مدينة إب، وقصده الطلبة من أنحاء شتى وانتفع به الكثير واشتغل بالتدريس، وقبل وفاته أوقف كتبه كلها على طلبة العلم من أهل السنة، وتوفي سنة ٥٨٥هـ<sup>(٥)</sup>، كذلك كان للفقيه إبراهيم بن محمد بن زكريا المتوفى سنة ٦٠٩هـ مجلس تدريس في زبيد<sup>(٦)</sup>، أما الفقيه محمد بن سالم الأصبحي فقد تولى رئاسة التدريس والفتوى في الملحمة في بعدان<sup>(٧)</sup>، وتولى الفقيه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عمران بن علقمة رئاسة تدريس وفقه ذي السُقَال<sup>(٨)</sup>، حتى وفاته سنة ٦١٦هـ<sup>(٩)</sup>.

أما القراء ففي زبيد اشتهر أبو عبدالله محمد بن الحسين الزوقري الركي، وفي حضرموت، أبو أكر<sup>(١٠)</sup> وغيرهم، ومن الشعراء واللغويين من هذه الفئة اشتهر العلامة نشوان بن سعيد الحميري<sup>(١١)</sup>.

(١) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٣٦٧، الأهدل، تحفة الزمن، ص ٣٢٦.

(٢) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٤٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٩، ص ٤٦٧.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٨٦، ٤٠٧، ٤٠٩.

(٥) بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥١٥-٢٥١٧.

(٦) السروري، الحياة السياسية، ص ٥٥٢.

(٧) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٢٩٢، ٣٣٨، الأهدل، تحفة الزمن، ص ٢٩٤، وبعدان: منطقة واسعة بها عدة جبال على قممها حصون شهيرة منها حصن حب الذي يقع في وسط المدينة. للمزيد عنها انظر: الرعوي، عارف، إب سرّة اليمن وسجلاتها الخضراء، مجلة الموقف، العدد (٥٦)، المركز العام للدراسات والبحوث والإصدار، محافظة إب، ٢٠٠٦م، ص ١٠٨-١٠٩.

(٨) الأهدل، تحفة الزمن، ص ٣٥٧، وذو السُقَال: مدينة تقع في محافظة إب أعلى وادي ظبا. انظر: الرعوي، إب سرّة اليمن، ص ١٢٥-١٢٦.

(٩) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٢٨٩، ٢٩٧-٢٩٨، ٣٥٠.

(١٠) انظر: ابن سمرّة، طبقات فقهاء اليمن، ص ٢٢٠، الجندي، السلوك، ج ١، ص ٥٤٨، ثم أعثر على تعريف لاسم أبو أكر.

(١١) كان نحويّاً لغويّاً فقيهاً شاعراً، توفي سنة ٥٧٣هـ. عمارة، المفيد، ص ٢٩٤.

يذكر أن لهذه الفئة دوراً كبيراً في الوقوف الى جانب الدولة أو الحكام وكذا دورهم ضد الدولة والحكام، فالمشائخ الفقهاء في حضرموت كانوا غير راضين عن الوجود الأيوبي في بلادهم، لذلك سلكوا طريق المعارضة، ومن جراء ذلك تلقوا العقاب المرير من قبل ولاية الدولة الأيوبية وتمت إبادة الكثير منهم ظلماً وعدواناً؛ وكذا فقهاء إب والسحول والمناطق المجاورة الذين أجمعوا على خلاف الدولة أيام الملك طغتكين الأيوبي واجتمع بهم الشيخ علي بن محمد القم في منزله وأطعمهم وكان يريد أن يقود معارضتهم، ولولا امتناع سيف السنة البريهي ومعارضته لهم لكانوا أعلنوها حركة ضد الدولة الأيوبية<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة للحالة المالية لهذه الفئة فقد تنوعت بين الفقر والغناء، فبعض العلماء كانوا فقراء يدل على ذلك اجتماع الشيخ علي بن محمد القم بالفقهاء في منزله وإطعامهم طعاماً أراد به كتابة شهادتهم على وثيقة أجمع بها على خلاف الدولة؛ أما البعض الآخر من فئة العلماء فقد امتلكوا الأموال والأراضي وكانوا من أغنياء التجار واستطاعوا الإنفاق على طلبة العلم في حلقات التدريس الخاصة بهم، والتي كان يحضرها العديد من الطلاب من كل حذب وصوب، فالفقهاء بنو عمران كانوا يقومون بكفالة الطلبة وكسوتهم والذين كانوا يبلغون حوالي المائة دارس<sup>(٢)</sup>، وكذلك الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطل الركبي والذي سكن الدُمْلُوة<sup>(٣)</sup>، كان ينفق على طلبة العلم في حلقة درسه، وأنفق الفقيه أبوبكر ابن الشيخ يحيى بن إسحاق العياني السكسكي على طلبته الذين بلغ عددهم حوالي المائة طالب، وكذلك فعل الفقيه أبو عبد الله بن محمد بن علي القلعي بحضرموت<sup>(٤)</sup>، والفقيه علي بن عباس بن عيسى بن مفلح المليكي الذي سكن عدن<sup>(٥)</sup>.

وبهذا القدر من الإيضاح تبين جلياً ما لهذه الفئة من تأثير في الحياة الاجتماعية داخل المجتمع اليمني في عصر الدولة الأيوبية .

(١) انظر: الجندي، السلوك، ج ١، ص ٤٦٢؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥١٦، ١٤٩٠ .

(٢) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٤٢٠ .

(٣) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ٢٣٢ .

(٤) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٤٥٥، ٣٨٦ .

(٥) ابن سمر، طبقات فقهاء اليمن، ص ٢١٩؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ٢٧٠؛ الأهدل، تحفة الزمن، ص ٣٢٢ .

### ٣- فئة كبار الملاك :

يمكن تصنيف هذه الفئة، من حيث طبيعة الممتلكات والحيازات وأهميتها في الحياة الاجتماعية، الى فرعين هما: كبار ملاك الأراضي الزراعية، وكبار التجار، فالمال هو عصب الاقتصاد للفرد والمجتمع والدولة، ومن ثم فإن له تأثيراً داخل المجتمع، وكما أشار السروري فإن المال جعل أصحابه فئة متميزة في المجتمع، فقد أسهم في التحصيل العلمي لفئة العلماء، كما أسهم في صعود بعض الزعامات القبلية إلى السلطة<sup>(١)</sup>، ومع أن كبار ملاك الأراضي وكبار التجار داخل المجتمع اليمني في عصر الدولة الأيوبية عديدون، إلا أننا سنكتفي بالإيجاز عنهم كالآتي:

لقد شكل ملاك الأراضي الزراعية فئة اجتماعية متميزة لها وزنها في الحياة الاجتماعية في اليمن ولها مركزها السياسي على مستوى الدولة، حيث امتلك العديد من اليمنيين أراضي زراعية واسعة، ورغم أن كبار ملاك الأراضي لا يشاركون فعلياً في العمل الزراعي، إلا أنهم شكلوا ما يشبه الجماعة الحاكمة المسيرة لأموالهم الملاك الزراعة التي تركوها بأيدي فئة اجتماعية هم من أوكلهم بالقيام بتلك الأمور.

فالشيخ علي بن المعلم امتلك أرضاً زراعية واسعة، وفي أماكن كثيرة داخل اليمن، حتى أصبحت أملاكه جليلة ومنها أصبح ذا ثراء، فقد امتلك أرضاً كثيرة في المقرعة<sup>(٢)</sup>، وفي ذي جبلة وضراس<sup>(٣)</sup>، وذى أشرق<sup>(٤)</sup>.

كما امتلك البعض من فئة الحكام وفئة العلماء أراضي زراعية وكانوا من كبار الملاك، فقد كانت للفقهاء من بني عمران، وكذا أبوبكر بن الشيخ يحيى بن إسحاق العياني السكسكي أملاك واسعة من الأراضي، كانوا يتصدقون من خيرها على طلبة العلم واستمر الحال حتى زمن الجندي (القرن الثامن الهجري)<sup>(٥)</sup>.

(١) الحياة السياسية، ص ٦٦٨.

(٢) المقرعة : قرية من قرى الغدين ، ولا زالت تحمل نفس الاسم الى اليوم . انظر: الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ (١٣).

(٣) ضراس : هي قرية في جبال اليمن ، ينسب إليها أبو طاهر إبراهيم بن نصر بن منصور بن حبش الفارقي الضراسي . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٥٥ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢١ : الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٧٠ : بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٦٦ .

(٥) الجندي ، السلوك ، ص ٣٨٦ : كما امتلك الحجازيون أرض تزن من أعمال العارة القريبة من عدن . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٠٢ .

كذلك كانت للشيخ عبدالله بن عبد الوهاب العريقي أملاك واسعة من الأراضي امتدت من الذنبتين برأس قاع الجند الى بلاد مَقَمَح<sup>(١)</sup>، وامثلك الشيخ ابن مفلح أراضي وزروع بجبل صبر في عصر الدولة الأيوبية<sup>(٢)</sup> .

وبالنسبة لكبار التجار، فقد وجدوا في الكثير من المدن اليمنية، وبخاصة في المدن الرئيسية، فقد نشطت التجارة في اليمن في عصر الدولة الأيوبية نشاطاً لا نظير له، حيث كانت عدن تمثل مركزاً مهماً ونشطاً لحركة التجارة العالمية التي تربط الشرق بالغرب، ومثلها في النشاط التجاري كانت مدن أخرى، مثل: زبيد، وصنعاء، وصعدة، وحضرموت . ونتيجة لازدياد الحركة التجارية والتبادل التجاري بين المدن اليمنية المختلفة وكذا بين اليمن والعالم، برز العديد من التجار الذين شكلوا فئة اجتماعية داخل المجتمع اليمني وكسبوا من عملهم التجاري أموالاً طائلة، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن بطوطة عن التجار بقوله: "وللتجار منهم أموال عريضة، وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال"<sup>(٣)</sup>، وطبيعي أن يرتبط التجار بالحكام بعلاقات حميمة فيتبادلون المصالح فيما بينهم، وربما كان الحكام يحتاجون الى التجار لتمويلهم في بعض المآزق التي كانت تمر بها الدولة .

وقد عمل الكثير من فئة الحكام في التجارة ، فالفقهاء عملوا في مجال التجارة الى جانب التدريس وشاركوا بأموالهم الى جانب كبار التجار، وكسبوا أموالاً وأرباحاً طائلة، فصرفوا منها على طلبه العلم في المدارس الخاصة بهم، حيث كان يفد إليهم الطلاب من كل مكان، كما أن من التجار من صرف الكثير من الأموال لذلك الغرض، فالتاجر الذي يقال له أبا فير، وهو من أهل الدنيا والدين، كان ينفق أموالاً على طلبه العلم ويقوم بكفالتهم رغم أنه ليس له حلقة علم وإنما الطلاب الذين كانوا يفدون على فقهاء بلده، ومن شيمته ودمت أخلاقه فقد بنى داراً وجعله سبيلاً يأوي إليه من احتاج الى ذلك ، ومثله فعل ابن أبي الأمان<sup>(٤)</sup> .

(١) مَقَمَح: هي ماتسمى اليوم الشрман شرقي الجند ومن مخلاف حمر . الجندي ، السلوك ، ج١، ص ٣٦٤ .

(٢) عن سيرة الشيخ ابن مفلح ، انظر : بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٨٧ .

(٣) ابن بطوطة ، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ، رحلة ابن بطوطة المسماة : تحفة النظار في

غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ج١ ، ص ٢٥١ .

(٤) واسمه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أبي الأمان ، وهو الذي بنى مدرسة بجيلة ، وله بها دور كثيرة ،

انظر : الجندي ، السلوك ، ج١ ، ص ٤٥٥ ، ٣٤٠ .

## ثانياً - الطبقة العامة :

وهي تتشكل من بقية الفئات الاجتماعية الأخرى التي تكون غالبية سكان اليمن، وهذه الفئات بصفة عامة لم تحظ بالاحترام في الكتابات التي تتعرض لذكرها، فقد وصفها الزمخشري بقوله إنها: "أشبال إن جاعوا ساموا، وإن شبعوا ناموا"<sup>(١)</sup>، وقال الهمداني عنها بأنها: "زَبْدُ جَفَاةٍ وَسَيْلِ غُثَاءٍ ٠٠٠ هُمْ أَحَدُهُمْ طَعْمُهُ وَنَوْمُهُ"<sup>(٢)</sup>، والعامة كما يرى الطرطوشي "بدون ساداتهم ٠٠٠ أجساد بلا رؤوس، وأشباح بلا أرواح"<sup>(٣)</sup>، بالإضافة الى أن هناك عدة نعوت تستخدم للدلالة على طبقة العامة في المجتمع مثل: لفظة راع<sup>(٤)</sup>، وسوقة<sup>(٥)</sup>، وعوام<sup>(٦)</sup>.

ونجد أن الجاحظ يعكس نظرة الخاصة الى العامة في المجال السياسي فيقول: "وإنما العامة أداة الخاصة تبذلها للمهن وتزجي بها الأمور وتطول بها العدو وتسد بها الثغور، ومقام العامة من الخاصة مقام جوارح الإنسان من الإنسان، فإن الإنسان إذا فكر أبصر وإذا أبصر عزم، وإذا عزم تحرك وهذا بالجوارح دون القلب، وكذلك الجوارح لا تعرف قصد النفس ولا تروي في الأمور ولم يخرجها ذلك من الطاعة الى العزم، فكذلك العامة لا تعرف قصد القادة ولا تدبير الخاصة ولا تروي معها، وليس يخرج مع ذلك من طاعة عزمها وما أبرمت من تدبيرها، وصلاح الدنيا وتمام النعمة في تدبير الخاصة وطاعة العامة، كما أن كمال المنفعة وتمام درك الحاجة بصواب قصد النفس وطاعة الجارحة"<sup>(٧)</sup>.

(١) الزمخشري ، جارش أبو القاسم محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، مطبعاني ، بغداد ، د.ت ، ج ١، ص ٤٠٢ .

(٢) ابن الفقيه الهمداني ، أبوبكر أحمد بن محمد ، مختصر كتاب البلدان ، ط ليدن ، ١٣٠٢هـ ، ص ١ .

(٣) الطرطوشي ، أبوبكر محمد بن محمد بن الوليد ، سراج الملوك ، ط ١، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص ٢١٠ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ ؛ الزبير ، أبو عبدالله مصعب بن عبدالله بن مصعب ، نسب قريش ، ط ٣، القاهرة ، د.ت ، ص ٤٢٩ ؛ المقدسي ، أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ، (وهو المطهر بن طاهر) ، البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت ، ص ٣ .

(٥) المقرئ ، المواعظ والاعتبار ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .

(٦) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مج ١، ص ٢٦٧ ، ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تج : محمد سعيد العربي ، دار الفكر ، د.ت ، ج ٣، ص ٣١٨ .

(٧) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، العثمانية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٢٥٠ .

فالصورة التي تمثل العلاقة بين الخاصة والعامة دائماً ما تكرر لها بعض المؤلفات، فقد تكررت العبارات التي تماثل بين العقل والقلب والرأس من جهة وبين الخاصة من جهة ثانية، ثم بين الأعضاء والجوارح والأدوات من ناحية وبين العامة من ناحية أخرى<sup>(١)</sup>.

لقد ميز ابن المقفع بين الخاصة والعامة في المعاملة على أساس وضعها الاجتماعي، فالانقباض والانحياز مع العامة، والانبساط والتودد مع الخاصة، وتقوم الخاصة، بحكم وضعها الذي يجعلها بين منزلتين، منزلة الأمير الذي يجب أن يطاع، ومنزلة العامة التي يجب أن تطيع، بمهمة حمل العامة على طاعة الأمير من خلال استخدامها لسلاح الكلمة والعلم، ويشرح ابن المقفع هذه المهمة بقوله: "وقد علمنا علماً لا يخالطه شك أن العامة قط لم تصلح من قبل أنفسها وأنها لم يأتها الصلاح إلا من إمامها... فاذا جعل الله فيهم خواصاً من أهل الدين والعقول ينظرون إليهم ويسمعون منهم واهتمت خواصهم بأمور عوامهم وأقبلوا عليها بجد ونصح ومثابرة وقوة، جعل الله ذلك صالحاً لجماعتهم وسبباً لأهل الصلاح من خواصهم"<sup>(٢)</sup>.

وعلى ضوء ذلك فإن الأمير يحتاج إلى الخاصة أيضاً لكن الخاصة لا تقوم بنفسها بل تستند في ذلك إلى الأمير، فهو الذي يمنحها النفوذ لدى العامة، إذ يقرر ابن المقفع ذلك بقوله: "وحاجة الخواص إلى الإمام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة إلى خواصهم وأعظم من ذلك... ويبين لهم عند العامة منزلتهم"<sup>(٣)</sup>.

ووفقاً لهذا المفهوم الذي أطلنا فيه عن طبقة العامة، فقد اشتملت هذه الطبقة على فئة الجند والرعايا والفلاحين وأرباب الحرف والصناعات.

#### ١- فئة الجند :

على الرغم من النظرة القاصرة نحو الطبقة العامة في المجتمع اليمني، فقد تميز كبار فئة الجند بمكانة رفيعة، على اعتبار أن بيدها مفاتيح الهدوء والاستقرار أو العكس،

(١) الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، ط ٣، بيروت، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٣٤٣.

(٢) ابن المقفع، أبو محمد عبدالله بن روزبه بن داوود، الأدب الكبير والأدب الصغير ورسالة الصحابة،

اشرف على طبعه: عمر أبو النصر، ط ١، دار التوفيق، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٤٠-١٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٢-٢٢٣.



ففي حين شكلت الفئة العسكرية عاملاً رئيساً في فرض النظام والقانون الى جانب الحاكم وفي أغلب المراحل التي مرت بها الدولة، فقد شكلت أيضاً مصدر خطر ضد الحاكم والدولة معاً مستغلة فترات الضعف التي مرت بها الدولة أيضاً . ولأهمية هذه الفئة فقد عمّد بعض الحكام الى استحلاف الجند بالطاعة لهم، وأكبر دليل على ذلك ما فعله الأتابك غازي بن جبريل، عندما تولى الحكم الأيوبي في اليمن بعد وفاة الناصر أيوب بن طغتكين، فقد استدعى الأتابك غازي قادة الجند والأمراء، وأخذ منهم البيعة لنفسه واستحلفهم بذلك على الطاعة، وفرق عليهم الأموال ولقب نفسه بالملك الظاهر أو الظاهر<sup>(١)</sup>، وقد تنوعت عناصر فئة الجند في عصر الدولة الأيوبية، فكان الأكراد والأتراك والمماليك هم العنصر الغالب في هذه الفئة، ولغلبة العنصر الكردي في الجيش الأيوبي فقد استفحل خطرهم ضد الملوك الأيوبيين، حيث قام الأكراد بقتل الملك المعز إسماعيل الأيوبي في زبيد سنة ٥٩٨هـ، ومع ذلك وجدت عناصر من رجالات القبائل في الجيش الخاص بالدولة الأيوبية، وكانت هذه العناصر هي الغالبة في عداد الجيش الخاص بالدول التي كانت قائمة في اليمن قبل السيطرة الأيوبية، وهي الغالبة أيضاً في جيش الدولة الزيدية التي ظلت شوكة باخصرة الدولة الأيوبية حتى زوالها من اليمن سنة ٦٢٦هـ، وكان من الأمور البديهة أن فئة العسكريين، وهم من طبقة العامة، كانوا يصعدون الى الفئة الحاكمة، وإن اختلفت طريقة الصعود، ففي حين كانت الزعامات القبلية أو المقربون منها هي أكثر الشخصيات صعوداً الى الفئة الحاكمة في مسيرة جيوش الكيانات اليمنية المحلية والى هرمها الأعلى كقادة عسكريين، كان الأمر مختلفاً في الجيش الأيوبي باليمن، فقد كان العسكريون يصعدون الى الفئة الحاكمة وفقاً للترقية التي يحصلون عليها والمحددة في لائحة النظام العسكري المتبع لديهم . ولذلك كان الأتابك في النظام الأيوبي من كبار القادة الأيوبيين، بالإضافة إلى أن ملوك وأمراء بني أيوب هم أنفسهم كانوا من كبار القادة<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٥٣ ؛ الأشرف الرسولي ، فاكهة الزمن ، ص ٣٠٣ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٠ .

(٢) انظر: ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٠-٢٩٤ ؛ السروري ، الحياة السياسية ، ص ٦٧١ .

## ٢- فئة الرعايا<sup>(١)</sup>:

وتمثل هذه الفئة السواد الأعظم من السكان، وتشمل أرباب المهن كالصناع والعمال والحرفيين وصغار التجار والموظفين والحمالين والصيادين والحراس وغيرهم . وعلى الرغم من أن فئة الرعايا من الفئات الدنيا، والتي ينظر إليها باحتقار من قبل الفئات العليا، إلا أن الحكام والسلاطين كانوا أيضاً يخافون سخط هذه الفئة، فيذكر أن الملك المعز إسماعيل بن طغتكين لما اعتنق مذهب الإسماعيلية وصار مالكا لليمن تشفع إليه أهل مذهبه بأن يأمر الخطباء في بلاد اليمن بأن يقفوا بالشيخين - أي أبوبكر وعمر - في الخطبة ويسبوهما، فقال لهم: "لا طاقة لي بالسواد الأعظم، فقالوا: اعمل ذلك بجبل، وكان أكثر سكناه بها، فقال: أستطيع ولا آمن أن يهجم علي العامة، فأمر خطيب جبل بإسقاطهما، فلم يفعل الخطيب ذلك، وسارت الأمور بسلام، ومع ذلك فقد أكد المعز خشيته من الرعية بقوله للشيعنة: والله لقد كنت خاشياً عليكم وعلى الخطيب أن تقع العامة بكم وبه"<sup>(٢)</sup> .

ويمكن القول إنه ربما نالت فئة الرعايا قسطاً وافراً من العطف في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، حيث كان بعض ملوك بني أيوب يفرقون بعض الأموال على الرعية المحتاجين، ويؤكد هذا حديث أحد الفقهاء مع أحد العامة الذي قال: "يا فقيه مشيت أحوالكم مع الغز بجلالكم واحترامكم حتى لم تذوقوا ما تذوقه المستضعفون من الناس، فنظر إليّ الفقيه وقال: ... وأن الغز أجروا العدل عليكم"<sup>(٣)</sup>، كذلك يذكر أن أحد الرعية من وادي سهام سافر من الكدراء<sup>(٤)</sup> إلى صنعاء يشتكي إلى الملك طغتكين بن أيوب ظلم ضامن سوق الكدراء الذي أخذ منه ثلاثة دراهم دون وجه حق، ومن شدة حرص الملك على الأخذ بحق الرعية، نزل إلى الكدراء واستدعى

(١) الرعية: هم عامة الناس الذين عليهم راع يُدبّر أمرهم ويرعى مصالحهم . المعجم الوجيز ، مجمع اللغة

العربية ، ط خاصة بوزارة التربية والتعليم ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٩٤م ، ص ٢٦٩ .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣٦-٤٣٧ .

(٣) المصدر نفسه والجزء ، ص ٤١٧ ، ٤١٩ .

(٤) الكدراء : مدينة تهامية خربة في وادي سهام ، والكدراء قرية عامرة في وادي سررد بالقرب من الزيدية .

الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ ، المقضي ، معجم ، ص ٥٥٢ .

الوالي على تلك الجهة وكذا ضامن السوق، فشئق ضامن السوق وصرف الوالي عن تلك الجهة وقال: "يظلم مثل هذا عندكم، ولا تنصفونه، وتكلفوه الوصول إلى أبوابنا وهو لا يقدر، والله لئن أتاني أحد شاكياً لأشئننَّ الوالي فلم يمد أحد يده إلى ظلم أحد بعدها"<sup>(١)</sup>، بل ولقد كان الملك طغتكين حريصاً كل الحرص على الرعية، فعندما قدم اليمن كان بصحبته أبو الحسن علي بن رسول، فجعله أميراً في جهات الحسينية وأوصاه بالعدل في الرعية<sup>(٢)</sup>. ومع ذلك فلقد كانت لفئة الرعايا مشاركة في مجريات الأحداث السياسية في الأرض اليمنية والتي استهدفت زعزعة أركان الدولة الأيوبية وإيقاض مضاجعها، ومنها العصيان الذي نفذته أهالي صنعاء سنة ٥٩٩هـ، ففي الوقت الذي خرج والي صنعاء الأيوبي وردسار حينها إلى كوكبان لجباية الأموال من أهاليها والخاصة ببيت المال، استغل أهالي صنعاء هذه الفرصة فثاروا وقبضوا على شمس الدين أخي وردسار، ودعوا للإمام عبدالله بن حمزة، وأقاموا الأذان بـ: (حي على خير العمل)، وعندما علم وردسار بذلك رجع إلى صنعاء على عجل وأطبق الحصار عليها، ولما طال الحصار طلب من الأهالي عقد الصلح، إلا أنهم رفضوا ذلك وراسلوا الإمام في طلب المساعدة ضد الأيوبيين، في الوقت الذي هو الآخر - أي وردسار - قد راسل الأتابك سنقر الذي كان حينها في تعز وطلب نجدة بعد أن أطلعه على مجريات الأمور في صنعاء، فطلع سنقر إلى صنعاء لنجدة وردسار، وما إن وصل صنعاء حتى رأى أهلها ما راعهم من كثرة عدد الجيش الذي طلع به، وعلموا أن لا طاقة لهم بذلك، فطلبوا الأمان على أنفسهم، فوافق على شرط أن يدفعوا له عشرة آلاف دينار وعشرة أفراس، وهي بمثابة عقوبة جزاء بما عملوا، فقبلوا الشرط، ونزل وردسار صنعاء لأخذ الحقوق، فسلك طريق الانتقام وأذاقهم أصناف العذاب تأديباً لهم فطال ذلك الرجال والنساء خصوصاً عندما عجزوا عن تنفيذ الشرط، فاضطر الكثير من الأهالي إلى بيع ممتلكاتهم الزراعية والمنزلية وتفرقوا أشتاتاً في كل مكان<sup>(٣)</sup>.

(١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٠٢-١٠٣؛ قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٥٢-٢٥٥٣.

(٢) المصدر نفسه، مج ٢، ص ٢٥٩٧؛ والحسينية: بلدة من نهضة تتبع بيت الفقيه تسكنها قبائل الزرانيق، الحجري، مجموع، مج ١، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٣) ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ١، ج ٢، ص ٢٢٤؛ ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٠٠؛ محمد عبدالعال، الأيوبيون في اليمن، ص ١٩٠-١٩٢؛ المروري، الحياة السياسية، ص ٦٧٢.

لم تقتصر مشاركة فئة الرعايا في الأحداث السياسية التي جرت في صنعاء فحسب، بل ولقد ساهمت في أحداث سياسية أخرى ضد الدولة الأيوبية كان أهمها: ثورة وصاب، ففي الوقت الذي تمكن فيه الأشراف الزيديون من السيطرة على أغلب المناطق الشمالية من اليمن، لم ير الأيوبيون بداً من السيطرة على وصاب لتكون كسرة لشوكة الأشراف، حيث كانت تابعة لنفوذهم، ثم بعدها يتم الاستيلاء على المناطق الأخرى تباعاً، حتى يتمكنوا من استئصال الأشراف في مناطقهم، إلا أنه حدث ما لم يكن يتوقعه الأيوبيون، ففي حين توجه وردسار من صنعاء والأتاك سنقر من زبيد نحو وصاب والالتقاء بها، رآهم أهل وصاب فاقترح عليهم رجل منهم يدعى محمد بن عيسى القراطي بأن لا طاقة لهم في مواجهة الجيش الأيوبي وأنهم يسلمون رهينة للأيوبيين كدليل على الطاعة ولكي تسلم مزروعات الأهالي من الخراب، فتشاوروا فيما بينهم ووافقوه على المقترح، ولما عرض على الأيوبيين ذلك الأمر رفضوا العرض وطمعوا في المزيد من الرهائن، وهذا الذي لم يوافق عليه أهل وصاب، ففضلوا دخول غمار المواجهة وتحمل نتائجها، ولاستبسال أهل وصاب بقيادة القراطي وانضمام العديد من العرب إليهم، تمكنوا من هزيمة الأيوبيين وتلقينهم درساً عظيماً في عدم الاستهانة بالعدو، فقتلوا منهم مائة وسبعين رجلاً، وقتل الكثير أيضاً من أهل وصاب<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك سعى أبو المعالي ابن أحمد الحرازي، وهو من أهل ريمة الأشباط، إلى عقد صلح يجمع أهل وصاب والأيوبيين بقيادة الأتابك سنقر، فنجح في ذلك وأقنع الطرفين، وبخاصة حين أدرك أهل وصاب أن الأيوبيين لن يتركوهم دون الانتقام، فتم الصلح الذي بموجبه عفا سنقر عن الأهالي وصفح عنهم، بل ولقد أكرمهم وضاعف الإحسان لهم، وكتب لأهل وصاب منشوراً بالصدقة عليهم ببلادهم، وأن لا مطلب عليهم، وعادوا إلى بلادهم<sup>(٢)</sup>، كذلك عارض أهل صبر في سنة ٦١١هـ، إلا أن الأيوبيين انتصروا عليهم<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٢٣-١٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٥؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٩٢.

(٣) وذلك في عهد الملك سليمان الأيوبي. انظر: ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٦٠؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٤٠٢.

## أ- الفلاحون :

من المعروف تماماً أن أهل اليمن حرصوا منذ الألف الثاني ق م ، على أقل تقدير، على الاستفادة من الأمطار الموسمية الغزيرة فأقاموا السدود للاستفادة من مياهها في إرواء أراضيهم وسقي مواشيهم، وقام السكان منذ القدم بتمهيد الأرض على شكل مدرجات سموها (الجروب)، وقد تنوعت المحاصيل الزراعية في أرض اليمن لاستغلالهم الأرض للزراعة على مختلف مستوياتها<sup>(١)</sup> .

ولذلك شكل الفلاحون فئة اجتماعية واسعة من السكان تعمل في فلاحه الأرض<sup>(٢)</sup>، وبدورهم ينقسمون الى فلاحين ومزارعين مأجورين (الأكرة)<sup>(٣)</sup>، لوجود نوعين من الملكية الخاصة بالأرض :

- ١- ملكية فردية غير واسعة من الأراضي وجدت في المناطق الجبلية ، والتي تطلبت فلاحتها جهوداً مضنية وشاقة، وربما كان مردودها الإنتاجي لايسمح باتساع هذه الملكية .
- ٢- ملكية واسعة من الأراضي الزراعية، وهذه وجدت في المناطق النهرية التي يظهر فيها كبار ملاك الأراضي<sup>(٤)</sup>، وهذا النوع من الملكية يعمل به المزارعون الأجراء، وهي حال الأراضي التي كان يملكها بعض الزعامات القبلية والسياسية والدينية، ومنها يتصدقون على العمال والطلاب وغيرهم .

ومما لا شك فيه أن الفقه الإسلامي قد حدد ثلاثة أنواع من العلاقات التي تربط أصحاب الملكية باليد العاملة من المزارعين وهي: المزارعة والمساقاة والمغارسة<sup>(٥)</sup>، وبصرف النظر عن كل ما سبق الإشارة إليه فإن الفلاحين يؤلفون غالبية السكان في المناطق القبلية، كما أنهم يرتبطون بعضهم ببعض بعلاقات وروابط

(١) البابا ، محمد زهير ، " اليمن والفلاحة العربية قبل الإسلام "، مجلة الإكليل ، العدد (١) ، صنعاء ، يناير ، ١٩٨٠م ، ص ١٩ .

(٢) للفلاحة: من المصدر فلاح الأرض اذا شقت للزراعة ، والفلاح الأكار ، إنما قيل له فلاح لأنه يفلح الأرض . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ .

(٣) الأكرة : هم عمال الأرض من الفلاحين . طرخان ، النظم الإقطاعية ، ص ٤٧٢ .

(٤) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ط ١ ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١٨٠ ؛ أبو غانم ، البنية القبلية في اليمن ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر: أبو يوسف ، الخراج ، ص ٩١ وما بعدها ؛ المودودي ، أبو الأعلى ، مسألة ملكية الأرض في الإسلام ، ترجمة : محمد عاصم الحداد ، ط ٢ ، الكويت ، ١٩٦٩م ، ص ٤٩-٨٦ ؛ كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ص ١٨٠ ؛ الشرجبي ، قائد ، القرية والدولة في المجتمع اليمني ، ط ١ ، دار التضامن ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص ٢٠٠-٢٠١ .

إنتاجية واجتماعية واحدة، ومراكزهم الاجتماعية متقاربة، وغالباً ما تضمهم مشاعر وأحاسيس واحدة تجاه بعضهم بعضاً وتجاه الآخرين من المراتب والفئات الأخرى، ويشكلون مرتبة اجتماعية واحدة، حيث إنهم يشتركون في أنماط سلوكية وعادات وقيم اجتماعية وأخلاقية واحدة، بالإضافة الى تقاربهم في مستوياتهم المعيشية ووسائل وطرق كسبهم ومهنتهم<sup>(١)</sup>.

ولذلك نجد أن وضع هذه الفئة قد تميز بعدم الاستقرار، من حيث التعامل معهم من قبل السلطة والحكام، فتارة يتم التعامل معهم برفق ولين ويتم إعفاؤهم من بعض الالتزامات المالية التي عليهم، وتارة أخرى يعاملون بقسوة ودون رحمة أو وازع من ضمير، ويتم التشديد عليهم، ويضيق عليهم الخناق، وهذا حالهم في أغلب الفترات التاريخية للدول التي قامت في اليمن.

ففي عصر الدولة الأيوبية، نستنبط الحالة التي كانت تعيشها هذه الفئة من خلال تعامل حكام وسلاطين بني أيوب معها، فيروى أن الملك طغتكين بن أيوب أوصى بالعدل على أصحاب الحرث فقد قال: "إن الفلاح يحرث ويسقي ويبيذر ويحصد ويعزق ويذري في الهواء ويجد مشقة عظيمة، فالواجب أن يرفق بهم"<sup>(٢)</sup>، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه قد شدد على أصحاب النخل، وأمر أن يُضَاعَفَ الخراج على نخيلهم؛ لأنه كان يرى أن أصحاب النخل لا يبذلون مجهوداً كبيراً وقال عنهم: "يجنون الثمر من العام إلى العام بدون عناء ولا تعب"<sup>(٣)</sup>، ورغم إشفاقه على أصحاب الحرث، إلا أنه بمضاعفة الخراج على أصحاب النخل قد أثر على فئة أخرى من الفلاحين، مما اضطرهم الى بيع أراضيهم والرحيل الى بقاع شتى.

#### ب - الحرفيون :

وهم أصحاب المهن من الصناعات<sup>(٤)</sup> الذين امتهنوا العديد من الصناعات التي بلغت

(١) أبو غانم ، البنية القبلية في اليمن ، ص ٢٣١ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٠ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) جاء عند ابن منظور ان الحرفة هي الصناعة فهما كلمتان مترادفتان ، والحرفة تعني الاكتساب . انظر:

لسان العرب ، ج ٨ - ٩ ، ص ٤٤ ، ٢٠٩ ؛ بينما تعني المهنة الخدمة ، ابن منظور، لسان العرب ، ج ١٣ ،

ص ٤٢٤ .

شهرتها أغلب البلاد العربية، بحيث شملت صناعة الوشي والثياب والبرود والنصب، وقد كانت الصناعات رمزاً لحضارة اليمن واليمنيين منذ القدم، ولنا خير دليل على ذلك من تعبير ابن الأزرقي الذي قال فيه: "وأما اليمن ١٠٠ وإن ملكها العرب، إلا أنهم تداولوا ملكها آلاف السنين واختطوا أمصارها ومدنها، وبلغوا المبالغ من الحضارة والترف، كعاد وثمود والعمالة وتبع والأذواء، فطال أمد الملك والحضارة، ورسخت الصناعة، فلم تبل ببلاء الدولة، فبقت مستجدة حتى الآن، واختصت بذلك كصناعة الوشي والنصب وما يستجد من حوك الثياب والحريز"<sup>(١)</sup>.

وقد برز الحدادون من فئة الصناع الحرفيين الذين كان لهم سوق خاص في صنعاء<sup>(٢)</sup> وإن كان ذلك قبل عصر الدولة الأيوبية، إلا أنه ربما استمر حالهم كذلك في عصرها، وكان الصناع والحرفيون في العادة يكتبون أسماءهم على أعمالهم بالإضافة إلى تاريخ الصنع ونوع الصناعة والبلدة التي صنع بها، سواء كان ذلك في مجال العمارة أم المنسوجات أم المصنوعات المعدنية، وعلى الرغم من الإشارات الكثيرة لهذه النواحي في العصر الرسولي وقلتها في العصر الأيوبي وخصوصاً في المجال الصناعي، إلا أن فئة الحرفيين في مجال العمارة كانت موجودة ولها بصماتها في عصر الدولة الأيوبية، فقد وجد اسم الحرفي عبدالله بن أبي الفتوح الذي عمل محراباً جصياً لجامع الجند أواخر العصر الأيوبي في اليمن أي في سنة ٦١٨هـ<sup>(٣)</sup>.

وتعتبر صناعة الذهب والفضة في اليمن من الصناعات المشهورة، فتدل صياغة الحلي والزينة على المهارة المتفوقة التي أجادها الحرفي اليمني في عصور مختلفة<sup>(٤)</sup>، وكذا صناع الجلود، حيث يبدو أن ملاك معامل الدباغة قد أثروا، ودرت عليهم الأرباح، فأصبحوا يمتلكون القصور، كما ذكر ذلك ابن رسته بقوله:

(١) ابن الأزرقي، أبو عبدالله، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٢) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٨٥.

(٣) خليفة، ربيع حامد، "توقيعات الصناع والفنانين على الآثار والفنون اليمنية الإسلامية"، مجلة الإكليل، العدد (٣)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ٨٣-٨٤.

(٤) الميمني، محمد، "الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء وآفاق تطورها"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٢٢)، صنعاء، أكتوبر-نوفمبر، سنة ١٩٨٥م، ص ١٧٠.

"عامّة هذه القصور للدباغين"<sup>(١)</sup> . ومن فئة الحرفيين وجد العمال، ومنهم عمال البناء الذين يعملون تحت يد شاد العمائر<sup>(٢)</sup> أو يعملون بشكل فردي، ويدل الفن المعماري الذي ميز ويميز بيوت صنعاء وقصورها على براعة العامل اليمني في البناء، وكان الجص من مواد البناء، مع أن عامل الجص برغم مهارته كان يتلقى أجره بسيطة لقاء عمله<sup>(٣)</sup>، وهناك الطيان الذي يغطي واجهات البيوت بكساء من الطين<sup>(٤)</sup>، وربما وجد من بين العمال من كان يتخصص في تقطيع الحجارة وتشكيلها<sup>(٥)</sup>.

ويمكن القول إنه في عصر الدولة الأيوبية في اليمن وجد الكثير من فئة العمال وخصوصاً في المدن الرئيسية مثل صنعاء وعدن، حيث كان هؤلاء العمال يقومون بأمر الحوانيت التي بنيت في تلك المدن، وكذلك الحمامات العديدة والمعاصر ومطاحن القرظ الذي تدبغ به الجلود والأدم<sup>(٦)</sup>، وما المقولة التي أطلقت على أهل اليمن أنه ليس فيهم إلا دابغ جلد أوناسج برد إلا دلالة قاطعة على رقي وتحضر الإنسان اليمني وإبداعه ومهارته في مجال الصناعات والحرف<sup>(٧)</sup>. تجدر الإشارة إلى أن العديد من هذه الفئة اشتغل في مجالات شتى، فكان منهم رعاة الماشية، والحمالون، وحراس ضيعات وصيادون وغيره، فمثلاً كان أكثر أهل منطقة المنذرية<sup>(٨)</sup> صيادين وحمارين<sup>(٩)</sup>، وكان أهل عدن مابين تجار وحمالين وصيادين للسماك<sup>(١٠)</sup>.

- (١) ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، مطبريل لين، هولند، ١٨٩١م، ج ٧، ص ١١٢ .  
(٢) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، معبد النعم ومبيد النقم، نج: محمد علي النجار وآخرون، ط ٢، مط الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٢٩ .  
(٣) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٢٤١ .  
(٤) السبكي، معبد النعم، ص ١٣٠ .  
(٥) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ج ٧، ص ١٠٩؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ٩٧ .  
(٦) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٥٠؛ ابن الفقيه الهذلي، مختصر كتاب البلدان، ص ٤٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤٨ .  
(٧) عمارة، المفيد، ص ١٨٧ .  
(٨) المنذرية: مدينة ساحلية على البحر الأحمر، فيها كثير من المنشآت المعمارية وبها مصانع للغلال والقرظ، ومن أشهر المراكز في دباغة الجلود، وقد ظلت عامرة حتى أضر بها علي بن مهدي سنة ٥٥٤هـ . ابن المجاور، المستبصر، ص ٩٧-٩٩ .  
(٩) ابن المجاور، المستبصر، ص ٩٩ . الحمارين هم رعاة الحمير وناقلي بعض البضائع على ظهور الحمير .  
(١٠) ابن بطوطة، الرحلة، ج ٢، ص ٢٥١ .



ونتيجة لتنوع فئة الحرفيين فقد كان لهم أثرهم الاجتماعي وتفاعلهم داخل المجتمع اليمني ، ومما لا ريب فيه أن هناك شرائح متعددة في المجتمع لا بد من وجودها، كالحلاقين والنجارين والكناسين والباعة المتجولين وكل من يمتنون المهن الدنيا، وإلى جوار هؤلاء سيوجد من يتأفف من امتنانها أولاً بحسنها بينما لديه القدرة على أداء واجبات أخرى في المجتمع، وهكذا تتعاون جميع الفئات والشرائح وتكمل بعضها البعض على الرغم من التفاوت والتفاضل فيما بينها، ويرى ابن بطوطة أن للتفاوت الطبقي حكمة ووظيفة، فالإنسان لا يستطيع القيام بجميع أعماله ووظائف المجتمع، فاختلف طبقات الناس يسهل قيام كل طبقة بعمل معين؛ ومن ثم تتعاون الطبقات الاجتماعية على تحقيق التكامل في الوظائف الاجتماعية<sup>(١)</sup> .

### ثالثاً- المذاهب الدينية :

انطوت عناصر السكان وطبقات المجتمع اليمني بفئاته المختلفة في عصر الدولة الأيوبية في إطار التمدد الديني السياسي والذي فرض نفسه عبر دعائه من مختلف الأقطاب الدينية، وأصبح يشكل ظاهرة بارزة في الحياة الاجتماعية لليمن . ومثلما شهدت الحياة الاجتماعية تقسيم السكان إلى عناصر وطبقات مختلفة ، شهدت أيضاً تقسيم السكان إلى مذاهب وطوائف دينية مختلفة، وفي ضوء هذا التنوع والتقسيم شهدت الحياة الاجتماعية حراكاً دائماً على مختلف المستويات، وفي ظل هذا الوضع الاجتماعي انقسم اليمنيون المسلمون إلى أربع طوائف دينية هي:

#### ١- أهل السنة :

وقد شكلوا الغالبية العظمى من سكان اليمن، فوجدوا في تهامة وجنوب اليمن والمناطق الجبلية الممتدة من صنعاء إلى عدن، وينتسبون إلى المذاهب الفقهية المعروفة في العالم الإسلامي، حيث كان مذهب الإمام الشافعي يتركز بشكل أكبر في جنوب اليمن فيما يسمى باليمن الأسفل وحضرموت<sup>(٢)</sup>، وكانت بداية انتشاره من

(١) ابن بطوطة ، الرحلة ، ج١، ص١٦٥ ، الشجاع ، عبد الرحمن عبدالواحد ، " زبيد بأقلام الرحالة : دراسة النصوص التي وردت عن زبيد في كتب الرحالة حتى منتصف القرن الثامن الهجري " ، مجلة كلية الآداب ، العدد (١٢) ، جامعة صنعاء ، ١٩٩١م ، ص ٢٧٩ .

(٢) ابن سمره ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٨٨ .

صنعاء الى عدن منذ القرن الرابع الهجري على يد الفقيه القاسم بن محمد القرشي الذي وصفه الجندي بقوله: "كان هذا القاسم من علماء اليمن وعظمائهم انتشر عنه المذهب انتشاراً كاملاً وطبق الأرض بالأصحاب حتى لم يكن لأحد في المتقدمين من أهل اليمن أصحاب كأصحابه كثرة وفضلاً"<sup>(١)</sup>، وازداد انتشاره بواسطة تلاميذه في بلاد اليمن<sup>(٢)</sup>، وقد دعا إلى ادخال بعض التجديدات ضد النزعة التقليدية التي كانت سائدة في ذلك العصر، ولا يعترف الشافعيون بالأولوية لأهل البيت ولا بالحق المقدس للزيدية، وهم يكثررون في السهول وسواحل تهامة والمرتفعات الوسطى في منطقة تعز وإب، وكذلك المرتفعات الشرقية<sup>(٣)</sup>، أما المذهب الحنفي فقد تركز في زبيد وماحولها<sup>(٤)</sup>، والمذهب الحنبلي انتشر في مناطق الجبال .

ولم يتدخل الأيوبيون في شؤون المذاهب المختلفة، ولم يفضلوا مذهباً على غيره، حتى أن الأتابك سيف الدين سنقر عندما بنى المدارس في زبيد بنى مدرسة للشافعية وأخرى للحنفية بجوارها<sup>(٥)</sup>، غير أن مذهب الإمام أبي حنيفة - وهو مذهب الأيوبيين الحاكمين - نال بعض النفوذ والانتشار على غيره من المذاهب .

## ٢- الزيدية<sup>(٦)</sup>

يعد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي مؤسس الدولة الزيدية في اليمن، وكان ذلك سنة ٢٨٤هـ، عندما قدم من الرس (جبل بالغرب من المدينة المنورة) وحضر إلى صعدة بناءً على

(١) السلوك ، ج ١ ، ص ٢٢٩؛ كذلك وصفه ابن سكرة بقوله : "كانت الشفعية وكتبها وشيوخها قبل القاسم بن محمد القرشي وأصحابه غير مشهورة في اليمن " . طبقات فقهاء اليمن ، ص ٨٠ .

(٢) ابن سمره ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٨٧-٩٠ ؛ للمزيد انظر : السروري ، الحياة السياسية ، ص ٦٠٨-٦١٩ .

(٣) الشعبي ، محمد مصطفى ، اليمن الدولة والمجتمع ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ١٩٧ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٨ .

(٥) إسماعيل الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص ٢٤ .

(٦) للزيدية عدة فرق هي : السليمانية ، الصالحية ، الجارودية ، والبترية . انظر : الشهرستاني ، محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، المثل والنحل ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت ، ج ١ ، ص ١٥٧-١٦١ ؛ وهذه الفرق تخالف أصول المذهب الزيدي في كثير من المسائل ، ولكن نسبت هذه الفرق واتباعها إلى الزيدية لقولهم بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأبنة يحيى بن زيد من بعده . ماضي ، محمد عبدالله (دولة اليمن الزيدية نشأتها ، تطورها ، علاقتها ) ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد (٣) ، عدد (١) ، مايو ، ١٩٥٠م ، ص ٢٢ .

دعوة قبائلها<sup>(١)</sup>، وبدأ في نشر مذهبه وإرساء قواعده، وقد ساعدت ظروف المنطقة الجبلية الشمالية بإمكانياتها الطبيعية المحدودة، ولكثرة المنازعات القبلية بها على انتشار المذهب الزيدي<sup>(٢)</sup>، وتعتبر الزيدية أكثر الطوائف الدينية في اليمن بعد أهل السنة، ويقطنون المناطق الشمالية، وقد ساعد هذا المذهب على إيجاد وحدة بشرية مترابطة في تاريخ اليمن<sup>(٣)</sup>، ومما لا شك فيه أن المذهب الزيدي كان يحمل في طياته الكثير من المبادئ والآراء المتحررة، وكان هذا من عوامل قوته، وسبباً من أسباب انتشاره، ولكن هذه المبادئ المتحررة نفسها كانت أيضاً من عوامل ضعف المذهب؛ فإجازة خروج الإمام لقتال الظلمة وجهادهم لم يمنع القبائل في المناطق الشمالية من الخروج على الإمام الهادي إلى الحق نفسه، ومن خلفه من الأئمة الزيدية، ذلك أن من طبيعة هذه القبائل الثورة على أية دولة مركزية سواء أكان خروجاً على الإمام أم غيره<sup>(٤)</sup>. يذكر أن المذهب الزيدي يعتبر أقرب المذاهب الشيعية إلى مذهب أهل السنة، وليس هناك خلاف إلا في مسألة الإمامة، وما عدا ذلك فهي خلافات بسيطة في الفروع<sup>(٥)</sup>. وقد اختلف متأخرو زيدية اليمن بدورهم إلى فرقتين وذلك قبل قدوم الأيوبيين هما: - المَطَرَفِيَّة: وتُنسب المَطَرَفِيَّة إلى مَطَرَف بن شهاب أحد علماء الزيدية الذي ألف بعض الكتب في فروع المذهب الزيدي والعقيدة الزيدية<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: العلوي، سيرة الهادي إلى الحق، ص ٣٦، ٤١؛ الجرافي، المقتطف، ص ١٦٧-١٧٠؛ علي محمد زيد، تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، ط ١، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ١٩٩٧م، ص ٥٧.

(٢) الشعبي، اليمن الدولة والمجتمع، ص ١٤٢-١٤٣؛ سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٩٥-٩٧.

(٣) الشعبي، اليمن الدولة والمجتمع، ص ١٤٣؛ العطار، محمد سعيد، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، المطبوعات الوطنية الجزائرية، ١٩٦٥م، ص ٩٧.

(٤) الشعبي، اليمن الدولة والمجتمع، ص ١٤٣؛ الشماحي، عبدالله بن عبد الوهاب المجاهد، اليمن الإنسان والحضارة، منشورات المدينة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٩٨-٩٩.

(٥) أحمد حسين شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، ط ١٠، مط الكيلاني الصغير، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج ٤، ص ٣٧.

(٦) للمزيد انظر: أيمن فؤاد سيد، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٢٤١-٢٥٨؛ عسيري، الحياة السياسية، ص ٢٩٥؛ السروري، الحياة السياسية، ص ٦٢٤.

والمُخْتَرَعَةُ<sup>(١)</sup> .

وقد حاول الأيوبيون عند دخولهم اليمن القضاء على المذهب الزيدي، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع، حيث حافظ الزيدون على بقاء مذهبهم في اليمن عن طريق ظهور الأئمة الزيدية وكفاحهم في فترات ضعف الأيوبيين، فقد ظهر الإمام عبدالله بن حمزة في الوقت الذي توفي فيه الملك الأيوبي طغتكين بن أيوب، ودعا لنفسه بالإمامة، وتمكن من كسب الأنصار إلى جانبه خصوصاً من الذين خرجوا على طاعة الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، واستطاع بواسطتهم دخول صنعاء وبسط السيطرة عليها لفترة معينة، ثم بعد ذلك استعادها الأيوبيون، ثم خاض معارك عدة مع بني أيوب في مناطق مختلفة من اليمن؛ فعندما توفي الملك الناصر سنة ٦١١هـ، سار الإمام إلى صنعاء وطرد الحامية الأيوبية منها، وفي عهد الملك المعظم سليمان بن شاهنشاه الأيوبي وصل إلى نمار<sup>(٢)</sup>، وبذلك استطاع خلالها أن يحصل على مكاسب دينية، وذلك بالاحتفاظ ببعض المناطق وبقائها على أصولها الزيدية، وعلى الرغم من التقليل من النفوذ الزيدي الذي حصل في عهد الملك المسعود الأيوبي، فقد احتفظوا بهضبة شمال صنعاء وخاصة صعدة، وظلت الزيدية في أغلب فتراتها مسيطرة عليها محافظة على بقاء المذهب الزيدي فيها، كذلك حاول الزيدون نشر مذهبهم خارج تلك المنطقة، ولم يتمكنوا من ذلك الأمر تماماً أو كما عبر عن ذلك السروري قائلاً: "كانت فيما بين المد والجزر"<sup>(٣)</sup>، أي أنهم تمكنوا تارة وفي فترات معينة من ضعف الأيوبيين من بسط سيطرتهم على مناطق واسعة من اليمن، وتارة أخرى انكمشت سيطرتهم عليها فرجعوا إلى مناطقهم التقليدية التي تم الاحتفاظ بها بعيداً عن السيطرة الأيوبية ومذهبها السني .

٣- الإسماعيلية<sup>(٤)</sup>:

(١) سمو كذلك لقولهم باختراع الله الأعراض في الأجسام . انظر: عسيري ، الحياة السياسية ، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن اللديع ، قرّة العيون ، ص ٤١١ .

(٣) السروري ، الحياة السياسية ، ص ٦٢٦ .

(٤) طائفة من الشيعة يقولون بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق ، ومن إسماعيل انتقلت إلى ابنه محمد بن إسماعيل ، ومنه ابتدأ الأئمة المستورين . الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٩١-١٩٢ ؛ الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ١٢٧-١٢٨ .

هم طائفة من الشيعة، وقد انتشرت دعوتهم في اليمن على يد علي بن الفضل وابن حوشب منذ سنة ٢٦٨هـ<sup>(١)</sup>، وكانوا قد أسسوا لهم دولة عظيمة في اليمن هي الدولة الصليحية، وبعد انتهائها ظل بنو حاتم وآل زريع على اعتقادهم بالمذهب الإسماعيلي، وكانت لهم كيانات كبيرة زالت بدخول الأيوبيين اليمن وتمكنهم منها، حيث كان الإسماعيليون يقيمون في بعض المدن مثل جبلة وصنعاء وعدن، وفي بعض مناطق الجبال الحصينة مثل حراز، وفي عصر الدولة الأيوبية ضعف أتباع هذا المذهب حتى أصبح عددهم قليلاً، يعيش أغلب هذا العدد في المدن، ويحترفون التجارة، وجلهم من الأغنياء، والإمامية الإسماعيلية يقول أتباعها بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق الذي مات في عهد أبيه، ثم أبناء إسماعيل حتى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب، وتعرف الإسماعيلية أيضاً بالسبعية لأن إسماعيل هو الإمام السابع، وبذلك اختلفوا مع الإثناعشرية والقائلين بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهو عندهم الإمام السابع والإثناعشرية يعتبرون محمد بن الحسن العسكري هو آخر إمام عندهم والذي اختفى في سنة ٢٦٠هـ، والذين يعتقدون أنه سيعود في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان لطائفة الإسماعيلية بعض الأتباع في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، لكنهم لجأوا إلى ممارسة شعائره بطريقة سرية، ولم يكن لهم أي نشاط علني يذكر إلا في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، على حسب ما تشير إليه بعض المصادر<sup>(٣)</sup>؛ عندما حاولوا أن يكون لهم بعض النفوذ في الدولة، على اعتبار أن الملك المعز كان يدين بالمذهب الإسماعيلي، وكانت سياسة الأيوبيين تتميز

(١) انظر: الحمادي، محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٢٢؛ الحميري، الحور العين، ص ٢٥٢-٢٥٤؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ١٩١ وما بعدها؛ الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ١٢٩ وما بعدها.

(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٠٠؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٦٢-٦٥؛ الحميري، الحور العين، ص ٢١٦-٢١٧؛ وللمزيد من المعلومات عن الدعوة الإسماعيلية قبل العصر الأيوبي، انظر: بلغير، محمد صالح، "العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية في عصر الدولتين الصليحية والزيرية: دراسة للمصادر المكتوبة والأثرية"، مجلة اليمن، العدد (٢٥)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ١٢٢-١٢٨.

(٣) الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٨٠؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٧٣؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٩-٢٠.

باللبن والتسامح تجاه أتباع المذهب الإسماعيلي، وعدم التدخل في شئونهم الخاصة، فحاولوا إظهار مذهبهم ولكن محاولتهم باءت بالفشل . ومهما يكن من أمر فقد استمر الإسماعيليون في الاحتفاظ بمذهبهم متمتعين بحماية سلاطين بني حاتم الإسماعيليين، وثابر علماءهم على البحث والتأليف وجمع شتات الفكر الإسماعيلي في كتب ومؤلفات ضخمة، فكانت فترة الحكم الأيوبي في اليمن تمثل قمة النشاط العلمي بالنسبة للدعوة الإسماعيلية<sup>(١)</sup>، وكان لبعض العلماء منهم منزلة عالية عند بني أيوب<sup>(٢)</sup>، وقد قرب بعض الملوك والأمراء إليهم الإسماعيلية للاستعانة بهم ضد الزيدية .

#### ٤- الخوارج :

وأخيراً وجدت في اليمن الى جانب المذاهب والطوائف الدينية السالفة الذكر، فرقة الخوارج التي كانت في اليمن منذ فترات قديمة، واستمر وجودها حتى عصر الأيوبيين، فقد وجدت الإباضية<sup>(٣)</sup> في حضرموت، وكذلك وجد بعض الخوارج في منطقة زبيد<sup>(٤)</sup>، وقد حاربهم الأيوبيون عند دخولهم اليمن، وطاردوا أتباع المذهب الخارجي خصوصاً من أصحاب ابن مهدي الخارجي في زبيد، ونتيجة لذلك التجأ من بقي منهم الى الجبال القريبة، أي شرق زبيد في منطقة الشرف<sup>(٥)</sup>؛ كما وجدت طائفة من الإباضية في مغارب صنعاء ومعظمهم من همدان<sup>(٦)</sup>؛ كذلك بدت ظاهرة الاعتزال<sup>(٧)</sup> والتصوف ظاهرة عامة داخل المجتمع اليمني ووجد لها أنصار في العصر الأيوبي، حيث أعلن أحد الصوفية الثورة وانضم إليه الكثير من الناس،

(١) بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٧٤ ؛ الهمداني وحسن محمود ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ص ٢٩٧ .

(٢) الهمداني وحسن محمود ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ص ٢٩٢ .

(٣) للمزيد انظر : الحميري ، الحور العين ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٧٩ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة .

(٦) الحميري ، الحور العين ، ص ٢٥٦ .

(٧) للمزيد من التفاصيل عن الاعتزال انظر : مفتاح ، سالم فرج ، حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة ، العاشر والسابع عشر للميلاد بين الإباضية والمعتزلة (مشروع رؤية) ، ط ١ ، دار حضرموت للدراسات والنشر ، المكلا ، الجمهورية اليمنية ، ٢٠٠٦ م ، ص ١٧٥-١٧٦ ، ١٨٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ .

وهذا الصوفي الذي اسمه (مرغم) كان إسكافياً، وأنصاره من الفقراء، حيث كانت الصوفية في العصر الأيوبي تتمتع بنفوذ واسع، حتى أن الملك سليمان بن شاهنشاه الأيوبي لما قدم إلى اليمن لحكمها عندما دعت أم الناصر دخلها بلباس الصوفية، وأسماء الناس بالصوفي<sup>(١)</sup>.

نخلص مما تقدم إلى أن تكوين الطبقات الاجتماعية في اليمن كان قائماً على أساس الانتماء الوظيفي من حيث اشتراك أهل الفئة الواحدة في وظيفة اجتماعية واحدة سواء كانت علمية أم مهنية أم حرفية أم إدارية وحكم، إلا أن الحواجز الاجتماعية بين الفئات العليا والفئات الدنيا لم تكن عائقاً حقيقياً أمام الاتصال والتفاعل الاجتماعي، حيث كان المجتمع يتعامل بمرونة تجاه الوضع الاجتماعي ومتغيراته المختلفة، فيسمح بالتنقل من فئة إلى أخرى وفقاً لتزايد النشاط الطبقي المتعدد وسط المجتمع اليمني، وربما أن النظام الاجتماعي الذي ساد اليمن في عصر الدولة الأيوبية كان يركز في الأصل على مفهوم التفاضل الاجتماعي والديني والسياسي الذي يتحدد بموجبه الاختلافات في المراكز والأدوار وممارسة النشاط الاقتصادي بين الأفراد الذين ينتمون إلى فئات اجتماعية متميزة تحتل كل منها مكانة اجتماعية معينة ومحددة، بحيث تفرض على كل فئة منها سلوكاً معيناً وواجبات معينة، كما تحدد طبيعة العمل الذي يجب على أفراد كل فئة القيام به، بالإضافة إلى تحديد العلاقات العامة بين أعضاء الفئات المختلفة ووضع النظم والقواعد المرسومة والمعلومة التي يجب أن تسلكها الدولة إزاء الفئات أو الجماعات الأخرى التي تعيش تحت حماية الدولة، وكذا علاقات هذه الفئات أو الجماعات برجال الدولة، سواء كان مؤيداً أم معارضاً. كذلك يمكن القول إن ترتيب الفئات الاجتماعية كان قائماً على أساس سلطان الفئة الاجتماعية ونفوذها ومستوى حياتها، ولم يكن قائماً على أساس دور كل فئة، إذ إن دور كل فئة يقدره المجتمع، ومن ثم نجد أن العلاقات تكون أقوى بين الأشخاص الذين ينتمون إلى طبقة أو فئة واحدة، كما هو الحال بالنسبة للأشخاص الذين ينتمون إلى وحدة حاكمة، سواء كانت قبلية أم دينية أم سياسية أم حتى وحدات

(١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٥٨-١٥٩؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٤٠١.

حرفية ومهنية، ومن ثم نجد أن لكل فئة اجتماعية معينة دوراً تلعبه داخل المجتمع، وكل فئة تؤدي وظيفتها ومسئوليتها الملقاة على عاتقها على وفق المفهوم الاجتماعي السائد والذي يحدد الأدوار لكل طبقة أو فئة أو مرتبة اجتماعية، وعليه يمكننا أن نقرر أن المراتب أو الفئات الاجتماعية، وإن تعددت، قد لعبت دوراً كبيراً في التماسك الاجتماعي، فقد تقوم فئة الحكام بأعمال وأدوار أكثر أهمية في مجال تأمين المجتمع وتحقيق العدالة بين أفراده، بينما تقوم فئة العلماء بدور ذي أهمية أكبر من خلال نشرهم العلم والمعرفة في أوساط المجتمع، والحال في فئة الرعايا والتجار الذين يقدمون بدورهم للمجتمع الكثير من الخدمات في شتى المجالات المعيشية والاجتماعية، ومن هنا فإن الفئات الاجتماعية التي تميز البناء الاجتماعي في اليمن كانت ولا تزال من أهم العوامل التي ساعدت على استمرار المكونات البنائية القرابية والسياسية والدينية وحافظت على علاقات التماسك والتضامن الاجتماعي في اليمن على مدى مراحل التاريخ المختلفة .



## **الفصل الثاني**

### **مظاهر الحياة الاجتماعية**

## أولاً - مكانة المرأة في المجتمع اليمني :

مما لا ريب فيه أن المرأة اليمنية قبل ظهور الإسلام كانت تتعرض لقسوة الرجال بشتى أصنافها وكانت ممتهنة وليس لها حقوق، وما أن ظهر الإسلام حتى بدأت المرأة تنال حظوة داخل المجتمع، خصوصاً وأن الشريعة الإسلامية عدلت من وضع المرأة، فقد حررت إنسانية المرأة روحاً وجسداً، ووضعت الرجل والمرأة في الحق الإنساني متساويين، وساوت بينهما في الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾<sup>(١)</sup>، ولقد بين القرآن الكريم أيضاً المساواة بين الرجل والمرأة، والتباين بينهما يكون بالأعمال وما يحسنه كل منهما، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْشَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ومع كل ذلك، فقد عاشت المرأة بعد انتشار الإسلام أيضاً في شبه عزلة، وتعرضت للقسوة<sup>(٣)</sup>، فمن ناحية اقتصر اهتمامها على تحمل أعباء الأسرة، فهي التي ترعى الشئون المنزلية، فتقوم بخدمة زوجها ونظافة بيتها، وتهتم بأبنائها وترعاهم وتغسل ملابسهم وتهتم بنظافتهم ومظهرهم، وتحيطهم بعطفها، وكانت المرأة اليمنية تشارك أهلها أو زوجها إن كانت متزوجة في الأعمال الزراعية وخصوصاً في المناطق الريفية، فتقوم بالحرث أحياناً والبذر أحياناً أخرى؛ ومن ناحية أخرى فقد ساهمت في الخدمات العامة فكانت تعمل مع الآخرين، فتقوم بالرعي وجلب المياه على أكتافها أو رأسها من الأماكن البعيدة، وخصوصاً التي تتوفر فيها عيون الآبار والأنهار، كما كانت تعمل بالأجر في حقول الآخرين<sup>(٤)</sup>.

كذلك كانت للمرأة اليمنية مساهمة غير قليلة في الأعمال التجارية، فقد كانت بائعة للمنتجات الزراعية والحيوانية في الأسواق، وكانت تتحمل رحلة البعء في

(١) سورة النساء، الآية رقم (١) .

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم (١٩٤) .

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٦٣ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠١، ١٥٣، ١٨٦ .

شئونها التجارية، حيث كانت تحمل البضائع الثقيلة على ظهرها ذهاباً إلى السوق لبيعها، وإياباً إلى البيت بما اشترته من مستلزمات أو حاجيات لبيتها، ويظل حالها كذلك حتى نهاية عمرها، وقد وصف لنا ابن المجاور حال المرأة اليمنية في مجال التجارة بقوله: "فَتَقْبِلُ ٠٠ وعلى ظهرها كارة، وعلى قدر شيلها تحط في السوق، فتبيع ما معها وتشتري حوائجها، وترفع كارتها على ظهرها ٠٠ وتقطع الجبال والأودية والشعاب والسهل والجبل واللين والوعر، وهذا كله، ولم تحط الكارة من ظهرها، ولم تسترح، ٠٠ وتبقى على شغلها ذلك الى الممات"<sup>(١)</sup>.

بالإضافة إلى ما سبق، فقد كانت هناك أيضاً أعمال كثيرة ملقاة على عاتق المرأة في المجتمع اليمني ترزح تحت وطأتها، وبخاصة في المجتمعات الزراعية الريفية، فهذا مسلم اللحجي يعدد لنا بعض أعمال المرأة اليمنية بقوله: "وإنما ينكح الزراع امرأة تطحن وتعجن وتخبز وتغزل، وتقوم بخدمة كثيرة لزوجها وضيغه وولدها وخدمتهم، وغير ذلك من رقع ثوبها وغسله، وتنظيف بيتها وكنسه ونحو ذلك وسواه من أعمال"<sup>(٢)</sup>، ولم يقتصر عمل المرأة في المجتمع اليمني على هذا فحسب، ففي سبيل توفير حاجات بيتها ومستلزمات أسرتها عملت في بعض الصناعات، مثل القفّاع الذي كان تصنعه نساء عدن<sup>(٣)</sup>، وينزلن الأسواق لبيع بضاعتهم ٠ هذا وقد احترّف الكثير من نساء الطبقة العامة غزل الصوف الذي كان يُعمل على الطريقتين: الفارسية والحميرية<sup>(٤)</sup>.

أما المرأة اليمنية في المدينة، فقد كانت تقضي حياتها في البيت، وينصرف كل اهتمامها إلى حياتها العائلية، وكانت أكثر التزاماً بالحجاب من المرأة في

(١) المستبصر، ص ١٩١-١٩٢ ٠

(٢) اللحجي، مسلم بن محمد بن جعفر، تاريخ مسلم اللحجي وطبقات مشاهير اليمن، مخطوط مصور بالمكتبة الخاصة بالدكتور علي قاسم عقّان رئيس قسم التاريخ بكلية التربية صبر، ق ٢٧٨ ٠

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ١١٣٧ والقفّاع: مفرداً قَفَعَةً وهي الجُلَّةُ بلغة اليمن يُجملُ فيها القطن ٠ ابن منظور، لسان العرب، مج ٥، ص ٣٧٠ ٠

(٤) في الطريقة الفارسية يدخل الإبهام على الأصبع الوسطى من فوق الغزل، أما الطريقة الحميرية يخرج الأصبع الوسطى على الإبهام في الغزل ٠ ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٥٦ ٠

## الريف في العصور الإسلامية المختلفة<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من شحة المعلومات، بل وندرتها في المصادر، عن دور المرأة اليمنية في المجالات الثقافية والعلمية في عصر الدولة الأيوبية، إلا أنه من غير المستبعد أن يكون لها دور فاعل وخصوصاً نساء الطبقة الخاصة، فتعدد المدارس والأسبلة والمساجد وغيرها من المنشآت التي أقيمت في ذلك العصر، ليس بمنأى عن إسهام المرأة اليمنية، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة، فحلقات العلم التي كانت تعقد في مدارس العلماء ومنازلهم ويحضرها العديد من الدارسين، كان أولئك العلماء يتكفلون بإطعام طلاب العلم، ومن ثم كان نساء الطبقة هذه هن من يقمن بواجب الإعداد والتحضير والتجهيز للوجبات أو الأكلات التي يقدمنها للدارسين لتناولها، والعبارة التي أوردها اللحجي عن المرأة وتعدد مهامها شملت نساء الطبقات العامة والخاصة من هذه الناحية، فقد ذكر أن المرأة تقوم بخدمة زوجها وضيافته<sup>(٢)</sup>، والضيف في هذه الحالة ربما يكون من طلبة العلم، وبذلك فقد أسهمت المرأة في الحياة الاجتماعية بطريقة غير مباشرة كما في خدمة العلم والمتعلمين وعلى مدى المراحل الزمنية المختلفة .

كما أسهمت المرأة وتحديداً من نساء الطبقة الخاصة في الأعمال الخيرية، ومنها التصدق على الفقراء والمحتاجين، فابن الأثير يشيد بالدور الاجتماعي لإمرأة عبدالنبي مهدي في بداية عصر الدولة الأيوبية، ويذكر أنها كانت صالحة كثيرة التصدق، لاسيما إذا حجت، فإن فقراء الحاج كانوا يجدون عندها صدقة وخيراً كثيراً ومعروفاً عظيماً<sup>(٣)</sup>، كذلك كانت منيرة زوجة يحيى بن فضل الذي تفقه على يد والد زوجته أبي محمد عبدالله بن سالم الأصبحي، فقد كانت كثيرة التصدق، وكانت من صالح

(١) وخصوصاً بعض النساء في المدينة ، أما في الريف فإن أغلب النساء كن يعملن في الزراعة ولذلك فقد كن كاشفات الوجوه ، ونستدل على ذلك مما ذكره ابن المجاور بقوله : " إذا خطب زيد بنت عمرو وأنعم له بذلك يقول زيد لعمرو : أريد أشاهد جمال كربتك فيقول له عمرو: أقدم إلى السوق الفلاني فإنها تتوعد به، شاهدها في بيعها وشرائها وجمالها " . المستبصر ، ص ١٩١ .

(٢) اللحجي ، تاريخ مسلم اللحجي ، ق ٢٧٨، انظر أيضاً: سيجر، كيرين اليزابيث، "المرأة والتغيير في الجمهورية العربية اليمنية (دراسة نظرية)" ، عرض وتعريب: عبدالوهاب المقالح ، مجلة دراسات يمنية ، العدد (٣٥)، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، ١٩٨٩م ، ص ١٥٧-١٦٩ .

(٣) الكامل في التاريخ ، مج ١٠ ، ص ١٨ .

زمانه وقد أنجبت أولاداً صالحين<sup>(١)</sup>.

كذلك لا ننسى أن المرأة في عصر الدولة الأيوبية قد كسرت قيود العزلة، وشاركت في الحياة السياسية والاجتماعية وبالذات من نساء الطبقة الخاصة، فمن نساء بني أيوب استطاعت أم الناصر بن أيوب بن طغتكين أن تتخطى العزلة وتتدخل معترك الحياة السياسية وإلى جانبها أختها وبعض نساء القصر، فبعد مقتل الناصر على يد غازي بن جبريل سنة ٦١١هـ، تولت مقاليد الحكم أم الناصر، فاضطربت عليها البلاد، وراحت تصب جام غضبها على غازي بن جبريل وتعرض على التخلص منه إنتقاماً لمقتل ابنها، فعمدت إلى تحريض المماليك للأخذ بثأر الناصر، ونجحت في ذلك، حيث تخلص المماليك من غازي بن جبريل فقتلوه في مدينة إب<sup>(٢)</sup>، واستمرت أم الناصر في إدارة شئون الحكم لمدة ستة أشهر، لعدم وجود أمير من البيت الأيوبي يتولى شئون الحكم، فلما سمعت بوجود سليمان بن تقي الدين الأيوبي في مكة، استدعته إلى اليمن، فقدم إليها، وتأكدت من نسبه، فسلمته إدارة بلاد اليمن بعد أن قالت له: "إنا نخشى العرب أن تطمع فينا ونحن نساء لا حيلة لنا وقد ساقك الله إلينا فقم بملك ابن عمك واستول على ملك اليمن"<sup>(٣)</sup>، فحكم البلاد وتزوج من أم الناصر.

كما أن من النساء من عملت داخل المجتمع اليمني كخادمة وجارية في قصور الأمراء والحكام، واشتغلن لقاء أجر زهيد يتلقينه مقابل عملهن، واشتغلن أيضاً في الأعمال الشاقة، ونقل الأحجار على رؤوسهن من عدن والمياة من أبين والتي ذكرها ابن المجاور<sup>(٤)</sup> للتدليل على ما كانت تعانيه المرأة تحت وطأة الأعمال الشاقة.

(١) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٣٣٩.

(٢) ابن حاتم، المسط الغالي، ص ١٥٤؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٩٠؛ الكبسي، اللطائف السنية، ص ١١٩.

(٣) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٩١.

(٤) المستبصر، ص ١٢٦.

## ثانياً - الزواج وإجراءاته:

### ١ - الخطبة :

الزواج ضرورة من ضرورات الحياة، لذلك كان من مقدماته الخطبة والتي تبدأ بتقدم الشاب الراغب في الزواج إلى أهل الفتاة، وإظهاره الرغبة التامة في الزواج منها، فإذا ما تمت الموافقة على الخطبة وأبدى الخاطب استعداداه لتلبية كل الشروط والمطالب التي يفرضها أهل الفتاة من حلي وجهاز وكسوة، بالإضافة الى مقدار المهر المطلوب عاجله وآجله، فإن ذلك يعتبر الخطوة الرئيسة على طريق إتمام الزواج<sup>(١)</sup>.

وكان العرف المعمول به في أوساط المجتمع اليمني، لا سيما لدى السادة والأشراف وأبنائهم وكذا شيوخ القبائل وأفرادهم، يقوم على أساس التمايز الطبقي، بحيث ترفض بعض القبائل أن تزوج أبناءها وبناتها من أبناء وبنات قبائل أخرى غير مكافئة لها، وبخاصة فئة السادة وهي من فئة الحكام فإنها ترفض أن تزوج بنات أفرادها لأي فرد من خارج فئة السادة، وهذا يعني ان التمايز شمل أفراد الفئة الواحدة، علماً بأن السادة يسمحون لأبنائهم بالزواج من بعض الفئات الأخرى من خارج فئتهم وبخاصة من بنات مشايخ القبائل والقضاة<sup>(٢)</sup>، وكان الرجل يقبل على الزواج من فتاة تنتمي لنفس فئته حفاظاً على مكانته الاجتماعية، وذلك تحقيقاً للمبدأ المعروف بالتكافؤ الاجتماعي، ومن ثم لايتاح لمن ينتمي الى فئة متدنية في القبيلة الزواج من إحدى بنات الفئة العليا في القبيلة نفسها، وقد أدى هذا التمايز الاجتماعي القائم على أسس عصبية إلى بقاء الكثير من الفتيات دون زواج لعدم توافر الرجل الذي ينتمي الى فئة الفتاة نفسها، ولنا فيما ذكره الهمداني عبرة ومثل في التمايز الاجتماعي، فقد ذكر ان بني مالك من بني حي في صعدة كانوا يعظمون بني حرب ويقدمون على التزوج منهم، بينما كان بنو حرب لا يزوجون بناتهم إلا رجلاً منهم أو قرشياً<sup>(٣)</sup>.

(١) السوروري ، الحياة السياسية ، ص ٦٧٦ .

(٢) أبو غانم ، البنية القبلية في اليمن ، ص ٢١٣ .

(٣) الإكليل ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

وكانت بعض القبائل اليمنية ترفض مصاهرة بعض القبائل الأخرى لعدة أسباب منها: قيام النزاعات القبلية بين القبيلتين، ومنها التمايز الاجتماعي، حيث كانت بعض القبائل تنظر بعين الاعتبار إلى المستوى الذي ينتمي إليه المتقدمون للزواج، فقد كان أبناء القبائل يرفضون الزواج من بنات أصحاب الصناعات والحرف البسيطة كالحلاقين أو صانعي الأحذية أو غيرهم<sup>(١)</sup>، وحتى إن بعض القبائل تستعلي على بعض القبائل الأخرى فترفض الزواج منها وإليها وهو ما حدث عندما تقدم أحد أبناء بني سعد بن خولان القاطنين بصعدة لخطبة إحدى الفتيات من كرائم بني حي بن خولان فأكبر الأخيرون أنفسهم عليه، ورفضوا تقدمه إليهم، فألح في طلبه، فما كان منهم إلا الاعتداء عليه، فثار لذلك بنو سعد قبيلته وشنوا الحرب على الحي الآخر، ودامت الحرب بينهما مدة حتى انتهت بإخراجهم من صعدة، فاتجهوا إلى مصر واستقروا في الصعيد<sup>(٢)</sup>، ولذلك يمكن القول أن التمايز الطبقي دائماً ما يؤدي إلى النزاعات القبلية والصراعات المسلحة في أوساط المجتمع .

ونتيجة لوجود الفوارق الاجتماعية وتمسك بعض القبائل اليمنية بالقوانين الاجتماعية المتعارفة لديها، فقد فرضت أغلب القبائل والأسر بعض الشروط للموافقة على الخطبة واستكمال إجراءات الزواج ومن هذه الشروط: موافقة أهل الفتاة المطلوبة للخطوبة وأقاربها كافة، ولدينا على ذلك الشرط دليل وإن كان قبل عصر الدولة الأيوبية في اليمن، إلا أنه ربما ظل الحال كذلك في عصر الدولة الأيوبية وما بعدها، فيذكر أن جياش بن نجاح تقدم لخطبة إحدى فتيات الفرسانيين من أهل موزع<sup>(٣)</sup>، فأجاب بعض أوليائها، وامتنع البعض الآخر، وأفتاهم القاضي الحسن بن أبي عقامة الثعلبي بأن الزواج لا يصلح إلا برضا، الكل فأصروا

(١) الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٣٠٣ .

(٢) الهمداني ، الإكليل ، ج ٢ ، ص ٢٠٨-٢٠٩ ؛ حمّاد ، أسامة أحمد ، مظاهر الحضارة في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ط ١ ، الإسكندرية ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٤٨٣ .

(٣) موزع : مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من مدينة تعز بنحو ٨٠ كم ، وهي مركز الناحية التابعة لقضاء المخا في الوقت الحاضر . الحجري ، مجموع ، ج ٢ ، ص ٧٢٤ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤١٧ ؛ الوبيسي ، اليمن الكبرى ، ج ١ ، ص ٤٩ .

على الامتناع، ويقال إن القاضي وضع هذا الشرط دلالة على اعترافه بعدم كفاءة جيش، فاضطر جيش في النهاية إلى السعي لاستمالة الرافضين بالمال، فنجح في مسعاه فأجابوه، وتزوج من المرأة<sup>(١)</sup>.

تجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك عادة متبعة في الخطوبة وخصوصاً في المجتمع الريفي أو الزراعي، فمن أجل أن يتعرف المتقدم على الفتاة التي يريد خطبتها والتي ستصبح زوجة له ويتأكد من جمالها وصحتها ومناسبتها له ولمقدرتها بعد ذلك في العمل الزراعي والتجاري، وبعد أن ينال رضا أسرتها عن شخصه وقبلهم له خاطباً، يوافق الأب على مقابلة الخاطب لابنته، ويدله على السوق الذي تواعد به الفتاة، فيذهب الخاطب لمشاهدتها في بيعها وشرائها وجمالها، ويتابعها في طريق عودتها إلى منزلها، فإذا راقى له من حيث حالها وجمالها وشيئها وبيعها وشرائها وقوة صبرها، وإذا نالت رضاه وإعجابه وأستحسنها وقبلت به، فعند ذلك يملك بها ويدخل عليها<sup>(٢)</sup>.

يذكر أيضاً أن هناك عادة أخرى كانت متبعة أثناء الخطوبة، فعند حصول الخاطب على رضا أسرة الفتاة المطلوبة للزواج، وكذلك رغبة الخاطب بها، فإن أسرة الخاطب تقوم بزيارة أسرة الفتاة سواء كانت قريبة من مكان وجودهم أم كانت بعيدة، فيحملون معهم الهدايا مثل الحلوى والعطور والبخور وكذا بعض الأغنام والماعز<sup>(٣)</sup>، وهذه العادة متأصلة في المجتمع اليمني ومستمرة إلى يومنا هذا وبخاصة في المجتمع الريفي . كما وجدت عادة التنافس بين بعض الأفراد في خطبة امرأة واحدة، وهذا النوع كان كثيراً ما يحدث بين رجال السلطة من الأمراء والقادة، وبين الرجال الأثرياء، وذلك إذا ما كانت المرأة المتنافس عليها على قدر عال من الجمال أو المكانة الاجتماعية والسياسية، وقد تنافست مجموعة من قادة الدولة الناجحية في خطبة المغنية وردة مولاة عثمان الغزي لجمالها وصوتها الطروب الحلو<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر : ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٩١-١٩٢ .

(٣) الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٣٠٣ .

(٤) كان المتنافسون هم الوزير سرور الفاتكي ، والقائد إسحاق ، وإقبال الفاتكي ، فكانت من نصيب سرور

الفاتكي . عمارة ، المفيد ، ص ١٧٩-١٨٠ .



## ٢- المهر :

لم تخضع المهور داخل المجتمع اليمني في عصر الدولة الأيوبية لأي نظام أو قانون معين، وإنما كان يتم وفقاً لاتفاق الطرفين، وبما يتناسب مع الحالة المادية والمكانة الاجتماعية للزوجين، على أن الحسب والنسب ومكانة الأسرتين هي التي كان لها الدور الأكبر في زيادة المهور أو نقصانها . فظاهرة المغالاة في المهور كانت منتشرة في أوساط الطبقة الحاكمة، وتحديدًا بين أوساط السادة والأشراف وبعض أسر المشائخ، حيث يقدم هؤلاء على دفع مهر كبير لزوجاتهم تعبيراً عن الرفعة وإظهاراً لمكانتهم وتميزهم داخل المجتمع، وهذا ما أشار إليه الهمداني، حين ذكر أن المرانيين واللعيين، وهم أسر من قبيلة حاشد الهمدانية كانوا قد اعتادوا على دفع الصداقات<sup>(١)</sup> التي كانت تصل في أقل الحالات إلى ألف دينار وست جوار فرس وست جوار روم، ومثلها مؤجلة، الأمر الذي أدى إلى الحد من الزواج في بيوتات وأوساط هذه الطبقة الرفيعة<sup>(٢)</sup>، وعلى غير ذلك نجد قلة المهور في الطبقة الأقل مستوى عن الأولى، الأمر الذي أتاح فرصة الزواج بكثرة في أوساط وداخل بيوتات هذه الطبقة، وهو ما أكد عليه الهمداني بقوله: "وأما باقي همدان من - حاشد وبكيل - فيكثر من الأزواج عن خفة الصداقات فثرى عددهم"<sup>(٣)</sup>.

كما أن عادة أخذ المهور في المجتمع اليمني كانت تختلف من منطقة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى، ففي زبيد نجد أن النساء يأنفن من أخذ الصداق (المهر) من أزواجهن مقدماً، ويفضّلن تأجيله، لأن أخذ المهر مقدماً يعتبر عندهن إنتقاصاً لهن وعيباً كبيراً، اعتقاداً منهن أن المرأة تريد بذلك الطلاق، وقد عبر عن ذلك ابن المجاور بقوله: "ونساء أهل هذه البلاد، لم يأخذن [أ] من أزواجهن المهر، وأخذ المهر عندهم عيب عظيم، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها مفرقة أي أن زوجها أعطاهـا

(١) الصداقات : هو المهر لقوله تعالى: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)، سورة النساء ، الآية رقم (٤) ؛ والصداق

بمعنى المهر وهي لغة مدينة إب ومخاليقها . الهمداني ، الإكليل ، ج ١٠ ، ص ٥٠ ، (ح ٦) .

(٢) الإكليل ، ج ١٠ ، ص ٥٠ .

(٣) الإكليل ، ج ١٠ ، ص ٥١ ؛ والقول فثرى عددهم أي كثر عددهم .

مهرها وفركها أي طلقها<sup>(١)</sup>.

لذلك كانت المرأة تخشى أن تأخذ مهرها من زوجها<sup>(٢)</sup>؛ لأن ذلك يؤدي إلى قلة رغبة الرجال في الزواج منها، فعمد الكثير من أهل اليمن إلى تأجيل دفع الصداقات أو جزء منها إلى زمن غير محدد، فقد تموت الزوجة والصدّاق دين على زوجها، وقد يتوفى الزوج والصدّاق ما يزال في ذمته<sup>(٣)</sup>، ويمكن القول أن هذه الطريقة كانت قد ساعدت كثيراً العديد من الشباب في الإقبال على الزواج، وبخاصة ذوي الدخل المحدود منهم، ووفرت عليهم عناء الدفع مقدماً، بحيث كانوا يدفعون ما يستطيعون دفعه والباقي يظل ديناً في ذمتهم حتى يتمكنوا من تسديده .

وعلى الرغم من حصول المرأة على فرصة الزواج مرة أخرى وبخاصة المطلقة أو الأرملة، إلا أن مهرها كان قليلاً جداً وقد تتزوج بدون مهر، وهذه العادة كانت في سائر اليمن<sup>(٤)</sup> . وكانت نساء زبيد لا يمتنعن عن التزوج بالغرباء الذين يفدون إلى مدينتهم، وإذا تزوجت إحداهن بأحد الغرباء، فإنها تقنع منه بقليل النفقة والكسوة، ولكنها لا تقبل الرحيل معه إلى خارج أرض اليمن مهما يعطها من مال أو غيره، أما إذا سافر بقصد العودة فإنها كانت تودعه راضية وتتكفل بالإنفاق على أولاده إلى حين عودته، ولا تطالبه بنفقة ولا كسوة عن الأيام التي قضاها في سفره<sup>(٥)</sup>.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه بعد اتفاق والد الفتاة مع ولي أمر الشاب أو الخاطب، على المهر والشروط التي يطلبها، يحدد بعدها القران، ومن ثم تبدأ مراسم تجهيز العروسين والتي عادة ما كانت تتم وفقاً لمكانة العروسين والقدرة

(١) المستبصر ، ص ٨٥ .

(٢) كذلك كان الرجل يخشى من المرأة التي تأخذ المهر مقدماً فيقول عنها: "أخاف أن تأخذ مني المهر كما أخذت من غيري" . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٥-٨٦ .

(٣) انظر : الواسعي ، عبدالواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن المسمى: فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، مط حجازي ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ، ص ١٢٣ .

(٤) انظر : بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢، ص ٢٤٦٥ ؛ الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٣٠٣ .

(٥) ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

المالية لدى المتقدم، حيث كان العريس يقوم بتسليم أهل عروسه مبلغاً معيناً من المال على حسب قدرته لغرض تجهيزها وإقامة الولائم<sup>(١)</sup>، وفي مثل هذه التجهيزات كانت تقدم الكسوة والحلي للعروسة من قبل العريس ووفقاً لمكانتهم الاجتماعية أيضاً، ورغم إن الشواهد على مثل هذه الحالات كانت نادرة في عصر الدولة الأيوبية والتي كان من المفترض الاستدلال بها، إلا أنها كثيرة جداً في العصر الرسولي<sup>(٢)</sup>، وهي على أغلب الترجيح امتداد لما كان سائداً في العصر الأيوبي في اليمن، ولنا الحق هنا في أن نطرح تساؤل حول المدة التي كانت تستغرقها تلك التجهيزات، وما هي العادات المتبعة خلالها؟

ويمكن القول إنه في العصر موضوع الدراسة لم نجد إشارة صريحة إلى المدة التي كانت تستغرقها تلك التجهيزات، ولكن يمكن الاستشهاد على ذلك بما كان يجري داخل المجتمع اليمني في الفترات التي أعقبت العصر الأيوبي، حيث كان تجهيز العروس وإقامة الولائم يستغرق ثلاثة أيام على أقل تقدير، ففي اليوم الأول الذي يعرف بيوم الحَمَام، يقوم فيه أهل الزوجة بدعوة النساء من أقارب الزوج للذهاب معهن إلى الحَمَام، وبعد العودة إلى منزل العروس تقام الولائم لضيافة أهل الزوج<sup>(٣)</sup>، وفي اليوم الثاني الذي يعرف بيوم النقش، اعتاد اليمنيون فيه على التزين رجالاً ونساءً، فقد كان يقوم فيه العريس والعروس بتخضيب أيديهما وأرجلهما بالحناء<sup>(٤)</sup>، ويشاركهم في هذه العادة أخص نساء أقارب الزوج، وفي مساء اليوم نفسه تحضر المنشدة لتترنم ببعض الأشعار والمدائح النبوية والتي يتم فيها مدح أهل العروسين وذكر خصالهما الحميدة<sup>(٥)</sup>، أما اليوم

(١) اللواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ١٢٣.

(٢) فقد ذكر الخزرجي في سياق حديثه عن عرس الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكامل أحد أمراء الأشرف الثاني الرسولي، على ابنة الأمير سيف الدين سنجر صاحب القحمة، أن السلطان قام بتجهيزه تجهيزاً تاماً، فحمل له فرساً على اثنين وعشرين جملاً وأنواع مختلفة، وما يحتاج إليه من النحاس والصيني والأطباق والملابس شيئاً كثيراً، وكساه كسوة فاخرة. العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٣) اللواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ١٢٣.

(٤) الهمداني، الإكليل، ج ٢، ص ١٧٧؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ٧، ٨٦.

(٥) اللواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ١٢٣.

الثالث، المعروف بيوم الحفلة أو يوم الزفاف، ففيه يخرج العريس من منزل أسرته مزفوفاً من أهله وأصدقائه إلى البيت الذي هيء له، ويختلف الاحتفال بهذا اليوم طبقاً للمكانة الاجتماعية للعروسين<sup>(١)</sup>.

## ٢- الطرح :

وهي من أبرز العادات التي كانت مصاحبة للزواج في بلاد اليمن ويسمى الطرح في بعض البلاد العربية التقادير أو النقوط، وهو اسهام المدعوين رجالاً ونساء في العرس بمبالغ مالية يقدمونها كل على قدر حاله وسعة ماله، ويظل هذا الطرح ديناً على العروسين، عليهما رده بالقدر ذاته أو أكثر من ذلك في مناسبة مماثلة . أما عن كيفية هذه الطرح (النقوط) فقد كان الأهل والأقارب والأصدقاء يحضرون المناسبة ويبد كل منهم قرطاس مكتوب عليه اسم الطارح مع وزن المبلغ ويقدم أمام العريس الذي يضمه، وفي اليوم السابع يخرج العريس الطرح الذي طرح له، فيصبح رأس مال في يده يفتح منه دكاناً يعيش منه أو غير ذلك، وتظل عادة الطرح ديناً عليه الى ان تُرد في مناسبة مماثلة، وهذه العادة كانت منتشرة في سائر أقاليم اليمن<sup>(٢)</sup>، وكان هذا الطرح يقدم في مناسبات العرس والختان والولادة، وكان محتماً على المرأة اليمنية أن تُرد هذا الطرح أو النقوط بعينها في المناسبات المماثلة، ولذا فقد كانت تضحي بأعلى ما تملكه من أجل الوفاء بما عليها من النقوط، وإلا أصابها خزي كبير، فإذا أعطت المرأة في عرس يرُد إليها في عرس مثله، وإن كان في ختان رُد إليها في ختان مثله، وإن كان في الولادة رُد إليها في الولادة<sup>(٣)</sup>، وهذه العادة أو التقليد متبع في المجتمع اليمني خاصة والعربي عامة .

ومن ضمن عادات في الزواج داخل اليمن التزوج بالغرباء وقد ذكرنا زواج النساء من أهل زبيد، كذلك كانت العدنيات لا يمتنعن عن التزوج بالغرباء،

(١) ففي يوم زفاف الأمير بدر الدين الكامل ، خرج الأمير ممتطياً صهوة جواده مزفوفاً من باب داره إلى البيت الذي هيء له ، وكانت المماليك تحمل الشموع المزهرة أمامه وسائر المدعوين من الأمراء والمقطعين ووجوه الغز يمشون حوله إلى أن وصل إلى البيت المذكور . ابن الجاور ، المستبصر ، ص ٧٠ الخرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ؛ العسجد المسبوك ، ص ٢٨٦ .

(٢) ابن الجاور ، المستبصر ، ص ٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

وإذا رحل الزوج الغريب عن عدن فإن زوجته العدنية تنتظره إلى حين عودته، وكان من السهل أن تتكسب قوتها وقوت عيالها، وذلك بسبب ازدهار النشاط التجاري في عدن، كما كان من حقها أن تحصل على حكم شرعي بالطلاق إذا طالت غيبته<sup>(١)</sup>.

أما عادة النكاح في اليمن فربما كان العريس في شتى أنحاء اليمن لا يرى زوجته إلا في ليلة الزفاف وهذا ما أكد عليه الفقي<sup>(٢)</sup> وإن كانت هناك بعض الاختلافات في عادة النكاح من مدينة إلى أخرى وجدناها عند ابن المجاور، فبينما يشير إلى أن أهل ذمار كانوا يتساهلون في الزواج قليلاً، إذ كان الرجل إذا أراد أن يخطب بنتاً يقول له أبوها: أقدم إلى السوق الفلاني، سترأها فيه، شاهدها في بيعها وشراءها وجمالها وكمالها، فينتظرها العريس على قارعة الطريق حتى يراها قادمة حاملة معها ما تريد بيعة وتشترى متطلباتها، ويتبعها وهي تقطع الجبال والأودية، فإذا أعجب الرجل حالها وجمالها وبيعها وشرائها وصبرها على حمل الثقيل عند ذلك يتزوجها<sup>(٣)</sup>، نجده كذلك يشير إلى عادة النكاح في المناطق الواقعة شمال زبيد مثل قرى الزربية والعنبرة والهرمة والقريشة، فيذكر أن من عاداتهم عدم ظهور البنت وعدم السماح لها بالتزين، إلا إذا عقد نكاحها وقُطع مهرها وسلم دَفْعُها، بعد ذلك يسمح بظهور البنت بالطبل والدفوف على رؤوس الأشهاد بالمهامين والضيافات والطرح والتسليم<sup>(٤)</sup>.

وربما كان ظهور البنت على العريس مسموحاً به في تلك القرى وبخاصة إذا كانت البنت بالغة السن وعاقلة في تصرفها، لأن المبرر الوحيد عند أهالي تلك القرى في عاداتهم تلك هو خوفهم وخشيتهم من اطلاع البنت وهي بعد صغيرة على أمور الزواج، وما يرتبط به من تزين وتجميل، وبذلك فهم يخشون من أن تخرج عن الطريق السوي عندما تشب وتكبر، وهو ما أكدته ابن المجاور بقوله على لسان القوم: "خفاف تظهر طفلة فإذا كبرت رأت نبتها وخدها وقدها... يعجبها"

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج ١، ص ٢٧٤؛ كذلك وجدت عادة داخل المجتمع اليمني، وهي رغبة البعض في ترويح بناتهم الأبنكار لمتزوجين، إما رديف للأولى، أو في حالة الطلاق أو الوفاة للأولى. للمزيد انظر:

الجندي، السلوك، ج ١، ص ٣٤٢.

(٢) اليمن في ظل الإسلام، ص ٣٠٣.

(٣) المستبصر، ص ١٩١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

حسنها، ففتحناج الى أن تخرج عن الطريق الى غير الطريق، بل نخليها على حالها  
تخدم نارها، ويقل طلابها ٠٠٠٠ فإذا مهت ظهرت ، فأدخلت على بعلها ٠٠٠<sup>(١)</sup> .  
وكانت هناك عادة يتبعها بعض الأفراد في المجتمع اليمني وخصوصاً من طبقة  
الحكام والأغنياء وهي التزوج بأكثر من امرأة واحدة، فحكام بني نجاح اشتهروا بهذه  
العادة، فقد كان جياش بن نجاح متزوجاً من امرأة هندية، ثم تزوج عليها امرأة من  
أهل موزع<sup>(٢)</sup> كذلك كان القائد إسحاق بن مرزوق متزوجاً بأربع<sup>(٣)</sup>، وهناك أبي أسعد  
بن أبي الفتوح الذي كان من الأثرياء، حيث تزوج بأكثر من واحدة، ولكثرت ماله فقد  
بلغ نصيب إحدى نسائه منه ثمانين ألف درهم من النقد، ومطرف بن شهاب المطرفي  
الذي كان متزوجاً بأربع نساء<sup>(٤)</sup> .

### ثالثاً - الاحتفالات بأنواعها :

على الرغم من أن حكام اليمن وسلطينها وبخاصة في عصر الدولة الأيوبية،  
كانوا قليلي التصدي لإقامة رسوم المواكب والاحتفالات والاجتماع بولاية الأمور<sup>(٥)</sup>، إلا  
أن ما أقاموه من احتفالات ومهرجانات أظهرت الى حد كبير أبهة الدولة بما حفلت به  
من زينات وأفراح وولائم فخمة واستعراضات للجيش وضرب للطبلخانة<sup>(٦)</sup>، ومن  
أبرز هذه الاحتفالات مايلي:

- (١) المستبصر ، ص ٢٣٩ .
- (٢) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١١٠ .
- (٣) الوصابي ، وجبه الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحبشي ، تاريخ وصاب المسمى :  
الاعتبار في التواريخ والآثار ، تج: عبدالله الحبشي ، ط١ ، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ،  
ط دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص ٦١ .
- (٤) مجهول ، تاريخ اليمن ، مخطوط مصور ، معهد المخطوطات العربية ، برقم ٩٦٨ ، ق ٦٦ .
- (٥) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ص ٤٩ ؛ علماً بأن الطلاق كان غير مستحب داخل المجتمع بل  
وجد هناك من ينكره . انظر: الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .
- (٦) الطبلخانة : هي إحدى الفرق العسكرية الموسيقية التي ترافق الجيش ، فتحمل الطبول والأبواق ، حيث كانت  
تضرب في حالة إعلان السلطان الحرب . انظر: ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٥٤ ؛ الأكوع ، إسماعيل  
بن علي ، أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤ م ،  
ص ٣٠ ؛ العراشي ، عبدالحكيم محمد ثابت سلام ، الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول يوسف بن  
عمر (دراسة سياسية وحضارية) ، رسالة ماجستير، جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص ١١٢ .

## ١ - حفلات الولادة والختان:

### أ- حفلات الولادة :

في الحق أن هذه العادة كانت منتشرة وسط المجتمع اليمني في عصور دوله المختلفة، حيث اعتاد اليمنيون بمثل هذه المناسبة أن يوفروا مكاناً متسعاً لاجتماع نساء الأسرة، وهذا المكان كان يعرف بمجلس الولادة<sup>(١)</sup>، وغالباً ما يكون مزوداً بالأثاث الفخمة والزينات الجميلة ، فتزين جدران المجلس بالأقمشة المزركشة والستائر التي تكون مزينة في أطرافها العلوية والسفلية بزراکش مميزة من النسيج المعروف في اليمن بالسميدار، ويكسو الجدار والأسقف بتعليق الزينة من الزجاج والبلور والخزف والزخارف الكتابية<sup>(٢)</sup> . والعادة المتبعة في هذه المناسبة أن النساء يزرن الوالدة التي وضعت سواءً كان ذكراً أم أنثى في اليوم السابع من يوم الولادة، ويستمر بعدها الحال في الزيارات لمدة أربعين يوماً، وعادة ما كانت تتم الزيارة في فترة ما بعد الظهر وتستمر حتى المغرب، وهي عادة متبعة عند نساء اليمن ، وتوزع المشروبات في المجلس على النساء الموجودات، وكانت النشادة تحضر معظم الأيام فتتشد المدائح النبوية والمواعظ<sup>(٣)</sup> .

وعلى خلاف ما كان يجري في حفل الختان من احتفالات فخمة وواسعة اقتصرت على الطبقة الخاصة، فإن احتفالات الولادة كانت تتم بشكلها الرسمي والمعتاد عند الطبقتين الخاصة والعامة وإن كانت مميزة نوعاً ما عند الخاصة، وفي هذا الصدد تحدثنا المصادر عن مجالس الولادة عند نساء اليمن، بحيث كان لزاماً على المرأة اليمنية حضورها وزيارتها في هذه المناسبة سواءً كانت من الطبقة العامة أم الخاصة وإن اقتصر الحديث في هذه المصادر عن الطبقة العامة والتي يستدل عليها من خلال ماكانت تعانيه المرأة من متاعب في سبيل زيارتها في هذه المناسبة لتتقي برد ماعليها من دين أو سلف قدم إليها في مثل هذا الحفل<sup>(٤)</sup>، كما تذكر

(١) مثال ذلك قاعة الأسد في القصر السلطاني بزبيد ، حيث خصص فيها مجلس عُرف بمجلس الولادة ، تمت فيه ولادة الملك المجاهد الرسولي عام ٧٠٦هـ . انظر : الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٧٨ .

(٢) الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٦ ؛ الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

المراجع ان المرأة التي وضعت المولود، سواء كانت من الخاصة أم العامة، كانت في مثل هذه المناسبة تأمر بماء الورد فيصب على النساء الحاضرات في مجلس الولادة ويختر المجلس بالعود الطيب، وفي مدة الأربعين يوماً يتم الاهتمام بالمرأة التي تلد فيقدمون لها الوجبات الدسمة، ففي الصباح يقدمون لها فطير البر المفتوت بالسمن والعسل، والذي يعرف عند أهل اليمن بالمعصوب، أما في الغداء والعشاء فتتناول الفراخ الصغار، وتسمى عندهم الشقران، ويقدمون للنساء وجبة (الغريقة) وهي حلبة تضم الى اللبن والتمر<sup>(١)</sup>، وكان الزوج أو الأب يقاسي كثيراً من تكاليف الولادة الباهظة، فقد كانت تكلفه ما لا يطيق، وعن ذلك يقول الواسعي: "إذا ولدت المرأة فالويل ثم الويل لصاحب المولود لا سيما إن كان فقيراً"<sup>(٢)</sup>، فتكاليف الولادة تكون أشد وطأة من مصروفات الزواج، وبناءً على ذلك فقد ساد المثل في وسط المجتمع اليمني القائل: "عُرسان ولا ولد واحد"<sup>(٣)</sup>.

#### ب - حفلات الختان :

وتعد هذه الحفلات مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر الدولة الأيوبية، حيث كانت تُعقد الاحتفالات الضخمة، وتمتلىء قاعات القصور السلطانية بالمدعوين من مختلف طبقات المجتمع اليمني . ومن أبرز وأهم الاحتفالات والمهرجانات التي أقيمت في عصر الدولة الأيوبية حفل طهار الملك الناصر أيوب بن طغتكين، الذي أقيم في مدينة تعز سنة ٦٠١ هـ، وفي هذا الحفل دعا الأتابك سيف الدين سنقر مدير أمور الدولة الأيوبية باليمن آنذاك الأمراء والمقطعين كافة وغيرهم من وجوه الدولة، وكان السماط في الميدان، وكان طهاراً عظيماً<sup>(٤)</sup>، وعلى الرغم من قلة الشواهد بل وندرتها في المصادر والتي يمكن ان نتبين منها على ما كان يتم تقديمه من وجبات وكذا عن العادات المتبعة في مثل هذه الاحتفالات السلطانية في عصر الدولة الأيوبية، إلا أنه

(١) الألويسي ، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرح وضبط وتصحيح : محمد بهجة الأثري ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(٢) فرجة الهموم والحزن ، ص ١٢٤ .

(٣) الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ١٢٥ .

(٤) ابن حاتم ، السمعط الغالي ، ص ١١٩ .



يمكن استنتاج ذلك مما كان يجري في عهود السلاطين الرسوليين، على اعتبار أن ذلك كان تقليداً لمن سبقوهم أي للأيوبيين فقد كانوا يقيمون الذبائح على اختلاف أنواعها من الطير وذوات الأربع، فضلاً عن الحنطة والسمن والعسل والأرز والرمان والعسل والزبيب واللوز والسكر والزعفران والنشأ والفلفل وسائر التوابل والبقول على اختلاف أنواعها، وكذلك الفواكه والرياحين والحلويات<sup>(١)</sup>، وفي مثل هذه المناسبات التي كان يحضرها الأمراء والمقطعون وكبار الدولة، كانوا يصحبون معهم نساءهم، ويحملون معهم الهدايا النفيسة من المأكول والمشوم<sup>(٢)</sup>، ويقدم كل أمير رأسين من البقر يتم ذبحهما من قبل مقدم الجزارين عند وصول الأمير إلى باب قصر السلطان المدعو إليه، ويقوم غلمان السلطان بحمل الهدية إلى داخل الدار السلطاني الذي يقام فيه الاحتفال، وفي العادة يخرج السلطان مع جميع ضيوفه إلى ساحة القصر المخصصة للاحتفال، وهناك يلقي الشعراء قصائدهم وينالون عليها الجوائز، والاحتفال في ذلك اليوم يعتبر مشهوداً له ولم يكن في الدهر مثله<sup>(٣)</sup>، وفي هذا الاحتفال أيضاً يزف المختون إلى القصر السلطاني في موكب فخم، يسير فيه العبيد والعسكر والوزراء والكتاب والملوك وفقاً لنظام معروف لديهم، وتتقدمهم الطبول والغواني والراقصات التي تدهش الناظرين، وبعد ذلك تتم دعوة الجميع إلى سماء الأطعمة والأشربة ثم الانتقال منه إلى سماء الحلوى<sup>(٤)</sup>، ويستمر ذلك لمدة ثلاثة أيام .

هكذا كان حال الطبقة الخاصة في تلك المناسبات، أما إذا أردنا معرفة العادة المتبعة في حفل الختان عند طبقة العامة، فإننا لا نجد ذكراً لاحتفال معين قام به أحد أفراد هذه الطبقة، وأكثر الإشارات التي وردت في المصادر حول ذلك تدل على أن المرأة في اليمن المنتمية إلى الطبقة العامة كانت تهتم بتقديم الهدايا في الختان سواء كان مالياً أو غيره، وكانت تكلف نفسها الكثير من العناء في مثل هذه المناسبة إكراماً

(١) فقد أرسل السلطان الأشرف يوسف بن عمر الرسولي في طلب صنّاع الحلوى وزودهم بالكثير من الأدوات والخامات وأمدّهم بخمسمائة طبق من الصيني لم تستخدم من قبل بالإضافة إلى ما كان مستخدماً من قبل، وهذا

إلى جانب العدد الكثير من الفخار الزبيدي . الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢، ص ٢٣٤ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢، ص ١٩٧ ؛ المسجد المسبوك ، ص ٤٧١ .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

منها أو أنه دين عليها، ولذلك يبدو واضحاً أن احتفال هذه الطبقة اقتصر على تقديم هدية في الختان، فربما كانت الظروف المادية لهذه الطبقة لا تسمح بإقامة الاحتفالات الواسعة والفخمة، فلم يكن هناك موكب ولا طبل ولا غناء أو رقص، والملاحظ أنه ليس هناك دليل يؤكد على أن رجال ونساء الطبقة الخاصة كانوا يقدمون الهدايا لرجال ونساء الطبقة العامة في مثل هذه المناسبة أو حتى يشاركونهم، على أن هناك الكثير من الشواهد والأدلة التي تثبت مشاركة الطبقة العامة للسلطين والمشائخ والأمراء وغيرهم من الطبقة الخاصة في الاحتفال بهذه المناسبة وغيرها<sup>(١)</sup>، وأعتقد أن مرجع ذلك يعود إلى التمايز الطبقي الذي كان موجوداً في المجتمع اليمني وهو الذي حال دون مشاركة الطبقة الخاصة في احتفالات ومناسبات الطبقة العامة .

## ٢- الأعياد والمواسم :

احتفل اليمنيون بالمناسبات والأعياد الدينية المختلفة، مثل ليالي شهر رمضان وعيدا الفطر والأضحى، وموسم أول جمعة من شهر رجب وليلة السابع والعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان والاحتفال بعودة الحاج، وغيرها من المناسبات الأخرى .

### أ- ليالي رمضان :

حرص اليمنيون كل الحرص على إحياء رمضان، فقد كان يتم أولاً الاحتفال بمقدمه ويستعدون له قبل يومين من مقدمه ثم يستمر الحال قائماً على مدار الشهر، وكانوا يقومون بنصب التعاليق والزينات فوق أسطح المنازل وضرب الدبادب (الطبول)، وفي الليلة الأولى من دخول الشهر وتحديداً بعد صلاة العشاء يتجمع الناس، ويبدأون بقراءة القصائد، ويستمرّون في سهرهم طوال الليل حتى دخول وقت السحور، والحال كذلك يبقى في ليالي رمضان حتى نهاية الشهر، وهذه العادة أكثر ما يتبعها أهالي عدن<sup>(٢)</sup> فربما كان الغرض من ذلك إيقاظ الأهالي من

(١) انظر : الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج٢، ص ٢٠٠ ؛ المسجد المسبوك ، ص ٢٧٢ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٠٠ .

نومهم وتبنيهم لوقت السحور، علماً بأن هذه العادة كان يتبعها الكثير من الناس في مناطق مختلفة من ديار العرب، وإن كانت ليست بنمط واحد، وللأهالي في اليمن طائفة تسمى المسحراتية، وهي التي تدور على البيوت لتنبئ أصحابها والمناداة عليهم بأسمائهم لإيقاظهم لتناول السحور<sup>(١)</sup>، وهؤلاء المسحراتية كانوا يتقاضون أجراً على عملهم هذا من الأهالي قرب حلول عيد الفطر المبارك، ويبدو واضحاً أن مهمتهم التي كانوا يقومون بها كانت وفقاً لبرنامج يعده الأهالي في مثل هذه المناسبات، ولم تكن هذه العادة متبعة في عدن وإنما في سائر المناطق اليمنية الأخرى، على اعتبار أن هناك من الناس من كان يذهب إلى قضاء وقت النوم المعتاد في ليالي رمضان، ولكي لا يفوتهم وقت السحور شكلوا طائفة المسحراتية لإيقاظهم في الوقت المناسب، على خلاف أهالي عدن الذين كانوا يسهرون ليالي رمضان حتى دخول السحور.

٦٩١٦٨٦

ومن العادات المتبعة في شهر رمضان قيام الأهالي والحكام بتلاوة القرآن في دورهم وقصورهم في كل يوم وبخاصة في لياليه، حيث كان يتم ختم أكثر من جزء في كل ليلة<sup>(٢)</sup>، حتى إذا كان اليوم الثالث والعشرون من الشهر يبدأ الاحتفال بختم آخر أجزاء القرآن، وتقام الختمة عادة في إحدى القصور السلطانية، ثم يعقبها مد سماط من الحلوى يحتوي على العديد من أصنافها بالإضافة إلى الرياحين وسائر صنوف الطيب، وذلك مبالغة في الاحتفاء بالشهر الكريم<sup>(٣)</sup>.

ولا عجب أن جرت العادة في شهر رمضان عند بعض الناس سواء أكانوا ملوك أم أمراء أم تجاراً أم ميسورين، وفي بعض المناطق، على إقامة المطابخ التي يدعون إليها عامة الناس وخصوصاً

(١) تلميز انظر : ابن الحاج ، أبو عبدالله محمد بن العبدري ، المدخل إلى الشرح الشريف ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨١م ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٢) بل ولقد كان الفقيه محمد بن زكريا يختم في رمضان كل يوم وليلة ختمة ، (تسنة ٥٨١هـ) . انظر : بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٤٩٥ .

(٣) الخزرجي ، العقود الثلويية ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ؛ حماد ، مظاهر الحضارة في اليمن ، ص ٤٩٢ .

الفقراء منهم<sup>(١)</sup> وهي عادة متبعة ومستمرة إلى وقتنا هذا؛ كذلك حرص الملوك والسلاطين والأمراء في عصر الدولة الأيوبية في اليمن على إحياء ليالي رمضان بما كانوا يعقدون من مجالس أطلق عليها مجالس التشفي<sup>(٢)</sup>، والمجلس عبارة عن اجتماع علمي يقيمه الملك أو الأمير بعد الإنتهاء من الإفطار ويحضره جماعة من الأعيان والعلماء وربما جرت في هذا الاجتماع مناقشات علمية وأدبية بين الحاضرين، فينقسم الأدباء إلى قسمين فيما بينهم ويكون الملك في موقف المحايد<sup>(٣)</sup>.

#### ب- عيد الفطر والأضحى :

الاهتمام المتزايد بهذه الأعياد هو من ضمن الأولويات عند اليمنيين على الرغم من اختلاف الحالة المادية بين طبقات المجتمع اليمني، ويعد الاحتفال بالعيدين مظهراً بارزاً من مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر الدولة الأيوبية، وقد حرص الملوك على تصدر الموكب في العيدين<sup>(٤)</sup>، فبحلول عيد الفطر عُرِفَت عادة وبخاصة في غلافقة، حيث كان بعض أهلها يوضعون أسمطة الموائد بعد صلاة عيد الفطر، يدعون الناس إلى أكل ما بها من الطعام، فقد ذكر ابن المجاور أن عمراً بن القشيري أمر أهله في ليلة عيد الفطر أن يطبخوا ويشووا، فعندما صلى الناس دعاهم عمرو إلى الأكل، فدخل الناس إلى داره فأكلوا أطعمته ومشوياته وارتووا من مشروباته<sup>(٥)</sup>.

لم يقتصر احتفال اليمنيين بعيد الفطر على المظهر السابق، بل لقد كانت العادة المتبعة عندهم في الاحتفال بعيد الفطر أو الأضحى، أنهم يضحون بأنواع الأضحيات، فيقومون بذبح الأبقار والماعز والضأن، ويُعدُّون أنواع المأكولات والمشروبات، ويرتدون الملابس الجديدة بأنواعها المختلفة، ومن الرسوم الواجبة في

(١) فالوزير النجاشي سرور الفاتكي ، كان يقيم في منطقة المهجم مطبخاً طوال شهر رمضان يدعوا إليه كافة الناس ، حتى بلغت مصاريف مطبخه في كل ليلة حوالي ألف دينار . عمارة ، المفيد ، ص ١٨٢ .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٣) الحبشي ، حياة الأدب اليمني ، ص ٤٣ .

(٤) فقد تصدر الملك طغتكين للاحتفال بعيد النحر في الجند وهو أول عيد يعيده في اليمن . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٢٧ .

(٥) المستبصر ، ص ٢٤١ .

مثل هذه المناسبة أن عبيد الطبقة الحاكمة وذوي الثراء من أهل صنعاء، كانوا يقومون بكنس الساحات المحيطة بالدار أو القصر والطرق المؤدية إليها، وبعد كنسها يرشونها بالماء، ثم يفرشونها بالحصير وفوقه يفرش البساط الرومي أو الطرسوسي والأرمني بلونه الأحمر والأرجوان، ثم يطرحون عليها الريحان وغيره من الأزهار الطبيعية ويرشونها بماء الورد الكثير والكافور، كما يضعون النار بالمباخر ويضعون فيها العود والند وسائر أنواع البخور والطيب الغالي الثمن، وتنفوح في فضاء تلك المساحات الروائح الطيبة، وفي العادة يبخرون المصلى الذي تقام به صلاة العيد، بدءاً من صلاة الفجر حتى انصراف الإمام والمصلين بعد أداء صلاة العيد، ويضعون على أبواب دورهم الماء المبرد والكيزان الجدد ليشرّب منها الناس، وكانت المساجد تضيق بالمصلين الذين يحضرون لأداء الصلاة والاستماع إلى الخطبة في هذه الأعياد، ويتبادلون التهاني<sup>(١)</sup>.

وفي مثل هذه المناسبة كان لبعض الأثرياء والوجهاء لفتات كريمة في مد العون والمساعدة للمحتاجين في الوسط الاجتماعي، فالملك طغتكين بن أيوب عندما مكث في تعز في أحد أعياد النحر، جاء إليه رجل يشكي ضامن سوق الكدراء ويشرح له حالته، فأكرمه طغتكين وكساه وزوده ووعدّه بأخذ حقه من ضامن السوق<sup>(٢)</sup>، أيضاً يذكر أن حميد المقرئ وهو من العلماء، وكان المؤذن في جبلة ومن أعيانها، ولم يكن ميسور الحال، قد توجه لطلب المساعدة من الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم المعلم، لقضاء لوازم العيد له ولأسرته، فقبل الشيخ طلبه وأمره بكتابة كل ما يحتاج إليه في ورقة، فكتب حميد طلباته وقدمها للشيخ ابن المعلم الذي أمر بدوره نائبه بإنفاذ كل ما في الورقة، وكان من جملة ما طلبه، مائتا ذهب ذرة، ومائة ذهب بر، ورأس بقر، ورأس غنم، وكسوة له ولأولاده<sup>(٣)</sup>، فتسلمها جميعاً وعاد بها مسروراً.

والحق أن اليمنيين في هذه الأعياد كانوا وما يزالون يتبادلون التهاني والزيارات

(١) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٤١، ١٤٣-١٤٤.

(٢) بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٥٢.

(٣) الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٣٣؛ الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٧١؛ بامخرمة، قلادة النحر،

مج ٢، ص ٢٥٦٦.

بين الأهل والأقارب والأصدقاء، وتظهر على وجوههم سيماء الفرح والسرور<sup>(١)</sup>، وفي هذه الأعياد فرصة للالتقاء بين الناس وإزالة الأحقاد والضغائن من النفوس، ويجري فيها التسامح حول المسائل التي علقت في نفوس البعض لهذا السبب أو ذاك .

**ج - أعياد ومواسم أخرى :** ومن الاحتفالات الأخرى التي حرص أبناء اليمن على الاهتمام بها وإحيائها، الاحتفال بأول جمعة من شهر رجب<sup>(٢)</sup>، فقد اعتاد الناس فيها على التوجه في ذلك اليوم إلى مسجد الجند وأداء الصلاة فيه ، فقد ارتبط هذا اليوم بنزول الصحابي الجليل معاذ بن جبل إلى الجند داعياً أهلها إلى دخول الإسلام، الذين لبوا الدعوة ودخلوا في الدين دون تردد، لذلك يعتبرون ذلك اليوم بمثابة العيد الرسمي لهم، والصلاة في مسجد الجند بمثابة العمرة، وأكثر من ذلك كما يعتقدون، حيث يضيق المسجد في ذلك اليوم بجموع المصلين الذين يتقاطرون من جميع المناطق والمدن اليمنية<sup>(٣)</sup>، ومن شغف اليمنيين وحبهم لذلك اليوم الجمعة أو الذي كان يسمى بالرجبية، فقد حرص الحكام في عصر الدولة الأيوبية على أداء الصلاة في جامع الجند، ومنهم الأمير نور الدين بن عمر الرسولي، حين كان قائداً لجيوش بني أيوب في اليمن وحتى بعد قيام الدولة الرسولية، كان يحرص على الذهاب بنفسه إلى الجند لأداء صلاة هذه الجمعة المعظمة عند أهل اليمن<sup>(٤)</sup>، ومن الرسوم الواجبة عند أهل اليمن الأعلى في هذا اليوم تبادل التهاني والزيارات وكثرة الذبائح وارتداء الملابس الجديدة، أما أهل اليمن الأسفل فقد كانوا يقصدون مسجد الجند قبل حلول الجمعة فيحملون معهم المأكولات والنعم الكثيرة التي يأكلون منها ويتصدقون منها أيضاً، فيقيمون الصلوات ويكثر من ذكر الله، كما يعقد المتصوفة حلقات الذكر، وتزدهر أوضاع المدينة أياماً، حيث تقام الأسواق وتتحرك الذبائح وتكثر الصدقات<sup>(٥)</sup>.

(١) الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٣٠٥ .

(٢) وفي مجتمعنا الريفي كانت عادة التعظيم والذكر لأول جمعة رجب قائمة إلى وقت قريب ، حيث كان يكثر الكلام وخصوصاً بين أوساط النساء عن هذا اليوم ، وفيه تقوم النسوة بعمل الخاء على رؤوسهن ورؤوس الأولاد جميعاً وذلك قبل صبيحة يوم جمعة أول رجب ، ثم يقمن في ذات اليوم بغسل أنفسهن وأولادهن ، ويصاحب غسل الأولاد كلام كثير على جمعة أول رجب ، يفهم منه أنه في هذا اليوم يكون الدعاء مستجاباً وخصوصاً الدعاء بطول العمر والصحة الدائمة والخير والصلاح للأسرة والمجتمع والأمة المسلمة وما إلى ذلك من الأدعية .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٦٦ .

(٤) ابن حاتم ، المعتمد الغالي ، ص ٢٣٣ .

(٥) الحميري ، الحور العين ، ص ٢١٩-٢٢٠ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٥١ ، (ج) : حماد ، مظاهر الحضارة في اليمن ، ص ٤٩٦ .

كذلك حرص اليمنيون وسلطانهم على الاحتفال بليلة السابع والعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان، واعتادوا أن يصنعوا فيها الكثير من الحلوى على مختلف أنواعها، ويتصدق بهذا اليوم (السابع والعشرين) المعروف عندهم بالكثيب<sup>(١)</sup>، ذور الثراء على الضعفاء وذوي الحاجة، وكان بعض السلاطين يأمرهم في هذا اليوم الجندارية<sup>(٢)</sup> بأن لا يمنعوا الناس من الدخول عليهم والاختلاط بهم أثناء وجودهم بمجلس الكثيب؛ وعلى العموم فقد تفنن اليمنيون في إقامة المهرجانات والاحتفالات في الأعياد والمواسم المختلفة وشاركهم في ذلك ملوكهم وسلطانهم ووجهاءهم<sup>(٣)</sup>.

### ٣- المواكب والاستقبالات :

وهي من أشكال الاحتفالات التي كانت تجري في العادة عند خروج الملك في المناسبات الدينية والوطنية التي اعتاد الملوك على افتتاحها بمواكبهم السلطانية، كالاحتفال بالعيدين أو عند العودة من فريضة الحج، أو عند خروج السلاطين والأمراء للتنزه أو في رحلات الصيد .

والملاحظ من مطالعتنا للمصادر التاريخية اليمنية أن المظهر الأساسي لتلك المواكب الاحتفالية كان يتسم بالطابع العسكري، فتقوم الفرق العسكرية التابعة للقصور السلطانية بمراسم احتفال الخروج من القصر السلطاني أو الاستقبال إليه، وفقاً لنظام معين يتم ترتيبه، ويشرف عليه أحد القادة الكبار أو الأتابك<sup>(٤)</sup>، وقد كان المشاركون في الموكب يجتمعون في الساحة الواقعة أمام القصر السلطاني، وفي موعد خروج الملك أو من ينوب عنه كانت تدق الطبلخانة وتضرب المماليك بالأبواق وغيرها من آلات النفخ، ويبدأ سير الموكب وفقاً للنظام الذي تم فيه ترتيب

(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ٢١١ ؛ العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن ، دراسة وتح : مطهر حمود ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م ، ج ٢ ، ص ٣٩ ؛ بامخرمة ، تاريخ نجر عدن ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ؛ والكثيب : هو الكتب أي الجمع والاجتماع ، والصَّب ، والدخول . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص ١٦٥ ؛ المنجد في اللغة والأعلام ، ط ٤ ، دار المشرق ، بيروت ، ٢٠٠٥م ، ص ٥٧٤ .

(٢) الجندار : أمير ورئيس الجندارية (الشرطة) يقف على رأس السلطان في مجلسه ، ويتولى تنظيم القعود والوقوف بين يديه حسب أمره . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٨ ، ١٣ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٣ .

(٤) للمزيد انظر : ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣١ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

فرق الجند<sup>(١)</sup>، وهذا النظام أكثر ما كان متبعاً في عصر الدولة الرسولية .  
والاحتفال بالانتصارات العسكرية في اليمن في عصر الدولة الأيوبية يعد مظهراً بارزاً من مظاهر الحياة الاجتماعية، وهو من أكثر الاحتفالات التي كان يتقدمها الموكب السلطاني، ومنها الاحتفال بانتصار الأمير بدر الدين بن علي بن رسول سنة ٦٢٣هـ على الأشراف بقيادة عز الدين بن الإمام عبدالله بن حمزة، فيذكر ابن حاتم أنه عندما انتصر الأمير بدر الدين بن رسول في عُصْر بالقرب من صنعاء، رجع إلى صنعاء، ولما كان أستاذ داره بكتمر البدري في المعركة رأى ان الانتصار محتم، فبادر بالرجوع الى صنعاء قبل الأمير بدر الدين علي بن رسول وعمل النحر ومد السماط، وحين عاد الأمير سمع الجاوش يعقوب بن فراحة يصيح في العسكر بالتقدم إلى باب القصر لاستقبال ابن رسول وتهنئته بالانتصار، وكان على رأس المستقبلين في باب القصر أستاذ داره، فسُرُّ لذلك سروراً بالغاً وشكر بكتمر البدري على ذلك الإعداد الحسن في موكب الاستقبال، فنزل على السماط، وأكل الناس، ودعا بالشراب فشرب ليلته تلك، وأجزل الهبات وأنعم في العطايا على كل من كان موجوداً<sup>(٢)</sup> .

وهناك احتفال آخر له صلة بالمناسبات الدينية وهو الاحتفال بعودة الحاج، وبخاصة إذا كان ملكاً أو من ذوي المكانة الاجتماعية الرفيعة، فيبتهجون بقدومه بإقامة المدارة والتغني بفضله، فيقيم أصحاب الثراء أعواداً كبيرة على شكل مراجيح فينوسط الحاج ويقوم الشعراء بين يديه بالمدائح والقصائد، فيكافئهم صاحب الحفلة بجوائز قيمة<sup>(٣)</sup>، وفي بعض الأحيان تقام المدارة لغير المناسبات الدينية ويشاركها في ذلك آلة أخرى تسمى الطلعات أشبه ما تكون بعربة تجرّها عجالات من الخشب<sup>(٤)</sup> .

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الأيوبية الاحتفال بمقدم

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(٢) السمط الغالي ، ص ١٨٤ .

(٣) الحبشي ، حياة الأدب اليمني ، ص ٤٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٤ .



السفارات والرسول أكان ذلك داخلياً لوجود حكام وممثلين للكيانات المحلية، أم خارجياً بقدم القادة والحكام والسلاطين من الديار المصرية وبخاصة عند قدوم ممثلي بني أيوب إلى اليمن، فقد استقبل الشريف قاسم بن غانم السليماني الملك توران شاه أول دخوله اليمن في سنة ٥٦٩هـ، وذلك في إحدى قرى المخلاف السليماني، فكافأه على ذلك بنصرته على عبدالنبي مهدي، وتوليته لحكم المخلاف<sup>(١)</sup>؛ كذلك حظي توران شاه باستقبال رائع من قبل مشائخ وأهالي صنعاء الذين لاقوه بزيهم الحسن، فأعجب بذلك الاستقبال، وتجاوز معهم، وملكوه صنعاء<sup>(٢)</sup>، وعمل الأمير عثمان الزنجيلي حفل استقبال للأمير خطبا المكلف بتولي حكم زبيد، عند مقدمه من الديار المصرية إلى عدن سنة ٥٨٩هـ، حيث التقاه الزنجيلي بالطاعة والإجلال<sup>(٣)</sup>.

وأهم احتفال لوصول الرسل من الديار المصرية، كان الاستقبال الذي لاقاه الملك طغتكين بن أيوب، من قبل والي زبيد حطان بن منقذ الذي علم بمجيء طغتكين، فهرع إلى مدينة الكدراء لاستقباله، وكان قد عمل مراسم الاستقبال وحسب العادة المتبعة في ترتيب الفرق العسكرية المعده لذلك الغرض، فلما وصل طغتكين ترجل لحطان، وخلع عليه وعلى عسكره، وأظهر السرور به باعتباره أول من جاءه من نواب أخيه لاستقباله، وقال له: "أنت أخي بعد أخي"<sup>(٤)</sup>؛ وحظي الأمير وردسار باحتفال من قبل الإمام عبدالله بن حمزة وهو يومئذ في صعدة، فيقول عن ذلك يحيى بن الحسين: "خرج الإمام للقاءه، فدخل صعدة دخولاً معظماً، وقابله الإمام بالإنعام"<sup>(٥)</sup>. ومن أشهر وأكبر الاحتفالات في اليمن في عصر الدولة الأيوبية الاحتفال الذي حظي به السلطان بشر بن حاتم، فقد ذكر الأشرف الرسولي أنه حين عزم بشر على التوجه من صنعاء إلى تعز مكان وجود الملك العزيز طغتكين بن أيوب، علم الأخير بأنه سيصل إليه، فأمر نوابه في المناطق التي سيمر بها بشر بأن

(١) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٢١-٣٢٢.

(٢) الأشرف الرسولي، فاكهة الزمن، ص ٢٦٣؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٦٩.

(٣) الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٥٨؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٧٤؛ الأشرف الرسولي، فاكهة الزمن، ص ٢٧٢.

(٤) الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٥٨؛ الأشرف الرسولي، فاكهة الزمن، ص ٢٧٣؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٧٤.

(٥) غاية الأمان، ج ١، ص ٣٥٦.

يقيموا له الضيافات والاستقبالات اللائقة بمقامه وأن يكرموه ومن معه، وهو ما تم فعلاً، ففي جهران<sup>(١)</sup> حصل له الاستقبال الرائع والموكب الحافل من قبل النائب في دمار الأمير مظفر الدين قايمار، حيث قام بضيافته لمدة ثلاثة أيام، بعدها توجه ناحية تعز فاستقبله والي الحقل عز الدين ياقوت التعزي وكثير من حاشية سيف الإسلام طغتكين، فمكث في ضيافته يوماً، فتقدم إلى ذي جبلة، فاستضافه هناك والي مدينة إب، فأقام عنده مدة يومين في ذي جبلة، بعدها تقدم مسافة فأمسى عند الشيخ الموفق علي بن محمد المعلم بذي أشرق، ولاقته رتبة الجند إلى هناك ثم سار إلى تعز، ونتيجة للمكانة الرفيعة للسلطان بشر والاحتفال الرائع الذي حظي به في تعز، يقول الأشرف الرسولي: "فدخلها في موكب عظيم ولقيه الملك العزيز إلى جانب من في الحصن ورحب به وأكرمه وأعطاه خلعة الخليفة وسيفه وسرجاً من ذهب وطوق من ذهب غير ما أعطاه من الخلع السنية، وسمح له من القطيعة عشرين ألف دينار وعشرين حصاناً، ٠٠٠، وخلع على كل من كان معه من الفرسان ومن سائر العرب ووفدهم دنائير صالحة ٠٠٠"<sup>(٢)</sup>.

كذلك لقي الملك العزيز طغتكين استقبالاً رائعاً وضيافة كريمة وعظيمة من قبل السلطان عمرو بن علي الحاتمي وقوبل باحتفال لائق، وذلك عند تسلم الملك العزيز لحصن كوكبان من بنوحاتم، فعندما دخل الحصن مد السَّمَط في مجلس يقال له مجلس الخراطيم، فتعجب من حفاوة الاستقبال والضيافة، وبهذا الصدد يذكر الخزرجي أن الملك طغتكين قال: "ما رأينا مثل هؤلاء القوم نأخذ حصونهم وبلادهم ويلقوننا بالأنصاف"<sup>(٣)</sup>، أيضاً هناك استقبال واحتفال حظي به علم الدين سليمان بن موسى من قبل الملك المسعود في محطة بكر عند مخالفته للإمام عز الدين بن الإمام عبدالله بن حمزة، حيث تلقاه الملك بالإكرام والصلاة الجزيلة<sup>(٤)</sup>.

(١) جهران: حقل واسع من الجنوب لمدينة صنعاء بمسافة (٦٦ كم) جنوبي نقيل يسنج وشمال دمار المقحفى، معجم، ص ١٨٤.

(٢) فاكهة الزمن، ص ٢٧٩-٢٨٠؛ ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٣٠؛ الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٦٢؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٧٨.

(٣) المسجد المسبوك، ص ١٦٦؛ ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٣٦؛ الأشرف الرسولي، فاكهة الزمن، ص ٢٨٤.

ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٧٩-٢٨٠؛ يحيى بن الحسين، غاية الأُماني، ج ١، ص ٣٣٤، ٣٥٣.

(٤) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٩٤؛ كذلك حضي يحيى بن حمزة يمثل ذلك الاستقبال من قبل الأمير سنقر، انظر:

يحيى بن الحسين، غاية الأُماني، ج ١، ص ٣٧٧.

ومن الاحتفالات التي دأب الملوك على إقامتها الاحتفال بمناسبة منح الإقطاعات أو إعادة توزيعها من جديد على الأمراء وأعيان الدولة وكبار الأجناد وغيرهم .

كما يعزى إلى الملوك والسلاطين بعامة في اليمن وبني أيوب ووجوه دولتهم بخاصة إقامة الاحتفالات الخاصة في قصورهم، فقد كانت تقام حفلات الغناء والطرب ومجالس الشراب، حيث كان يشارك الشعراء بدورهم في هذه الاحتفالات إلى جانب المطربين والمطربات، وخاصة الملك وندمائيه، ويعزز ذلك ما أورده ابن فضل الله العمري عن حياة هؤلاء الملوك الخاصة إذ يقول: "وملوك اليمن أوقاتهم مقصورة على لذاتهم، والخلوة مع حظاياهم وخاصتهم من الندماء والمطربين . . . " (١)، فقد كان الملك سليمان بن شاهنشاه الأيوبي مولعاً بعقد مجالس الشراب واللهو، إلى درجة أن أركان الدولة الأيوبية في اليمن تضعضعت وضعف الملك (٢).

أما الأمير علم الدين وردسار الأيوبي وهو أحد وجوه أعيان الدولة، فقد شغف بمجالس الشراب، فيذكر أنه عندما دخل الجند بعد طول عناء سنة ٥٩٨هـ، أقام فيها ثلاثة أيام، وافتتح في شرب الخمر (٣)، ومثله فعل الأمير بدر الدين علي بن رسول في صنعاء عقب انتصاره على الأشراف في عصر سنة ٦٢٣هـ، فقد شرب ليلته تلك، ووهب وأنعم (٤).

ومن الاحتفالات الشعبية التي كانت سائدة في اليمن والتي تعد مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية في فترة الدراسة الاحتفال بنضج ثمار النخيل، الذي اهتم به الأهالي على اختلاف طبقاتهم وعملوا على إحيائه سنوياً في زبيد، وهو الاحتفال المعروف باسم (سبوت النخل)، وكان موسماً يحتفل به أهالي زبيد ونهامة، وهي المنطقة المشهورة بنخيلها الكثير، وكانت المساحة التي تشغلها أشجار النخيل عشر قطع أو مواضع (٥)، كل قطعة منها يبلغ طولها وعرضها ربع فرسخ أي مايقرب من ١٣٨٦ متراً، أو ٣٠٠٠ ذراع .

(١) مسالك الأبصار، ص ١٦٠ .

(٢) الخرجي، العقود النونية، ج ١، ص ٣٩، ٣١ .

(٣) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٩٥ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٥) هي: الأبيض، الكديحا، المجرشية، المحطة - الأثيل، وكروة، المحجر، القبيرا، المغارس، حجنة، المجازع . ابن المجاور

، المستبصر، ص ٧٩ .

وقد أشار الكثير من المؤرخين إلى الاحتفال بموسم نضج النخيل (السبوت)، وهي نزاهات أهل زبيد في موسم الرطب وجمع التمر<sup>(١)</sup>، إذ كان إذا حان أوانه رحلوا إليه في مواكب صاخبة بالزغاريد والطبول والرقصات الشعبية<sup>(٢)</sup>، ولا يبقى في المدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء سواء من الرجال أم من النساء<sup>(٣)</sup>، ويأتي الناس من أنحاء اليمن من باب حرص إلى آخر أعمال أبين، وينزل أهل الجبال في تهامة، فتنتعش أحوال الناس المادية وتزدهر الأسواق ويستمر اليمنيون يقيمون في موسم النخيل مدة شهرين أو ثلاثة يكون غالب أكلهم فيها الحموضات والملوحات وهم في ضحك ولعب وشرب، إذ يصنعون من التمر والرطب والبر نبيذاً يسمى (الفضيح) يصح عمله في يوم وليلة، ويشرب النساء مع الرجال<sup>(٤)</sup> فإذا انتهى موسمه خرج الجميع كباراً وصغاراً في مواكبهم الحاشدة وجموعهم الراقصة على قرع الطبول والمزامير بعد أن يلبسوا جمالاً عدة تامة من الأجراس والقلائل والحلي، تسير أمام الركب، ويركب كل أربعة على جمل وبعضهم من أصحاب الثراء والجاه يركبون في الشقائف (أي الهوداج)<sup>(٥)</sup> إلى أن يصلوا إلى مسجد مشرف على البحر في موضع يسمى (الفازة) على ساحل البحر الأحمر، ويكون خروجهم إلى هذا الموضع في يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، فينزل القوم بجموعهم للبحر للهو والمرح والاستحمام، ثم يعودون إلى مدينة زبيد<sup>(٦)</sup>.

وإذا كان ابن المجاور قد أجاد الوصف في الاحتفال والاهتمام بموسم نضج النخيل وشيوعه، فابن بطوطة أكد شيوع هذه الاحتفالات الشعبية واهتمام أهل زبيد وغيرهم من أبناء اليمن والوافدين عليها بإحيائها، والخروج إلى النخل كل يوم سبت من ابتداء النخل إلى نهايته بغية الراحة والترفيه، وفراراً من حياة المدينة الصاخبة

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ٧٩.

(٢) العقيلي، محمد بن أحمد بن عيسى، تاريخ المخلاف السليماني أو (الجنوب العربي في التاريخ)، مط. الرياض، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ج ١، ق ١، ص ١٨٩-١٩٠؛ غزالي، المظاهر السياسية والحضارية، ص ٢٤٥.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ج ١، ص ٢٨٢.

(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص ٧٩؛ حماد، مظاهر الحضارة في اليمن، ص ٥٠٥.

(٥) مجهول المؤلف، حوليات يمانية، تح: عبدالله محمد الحبشي، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية العربية اليمنية، ص ٧٠.

(٦) العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٩٠؛ الحبشي، حياة الأدب اليمني، ص ٤٢.

وحرارة الصحراء اللافتة إلى حدائق النخيل ونسمات البحر للاستحمام، حيث يقول:  
 "ولأهل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة، وذلك أنهم يخرجون في أيام البر والرطب  
 في كل سبت إلى حدائق النخل، ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء  
 ويخرج أهل الطرب، وأهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات وتخرج النساء ممتطيات  
 الجمال في المحامل"<sup>(١)</sup> .

تجدر الإشارة إلى أن هناك أنواعاً لرطب النخل، منه الحُماري، والصفاري،  
 والخضاري، فإذا حان وقت ثمره يأخذ كل شخص على قدر استطاعته، وفي موسم  
 النخل بالذات ينزل أهل الجبال إلى تهامة، ويقول ابن المجاور: "كم من امرأة تطلق من  
 جهة النخل، وكم تتكح امرأة، وقال الشاعر:

هذا الشقح واللقح والطلع منه قد افتتح  
 يا غزلات اغزلوا فالنخل قد صار بلح

وقال آخر :

من عرف النخل والقبالة أمسى وفي قلبه دباله  
 وعاش فيه معاش سوء وناله الدين لا محالة"<sup>(٢)</sup>

ومن المؤكد إن عادة السبوت والاحتفال بموسم النخل كانت منتشرة في العصر  
 الأيوبي وخصوصاً في نهايته، حيث كانت العادة في الخروج للاحتفال بالموسم في  
 يوم الاثنين والخميس، على الرغم من جور ملوك وأمراء بني أيوب على أصحاب  
 النخل، ورفقهم على أصحاب الحرث<sup>(٣)</sup>، على أن عادة السبوت قد انتشرت بشكل  
 واسع في العصر الرسولي، ووجدت بكثرة، واستمر الاحتفال بها وخرج السلاطين إلى  
 زبيد بكامل مواكبهم يوم السبت من كل أسبوع بدلاً من يوم الخميس، وقد رافق  
 الاحتفال بهذه المناسبة التي كانت تهدف إلى الترويح عن النفس والنشاط الاقتصادي،  
 وجود ظواهر وأفعال ومنكرات غير مقبولة تصدى لها الفقهاء في ذلك العصر .

(١) الرحلة ، ج ٢ ، ص ١٦٧-١٦٨ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٧٩-٨٠ .

(٢) المستبصر ، ص ٧٩ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٩ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٠ .

ومن الاحتفالات الشعبية التي كانت تقام في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، وهي عادة سيئة تعود بأصلها إلى عصر ما قبل الإسلام، الاحتفال بعودة المراكب التجارية المحملة بالبضائع، وكان الاحتفال بهذه المناسبة يتم عن طريق تقديم الأضحية للجبل (صيرة) الواقع في مدينة عدن، فإذا تأخرت المراكب عن المجيء إلى ثغر عدن عن موسمها يخرج الأهالي إلى جبل صيرة ومعهم رؤوس من البقر وهي في العادة سبعة رؤوس، وذلك في وقت غروب الشمس وتبقى تلك البقر في أماكنها حتى منتصف الليل، ثم بعد ذلك ترد ستة رؤوس منها إلى المدينة عدن، ويبقى رأس واحد في الجبل حتى طلوع الشمس، فيضحى به في ذلك المكان، حيث كانت تسمى أضحية الجبل، وقد استمرت هذه العادة فترة طويلة، وكان الناس يعتقدون فيها، حتى بطلت في أواخر عصر الدولة الأيوبية<sup>(١)</sup>، ولأن الإسلام قد نهى عن ممارسة العادات السيئة التي لا تمت للدين بصلة .

#### رابعاً - العادات والتقاليد الأخرى :

لكل مجتمع عاداته وتقاليدته الخاصة به والتي تعد مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية، وقد بينا في السابق العادات التي رافقت الزواج بجميع إجراءاته والاحتفالات بشتى أنواعها، وفي مدن اليمن وقراه سادت هنالك عادات أخرى، فاليمينيون يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم القبلية كالكرم والمروءة والدفاع عن كيان القبيلة وشرفها وممتلكاتها ومناصرة أخيه في القبيلة ظالماً أو مظلوماً<sup>(٢)</sup>، وهكذا لم يكن اليمني يسافر من قرية إلى أخرى إلا برفيق يحذره لوقوع العداوة بينهما<sup>(٣)</sup>؛ والفرد الذي تطرده القبيلة لعدم الالتزام بتقاليدها أو العدوان على أفرادها، وكذلك الذي لا ينتمي إلى قبيلة يكون منبوذاً لا يجد من يدافع عنه أو يحميه، وتتعرض حياته وممتلكاته للخطر<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الجاور ، المستبصر ، ص ١١٤ ؛ حماد ، مظاهر الحضارة في اليمن ، ص ٥٠٨ .

(٢) الفقهي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٣٠٦ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٨ .

(٤) الفقهي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٣٠٦ .

ومن هنا عاش المجتمع في حروب قبلية مريعة طوال تاريخه، حيث قال ابن المجاور: "وبهذا لا يزال القتال دأبهم يتغلب بعضهم على مال بعض ٠٠٠ وهم طول الدهر على هذا الفن" (١) .

وعلى الرغم من شحة المعلومات عن عادات وتقاليد أهل اليمن، إلا أنه يمكن القول أن المعلومات الواردة في المصادر وإن كانت قليلة قد أظهرت التباين في العادات والتقاليد التي كانت سائدة داخل المجتمع اليمني وفي مناطق مختلفة، فمثلاً نجد ابن المجاور يصف في موضع أهل زبيد من الرجال بأنهم ضعاف التركيب مخلوقين الرؤوس، وأنهم يتشبهون في بعض حركاتهم وغنجم بالنساء، أما النساء ففي موضع آخر نجده يصف نساء أهل زبيد بأنهن خلقات رخوات التكبك (أربطة السراويل) وفي كل منهن غنج كثير، وفي موضع ثالث يستطرد في وصف نساء زبيد بقوله: "ما رأيت في جميع سهلها وجبلها وجهاً حسناً يعتمد عليه النظر ولا فيهم ظرافة ولا لطافة ولا ملاحاة ولا حلاوة" (٢)، لكنه في موضع آخر يصف نساء حليمة والخواخة وهي من المناطق الواقعة جنوب زبيد بقوله: "ويكون فيها الصبايا الملاح والنساء الصباح، وفيهن ذات فسق، وفيهن ذات صلاح" (٣)، ومع ذلك فإنه يصف ويذكر - وهو الذي عاش في عصر الدولة الأيوبية - أن أهل زبيد يمتازون بلطف الشمائل وحسن الأخلاق وجمال الصور والميل إلى الأكل والشراب والملابس النظاف والمركوب الوطىء، وشم الطيب (٤)، وهذا الوصف أورده ابن بطوطة وأضاف إليه مكارم أخلاق نساء زبيد، وأكد على حسن أخلاق أهل زبيد عند حديثه عن أهل قرية الشرجة (٥)، وهي إحدى قرى وادي زبيد، فيذكر أنهم أهل كرم وإطعام يعينون الحجيج الوافدين إليهم وينقلونهم بمراكبهم ويقدمون لهم الأزواد اللازمة (٦) .

ومن عادات اليمنيين الحميدة في عدن وغيرها، أنهم لا يسمحون بعودة غريب ولا

(١) المستبصر ، ص ٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٠ ، ٨٥ ، ٢٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

(٥) الشرجة : من أوائل أرض اليمن وهو أول عترة إسماعيل الأكوع ، البلدان اليمنية ، ص ١٦٥ .

(٦) للرحلة ، ج ٢ ، ص ١٦٥-١٦٦ .

يفصحون عن هذا من قريب أو بعيد قصداً لعمارة اليمن بإزالة آفاقه بكل شيء حسن، إلا من قدم لديهم بأنه أتاها راحلاً لا مقيماً، وزائراً لا مستديماً، كانوا لا يكلفونه مقاماً لديهم ولا دواماً من النزول إليهم، بل يجزلون وفادته، حيث كان أهل عدن أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون إلى الغريب<sup>(١)</sup>؛ أما من جاء إليهم بنية مقيم وأقام لديهم على أنه لن يرحل، فأنهم يرفعون مجده ويوسعون رفده، ويخلون له داراً، فإذا أراد الارتحال عن دارهم مكنوه من العود، كما جاءهم وخرج عنهم على أسوأ حال مسلوباً بما استفاد عندهم من نعمة ومال عقاباً على مفارقتهم لأبوابهم، ولا بخلاً بما جادت به بوابر أصحابهم<sup>(٢)</sup> .

كما أن هناك عادات وتقاليد تميز بها أهل اليمن وحافظوا عليها، منها: حرصهم على المروءة والشرف، فالرجل كان يفضل أن يقتل ولأه للناس، وحفاظاً على سمعته، وكان الرجل إذا خلف وعداً ونكث عهداً أسموه أعيب، ويصاح عليه في الأسواق، وبذلك يعم عاره كل أقاربه وأصدقائه ومعارفه، فلا يجبر ذلك العار إلا أن يجمع كل ما معه من الأنعام ويذبحها أمام منزل الشخص الذي نكث عهده، ويسمون تلك العادة أو ذلك التقليد إنصافاً<sup>(٣)</sup> .

ومن أبرز صفات اليمنيين الكرم، فهم أهل سلامة وخير وتمسك بالشرعية ووقوف معها، يحضون عليها بالنواجد<sup>(٤)</sup> ويكرمون كل من يمر بهم ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم<sup>(٥)</sup>؛ ومن عاداتهم إذا ذبحوا شاة للضيف قدموا له جميع لحمها ورأسها وكراعها وكبدتها وقلبها وكرشها، فيأكل ويحمل معه ما يحمل<sup>(٦)</sup> .

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج ٢، ص ١٧٩ .

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٧ .

(٣) الحبشي، حياة الأدب اليمني، ص ٤٠ .

(٤) واكبر مثال على ذلك القاضي علي بن الحسين السيري قاضي زبيد في عصر الدولة الأيوبية الذي يقول عنه ابن سمره: " كان مقطوعاً بأمانته وديانته ولقد سمعت من كرمه وفضله ما يتعجب منه السامع، ويعجز عن بلوغه الطامع " . طبقات فقهاء اليمن، ص ٤٢٣؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٦٤ .

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٨؛ وللمزيد من التفاصيل عن إكرام الضيف، انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ٥٣-٥٤؛ الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٤٦١ .

(٦) للمزيد انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٣٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٨ .



وعلى هذا الأساس يمكننا القول ان اليمنيين كانوا يهتمون براحة الغرباء الوافدين على بلادهم ويكرمون وفادتهم ويفيدون من مواهبهم وكفايتهم .

وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت في المجتمع اليمني عادات سيئة، وفي أواخر العصر الأيوبي بالذات، وتحديداً في مدينة عدن، وهي المدينة اليمنية التي تشكل سكانها من جميع العناصر المحلية والعربية والأجنبية، فقد وفدت إليها عناصر غريبة وجلبت الجواري من كل مكان، فانتشرت عادة البغاء علناً بين أوساط الجواري المستجلات، وقد عبر عن ذلك الأمر ابن المجاور بقوله: "فترجع الجارية ترجوا الفرج أو تبذل الفرج للرجل"<sup>(١)</sup>، على إن هذا العمل عندهن ليس بعار، سواء عند أهلها أم القادمين إليها من الغرباء، وهي عادة ومرض اجتماعي انتشر بين الأوساط غير الإسلامية من العناصر الوافدة إلى عدن من خارج اليمن، من الهند والحبشة والبربر (الزنوج) وغيرهم، وربما ان غالبية تلك العناصر الوافدة قد بقية على دينها التي جاءت به، ولم تنتشر تعاليم الدين الإسلامي وأخلاقه الرفيعة؛ لأن المصادر أساساً لم تبين لنا إسلام تلك العناصر من عدمه، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن المجاور عن عادة نساء العناصر غير المسلمة وأخلاقهن، خصوصاً نساء البربر، حيث وصفهن، بقبح الطباع وسوء العوايد من سب وقذف وغيرها من العادات السيئة<sup>(٢)</sup> . ومن حسن الطالع أن نجد هناك عادة تأصلت في نفوس أبناء اليمن، وهي عادة محاربة الموبقات والفواحش وشرب الخمر، فالإمام عبدالله بن حمزة وشيعته الزيديون ظلوا يحاربون ظواهر السوء داخل المجتمع، وهدوا الدور في بعض النواحي التي كانت تمارس فيها الفواحش وشرب الخمر، واستباحوها واعتبروها دار حرب<sup>(٣)</sup>، وحارب العلماء والفقهاء الغناء والرقص والمعاصي، وقاطعوا من يشجع عليها<sup>(٤)</sup>

(١) المستبصر ، ص ٧ .

(٢) للمزيد انظر : المصدر نفسه ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٣) دار الحرب: هي كل أرض ظهرت فيها خصلة من خصال الكفر المعلوم بالأدلة ، ولا تأثير على الأرض في إيجاب الحكم أو نفيه ، فمكة المكرمة والمدينة المشرفة كانتا دار حرب قبل الفتح والهجرة ، وإنما الأصل في ظهور خصال الكفر من عدمها ، وتجري عليه أحكام دار الكفر والردة ، انظر : عبدالله بن حمزة ، مجموع رسائل الإمام ، ج ١ ، ص ٩٣-٩٤ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٤) انظر : باخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٩١ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٩ .

ومن العادات السيئة التي ظهرت داخل المجتمع اليمني في فترة الدراسة، انتشار السحر وبكثرة في أوساط النساء في صنعاء وحجة وزبيد وغيرها، وقد كان القصد منها على حد قول ابن المجاور: "أذ [ي] الخلق بأوحش الصورة والخلق" (١)، حيث انتشر السحر بكثرة في أعمال خنفر (٢) وغيرها، فقد كانت النساء في هذه الأعمال يجدن تعلم السحر ويمارسنه بشكل مستمر، فيقول عنهن ابن المجاور: "وجميع نساء أهل هذه الأعمال سحرّة" (٣)، وفي العصر الأيوبي أيضاً انتشر السحر في أوساط نساء ظفار (٤)، وكذا في جزيرة سقطرى، فيذكر ابن المجاور أن غالبية سكان الجزيرة قوم نصارى سحرّة، ومن جملة سحرهم أن سيف الدين سنقر مولى إسماعيل بن طغتكين جهز إلى الجزيرة خمس شواني (٥) ليأخذوها فأختفت الجزيرة عنهم (٦).

ومن العادات التي كانت متبعة عند أهل اليمن وانتشرت انتشاراً واسعاً في أغلب المناطق في عصر الدولة الأيوبية، عادة التبرك والتمسح بقبور الأولياء وبيوت الفقهاء والعلماء وأهل الورع والصلاح في الدين، ومنهم أصحاب المناصب وذوي الكرامات (٧)، فقد كان الرجل المظلوم أو المرتاب على نفسه يلجأ إلى زاوية أو مسجد لأحد هؤلاء الأولياء أو يلجأ أحياناً إلى مدرسة أنشأها أحد أقرباء الملك يلتمس فيها الأمان لروحه وماله (٨)، وكان الملوك وأولي الأمر غالباً ما يحترمون هذه الاستجارة ولا يقتحمون المكان للقبض على المستجير، والأمثلة والشواهد على

(١) المستبصر، ص ١٩٤.

(٢) خنفر: مدينة من مدن محافظة أبين، وتقع في جهة الشمال من زنجبار عاصمة المحافظة وتبعد عنها حوالي ٨ كم.

(٣) المستبصر، ص ٢٤٨؛ وللمزيد، انظر: المصدر نفسه، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٦٦.

(٥) الشواني: جمع شنيبة وهي السفينة الحربية الكبيرة. سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م، ص ٣٥٢.

(٦) المستبصر، ص ٢٦٦؛ وقد بالغ ابن المجاور في روايته عن السحرّة والتي ربما تكون ضرب من خيال، حين روى أنه عندما قريت الشواني من الجزيرة انطمست الجزيرة عن أعين القوم وصاروا صاعدين منحدرين طائعين ونازلين نيلاً ونهاراً أياماً وليالي، فلم يجدوا للجزيرة جس، ولا وقعوا للجزيرة على خبر فرّقوا راجعين، المستبصر، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٧) ابن الديبع، وجبه الدين عبدالرحمن بن علي الشيباني، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، نج: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣ م، ص ١١٧، ١٢٣.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٥؛ الأهل، تحفة الزمن، ص ٤١.

ذلك كثيرة في عصر الدولة الأيوبية، من ذلك ما رواه الجندي عن تبرك الناس بالفقيه علي بن سالم بن غياث العبيدي (ت: آخر المائة السادسة)، فيذكر أنه كان فقيهاً عارفاً مشهوراً بالعبادة والصلاح، واستجابة الدعاء، يقصده الناس من أنحاء اليمن للتبرك به، وطلب الدعاء، ويضيف إلى ذلك أن الناس كانوا يقفون حول بيته يدعون الله فلا يلبثون أن يجدوا أمانة القبول، وأن بعض الفقهاء زاره وبات عنده<sup>(١)</sup>. ومن الأماكن التي اعتاد الناس على زيارتها للغرض المذكور سلفاً زاوية الشيخ علي بن عبدالرحمن الحداد في قرية من نواحي القحمة، حيث كان يزورها الناس ويزورون قبره ويتبركون به<sup>(٢)</sup>، وزاوية أبي الحسن علي بن عبدالملك بن أفلح في مدينة زبيد، وكانت مقصودة للزيارة والتبرك واستجراح الحوائج والمطالب<sup>(٣)</sup>، وقبر الشيخ عيسى بن إقبال بن علي الهتار (ت : ٦٠٦ هـ) في قرية التريية من قرى وادي زبيد، وقد كان الناس يقصدون القبر حيث يأتون من أماكن شتى في اليمن لغرض الزيارة والتبرك، كما أصبحت عندهم عادة الاستجارة به فمن استجار به لا يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه، ومن تعدى ذلك عوجل بأشد العقوبة من غير مهلة، ويذكر الشرجي أن القرية كلها محترمة ببركة الشيخ عيسى، وكان له في حياته قصة مع أحد أمراء الدولة الأيوبية في اليمن، مضمونها الاستهزاء من قبل أمير الدولة بكرامات الشيخ، ونتيجتها الاعتراف له والاعتذار منه وتقبل يديه ورجليه من ذلك الأمير نفسه، كما أن له كرامات ومكاشفات كثيرة<sup>(٤)</sup>.

تجدر الإشارة إلى أنه في أيام الفتن والحروب والاضطرابات الشديدة، كان يحصل اعتداء على الأماكن التي يستجار فيها، ويُداهم المكان المحتفى به سواء كان مسجداً أو قبراً أو بيتاً من بيوت الأولياء الصالحين وذوي الكرامات المتبرك فيهم، ومن ذلك أن الفقيه علي بن عمر بن الحسين بن أبي النهي وهو أحد فقهاء مخلاف جعفر (ب) وأحد الصالحين والمشهور بكمال العبادة، عندما توفي وقبر نبئت على

(١) انظر : السلوك ، ج ١ ، ص ٢٧٧ - ٢٨٠ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٩٣ - ٢٥٩٤ .

(٢) الشرجي ، طبقات الخواص ، ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

(٤) للمزيد من التفاصيل عن كرامات الشيخ عيسى الهتار ، انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

قبره شجرة سدر كان الناس يتبركون بها، فاتفق أن وقع قتال بين أهل إب وبين باديتهم في بعض الأعياد، انتصر فيها أهل البادية، ولم يطبقوا دخول المدينة، فاعتدوا على مكان القبر المتبرك به وقطعوا الشجرة، فتأثر أهل المدينة للاعتداء الذي حصل على ذلك المكان، فاجتمعوا وخرجوا إلى أهل البادية وقتلوا منهم طائفة وكان عاقر الشجرة أول مقتول<sup>(١)</sup>. يتضح لنا من ذلك جلياً مدى قوة الاعتقاد السائد والعادة والتقليد المتبع للحفاظ على أماكن القبور والمساجد الخاصة بالأولياء والفقهاء والعلماء الصالحين المعتقد فيهم والمتبرك بهم والتي يظنون أنهم من يرفع عنهم الضر وهم الذين يحمونهم في أوقات الشدائد والصعاب .

والزيارات للتبرك والتمسح عند قبور الأولياء والصالحين من علماء اليمن والمشهورين بكراماتهم في العصر الأيوبي لا حصر لها، ولا يسعنا المقام هنا لاستطرادها، وإنما هدفنا من المثال هو أن نبين أنها كانت عادة منتشرة وظاهرة متبعة في المجتمع اليمني في فترة الدراسة<sup>(٢)</sup> .

وفضلاً عن ذلك وجدت عادات كثيرة انتشرت داخل المجتمع اليمني، فمثلاً كانت العادة المتبعة في المآتم والأحزان، أنه إذا مات فرد منهم أظهر أهله الحزن عليه، من خلال جز شعورهم، وارتداء اللباس الأسود<sup>(٣)</sup>، وفي أثناء تشييع جثمان المتوفى إلى قبره، جرت عادة أهل اليمن على البكاء والنواح بصوت عال رجلاً ونساءً، وهي بمثابة التعبير عن وداعهم الأخير للمتوفى، ويصحب البكاء والصياح لطم الخدود وزجر الصدور وشق الثياب<sup>(٤)</sup>، وبعد دفن الميت، يقام العزاء على القبر لمدة سبعة أيام كاملة، ويكون ذلك بإحضار المقرئين لتلاوة القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>،

(١) انظر : الجندي ، السلوك ، ص ٣٥٥-٣٥٧ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٩٥-٢٥٩٦ .

(٢) لمعرفة الكثير عن هذه العادة ، انظر : بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٨٥ ، ٢٥٩١-٢٥٩٢ ، ٢٥٩٦ ؛ الشرجي ، طبقات الخواص ، ص ١٤١-١٤٢ ، ١٧٩ ، ١٩٥ .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٤٣ ، ٢٨٥ ؛ الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٠٣ .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣٠ ؛ وقد نهى الرسول (ﷺ) بل وتبرىء من الذين يمارسون هذه العادة الجاهلية ، ففي صحيح البخاري ذكر أن النبي (ﷺ) قال : (ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية) . انظر : البخاري ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، صحيح البخاري ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٠٢-١٠٣ ، ١٠٦ .

(٥) ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ٢٦٩ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١١١ ، ١٤١ ، ٢١٧ ؛ المسجد المسبوك ، ص ١٦٢ ، ٢٧٢ .

وكان بعض أقارب المتوفى وخاصة من الأمراء والملوك يببالغون في ذلك ويرتبون عدداً من المقرئين على قبر المتوفى لفترات طويلة أحياناً أشهر أو سنين وقد يصل ذلك الأمر إلى مدى الحياة، ومنهم المعز بن طغتكين الذي حزن لوفاته أبيه سنة ٥٩٣ هـ الذي توفي في مدينة المنصورة ودفن في حصن تعز، فلبس المعز السواد وجز شعره<sup>(١)</sup>، ورتب القراء على قبر أبيه، واستمر القراء في التلاوة لمدة سنة كاملة، بعدها لم تطب نفس المعز من طلوع القراء كل يوم إلى الحصن للتلاوة، فقام بشراء دار الأتابك سنقر، ونقل إليها عظام أبيه، وجعل تلك الدار مدرسة، وأوقف عليها وادي الضباب<sup>(٢)</sup>، وجعل عليها سبعة قراء، يواصلون التلاوة عليه، وأجرى عليهم الأرزاق سواء كانت دراهماً أم طعاماً<sup>(٣)</sup>.

ومن بين العادات المتبعة أيضاً في المآتم أن ينحر على قبر المتوفى العديد من الذبائح<sup>(٤)</sup> خصوصاً إذا كان المتوفى من الملوك أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة، فيعقر عدد من خواص خيله وتقلب عليه السروج<sup>(٥)</sup>. يذكر أن عادة عقر الخيول على قبر المتوفى، وهي عادة كانت منتشرة في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، تعتبر من العادات الجاهلية المستهجنة، ولذلك نجد أن بعض حكام اليمن حينما تحضرهم الوفاة يوصون بالآ يهلب عليهم شيء من خيلهم ولا تقلب عليهم السروج، وبالف الاتقياء منهم في وصاياهم، فنجد بعضهم يوصي بالآ تتبع معه إحدى العادات الاجتماعية المستهجنة والتي يرفضها الإسلام ولا يقرها البتة، فيوصي بالآ يصاح عليه، ولا يشق عليه ثوب، ولا يغطي نعشه إلا بثوب من القطن<sup>(٦)</sup>، ولا

(١) ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ٧٩؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تج: علي محمد البجاوي، المكتبة العربية، القاهرة، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م، ج ٣١، ص ٤٠؛ الألويسي، بنويع الأرب، ج ٣، ص ١٢، ١٥-١٦.

(٢) وادي الضباب: واد مشهور مغول غرب جنوب مدينة تعز على طريق المعافر الحجرية، ويسمى ضباب الغرس لكثرة الأشجار والزرع فيه. الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٣٦، (ج ٢).

(٣) الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٣٥-٥٣٦؛ بامخرمة، تاريخ نجر عدن، ج ٢، ص ١٠٤؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٣٩.

(٤) الخرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٥) الخرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٣٣٠؛ ج ٢، ص ١٧؛ العسجد المسبوك، ص ١٨٢، ١٨٦، ٢٧٦؛ السرج: هو سرج مطعم بالفضة أو بغيرها من المعادن. دهمان، معجم اللغات التاريخية، ص ٩٠.

(٦) الخرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٢٣٠؛ ج ٢، ص ٢١٧؛ العسجد المسبوك، ص ١٨٦؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٤٩٠.

يسود أحد من ممالكه ثوباً<sup>(١)</sup>، ولذلك عمد بعض ملوك بني أيوب في اليمن من ناحيتهم إلى محاولة منع هذه المساواة الاجتماعية السائدة في عهدهم، وإن كانت قد جاءت متأخرة أي أواخر ذلك العصر، فنجد الملك المسعود الأيوبي، وهو آخر من حكم اليمن من بني أيوب، يوصي قبل موته ألا تهلب عليه الخيل، ولا تقلب السروج، ولا يسود أحد من الممالك ثوباً، وأن يقبر بين الغرباء، ويروى أنه لما علم من نفسه أنه لا يعيش أمر بأن يطلب له ثوبان برسم الكفن من بعض المحليين على وجه الهبة<sup>(٢)</sup>، وفعله ذلك ربما كان على سبيل التواضع ومنع ما كان متبعاً من عادات البدع في ذلك الوقت، حيث كان له الفضل في تلك المسألة التي حاربها بعد ذلك سلاطين الدولة الرسولية، بل ووصل ببعضهم إلى منعها، والتشدد في نواحي تلك المسألة، حيث نجد الأشرف الثاني الرسولي يأمر بمنع النساء من السير في الجنائز والنياحة على الموتى، كما أصدر أوامره بمنع الناس من فرش الثياب على القبور<sup>(٣)</sup>.

وانتشرت عادة تسليف الحبوب أو الطعام بين الأهالي في اليمن في أيام القحط، كنوع من التكافل الاجتماعي، فقد كان بعض الناس يستلفون الحبوب من ذوي السعة في الرزق والميسورين، وذلك إلى حين جمع المحصول الموسمي الجديد الذي ينتظرونه، وكان هناك من أهل الخير من يدعو الناس إلى قريته فيقوم بإطعامهم، وإذا احتاجوا إلى سلف منه طعام أو حبوب أسلفهم<sup>(٤)</sup>.

ووجدت عادة خاطئة عند أهل اليمن، بل ومعتقد باطل وهو حمل التعاويذ والأحجية أو ما يسمى في المجتمعات الريفية (الحروز)، والتي يعتقد بها بعض الناس ويظنون بأنها ستشفيهم من الأمراض، فالخزرجي ذكر أن أحد الأشخاص كان مريضاً بالحمى، فكتب له أحد الفقهاء الصالحين تعويذة وعلقها له في عضده، فشفي من المرض، ولكن حين حاول فض التعويذة وقراءة ما بها من مكتوب عاوده المرض من جديد، وكرر العمل ذلك أكثر من مرة، ولم تنقطع عنه الحمى ويبرأ

(١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٩٥.

(٢) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٩٥؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٤١٧.

(٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٢٥٥؛ المسجد الممبوك، ص ٢٨٨.

(٤) المعلم وطيطوط، تاريخ المعلم وطيطوط، مخطوط رقم (١٦١)، دار الكتب المصرية، ق ٤ أ؛ النسروزي،

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة، ص ٦٩٠؛ حماد، مظاهر الحضارة في اليمن، ص ٥٢٦.

منها تماماً، إلا بعد أن كف عن تفتيش التعويذة وقراءة ما كتب فيها<sup>(١)</sup> .  
ومن العادات التي كانت سائدة لدى بعض قبائل اليمن، عادة أخذ الثأر<sup>(٢)</sup>، وهي من العادات المقيته التي دائماً ما تجر صاحبها أو المتمسك بها إلى مشاكل وويلات وحروب لا يحمد عقبها داخل المجتمع، وهي عادة متأصلة وموجودة حتى عصرنا هذا، وإن خفت حدتها قليلاً عما كانت عليه في السابق؛ كما شاع في بعض مناطق اليمن تفضيل حكم العرف على حكم الشرع، وخاصة بين الأعراب والبدو وجماعات الصيادين، وهو الأمر الذي لاحظته ابن المجاور في العصر الأيوبي وهو شاهد على ذلك العصر، وقد بين ذلك الأمر في معرض حديثه عن عرب الجبال وبعض مناطق التهائم، حيث قال: "وجميع عرب أهل هذه الأعمال، الجبال مع التهائم إلى حدود الحجاز لا يقبل أحدهم حكم الشرع، وإنما يرضون بحكم المنع، ولا شك أنه حكم الجاهلية الذي كانوا يتحاكمون به"<sup>(٣)</sup> . وإذا كان ابن المجاور قد بين تفضيل بعض مناطق اليمن للاحتكام لعادة العرف على الشرع، فلا بد من القول إن تلك العادة لم تكن مقصورة على اليمن، بل كانت شائعة عند جماعات البدو والمجتمعات القبلية في شتى البلاد العربية، مع ملاحظة أن عادة العرف المتبعة في المجتمع لا تعارض الشريعة الإسلامية ولا تخالفها، وإنما هي تجسيد للشرع بمفهوم يتواءم مع واقع تلك المجتمعات لغرض تسوية المشكلات والخلافات والمنازعات التي كانت تحصل، ولما كانت نصوص الشرع بمفهومها الواسع وأبعادها العميقة غير ذي فهم عند تلك الجماعات والمجتمعات القبلية والبدوية، فالعادة جرت أن تتم تسوية الخلافات في وسطها بواسطة القانون الذي الفوه وتعودوا عليه والذي سمي بـ (القانون العرفي)، وكان المحكمون الذين يتولون فض الخصومات هم شيوخ القبائل الذين يكونون الرئاسة القبلية المنظمة في عائلات تتوارث التكليف في فض الخلافات بين أطراف النزاع<sup>(٤)</sup> .

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ وللمزيد عن هذه العادة الجاهلية انظر: الأتوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٥-١٠.

(٢) للمزيد من التفاصيل، انظر: أبو غانم، البنية القبلية في اليمن، ص ١١٠ وما بعدها .

(٣) المستبصر، ص ٩٩؛ ولأستاذنا عبد الرحمن عبد الواحد شجاع تعليقات على هذه العادة . انظر: زبيد بأفلام الرحالة، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

(٤) لمعرفة المزيد عن ظاهرة الاحتكام للأعراف القبلية، انظر: أبو غانم، البنية القبلية في اليمن، ص ١١٥-١٢٨ .

## خامساً - المأكّل والملبس :

١- **المأكّل** : عرف أهل اليمن أنواع مختلفة من المأكولات والتي تفتنوا في صناعتها في منازلهم وبالذات الميسورون منهم وقد وضع ابن فضل الله العمري ذلك بقوله: "ولأكابرهم حظ من رفاهية العيش والتنعّم والتفنن في المأكّل، يطبخ في بيت الرجل منهم عدة ألوان، ويعمل فيها بالسكر والقلوب وتطيب أوانيهما بالعطور والبخور"<sup>(١)</sup>، وقد اختلفت صناعة الطعام من منطقة إلى أخرى وفقاً لما يتوافر من منتجات زراعية بكل منطقة، ففي المناطق الجبلية وبخاصة المعتدلة والباردة، كان أكلهم يصنع من القمح والشعير والعلس، وهي من الحبوب التي كانوا يزرعونها في مناطقهم، وفي صنعاء وما حولها استخدم أهلها خبز الرقاق الذي يتصف بالرقّة والبياض وهو من البر، وخبز النسول من بر العلس وهو ألطفها وأخفها، والرغيف في صنعاء أغلبه لين ينعطف ولا ينكسر، ولهم ضروب كثيرة من أنواع الخبز، ويستخدمون في همدان ومشرق خولان وجهران من الألبان اللبن الرائب وهو أثخن من الزبدة في غير اليمن، وكذلك يستخدمون الزبدة التي تعتبر بمثابة الجبن الرطب، ولهم أيضاً ألوان من الطعام والحلاوة والشربة مثل: ألوان السمائد اللّقط والكشك الشري وألوان الحلبة ومعقدات الأترج والقرع والجزر وقديد الخوخ والرائج واللي وغير ذلك، كذلك يوجد بها الشهد الحضوري الجامد الذي يقطع بالسكاكين<sup>(٢)</sup>، ومن مأكولات أهل صنعاء وذمار وشبام أيضاً الحنطة والحلبة واللحم خصوصاً لحوم البقر؛ لأنه يتناسب مع برودة الجو، ويتعاطون الشراب الغير مُسكر الذي لا ينقطعون عنه صيفاً وشتاءً، بحيث يتناولوه جميعهم صغيراً وكبيراً قوياً وضعيفاً<sup>(٣)</sup>، وتكثر في المناطق السالفة الذكر زراعة التفاح والمشمش والخبوخ والبرقوق والسفرجل والعنب والتين والكمثري والبطيخ، لذلك فإن الأهالي في تلك المناطق يفضلون تناولها ويستطيبونها<sup>(٤)</sup>، ولديهم أنواع الزهور من الورد والياسمين وأنواع البقول المختلفة<sup>(٥)</sup>

(١) مسالك الأبصار، ص ١٥٩؛ الفلكسندى، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٧.

(٢) الهمداني، صفة، ص ٣٥٧-٣٥٨؛ الليثي، في الأغلب، نوع من الحبوب وهي بقلة سودا نقشر وتؤكل، الهمداني، صفة، ص ٣٦١، (ج ١).

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٩١.

(٤) الهمداني، صفة، ص ٣٥٤؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ١٨٥؛ والبطيخ حكيمة وقرع السم فيها للملك سيف الإسلام طغتكين بن أيوب،

نظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ١٦٦.

(٥) الهمداني، صفة، ص ٣٥٥؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ١٣٧.



أما زبيد وما يماثلها من المناطق التهامية الحارة، فإن الأهالي كانوا يعتمدون في طعامهم على المواد الآتية: الذرة، الدخن، التبر، الدُجر (اللوييا) والفلول والجبن، ويصنعون من الدخن طعاماً يسمى الخفوش، ومن الدُجر حساء يسمى الكبان، ويصنعون من الدخن والذرة اللُحوح والفطيرة يأكلونه بعد أن يمرس باللبن والسمن ويسمونهم (الملتَح) وبعضهم يمرسه بالمولز والقند<sup>(١)</sup> والحليب - وطبخهم الملوخية، ويأكلون الدُّبَاء (القرع) مشوياً في التتور، وفواكههم وخضارهم هي: البطيخ والموز والعنب والرمان والرطب والقثاء والخيار<sup>(٢)</sup>، وقد وصف ابن المجاور أهل زبيد بحب الطعام والشراب والملابس النظيفة وشم الطيب، ويتباهون بما يأكلون، وأحاديث عامتهم تدور حول الطعام" فيقول زيد لعمر: ما أصبحت اليوم ؟ فيقول: فطير دخن وقطيب<sup>(٣)</sup> أو ملتَح وسليط<sup>(٤)</sup>، وأنت ما تعرّفت؟ فيقول: رغيف خبز بفس وقطعة حلوة بأربعة فلوس، ويفتخر جعفر فيقول: أنا أكلت أكلة تكفيني ثلاثة أيام: فطير وحليب وقند وثرّفت إلى أن شبع<sup>(٥)</sup> وأكبر دليل على حب أهل زبيد للطعام وتفضيله على غيره من الأشياء قول الشاعر أبي علي الأسنوي الذي يصف قول الحبيب الجائع لحبيبتَه الحساء ، حيث قال :

"خذني الثريد إذا ما جئت مقبلة      نحوي ولا تأخذي مسكاً بأطياب  
واستعلمي من فطير الدخن مع لبن      وصباحيني به صباحاً على الباب  
فإن قلبي إلى حب الفطير صباً      وليس قلبي إلى حب النسا صابى"<sup>(٦)</sup>

أما سكان مدينة عدن فإنهم يعتمدون في طعامهم على المستورد من خارج مدينة عدن إما من مناطق اليمن الجبلية والتهامية أو من بلدان السند والهند والحبشة وديار مصر، وهذا ليس بغريب فمعظمهم من عناصر مختلفة من هذه البلدان جميعاً

(١) القند : هو السكر ؛ واللحوح : هو من المأكولات المفضلة في بعض المناطق اليمنية ، انظر : الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣٣ .

(٢) العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٨ .

(٣) القطيب : هو اللبن الزبادي .

(٤) السليط : هو زيت السمسم . الشجاع ، زبيد بأقلام الرحالة ، ص ٢٨٠ .

(٥) المستبصر ، ص ٧٠ ، ٨٦-٨٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٨٧ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٨ .

وكل يميل الى طعام بلده فيشتريه، ومثلهم يأكل أهل الشحر والمنذرية وشبام حضرموت والمناطق الساحلية اليمنية، والغالب عليهم جميعاً أن مأكولهم الخبز وأدمهم السمك<sup>(١)</sup>.

وقد اختلفت مجالس الأطعمة باختلاف طبقات المجتمع، فكان عامة الشعب وأهل الطبقات الدنيا يأكلون ماتيسر لهم حسب أرزاقهم، وكان غالباً ما يشتمل على فطير الدخن واللبن الرائب (الزبادي) أو أرغفة الخبز من البر والحلاوة، وأحياناً يشمل طعامهم الحليب والسكر، ويعد هذا منتهى الترف عندهم؛ أما رجال الطبقة الحاكمة وأهل الثراء والترف من الوزراء والوجهات وغيرهم، فكانوا يتناولون أشهى المأكولات، التي تمد لهم على أسمطة واسعة يبلغ طول السماط الواحد منها أحياناً خمسين ذراعاً، ويقدمون عليه العديد من الخراف المشوية وأنواع مختلفة من الحلوى<sup>(٢)</sup>، وقد وصف الشاعر إسماعيل المقري السماط ومدى اتساعه وما كان يشتمل عليه من أنواع المأكولات الشهيرة بقوله:

سماط ما أراه أم مناخ لأبصرة تقام وتستناخ  
تراها وهي مشوية قياماً صحاحاً ما بمفصلها انتفاخ  
قياماً في السماط وحولتيها طيور وما حواليتها فراخ  
تحاول أن تطير وأين منها مطار والأكف لها فخاخ  
وضان فيه تأكل من كلاها وما يبطنونها منه انتفاخ<sup>(٣)</sup>

وكانت الموائد والأسمطة لا تخلو من مختلف أنواع الحلويات<sup>(٤)</sup>، والتي كان أهل اليمن يفضلونها ويقبلون على تناولها بشغف زائد إلى درجة أن أحدهم قال: "لا نأكل إلا الحلوى"<sup>(٥)</sup>، وقد تناول أهل البادية الطعام المشهور والمعروف عندهم وهو العصيد<sup>(٦)</sup>

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٣٧، ٢٥٣.

(٢) الوصابي، تاريخ وصاب، ص ٥٨، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٨١.

(٣) انظر: أبو زيد، طه أحمد، إسماعيل المقري (حياته وشعره)، ط ١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء / دار الآداب، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٧٥.

(٤) الوصابي، تاريخ وصاب، ص ٥٨.

(٥) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص ٢٠٣.

(٦) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٤٨٢.

؛ كذلك تتوّع استخدام الأطعمة بحسب حاجات الناس لها من حيث المكوّن والسفر، فصنعوا الأطعمة التي يستمر بقاءها وقتاً طويلاً دون أن يصيبها التلف، مثل خبز المّلة والكشك والمهادن، والخبز اليابس الذي لا يصيبه التغير حتى يتسنى لهم استخدامه في السفر، كما أنهم جففوا الأسماك واللحوم، وكان لأهل صنعاء طريقة خاصة يتم بها حفظ اللحوم بعد طبخها، وهي أنهم يطبخون اللحم بالخل مما يجعل اللحم يمكث أكثر من شهر دون أن يتلف<sup>(٣)</sup> .

وكانوا غالباً ما يصنعون خبزهم للأسفار مخلوطاً بالسمن؛ لأن السمن اليمني أجود من زيت السمسم، ويجعل الخبز طرياً لأطول فترة ممكنة، كذلك كانوا لا يصنعون حلوياتهم إلا بالسمن ولا يصنعونها بغيره، ويقبلون على شربه لرائحته الطيبة ولطفه وخفته<sup>(٤)</sup> .

أما أشهر مشروباتهم فكانت الثوبيا (السوبيا)<sup>(٥)</sup>، والفقّاع، وقد روت المصادر أن مشروب الفقّاع كان يشربه الملوك والسلاطين وغيرهم من أعيان البلاد، حيث وجد في حفلاتهم ومجالسهم الخاصة، حتى أن الملك الناصر أيوب بن طغتكين مات بشراب كوز من الفقّاع المسمّم<sup>(٦)</sup>؛ ومن الأشربة الشائعة، النبيذ وكان يصنع منه عدة أنواع، من ذلك نبيذ الفضيح ونبيذ زعفران، وكان الخاصة والعامة من سكان اليمن يتعاطون الأشربة تلك وخاصة الفضيح الذي شاع تناوله في موسم جنّي التمر<sup>(٧)</sup> .

## ٢- الخبّس :

اختلف لباس الناس في اليمن من منطقة إلى أخرى وذلك بحسب العوامل الطبيعية

(٣) الهمداني، صفة، ص ٣٥٥؛ السروري، الحياة السياسية، ص ٦٩٣ .

(٤) للمزيد، انظر : الهمداني، صفة، ص ٣٥٧ .

(٥) السوبيا : هي (السوبية) نوع من النبيذ ذكره الزبيدي بقوله : " السوبية . . . نبيذ معروف يتخذ من الحنطة وكثيراً ما يشربه أهل مصر . . . في أعيادهم ، وقال شيخنا وقد يستعملونه من الأرز كما هو متعارف . . . " نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف ، تج : محمد عبدالرحيم جازم ، ط ١، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٣م ، ج ٢ ، ص ١٤ (ح ٣) .

(٦) الخزرجي ، العسجد المسيوك ، ص ٢٧٠ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ؛ الفقّاع : شراب يتخذ من الشعير سمي بذلك لما يعلوه من الزبد والفقاعات . دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١١٨ .

(٧) حمّاد ، مظاهر الحضارة في اليمن ، ص ٥٣٢ .

من حرارة وبرودة وغيرها، وكذلك حسب مكانة الشخص وطبقته الاجتماعية، كذلك باختلاف المناطق البدوية والحضرية، بحيث أصبح من اليسير تمييز فئة الفرد الاجتماعية وحرفته وعمله بل وديانته إن كان مسلماً أو ذمياً، بدوياً أو حضرياً بمجرد النظر إلى هيئته وملابسه، ونستدل على ذلك أن الملك سيف الإسلام طغتكين بن أيوب عندما كان يهتم بالنظر في المظالم، تقدم إليه رجلٌ بمظلمه أثناء وجوده في صنعاء، فلما وقعت عين طغتكين عليه ورأى هيئته وشكله الذي يخالف هيئة وشكل أهل البلد استدعاه وسأله عن بلده<sup>(١)</sup>.

ولذلك كان اللباس أساساً للتعبير عن حرفة الشخص وعمله داخل المجتمع، ومن الأمثلة أيضاً على ذلك أن الملك سليمان بن شاهنشاه الأيوبي الذي تولى ملك اليمن بعد مقتل الناصر أيوب خلع لباس الجند قبل توليه حكم اليمن ولبس لباس الفقراء وحمل ركوة (وهي أنا صغير من الجلد يُشرب منه الماء) على كتفه<sup>(٢)</sup>.

وهناك من حكام بني أيوب في اليمن من كان يتشبه في زيهِ بالخلفاء، فالملك المعز إسماعيل بن طغتكين إدعى الخلافة، وجعل شعاره الخضرة، حيث لبس ثياب الخلافة الخضراء ذوات الأكمام الطوال، وعمائم خضراء مذهب، وقد وصل طول الكم خمسة وعشرين شبراً في سعة ستة أشبار<sup>(٣)</sup>، وقد عرفت هذه الثياب الخلافة في اليمن باسم المقدرات<sup>(٤)</sup> وتأكيذاً لما سبق يذكر الخزرجي أن الملك المعز ارتدى لباس الخلفاء ووصفه بأنه يتكون من القمصان ذات الأكمام الطوال الواسعة، والتي تسمى الثمانية والعشارية، ويكون طول الكم عشرة أذرع أو ثمانية أذرع، بحيث يكون الملك قاعداً في روشنة<sup>(٥)</sup>، فيصل أحد الغلمان أو النواب ممن يريد تقبيل يده، فيرسل الملك كمة من الروشن إلى الأرض، فيقبل الغلمان كمة نيابة عن يده<sup>(٦)</sup>.

(١) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٠٢.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٣٨.

(٣) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ١٦٠.

(٤) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٦٨، ٨١.

(٥) الروشن: كلمة فارسية الأصل، تعني الفتحة أو النافذة والمشربيات. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٨٤.

(٦) المسجد المسبوك، ص ١٠٤.

وكانت هذه الأكمام الطويلة سبباً في عجزه عن صد هجمات الأكراد عليه عندما هموا بقتله، وكان كلما أراد أن يضرب بالسيف أنسدل عليه الكم لطوله ، حتى انتهى الأمر بمقتله سنة ٥٩٨هـ<sup>(١)</sup> .

ويلبس أهل المدن اللبس العربي من القطن والحريز مع طول الأكمام ويبلغ طول الكم ذراعاً ونصف ذراع وعرضه ذراع، ففي صعدة ارتدى الناس المنسوجات الحريرية والقطنية؛ لأن البلاد ظاهرها حار بالمرّة وباطنها حار لين<sup>(٢)</sup>، كذلك لبس العلماء والفقهاء والقضاة في المدن الشاش والملحف والعمائم الطويلة<sup>(٣)</sup>، وكانت هذه الملاحف من الجوخ، أطرافها موشاة بالحريز<sup>(٤)</sup> . وفي عدن كان لباس عامة أهلها من الكتان والعمائم الملساء، أما العجم من سكانها فيعممون بذؤابة<sup>(٥)</sup>، وكان لباس أهل زبيد من الحريز، وكانوا يستخدمون من ألبسة الرأس قلنسوات من خوص النخيل<sup>(٦)</sup>، وكان لباس أهل شبام حضرموت من المنسوجات القطنية التي يغلب على ألوانها اللون الأزرق<sup>(٧)</sup>، أما في غير المدن وهم أهل القبائل الزراع فيلبسون السواد من دون قمصان، وتعرف في اليمن باسم الفويلة، وعلى رأسه قطعة من ثوب أسود يلفها على رأسه من غير طاقية، ويلبس رجال المدن أيضاً الجوخ<sup>(٨)</sup>، أما لباس أهل الجبال فكان لعامتهم لباس مصبوغ وغير مصبوغ يتكون من منزر وقميص مصبوغ بالنيلة، ولباس شباهم الفتوح، وهي القمصان الواسعة، ويشد وسطها بحزام من الجلد، ويعمم بقطعة من الخام المصبوغ يسمى القبع، ويلبس أهل الحواضر تحت

(١) ابن حاتم ، السمط العالي ، ص ٨١-٨٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٥٧ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٠٦ .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

(٤) الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ١٢٠ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٨ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٠-١٩١ ؛ وربما لبس

أهل زبيد الفرجات ، وهو نوع من الثياب الصوف مفرجة من الخلف أي لها شقوق . الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤١٩ .

(٧) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٥٣ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩١ .

(٨) العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٥ .

القميص صديريّة تسمى الزّنة، وفي مصر تسمى جلابية<sup>(١)</sup>؛ على أن زي الأئمة الزيدية، بحسب ما أشارت إليه المصادر، هو لباس العرب والعمامة والحنك<sup>(٢)</sup>، وفي ضوء ذلك يمكن القول إن أهل الحواضر كانوا يتأنقون في ملابسهم النفيسة على اختلاف أنواعها، بحكم اشتغالهم بالتجارة وفي المدن دائماً ماتوجد الأسر الحاكمة وأصحاب الأملاك الواسعة، فمشائخ صنعاء ووجوه أهلها كانوا يتميزون بالأزياء ذات المنظر الحسن، والتي كانت مثار إعجاب الملك المعظم توران شاه الأيوبي عند دخوله إليها<sup>(٣)</sup>.

أما عن لباس المرأة فيأتي طبقاً للتقاليد الإسلامية، فنساء اليمن محجبات<sup>(٤)</sup>، وقد وصف الواسعي ملابس المرأة اليمنية وصفاً مسهباً فأشار إلى أن المرأة في اليمن تجعل على رأسها عدة خمر تسمى مصرات أو مناديل، وهي محتجبة في منزلها، وهي ترتدي سروالاً طويلاً يصل إلى الأرض، ثم ثوباً طويلاً يستر كل جسدها عدا الكفين، وله أكمام ضيقة، ويسمى هذا الثوب في اليمن زنة وهو الجلابية في مصر، كما ترتدي المرأة في أحوال قليلة كالولادة قميصاً ذا أكمام طويلة مثل أكمام الرجال، وترتدي الثوب الأسود إذا مات زوجها أو شخص عزيز عليها، وفوق هذا الخمر منديل كبير أبيض يبلغ طوله نحو ذراعين تزّين أطرافه بالأحمر والأسود، ويعطو هذا الخمر ثوب مطرز بالذهب، ثم تربط هذه بحزام مصنوع في صنعاء، ويتراوح طوله بين ذراعين ونصف ذراع وثلاثة أذرع، يعطوها ثوب حرير رقيق ملون مصنوع في الهند يسمى الطرحة يبلغ طوله ذراعين ونصف ذراع، وعرضه ذراع وربع ذراع، وفي العيد أو العرس تجعل المرأة فوق ذلك ثوباً آخر أطول وأعرض من الأول ولكن يوضع فوق الرأس، ويسمى القناع، ويسمى الذي فوق الرأس العصبة<sup>(٥)</sup>، وفي تعز

(١) ابن المعجور، المستبصر، ص ١٨٩؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ١٢١؛ العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٩٥.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ١٦٨؛ الفلّشتندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٥٣؛ ج ٧، ص ٣٣٤؛ كذلك كان لزعماء فرقة الصوفية أو المطرفية زي خاص يميزهم عن بقية الناس، حيث كان لبسهم الخام (المرفعات) ولبس شبابهم الفتوح. ابن المعجور، المستبصر، ص ١٨٨؛ وللملك المسعود الأيوبي قصة في لبس الصوفية. انظر: يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٤١١.

(٣) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٢٤.

(٤) إيجار أو بالاس، اليمن الثورة والحرب، ترجمة: عبد الخالق محمد لاشين، ط ١، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٥٤.

(٥) فرجة الهموم والحزن، ص ١٢١-١٢٢.

وغيرها من المدن يلبس النساء إذا خرجن من دورهن فوق الملابس العادية الشرف مع وضع نقاب فوق الرأس يغطي الوجه، وتضع المرأة فوق وجهها خمارين أحدهما من أسفل والثاني فوقه وهو أثقل منه، وممن ارتدت هذا الزي السيدة بنت جورة كريمة الأتابك سيف الدين سنقر وزوجة المنصور نور الدين عمر بن رسول<sup>(١)</sup>.

وكانت النساء في صنعاء ومناطق حضرموت وغيرها من المناطق اليمنية يرتدين الملابس الفتوح<sup>(٢)</sup>، كما ارتدين العباءات والقناع والبريم، ويتكون من زنارين أحدهما أحمر والآخر أبيض، وتشده المرأة على وسطها كالنطاق، وهما مزينان بأصناف الجواهر<sup>(٣)</sup>، وكانت الجوارى في عدن يشدّدن وسطهن عند البيع بالمآزر<sup>(٤)</sup>. يمكن القول إن لباس نساء القبائل أو الرعويين يكاد يكون واحداً: سروالاً أزرقاً مصبوغاً بالنيلة وقميصاً طويلاً تحزمه في وسطها وترفعه إلى ركبتهما عند سيرها، وتضع فوق رأسها شاشاً أسوداً مصبوغاً يسمى شيل وهي مناديل للرأس . والخاصة أن ملابس النساء في اليمن يغلب عليها السواد في المدن والريف<sup>(٥)</sup>، أما زي عامة الجند فأقبيّة إسلامية ضيقة الأكمام مزودة الأيدي، وفي أوساطهم مناطق مسدودة، وعلى رؤوسهم تخافيف لانس وفي أرجلهم الدلكسات<sup>(٦)</sup>، أخف من القماش الحرير الأطلسي<sup>(٧)</sup>.

وقد تزينت النساء في اليمن بالحلي الثمينة وبأدوات الزينة المختلفة من الخلخال والدملج والكحل والعطر، وقد نظم أحد شعراء ذلك العصر أبياتاً تتضمن تلك الزينات، فقال:

يابنر تمّ ظلّعا ونور فجر سنطعا  
ويا قضيباً ناعماً على كتيب مرعا

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٩٥ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٨٩ ، ٢٥٣ .

(٣) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٥٥ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٥ .

(٥) حسن إبراهيم حسن ، اليمن البلاد السعيدة ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٥٤-١٥٥ .

(٦) التخافيف لانس : نوع من غطاء الرأس ، وهو المعروف بالعصبة أو اللغائف . ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ص ٥٢ (ج ٢) . والدلكسات : أحذية خفيفة من القماش الحرير الأصلي ، وهو القماش الخشن المخطط

بالحمرة والصفرة . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢ ؛ دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٧٦ .

(٧) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ص ٥٢ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٣٤٨ .

وبارقاً من ثغرٍ من	يهواه قلبي لمعاً
ويا غزالاً مربي	عصراً يجر الخلعاً
محجلاً مدمجاً	محرّقاً مملجاً
مشيعاً مظرفاً	مطوقاً مقنعاً
معبلاً محجلاً	مكحلاً مشرّعاً
منعماً معطراً	ملطفاً مسرّعاً <sup>(١)</sup>

وقد عُرِفَ عن نساء اليمن عامة ونساء حضرموت بخاصة ميلهن الشديد للزينة، فيعمدن الى تضيف شعورهن وربطها في وسط الرأس كالتاج، وتشبه في ذلك تاج الهدد، ويطلقون على هذا النوع من التصفيف الطُرْطُر<sup>(٢)</sup>؛ كذلك كانت نساء المحاليل شمال زبيد يطولن شعورهن ويربينه منذ الطفولة حتى الكبر، فيضفرنه صفرأ ملاصقاً وهو ما يسمى (دبوقه) ويدهننه ويسرحنه ويغسلنه بالسدر والطين<sup>(٣)</sup>، وللتدليل أيضاً على حب النساء للزينة وارتداء الحلي الفاخرة والثمينة، يروي يحيى بن الحسين أن القبائل حين هاجمت فرق المماليك التابعة للأتابك غازي بن جبريل في منطقة السحول، قال: "وهتكوا الحريم وقطعوا آذانهم وأخذوا ما فيهن من الحلية"<sup>(٤)</sup>. وأخيراً ولأن الملبس يعد مظهراً رئيساً من مظاهر الحياة الاجتماعية كان الملوك والسلاطين يتهادون الثياب الفاخرة فيما بينهم من قبيل المجاملة وإظهار الكرم وما شابه ذلك .

### سادساً- وسائل التسلية :

فيما سبق عرفنا مدى اهتمام حكام وسلاطين اليمن بالمواسم والاحتفالات الخاصة والعامة وبالمأكولات والملبوسات والمشروبات وغيرها من المظاهر الاجتماعية الأخرى، وشاركهم في ذلك جميع الأهالي في عصر الدولة الأيوبية، ونضيف الى ذلك أنهم كانوا مولعين بأنواع أخرى من وسائل التسلية وأنواع الرياضات منها:

(١) ابن الجاور ، المستبصر ، ص ١٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ ، ١٣٦ ، ٢٥٣ .

(٤) ولقد قيل إن إحدى نساء وردسار - يقال لها الحاجة - ذهب عليها في ذلك اليوم ما قيمته أربعون ألف دينار ذهباً ، غلبة

الأماني ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .



## ١ - المتنزهات :

إذا كنا قد عرضنا سابقاً كيفية خروج أهالي البلاد من زبيد إلى ساحل البحر للاستحمام والتمتع بنسمات البحر أثناء موسم جني النخيل (الرطب)، فإن الملوك والحكام من بني أيوب وغيرهم في اليمن اعتادوا الخروج للتنزه على ساحل البحر والإقامة هناك أياماً، وكذلك التنزه في البساتين الملكية المنتشرة في أنحاء متفرقة من البلاد، والتي عنوا ملوك اليمن وأمرؤها بغرسها بكافة صنوف الأشجار، وغرائب الغراسات، وأجروا إليها الماء من الأماكن البعيدة<sup>(١)</sup>، لتكون هذه البساتين والحدائق (الرياض) متنفساً لهم ولأهل البلاد، ومجالاً للترويح والترفيه<sup>(٢)</sup>، ومن هذه المتنزهات وادي ورزان في تعز الذي تجري فيه مياه السيول والينابيع وفيه بركة الحوبان<sup>(٣)</sup>، ورغم شدة الرياح في ذلك الوادي في بعض المواسم، إلا أنه كان يرتاده الملك الأيوبي سليمان بن شاهنشاه، فأنشد في تلك المتنزهات، قائلاً:

بليت بها دون الحسان فمهجتي      تذوب وبى من جرة البين بلبال  
أقمت بأكناف الخصيب وأصبحت      بحصن تعز ذا التفرق قتال<sup>(٤)</sup>

وفي تعز أيضاً أجريت المياه من جبل صبر إلى القرى المجاورة له وإلى البساتين الخاصة بقصور الملوك الأيوبيين وذلك في عهد الملك طغتكين بن أيوب، الذي بنى المنصورة وأجرى الغيل أيضاً إليها من صبر، وغرس البساتين الواسعة بمختلف الأشجار، "حتى لقد قيل أنه أرسل لغرسها إلى أرض مصر"<sup>(٥)</sup>.

وكان حكام اليمن وأهلها يترددون في نزعاتهم على العديد من البساتين منها، بستان الجنات تحت حصن الدملة حيث غرس فيه الملك سيف الإسلام طغتكين بن أيوب جميع الفواكه<sup>(٦)</sup>، وبستان الجند<sup>(٧)</sup>، وبساتين كوكبان التي كانت مزروعة بجميع

(١) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٣٩١.

(٢) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٢٩٧، ٥٣١؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ١٦١.

(٣) الحوبان: موضع على مقربة من وادي ورزان، والموضع والوادي في ناحية الراهدة من مدينة تعز.

(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٥٥-١٥٦، ١٦١.

(٥) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٣٦؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ١٥٦، ١٥٩.

(٦) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٥٤.

(٧) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٣٩.

أنواع الفواكه والأشجار والجوز وغيره<sup>(١)</sup>، وبساتين الراحة<sup>(٢)</sup>، وبساتين قراضة وصهلة وصالة بتعز<sup>(٣)</sup>، وغيرها من البساتين الغناء التي كانت تحيط بقصورهم في شتى أنحاء البلاد، واعتادوا النزول فيها أثناء أسفارهم وخروجهم للتنزه والترفيه، وقد اشتهر من الملوك الأيوبيين في هذا المجال، الملك سيف الإسلام طغتكين بن أيوب الذي بنى المنصورة وغرس البساتين حولها وأدخل في صنعاء البستان المعروف ببستان السلطان - نسبة إليه - وبنى فيه الدور والمعارض، وأجرى إليه غيل البرمكي، وبنى الدار السلطانية في صنعاء، وأجرى الأنهار حولها، وكانت البساتين حافة بها، فيها صنوف الأشجار وأنواع الرياحين والأزهار<sup>(٤)</sup> .

وقد هدف الملوك من إقامة تلك المتنزهات أو البساتين سواء الخاصة التي كانت تحف بقصورهم أم العامة التي كانت موجوده وسط المدن المهمة، هدف من ذلك تزويج النفس والفرجة والترفيه .

تجدر الإشارة الى أن النزهات التي كان يخرج فيها الملوك كانت تتخللها مهرجانات واحتفالات ينشد فيها المنشدون، ويطرب المطربون، ويقوم الشعراء على إنشاد المدائح المختلفة، وتُمد الأسمطة الحافلة طوال أيام النزهة، والتي تشمل أيضاً على العديد من ضروب الدعابة وألوان اللهو، وكان القائمون برعاية هذه البساتين يهتمون بتزيينها وتجميلها لكي يدخلوا البهجة في نفوس الملوك وضيوفهم<sup>(٥)</sup> .

## ٢- الصيد :

كذلك شغف حكام اليمن وأمرأؤهم بألعاب الفروسية والصيد والسرماية على اختلاف أنواعها لما في ذلك من تمرين النفوس على اكتساب التأيد، وحصول المسرة بكل ظفر جديد<sup>(٦)</sup>، ولذا اهتموا بإقامة المسابقة الميادين الفسيحة ظاهر

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ ؛ والراحة : تطلق على راحة بني شريف من بلاد نجد اليمن ، وهي ولد ، ويسمى درب العقيق ، وتسمى محل أبي تراب ، وتسمى راحة المؤيد وهو المؤيد أحمد بن غانم بن قاسم بن غانم وهي قديمة بنتها الأشراف . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٣٨ ، ٥٥ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

(٥) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٢٣ ، ١٢٨ .

(٦) القفطندي ، صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ١٦٦ .

المدن<sup>(١)</sup>، كما اهتموا بطيور الصيد وكلابها على اختلاف أنواعها، فأنشأوا لها المطاعم، من ضمن ذلك أقتنوا طيور الباز الخاصة بالنقاط الأشياء التي يصطادوه من طيور وحيوانات صغيرة أو الأشياء التي يصطادها الطير بنفسه، فعينوا لها البازدارية للإشراف عليها تحت رقابتهم<sup>(٢)</sup>، ويذكر الخزرجي في معرض ذلك أن الملك المسعود الأيوبي اعتاد النزول كثيراً إلى مطعم الطير، وهناك كان يتولى بنفسه إطعام الجوارح الصيدية<sup>(٣)</sup>.

وبأتي في مقدمة الألعاب الرياضية التي شغف بها حكام اليمن رحلات الصيد، فقد اشتهر الملك المسعود الأيوبي بإقباله على صيد الطيور<sup>(٤)</sup>، حيث كان الملوك يخرجون في سرحات الصيد إلى أماكن ومواضع مخصصة لذلك، ويخرج معهم أعيان دولتهم وكافة العسكر لخدمتهم<sup>(٥)</sup>؛ وأهم هذه المواضع، فثال<sup>(٦)</sup> والجند والتربية والقرشية وغيرها من نواحي اليمن<sup>(٧)</sup>.

أما عن طريقة الصيد، فقد كانوا يطلقون الطير في الهواء، ثم يطلقون وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها<sup>(٨)</sup>، وبالنسبة لاقتناص الوحوش من حُمر الوحش وغيرها من النعامات فكانوا يكمنون لها في مواضع عديدة ومعهم حيوانات الصيد من الكلاب والفهود، إلى أن تظهر الحيوانات، فيطلقون الجوارح الصائدة وراءها، ويتبعها الملك والأمراء على الخيول إلى أن يصلوا إليها فيناوشونها بالسهام<sup>(٩)</sup>.

وقد اعتاد ملوك اليمن بعد العودة من سرحة الصيد أن ينعموا على الأمراء والمقدمين بالكسوات والأموال ويعم إحسانهم في ذلك اليوم العام والخاص، حتى وصلت تلك الإنعامات إلى العديد من العسكر<sup>(١٠)</sup>.

(١) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ١٩٣، ج ٢، ص ٣٥.

(٢) ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ٧٩؛ البازدار : هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده مثل : الباز والصقر . دهمان، معجم المصطلحات التاريخية، ص ٢٩.

(٣) العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ١٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٥) ابن حاتم، السمت الغالي، ص ٨٠؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٣٥، ٢٢٣؛ المسجد المنيوك، ص ٢١٨.

(٦) فثال : بلدة قديمة كانت تقع بوادي رَمَح شمال زبيد، وقد حلت الحسينية محلها في الوقت الحاضر. انظر: الحجري، مجموع، ص ٢، ج ٢، ص ٦٣٤.

(٧) ابن حاتم، السمت الغالي، ص ٢٨٠-٢٨١؛ الخزرجي، المسجد المنيوك، ص ١٨٥-١٨٦.

(٨) ابن حاتم، السمت الغالي، ص ٢٨١؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط ١، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٦٩.

(٩) ابن حاتم، السمت الغالي، ص ٢٧٨.

(١٠) مجهول، تاريخ الدولة الرسولة في اليمن، نج : عبدالله محمد الحبشي، مط الكاتب العربي، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٢١١.

### ٣- الرماية :

وهي من الألعاب الشائعة في ذلك العصر والتي كان يمارسها الملوك والولاطين وغيرهم والتي تجسد عادة يمنية تمارس حتى اليوم في المناسبات كالأعياد والأعراس، ومنها الرمي بالبندق، وهي كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص ونحوه وترمى بها الطيور، وكذلك لرماية أهداف صغيرة الحجم، يصبوب إليها الرماة قذائفهم اختباراً للمقدرة الحربية، ويصور الشاعر ابن المقري هذه الرياضة بقوله :

"وقمت للحرب تدري تدريبهم  
نصبت عرضاً شاخصاً ممتحناً  
فمخطيء يطرق رأسه خجلاً  
لحذقهم كخاتم في الصغر  
وصائب يبدو بوجه مسفر"<sup>(١)</sup>

وممن تولع بهذه اللعبة (الرماية) وكانت له هواية فيها الملك المسعود الأيوبي، حتى أنه لم يتورع من كثرة شغفه برياضة البندق عن رمي حمام الحرم من فوق زمزم أثناء وجوده بمكة سنة ٦١٩ هـ<sup>(٢)</sup> .

### ٤- الشطرنج :

وهي من وسائل التسلية التي عرفتها اليمن والتي كان يمارسها الملوك والأمراء ومن في شاكلتهم من أعيان الدولة وكبار الفقهاء والأدباء، وقد كانت لعبة مشهورة قبل العصر الأيوبي زاولها جياش بن نجاح الذي برع في لعبة الشطرنج مع الشاعر الحسين بن علي القمي، وكان الأخير يومئذ رأس طبقة أهل زبيد في الشطرنج<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من عدم وجود دليل في المصادر التي بين أيدينا على ممارسة هذه اللعبة في العصر الأيوبي، إلا أنه من غير المستبعد أن تكون من الهوايات التي شغف بها ملوك وحكام بني أيوب في اليمن، وشاعت في عصرهم، وربما في عدن التي سكنها الهنود، والذين كانوا يفضلون لعبة الشطرنج ويعتبروها أشرف لعبة<sup>(٤)</sup> .

(١) أبو زيد ، إسماعيل المقري ، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٣) عمارة ، المفيد ، ص ١٦٤-١٦٥ ؛ النوصابي ، تاريخ وصاب ، ص ٥٠ . والقمي : هو أبو عبدالله الحسين بن علي

القمي ، مؤلفه بزييد ، شاعراً ومترسلاً ، صاحب سمو وقدر عالي ، سكن أشيخ ، وله أشعار كثيرة . انظر : عمارة ،

المفيد ، ص ١٩٤-٢٠٣ .

(٤) الحميري ، الحور العين ، ص ٢٨٠ .

## ٥- سباق الخيل<sup>(١)</sup> :

عرف حكام اليمن سباقات الخيل، وكانت تجري في حلبات واسعة تحت حصن كوكبان وغيره من المواضع التي تصلح لإجراء السباقات<sup>(٢)</sup>، كذلك كانت تقام في وادي نخلة بالقرب من زبيد عقب جني محصول النخيل<sup>(٣)</sup>؛ وقد اهتم العرب بصفة عامة بالخيل اهتماماً بالغاً وهذا ما أكد عليه نشوان الحميري بقوله: "وليس في الناس أشد عجباً بالخيل من العرب، ولا أصنع لها، وأكثر لها ارتباطاً، ولا أشد لها إثارة، ولا أهجاً لمن لا يتخذها، أو لمن اتخذها وأهانها وأهزلها، ولا أمدح لمن اتخذها وأكرمها ولم يهنها، ولذلك أضيفت الخيل إليهم بكل لسان، حتى قالوا جميعاً: هذا فرس عربي، ولم يقولوا: هذا فرس هندي، ولا رومي، ولا فارسي، فحسبونها تحصين الحرم، وصانوها صون الأعراض، ليبذلوها يوم السروع [الفرع] وليدركوا عليها الثأر"<sup>(٤)</sup>، وأفاض نشوان الحميري في ذكر الخيل والاهتمام بها قائلاً: "وكانوا يؤثرونها على أنفسهم وأولادهم، ويصبرون على مؤونتها في الجذب والأزل [الضيق والشدة] و... ويؤثرونها بالحليب، لأنها كانت حصونهم ومعقلهم"<sup>(٥)</sup>، كما أورد الكثير من الأشعار التي تصف الخيل على اعتبار أنها مصدر فخر للإنسان العربي، ومن ذلك قول الشاعر :

أخلصته حولين أمسح وجهه وأخو المواطن من يصون ويدأب  
وجعلته دون العيال مقرباً حتى أنجلت وهو الدخيل المقرب  
وقال آخر : أهينوا لها ماتكرمون وباشروا صيانتها والصون بالخيل أجمل  
متى تكرموها يكرم المرء نفسه وكل امرئ من قومه حيث ينزل<sup>(٦)</sup> .

(١) قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ . سورة الأنفال ، الآية رقم (٦٠) .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١١٣ ، ٢١٩ .

(٣) الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٣٠٥ .

(٤) الحور العين ، ص ٢٧٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٧٣-٢٧٤ ؛ وللمزيد عن الخيل ومحامدها وسباقها والوانها وشهرتها . انظر : الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ٢ ، ص ٧٥-١٠٢ .

(٦) انظر : الحميري ، الحور العين ، ص ٢٧٦ ؛ الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

## سابعاً - الأوقاف وأثرها في الحياة الاجتماعية :

مما لا شك فيه أن الأوقاف في اليمن في عصر الدولة الأيوبية قد احتلت الصدارة في اهتمامات المجتمع بطبقاته المختلفة، وشكلت ظاهرة عامة في اليمن، تركت بصماتها في الوسط الاجتماعي نتيجة لتعدد الأغراض التي أقيمت من أجلها، فمنها ما خصص لصالح الفقراء والمساكين ومنها ما كان لرعاية الأيتام، والوافدين على اليمن من طلاب العلم<sup>(١)</sup>، ومنها ما خصص لإصلاح المدارس والمساجد، ولكفاية القائمين والمرتبين فيها، ومنها لأعمال الخير، وبذلك يكون للأوقاف كبير الأثر في إثراء وإزدهار الحياة الاجتماعية، بل والحياة الفكرية أيضاً .

وقد انتشرت الأوقاف في عصر الدولة الأيوبية في شتى أنحاء اليمن، وشملت الأراضي الزراعية، والكتب الفقهية<sup>(٢)</sup>، والدور، والخوانيت، والخانات، والقنادق، والحمامات، والمعاصر، والمجازر وغيرها<sup>(٣)</sup> .

فمن الأوقاف التي خصصت لصالح الفقراء والمساكين ما أوقفه الفقيه علي بن عيسى بن مفلح المليكي بعدن، حيث أوقف كتباً كثيرة وأسند تنفيذ الوقف والوصية إلى الشيخ يحيى بن يوسف المسلماني وذلك سنة ٥٨٠هـ، كما أوقف هذا الأخير أراضي بثمر عدن عرفت بتركة المسلماني وذلك لصالح الفقراء والمساكين<sup>(٤)</sup> . وأوقف أبوبكر بن الشيخ بن إسحاق العرياني<sup>(٥)</sup> غالب أرضه لفعل المعروف والصبر على الإطعام للقاصدومواساة الواصل<sup>(٦)</sup> إليها من الفقراء والمساكين

(١) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٢٢ .

(٣) السندي ، عبدالعزيز بن راشد ، المدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦هـ -

٨٥٨هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ١٩٠ -

١٩١ ؛ الزهراني ، ضيف الله بن يحيى والرفاعي ، طلال بن جميل ، وثائق تعليمية من عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ -

٨٥٨هـ) ، مطبها ، مكة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص ٢٥ ، ٤٠ ، ٦٣ .

(٤) با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ؛ وأما آخر يحيى وهو الشيخ عبيد الله بن يوسف المسلماني فيذكر ابن

المجاور أنه أوقف مستغلات كثيرة على عمارته التي بناها في مدينة عدن . انظر : المستبصر ، ص ١٤٨ .

(٥) نسبة الى قوم يعرفون بالأعيون قبيلة في اليمن ، منهم جماعة بالجانب اليمني من أعمال الجند ونسبتهم إلى قرية يقال

لها غيانة ، كان والده من أعيان اليمن في الصلاح وثروة المال وفعل المعروف وكثرة الحج ، وكان أهل الحجاز

يسمونه زين الحاج لكثرة المعروف الذي كان يفعله هناك . الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

(٦) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٦ . وأوقف يحيى بن سالم بن فضل جميع نخله في حضرموت في سبيل الله .

بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٠ .

وأما الأوقاف التي خصصت للإنفاق على المدارس ومدرسيها والدارسين فيه، فيُسجل للأيوبيين أنهم واصلوا نهج من سبقهم وبخاصة النجاشيين في بناء المدارس المتخصصة باليمن لتدريس العلوم الدينية والمذاهب السنية<sup>(١)</sup>، وخصصوا لها الأوقاف الكثيرة لبنائها وإصلاحها وكفاية المرتبين بها ضماناً لاستمرارها في أداء وظيفتها، ويعزى إلى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين إنشاء أول مدرسة للأيوبيين باليمن وهي المدرسة السيفية، نسبة إلى والده سيف الإسلام طغتكين، وكانت داراً للأتابك سنقر، فاشتراها المعز وحولها إلى مدرسة ونقل إليها رفات والده طغتكين وذلك سنة ٥٩٣هـ، ووقف عليها وعلى القراء والمرتبين للقراءة على تربة والده وعددهم سبعة، وادي الضباب غربي تعز، وظل هذا الوقف مستمراً إلى عصر الخزرجي<sup>(٢)</sup>.

وكذلك أقام الملك الأيوبي المعز مدرسته الثانية في زبيد والتي عُرفت بالمعزية أو مدرسة الميلى وذلك سنة ٥٩٤هـ، المعروفة في وقتنا هذا بمدرسة الإسكندرية، ووقف عليها وقفاً جيداً<sup>(٣)</sup>، وهي المدرسة التي قام الأتابك سنقر بإغلاقها وإخراج فقهاء الشافعية منها<sup>(٤)</sup>.

ومن الأوقاف التي خُصص ريعها للإنفاق على مصالح المدارس في اليمن، ما أوقفه الفقيه علي بن محمد بن غليس العريقي (ت: لبضع عشرة وستمئة) من ماله ومال أخيه عمر بن محمد، على ما ابتناه من مدارس ثلاث بوصاب<sup>(٥)</sup> مابين سنتي ٥٩٤-٥٩٥هـ، وأوقف عليها كتباً كثيرة وقيمة اهتم هو بتحصيلها، وخصص الوقف للصرف على متعلمي القرآن ودارسي الفقه وإطعامهم في تلك المدارس<sup>(٦)</sup>.

(١) عن تلك المدارس انظر: حمارة، المعيد، ص ١٦٨؛ العروسي، محمد علي، "مدارس العلوم الإسلامية في اليمن"، مجلة الإكليل، العدد (٢٥)، أبريل - يونيو، ٢٠٠١م، ص ٢٤، ٣٢-٣٤.

(٢) الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٧١؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٨٣، (ح ٤)؛ با مخرمة، تاريخ نجر عدن، ج ٢، ص ١٠٤؛ إسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص ٢٠.

(٣) ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ١٣٥، إسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص ١٨.

(٤) ابن الديبع، الفضل المزي، ص ١٠٣؛ إسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص ١٨.

(٥) وصَّاب: بلد واسع في الغرب الجنوبي من صنعاء على مسيرة أربع مراحل. انظر: الحجري، مجموع، مج ٢، ص ٧٦٧-٧٧١.

(٦) وقد عُرفت تلك المدارس بثلاث بمدارس بني غليس، أحدها مدرسة الميلى في ظفران، والثانية مدرسة الأخجور، والثالثة لم يذكر مكانها. انظر: الوصابي، تاريخ وصاب، ص ١٩٩؛ إسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص ٢٣.

وقبل وفاة الفقيه علي بن محمد غليس العريفي وقف كتبه وجملة من أراضيه عليها، واستمرت على ذلك في حياة أبنائه الذين تولوا التدريس فيها بعد وفاته<sup>(١)</sup>.

وأوقف الفقيه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطل المشهور الركبي (ت: بعد ٦٣٠هـ) أراضيه على مدرسته التي ابتناها بقرية ذي يعمد من أعمال الدملوة، ويذكر بامخرمة أن الفقيه بطل قام بالتدريس في المدرسة المذكورة ورعاية طلابها والقيام بالمنقطع منهم<sup>(٢)</sup>.

ومن الأوقاف التي خصصت لصالح المتفرغين للدراسة والمسجد معاً تلك التي أوقف الأمير جوهر المعظمي لجامع عمق بالصلو<sup>(٣)</sup> وقفاً صالحاً يقوم بكفاية جمع من الطلبة الذين يدرسون في هذا المسجد<sup>(٤)</sup>.

أما الأوقاف التي خصصت للإنفاق على أعمال الخير بالحرمين الشريفين فإن أشهرها ما أوقفه الأمير عثمان الزنجيلي نائب بني أيوب في عدن، فقد اشترى كثيراً من العقار والدكاكين والدور والأسواق بعدن وأوقفها على المسجد الحرام بمكة، وأوقف خان البر بعدن على مسجده فيها يصرف منه على احتياجات المسجد، وما زاد على ذلك يُصرف على حرم مكة، والحق أن هذا الوقف كان كبيراً بدليل قول الجندي: لما قدمت عدن ورأيت ماوقفه هذا الأمير على الحرم والمسجد الذي بناه على الخان استعظمت قدره واستكثرت خيره<sup>(٥)</sup>، وأوكل النظر في مصالح هذا الوقف لقاضي دمشق الذي استتاب قاضي مكة الذي استتاب بدوره قاضي عدن للإشراف عليه<sup>(٦)</sup>.

(١) الشرجي، طبقات الخواص، ص ٢٤٠؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ٢٠١.

(٣) الصلوة: هو جبل مبارك عداده من المعافر جنوب تعز ويشكل مخلاف ناحية. الجندي، السلوك، ج ١، ص ٢٤٠، (ج ٤).

(٤) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٣٨٤-٣٨٥.

(٥) السلوك، ج ١، ص ٤٦٢؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٠٧.

(٦) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٣١؛ والقاضي الدمشقي هو عبدالله بن عمر الذي دخل اليمن صحبة المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، ولما تحقق المعظم من فضله جعله قاضي القضاة في اليمن أجمع. انظر: ابن سمره، طبقات فقهاء اليمن، ص ٢٤٢-٢٤٧؛ الجندي، السلوك، ج ١، ص ٤٠٨؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٧؛ أما قاضي عدن الذي استتابه قاضي مكة فهو عمر بن محمد الكنيني، حيث ولي قضاء عدن سنة ٥٨٠هـ، وتوفي سنة ٦٠٠هـ. الجندي، السلوك، ج ١، ص ٤٦٥؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٨٢.



كذلك أوقف الملك طغتكين لصالح الحرم المكي من وديان: زبيد وادي الجريب والمستلب<sup>(١)</sup>، وظل يُرفع دخلها إلى مكة حتى سنة ٦٢٥هـ عندما حول الملك المسعود وقف هذه القرى إلى الديوان في اليمن، إضافة إلى ذلك فقد أوقف الملك طغتكين دخل قرية أم الدجاج<sup>(٢)</sup> وكثير من الأراضي الأخرى على الحرم المدني، وأوكل النظر فيها إلى القاضي علي بن الحسين بن وهيب<sup>(٣)</sup>، وظل دخلها يرتفع إلى المدينة حتى أخريات العصر الأيوبي<sup>(٤)</sup>.

أما مدرسة المعزية أو الميلين فقد كان وقفها في أيام المعز لصالح الفقراء والمساكين والمدرسين وطلاب العلم، ثم قام بعد ذلك الأتابك سنقر بإغلاق المدرسة وإخراج أنصار الشافعية منها، وأخرج وقفها ووقفه على إمام مقام أبي حنيفة بالحرم المكي الشريف، ثم جدد بناءها الملك المسعود<sup>(٥)</sup> ورفع وقفها إلى الحرم المذكور.

كذلك اهتم علماء اليمن وفقهاؤها بجلب الكتب الدينية واستساخاها ووقفها على المدارس والمدرسين ليستزيد من معارفها الدارسين، الأمر الذي جعل الكثير من الفقهاء يرغبون في الإقامة والسكن بالقرب من تلك المكتبات العامرة بالكتب، ومن أمثلة ذلك أن الفقيه مقبل بن محمد بن زهير بن خلف الهمداني انتقل إلى منطقة ذي أشرق للإقامة فيها رغبة في كتبها الموقوفة<sup>(٦)</sup>.

وفي قرية سودة بالجند أوقف الفقيه أبو عبد الله سليمان بن أسعد بن محمد الجندني

(١) يقال بأن المستلب سميت بذلك لأن نساءها يسلبن العقول من حسنهن وجمالهن وظرافتهن. ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٤٦.

(٢) أم الدجاج: لم أجد لها تعريفاً، ويبدو أنها من قرى مدينة زبيد ذات الدخل الكبير.  
(٣) هو قاضي زبيد، كان عالماً عارفاً محققاً ورعاً، امتحنه أهل زبيد بألف مسألة فأجاب عنها بأجوبة بينة (ت - ٥٧٩هـ). بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٦٥؛ وقال عنه أيضاً ابن سمره: "كان مقطوعاً بأمانته وديانته ولقد سمعت من كرمه وفضله ما يتعجب منه السامع، ويعجز عن بلوغه الطامع". طبقات فقهاء اليمن، ص ٤٢٣.

(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٥) المصدر نفسه والصفحة: ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٢٨٥ و(ح ٥).

(٦) ابن سمره، طبقات فقهاء اليمن، ص ١١٥؛ والفقيه مقبل الهمداني من فقهاء اليمن الزاهدين الورعين ارتحل من اليمن إلى كرمان (ولاية مشهورة من إيران) وتفقّه هناك، ثم عاد إلى اليمن وسكن في ذي أشرق، وله مختصر حسن في الفرائض، الجندي، السلوك، ج ١، ص ٢٧٥.

الحميري (ت: ٥٩٣هـ) كتبه لصالح الدارسين من طلاب العلم<sup>(١)</sup>؛ وأوقف الفقيه مسلم بن أسعد بن عثمان أخو عثمان بن أسعد كتباً جليلة، وعهد بنظارتها إلى القاضي طاهر بن يحيى (ت: ٥٨٧هـ)<sup>(٢)</sup> .

كذلك أوقف الفقيه أحمد بن زيد بن محمد بن الحسين النيزني (ت: بعد ٥٨٠هـ تقريباً) نسخة بيان على يد شيخه يحيى بن أبي الخير وذلك في قرية الأنصال إحدى قرى العوادر المعتمدة<sup>(٣)</sup> .

وكان البعض من أعيان اليمن وكبار فقائها يقومون باستنساخ الكتب (المصاحف والكتب الفقهية) ووقفها لصالح طلاب العلم، ومثال على ذلك ما قام به جوهر المعظمي، حيث نسخ بيده عدة مقدمات ووقفها في عدة مناطق وأماكن من اليمن، منها ختمة كاملة (ثلاثون جزءاً) أوقفها في جامع الجند<sup>(٤)</sup> .

ومن كبار علماء اليمن وفقهائها الذين ظلوا ينسخون أمهات الكتب، الإمام أبو الحسن أحمد بن محمد البريهي المعروف بـ (سيف السنة)، الذي عمّد إلى استنساخ أمهات الكتب الفقهية، وهو عمل يضاف إلى جانب اشتغاله بالتدريس في أحد المساجد المجاورة لبيته بمدينة إب، فقد قام سيف السنة بوقف بعض من كتبه في مسجد السنة بذي جبلة، بينما كانت باقي كتبه التي كان ينسخها ويقوم بإرسالها إلى مكة المكرمة، تباع هناك ويشتري له بثمنها أوراق مصرية أو بغدادية، وهكذا يستمر في نسخ الكتب ويحاول على ذلك الأمر، وهو ما أشار إليه الجندي بقوله: "إنه كان ينسخ في كل عام نسخة بيان ونسخة المذهب، ونسخة كافي الصردفي وربما التتبيه أيضاً"<sup>(٥)</sup>، وكان مهماً حصل من حبوب كيلة المسجد باعه وأخذ به ورقاً وحبراً ونسخ به كتباً ووقفها على المسجد، وقد بلغت كتبه الموقوفة ما يزيد على المائة كتاب في فنون كثيرة من علوم القرآن والسنة، منها: صحيح مسلم وكافي الصردفي ،

(١) ابن سمره ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٣١ ؛ الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥٨-٣٥٩ .

(٢) انظر: الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٣٨ ؛ الأهل ، تحفة الزمن ، ص ٢٩٢-٢٩٣ ؛ والقاضي طاهر بن يحيى هذا ليس هو الذي ذكره الجندي في طبقاته . انظر : الأهل ، تحفة الزمن ، ص ٢٩٣ .

(٣) ابن سمره ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٢٠٩ ؛ الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥٥ ؛ الأهل ، تحفة الزمن ، ص ٣١٣ ؛ والعوادر: بلد في شرقي الجند من أعمال تعز . إسماعيل الأكرع ، البلدان اليمنية ، ص ٢١٣ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .

وكان قد أوقف البعض منها على مسجده في مدينة إرب والبعض الآخر في مسجد الجند<sup>(١)</sup> .

والعلامة البارزة أو الميزة التي اعتاد الفقهاء على اتباعها عند استنساخ الكتب ووقفها، هي كتابة عبارات تشير إلى صاحب الوقف والأشخاص الذين يحق لهم الاستفادة من هذه الكتب الموقوفة، والإشراف عليها . فالإمام البريهي المعروف بسيف السنة، كان يكتب على ظهر كل كتاب نسخه وضبطه ووقفه على الطلبة من أهل السنة البيهني الآتين:

هذا الكتاب لوجه الله موقوف منا إلى الطالب السنّي مصروف  
ما للأشاعر الضلال في حسبي حق ولا للذي في الزيف معروف<sup>(٢)</sup>

بالإضافة إلى ذلك فقد وجد الجندي بخط سيف السنة صيغة أخرى من صيغ الوقف على كتبه، ومنها صحيح مسلم، وهو ما بينه بقوله: "وقفه أحمد بن محمد بجميع الكتب المنسوبة إليه من الحديث والأصول والفروع والفرائض والتفسير واللغة والنحو وهي ثمانون كتاباً على أهل السنة يقدم فيها من يوجد فيه الشروط المذكورة يعني ببيته للذين ذكرت أحدهما فيما تقدم فيها من يأخذ فيه، وتركت الآخر لشهرته وعدم رضى كثير من الأشخاص به، ثم قال من ذلك ذريته أي يتقدم من وجد فيه شرط البيهني من ذريته ونسله وبنهيم ونسلهم ثم قراباته من عصباته أي يتقدم من قراباته من عصباته، فمن خرج عن الشرط ببدة أو ما يرد به الشهادة خرج من الوقف، فإن تاب عاد استحقاقه ولا حق في الوقف لمبتدع وإذا لم يبق مستحق من نسله فأهل السنة فيها سواء أبداً ما بقيت، لعن الله من يملكها، أو يملكها أو يسعى في فساد الوقف أو يكتمها وعلى من يستحقها أن يعيرها من ينتفع بها إذا سئل بشرط الحفظ، كتبه أحمد بن محمد تقبل الله منه كان الوقف سنة أربع وثمانين وخمسائة"<sup>(٣)</sup> .

يتضح لنا جلياً من كل ما سبق إirاده، أن الأوقاف كان لها تأثير في الحياة الاجتماعية داخل المجتمع اليمني وبخاصة في العصر الأيوبي، فقد استفادت من تلك

(١) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٣٢٢ .

(٢) المصدر نفسه والجزء، ص ٣١٩؛ يا مخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥١٥ .

(٣) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٣٢٢ .

الوقفيات طوائف وطبقات وشرائح مختلفة من المجتمع، ومنها: الطائفة الدينية الواسعة من أهل السنة على اختلاف مراتبهم الاجتماعية، وكذا استفاد الدارسون من مختلف الفئات الأخرى؛ كذلك يتضح أن الأوقاف من أرض وغيرها إذا صُرِّفت لغير الغرض الذي حدد لها الموقِّف، فإنها تؤثر تأثيراً كبيراً على الطلاب المستفيدين منها وعلى المدرسين وغيرهم، فتتقطع بذلك حلقات العلم التي تقوم الأوقاف بالصرف عليها، وخير دليل على ذلك ما حدث في سَهْفَنَة، حيث أوقف الكثير من أراضيها لصالح العلم ودارسيه، فقصدها طلبة العلم من جميع أنحاء اليمن، وصارت مقصودة لطلب العلم ولم تكد تخلو من فقيه مدرس وطلبة مجتهدين، إلى أن استولى عليها بعض الصعبيين<sup>(١)</sup> فأصرفوا أوقافها في غير الوجه المخصص والموقوفة له من حيث الصرف على حلقات العلم بها، فتراجع مركزها العلمي، ولم يبق بها فقيه من أهلها ولا غيرها لإستيلاء من لا نظر له على ما وقف لمدرس ودرسة<sup>(٢)</sup> .

### ثامناً - العمارة :

تعد العمارة واحداً من المظاهر الحضارية البارزة في عصر الدولة الأيوبية، حيث شاركت فئات المجتمع اليمني في هذا الجانب، فلم يقتصر الاهتمام بهذا المظهر على فئة الحكام، بل تعداه إلى فئة العلماء وبعض من فئات المجتمع الأخرى، وفائدة هذا المظهر عمت جميع طبقات وفئات المجتمع اليمني بما فيها فئة الجند وأهل الذمة من اليهود والنصارى . لذلك شهدت اليمن في العصر الأيوبي تطوراً معمارياً في مختلف أنواع العمارة، واستطاع أهل اليمن فعل الكثير في هذا المجال، فقد أنشئت المدن، وتعددت المنشآت المعمارية في هذا العصر تبعاً لأغراضها الدينية والعسكرية والمدنية حيث تم تناولها كالآتي:

#### ١ - تخطيط المدن :

إن ولادة مدن جديدة في اليمن في العصر الأيوبي لم يكن ناتجاً عن تخطيط مسبق، وإنما جاء كأستمرارية لمخططات المدن الأصلية مع إضافة وظائف

(١) الصعبيين : نسبة إلى مخلاف باليمن مسمى بالقبيلة ؛ وصعب قبيل من الحذاء وكان من غُفس .

إسماعيل الأكرع ، البلدان اليمانية ، ص ١٧٥ و (ح ٢) .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣٠ .

جديدة لها، والشئ الجدير بالإشارة إليه أن تلك المدن الجديدة أصبحت مراكز لها مكانتها وأهميتها، وتنافس المدن الكبيرة، مثل: صنعاء وعدن وزبيد، فكانت المدن الجديدة تحتوي على العديد من القصور<sup>(١)</sup> للأمرأء والحكام وحواشيهم والعديد من المساكن للجند، ودور للإمارة<sup>(٢)</sup> يقيم بها الجهاز الإداري من قضاة وعلماء وكتاب، كما تقام بها بيوت الأموال ومساجد وجوامع وأسواق وحوانيت وحمامات وآبار وغيره<sup>(٣)</sup> بالإضافة إلى دور الصناعة<sup>(٤)</sup> وسك العملة<sup>(٥)</sup>؛ وكانت المدن تخطط على شكل أحياء أو دروب يسكنها الناس مجتمعين على إختلاف فئاتهم<sup>(٦)</sup> أو متوزعين على شكل تجمع قبلي<sup>(٧)</sup> أو توزيع طبقي أو فنوي<sup>(٨)</sup> . وكانت المدن تحصن بأسوار حولها، حماية لرجالات الدولة والجند وحماية لبيت المال والتجار والموظفين وغيرهم .

فعندما قدم الملك توران شاه الأيوبي إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ أختط مدينة تعز وجعلها مقر حكمه<sup>(٩)</sup> ثم أصبحت بعد ذلك عاصمة ملوك اليمن . وكان تخطيطها على شكل أحياء سكنية يسكنها الناس بشكل طبقي، وهو ما جعل ابن بطوطة يصفها بقوله: " فتوجهنا إلى مدينة تعز حضرة ملك اليمن، وهي من أحسن مدن اليمن وأعظمها، وهي ثلاث محلات: إحداها يسكنها السلطان ومماليكه وحاشيته وأرباب دولته، وتسمى باسم (المعزية) والثانية: يسكنها الأمرأء والأجناد وتسمى عدينة، والثالثة: يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحاليب"<sup>(١٠)</sup> .

(١) عمارة ، المفيد ، ص ١٦٨-١٦٩ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٧٤ ؛ عمارة ، المفيد ، ص ١٦٧ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٠ .

(٤) الأدرسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٥) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١١٤-١١٥ .

(٦) ابن الدبيع ، قرعة العيون ، ص ٣٥٧ .

(٧) اللحي ، تاريخ مسلم ، ق ١٨ .

(٨) ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٩) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، تاريخ ابن خلدون المسمى بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ، مؤسسة جمال للطباعة ، بيروت ، د.ت ، ج ٥ ، ص ٦٤٨ .

(١٠) الرحلة ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ؛ وقد زار ابن بطوطة مدينة تعز في عصر الدولة الرسولية ؛ وربما يقصد بالمحاليب (المحاريب) ؛ أما المحاليب : فهي بلدة خاربة جنوب وادي مور ، وتبعد عن مدينة زبيد بحوالي ٢٠٠ كم . انظر:

إسماعيل الأكوخ ، البلدان اليمنية ، ص ٢٥٦ (ج ٣) ؛ الحجري ، مجموع ، ج ٢ ، ص ٦٨٩ ؛ المقفي ، معجم ، ص ٣٦٤ .

وفي العصر الأيوبي أيضاً أختط سيف الإسلام طغتكين بن أيوب مدينة المنصورة قبلي الجند سنة ٥٩٢هـ، كما بنى فيها قصراً كبيراً له وبيوتاً للعساكر وحمامات<sup>(١)</sup>؛ كذلك زرع بها أنواع المزروعات التي جلبت من مختلف الأصقاع<sup>(٢)</sup>.

## ٢- العمارة الدينية :

كثيرة هي المساجد الجامعة والمدارس الدينية التي جُددت وعُمرت في اليمن في عصر الدولة الأيوبية وحُظيت باهتمام وعناية الملوك والأمراء والولاة وأعيان المجتمع، وبدأت ظاهرة بارزة في ذلك العصر، يجلبها ويحترمها جميع أفراد المجتمع، لما لها من كبير الأثر في النفوس بحكم الارتباط الوثيق بالعقيدة الإسلامية، والتمسك بالشريعة ومظاهرها، فإلى جانب وظيفة المسجد الدينية الأساسية وهي جمع المسلمين لأداء الصلاة وسماع خطبة الجمعة، فقد كان معهداً للتعليم، وداراً للقضاء، وأساس التنظيم العمراني للمدينة الإسلامية، وهو قلب المدينة النابض بحياتها والمركز الديني الحضاري الذي تلتف حوله بقية المراكز العمرانية الأخرى؛ ولذا شهدت اليمن ترميم وتجديد عدد من المساجد التي يرجع تاريخها لعصور سابقة، وظلت تؤدي وظيفتها إلى عصر الأيوبيين، بالإضافة إلى إقامة العديد من المساجد الجامعة والمدارس .

### أ- المساجد الجامعة :

صارت المساجد أحد مظاهر الحياة الاجتماعية وأحد معالم الحضارة التي تبرز مكانة الدولة والاهتمامات الدينية لهذه الصروح العظيمة . فالملك طغتكين بن أيوب أعاد بناء جامع الجند، ورفع سقوفه بالأجر والجص وزوقها بالذهب واللازورد<sup>(٣)</sup>؛ وبنى المؤخر في جامع زبيد، كما بنى الجناحين الشرقي والغربي والمنارة، أما المقدم فهو من بناء سيف الدولة مبارك بن منقذ الشيرزي نائب توران شاه على زبيد<sup>(٤)</sup> .

(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٦٨ ؛ ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٨٤ .

(٢) انظر : ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٦٥ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢، ص ٢٥٥٢ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٦٥-١٦٦ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٢٣ ؛ الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٥٧ ؛ ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٨٤ .

كما أن مبارك بن منقذ هو باني مسجد المناخ الذي في باب سهام بزبيد . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٢٢ ، و (ح ٧) .

كذلك كان للأمير سيف الدين سنقر نصيب في النهوض بالعمارة الدينية، وذلك من خلال قيامه بالعديد من الإصلاحات أهمها: أنشاؤه جامع المغربة في مدينة تعز، وعمل به المنبر وهو من عجائب البناء في عصره<sup>(١)</sup>، وبنى الجامع بخنفر من أرض أبين، وبنى المؤخر والصفين والجناحين من مسجد الجند<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا الصدد أسهم الأمير الأيوبي وردسار أمير صنعاء بجملة إصلاحات عمرانية منها: تجديده بناء مسجد معاذ بن جبل (عليه السلام) في صنعاء وتوسيعه، واهتم في بنائه وزخرفته وفرشه وانتهى من بنائه في آخر سنة ٦٠١ هـ، ومن مآثره منارة جامع صنعاء الغربية<sup>(٣)</sup>، كذلك عمل على تجديد بناء الجبانة (مصلى العيدين بصنعاء) والمسجد الذي بجوارها بمشورة من القاضي إبراهيم بن أبي بكر بن فضيل قاضي مدينة صنعاء وأعمالها، وقد بدأ العمل في بنائها في الثاني من شوال سنة ٦٠٣ هـ، وانتهى بناؤها في السابع من ذي الحجة من السنة نفسها؛ وقد أشاد القاضي المذكور بعناية الأمير وردسار بالبناء وملاحظته له، وبذله النفقات الطائلة في بنائها، ومشاركته في البناء بنفسه بالحضور والمشورة والرأي<sup>(٤)</sup>، وعلاوة على ذلك فقد اهتم بتجديد بناء المنارتين الشرقية والغربية في الجامع الكبير بصنعاء اهتماماً خاصاً وأدخل في بنائهما عنصراً معمارياً جديداً هو الدرازين، وهو مصنوع من الساج وركبه في وسط المنارة<sup>(٥)</sup>، كذلك بنى المطاهير والبركة في الجامع المذكور<sup>(٦)</sup> .

أما الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول فقد بنى مسجداً بثلاث قباب بالقرب من تعز وذلك سنة ٦٢٣ هـ<sup>(٧)</sup> في عهد الملك المسعود .

وإذا ما انتقلنا إلى الإنجازات الدينية التي حققها الإمام عبدالله بن حمزة وهو

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٦٤؛ الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٧٠ .

(٢) الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٣٧؛ ابن الديبع، الفضل المزيد، ص ٨٠-٨٦؛ البيهاني، محمد بن سالم

، أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، مطبعتي، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص ٦٦ .

(٣) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٩٧ .

(٤) الحجري، مساجد صنعاء، ص ٢٣-٢٨ .

(٥) مصيلحي، سعيد محمد، "كتابات الجامع الكبير بصنعاء وأهميتها التاريخية الأثرية"، مجلة كلية الآداب،

العدد (١٢)، جامعة صنعاء، صنعاء، ١٩٩١م، ص ٢١٥-٢١٧ .

(٦) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٤٤ .

(٧) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٣٣ .

الذي كان يقود الدولة الزيدية التي رافقت الوجود الأيوبي في اليمن حتى نهايته، فإن تلك الإنجازات كثيرة أبرزها: جامع ظفار الذي كانت تتميز عمارته بالعناصر الزخرفية (الجبسية) والخشبية الفريدة التي يزخر بها، والآيات القرآنية التي نُقشت بالخطين الكوفي والتلث، وتُميّز مئذنته بالزخارف التي كانت على شكل ثعابين متقابلة الأفواه، وجامع ظفار شرع في عمارته الإمام عبدالله بن حمزة سنة ٦٠٢هـ، ولم ينته العمل من نقوشه وزخارفه إلا سنة ٦٣٨هـ على يد أخيه الأمير يحيى بن حمزة، كما هو مزبور في جداره؛ علماً بأن ضريح الإمام عبدالله قد احتل رقعة مربعة من مساحة الجامع، وتحيط به بعض القبور. وهناك ضريح آخر في الجنوب الشرقي من المسجد يضم رفات ابن الإمام (الناصر لدين الله محمد) (١).

ويعتبر جامع ظفار الغاية القصوى، في كمال البناء وروعة الزخارف، ودقة النقوش، والكتابة بالخط الكوفي المحفور على أخشاب سقفه وعلى جوانبه، والمصبوغ بألوان زاهية ثابتة، ولا شك أن القائمين على عمارته قد اقتبسوا طراز العمارة من عمائر رائعة، ولعله استفاد معماريين من خارج اليمن؛ لأن أثر الفن العباسي والسلجوقي كان ظاهراً جلياً من عمارة هذين الطرازين، ولا سيما في مئذنته. ففيها شبه كبير بطراز عمارة المدرسة المستنصرية في بغداد (٢).

وإلى جانب هذا الجامع هناك جوامع أخرى تعود إلى عهد عبدالله بن حمزة، منها: جامع حوث (٣) الذي تدل بعض الكتابات المزبورة على لوح كان في الجدار العلوي من الجامع على أنه من عمارة عبدالله بن حمزة (٤)، وجامع أثافت، والجامع بالجوف الأعلى بهجرة سوق آل الدعام (٥).

(١) مقدمة في الآثار اليمنية، منشورات جامعة صنعاء، صنعاء، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢١٩.  
(٢) انظر: إسماعيل الأكوع، حجر العلم ومعاقله، ج ٣، ص ١٢٨٤ - ١٢٨٥.  
(٣) يعرف أيضاً بمسجد الصومعة وكان أهل حوث إلى وقت قريب يصلون به صلاة العيدين. إسماعيل الأكوع، حجر العلم ومعاقله، ج ٣، ص ١٢٨٥؛ فنستر، بربارة، "تقارير أثرية حول بعض المباني الإسلامية في اليمن"، ترجمة: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، المعهد الألماني للآثار بصنعاء، صنعاء، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٧٥-٧٧.

(٤) إسماعيل الأكوع، حجر العلم ومعاقله، ج ١، ص ٤٩٣.  
(٥) يبدو أن هجرة آل الدعام هي درب فاضل، التي أصبحت فيما بعد قرية الزاهر، لأن قرية الزاهر لم تذكر في مصادر تلك الفترة إلا في سنة ٦٤٧هـ. ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ٢، ج ٣، ص ٧٤٠، (ح ١) =



كذلك بنى جامع حلاة<sup>(١)</sup>، أو الحلة<sup>(٢)</sup>، وجامع شوابية<sup>(٣)</sup> .

### ب - المدارس الدينية :

أهتم الأيوبيون بهذا النوع من العمارة في اليمن، فقد أنشأ سيف الدين سنقر المدارس الدينية، مثل انشاؤه مدرسة للشافعية في زبيد وتعرف بالمدرسة العاصمية نسبة الى المدرس بها الفقيه عمر بن عاصم الشافعي؛ ومدرسة أخرى للحنفية في زبيد عرفت بالدحمانية نسبة الى مدرستها الفقيه محمد بن دحمان الحنفي<sup>(٤)</sup>؛ كذلك بنى مدرسة بذي هزيم من ضواحي مدينة تعز وفيها دفن<sup>(٥)</sup> . كذلك أنشأ الملك المعز إسماعيل بن طغتكين مدرسة في تعز بعد إن كانت داراً لسنقر، بالإضافة الى ذلك يعزى الى الملك المعز إسماعيل أنه أول الأيوبيين الذين واصلوا نهج من سبقوهم وخصوصاً النجاشيين في إقامة المدارس الدينية النظامية التي كانت تجمع بين المدرسة والمسجد، والتي كانت لها حجرات لإقامة الطلبة والمدرسين، حيث بنى مدرسة الميادين في زبيد<sup>(٦)</sup>، والمعروفة بمدرسة الإسكندرية، ضف الى ذلك فإن كافور التقوي الملقب مجير الدين أحد الأمراء الأيوبيين في عهد الملك طغتكين بن أيوب قد قام ببناء مدرسة في ذي السفال أو في مغربة تعز عرفت بالمدرسة المجيرية، وهي المدرسة التي قيل بأنها تقع في غرب مدينة تعز الى الشمال القبلي من قرية المحارب<sup>(٧)</sup>؛ أما بالنسبة للمدارس التي أنشأها الإمام عبدالله بن حمزة، فيعتقد أن كل جامع من الجوامع المذكورة التي عمرها الإمام، كانت تلحق به مدرسة يعين لها مدرس يقوم بشئونها .

= وما يؤكد هذا الاعتقاد وجود مسجدين في الزاهر من عمارة الإمام عبدالله بن حمزة . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ،

ج ٢ ، ص ٣٧٨ ، (٢ ح) : المقحفى ، معجم ، ص ٢٩٥-٢٩٦ .

(١) الخلاة : بلدة من خرفان من لوطان بني صريم . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ ، (ج ١) .

(٢) المصدر نفسه والمجلد والجزء ، ص ٧٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ . شوابية : وادي من أعمال ذي بيبين في بلاد بكيل ينحدر مائزاً الى الجوف وإليه تنسب

شوابية في عزلة سفيان ناحية ذيبين محافظة عمران . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٥٨ : المقحفى ، معجم ، ص ٣٧٥ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٢٧ : الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٨٣ .

(٥) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ : يحيى بن الحسين ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

(٦) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٣٥-٥٣٦ ، ٥٣٩ للمزيد من التفاصيل عن مدارس العصر الأيوبي انظر : العروسي ، مدارس

العلوم الإسلامية في اليمن ، ص ٣٤-٣٩ .

(٧) إسماعيل الأخوع ، المدارس الإسلامية ، ص ١٧-١٨ : انظر أيضاً : جار الله ، عبدالرحمن حسن ، ذي السفال مدونة الآثار

الإسلامية ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٦٥-٦٦ .

ويبدو أن الحكام والأمراء لم يكونوا وحدهم هم الأسخياء في عطائهم المعماري في هذا المجال، بل نهج نهجهم العديد من أعيان المجتمع اليمني مثل: الفقهاء والعلماء والتجار، وذلك تقرباً إلى الله من جهة وحرصاً على النهوض بالحركة العلمية من جهة ثانية، بإقامة هذه المؤسسات الدينية التعليمية والإنفاق عليها بحسب الأوقاف للصرف منها، والأهم من ذلك كله تعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع وفئاته وطبقاته . وإذا ما أردنا دليلاً على نهج الأعيان في العطاء المعماري وإسهامهم في هذا الجانب، فإن المدارس الثلاث التي بناها الفقيه علي بن محمد بن غليس العريفي في عزلة بني شعيب بوصاب العالي، والمدرسة التي بناها الشيخ علي بن أبي الأمان في ذي جبلة<sup>(١)</sup>، إلهي خير دليل على ذلك؛ كذلك المدرسة التي أنشأها فاتن المعزي (أحد موالى الملك المعز) في مدينة جبلة<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن أن القاضي أبوبكر بن أحمد بن محمد العمراني قاضي تعز أيام الملك المسعود، قد قام بتجديد عمارة مسجد مرعيت الذي يقع على طريق الرائح من تعز إلى عدن<sup>(٣)</sup> .

### ٣- العمارة العسكرية :

وهي التي نعني بها عمارة الحصون والقلاع والأسوار وأبواب المدن، وإصلاحها وتوسيعها وما إلى ذلك، والتي أدت دوراً كبيراً في الصراع العسكري والسياسي الدائر بين الأيوبيين والقوى المحلية الأخرى وعلى رأسها القوة الزيدية، فلا غرابة أن يوليها بعض حكام اليمن كل ذلك الإهتمام والعناية، فهي بمثابة القواعد العسكرية التي تحمي الحاكم من الأعداء، والتي يغد وجودها في منطقة ما سيادة كاملة على تلك المنطقة .

#### أ- الحصون والقلاع العسكرية :

كثيرة هي الحصون والقلاع العسكرية التي أهتم بها حكام اليمن في العصر الأيوبي، فقد شيد بنو حاتم الحصون العسكرية في اليمن الأعلى مثل حصن براش المشرف على صنعاء، وحصن ذي مرمر وكوكبان والعروس وغيرها<sup>(٤)</sup> .

(١) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٣ ؛ إسماعيل الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص ١٥٠ .

(٢) وكذلك المدرسة الرشيدية التي أنشأها القاضي الرشيد ذو التون في مدينة تعز . انظر : العروس ، مدارس العلوم الإسلامية في اليمن ، ص ٣٤-٣٥ .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ ؛ ومرعيت : عزله من مخلاف صبر . انظر : الجندي ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ ، (ج ٥) .

(٤) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٩٢ ؛ والعروس : هو حصن في بني مطر يقابل حصن كوكبان من جهة الجنوب الشرقي . إسماعيل الأكوع ، البلدان اليمنية ، ص ١٩٤ .

وبنى الأمير ذو الشرفين<sup>(١)</sup> حصن شهارة<sup>(٢)</sup>، وكذلك بُني جسرهما الذي ربما يعود إلى أواخر العصر الأيوبي.

وفضلاً عن ذلك أعيد بناء الكثير من الحصون نتيجة تدهمها بسبب الحروب أو تقدمها، ومن تلك الحصون العسكرية التي بناها الملك طغتكين حصن حَبَّ وحصن خدَّ وحصن التعكر وغيره<sup>(٣)</sup>، كما أن معظم عمارة حصن نَعز كانت من إنجازاته، كذلك بنى حصن صغير على ذروة جبل المفاليس يسمى المصانع<sup>(٤)</sup>، كما أعاد الملك طغتكين بناء حصن الدُمْلُوَّة، وركب عليه ستة أبواب ومن جملتها: باب الذراع وباب نيهان وباب الأسد وباب الغزال، وحفر فيها (أي الدملوة) ثلاث برك، وغرس فيها بستاناً حسناً، وبنى ميدان، وحصنها غاية التحصين<sup>(٥)</sup>. وكان قد بنى سيف الدين سنقر عدة مباني ومناظر في حصن الدُمْلُوَّة كانت أشكالها جميلة، وكتب اسمه على أبوابها<sup>(٦)</sup>؛ كذلك أدار الملك المسعود الأيوبي سوراً ثانياً حول حصن الدملوة سنة ٦١٤هـ لإحكام التحصين به<sup>(٧)</sup>.

أما الإمام عبدالله بن حمزة فقد بنى حصن ظفار الذي لا يذكر اسمه إلا ويُذكر

(١) ذو الشرفين : هو محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني ، أحد قادة الأشراف الزيدية ، ت- سنة ٤٧٨هـ . الربيعي ، مفرح بن أحمد ، سيرة الأميرين الجليلين الشرفيين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني ، تح: رضوان السيد وعبدالعزى محمود عبدالعاطي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص ٢٧٨ .

(٢) شهارة : من معاقل اليمن المشهورة ، ما تزال تحتفظ بمنعتها وحصانتها وهي من جبال الأنوم ، وأول من اتخذها مقلاً أسعد الكامل . الهمداني ، صفة ، ص ٢٣٨ ؛ وتقع شمال حجة ، ويسبونها إلى الأمير ذي الشرفين ، فيقال لها شهارة الأمير . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٧٤ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٧٦ ، ٣٦٥ .

(٣) با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ؛ وحصن حب : قلعة مشهورة في مخلاف بعدان وأعمال إب . إسماعيل الأكوع ، البلدان اليمانية ، ص ٨١ ، (٤) ؛ أماخذد : فهو قلعة أثرية من ناحية العارضة من جبل خبيش وأعمال إب . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢١٩ .

(٤) المصانع : مصانع حمير ، هي جبال مرتفعة إلى الشمال الغربي من صنعاء ترتفع عن سطح البحر بـ (٣٢٠٠ متراً) ، وهي من أشهر جبال ناحية تلا . المقحفي ، معجم ، ص ٥٩٩ ، ٦٣٠ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٥٤ ؛ كما بنى طغتكين درب القاضي بصعدة وجعل أبواباً لسوره . العقيلي ، المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٠٠ .

(٦) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٤٩ ، ١٦٧ ، ١٧٨ .

(٧) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٥٤ .

اسم الإمام عبدالله معه، وهذا الحصن ما تزال بقاياه اليوم تدل على منعته وتحصينه وأهميته بالنسبة للدولة الزيدية في ذلك الحين. فلو لا هذه الأهمية لما أفرد ابن دعثم العديد من الصفحات للحديث عن هذا الحصن، وأسباب عمارته، ومراحلها، وسبب تسميته، وبعض المعارك التي شهدها هذا الحصن، ومشاركة الإمام بنفسه في بنائه<sup>(١)</sup>؛ وكانت عمارة هذا الحصن قد ابتدأت في شهر شوال من سنة ٦٠٢هـ<sup>(٢)</sup>، وقد مرت بثلاث مراحل على فترتين: الأولى صباحية والثانية مساءية، فاما المرحلة الأولى: فقد أمر الإمام بإعادة بناء سور الحصن، باستخدام صخور قوية وكبيرة، وأما المرحلة الثانية: فأختصت بحفر الخندق حول الحصن، وأما المرحلة الثالثة: فقد تم فيها ترميم مخازن الحبوب وخزانات المياه ثم تم شحن الحصن بالرجال والأسلحة والمؤن.

ولم يقتصر هذا النوع من العمارة على حصن ظفار وإنما تعداه إلى العديد من الحصون التي أمر الإمام بعمارته وترميمها مرة أخرى، بعد أن استولى عليها من الأيوبيين؛ فعادة ما تتعرض هذه الحصون وملحقاتها للخراب والتدمير أثناء محاصرتها أو محاولة اقتحامها واستعادتها، وفي كلا الحالتين على المنتصر أن يعيد عمارتها مرة أخرى حتى يستفيد منها عسكرياً، كما فعل الإمام مع حصن العبادي<sup>(٣)</sup> الذي هاجمه قوم من جنب وتركوه خراباً، فأمر الإمام بإعادة اعمارهم من جديد<sup>(٤)</sup>؛ كما أن من حصون الإمام العسكرية التي بناها في فترة حكمه، حصن كحلان وتلمص وحصن الطويلة وغيرها<sup>(٥)</sup>.

ومن أهم الحصون التي بنيت في اليمن لحفظ أموال بيت المال الحصن المطل على تغز، بني بأسوار وثيقة بالحجر والجص، عليه أبواب محكمة، وصفه ابن المجاور بقوله: "وليس في جميع اليمن أسعدُ منه حصناً لأنه سرير الملك وحصن الملوك... لأن أموال جميع اليمن مكنوزة به"<sup>(٦)</sup>.

(١) من كل ذلك، انظر: ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ٢، ج ٢، ص ٤٨٢-٤٨٣: العزبي، عرض لحياة وأثر الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، ص ٢٨.

(٢) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٨٥؛ كذلك أمر الإمام عبدالله ببناء حصن آخر فوق جبل مواج لظفار سماه القاهرة، وجعل به هجرته. سادج، وفاء، أصول الهجرة اليمنية، من كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، ترجمة وتقديم: نهى صافي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ص ١٠٦.

(٣) حصن العبادي: لم تجد له تعريفاً واضحاً في المصادر، ويبدو أنه واقع بالقرب من مدينة ذمار التي كانت مقراً لقبيلة جنب.

(٤) ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ١، ج ٢، ص ١٨١.

(٥) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٤٠٦.

(٦) ابن المجاور، المستنصر، ص ١٥٦.

## ب- أسوار المدن وأبوابها :

أخذت أسوار المدن وأبوابها النصيب الأكبر من اهتمامات ملوك وأمراء اليمن في العصر الأيوبي وذلك لأهميتها العسكرية الدفاعية عن المدن التي كانت هدف لأي عدوان أكان داخلي أم خارجي .

ففي عدن أقام الأيوبيون سوراً حول المدينة كلها من ساحل البحر ومن رؤوس الجبال بالحجر والجص، حيث اهتم عثمان الزنجيلي التكريتي عقب تعيينه على عدن من قبل توران شاه بتحسين مدينة عدن بالأسوار والحصون المنيعة من جهة البر والبحر، وكأنه كان يريد أن يجعل منها قلعة يعسر فتحها من الجهتين، لينفرد وحده بحكمها؛ فمد سوراً متيناً من الحجارة والجص على طول ساحل عدن، من الجبل الأخضر شمالاً إلى جبل حَقَات جنوباً، وركب فيه ستة أبواب هي من الشمال إلى الجنوب: باب الصباغة، باب حومة، باب السكة أو باب الفرضة، باب مشرف، باب حيق أو باب البر<sup>(١)</sup> .

ثم مد الزنجيلي سوراً آخر، فوق الجبل المحيط بعدن من جهة البرزخ، وهو ما يعرف الآن بساحل أبتين من حصن الخضراء، المطل على الميناء والمدينة صاعداً على رأس الجبل نحو الشمال إلى الحصن الذي فوق باب البر، وكان يعرف، أي الحصن بـ(التعكر) وبهذا السور تعذر تسلق الجبل والهبوط إلى عدن، من جهة البر، ورتبت عليه حامية أفشلت محاولات عديدة لفتح عدن من جهة البر .

وأقام سوراً ثالثاً على جبل حَقَات من طرفه الشرقي المطل على الميناء، صاعداً نحو الغرب إلى جبل العُر الذي يعرف الآن بجبل شمسان، ويحيط بعدن من جهة الغرب والشمال الغربي، ويعتبر سور حَقَات مكماً للسور البحري، ومهمته منع تهريب السلع التجارية، وصد الهجمات البحرية من جهة خليج حَقَات<sup>(٢)</sup> .

وفي الجند أقام الملك طغتكين بن أيوب سوراً عليها من الحجر والجص وأعلاه بالطين واللبن سنة ٥٩٣هـ، وعمل في السور خمسة أبواب هي: باب المنصورة، وباب الحديد بناء الملك المسعود الأيوبي، وباب الأقطع، وباب السر،

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢٨ .

(٢) شهاب ، حسن صالح ، غنّ فرضة اليمن ، ط ٢ ، مركز الشرعي للطباعة والنشر ، صنعاء ، ١٩٨٩ م ، ص ١٢٥-١٢٦ .

وباب ينفذ إلى بستان السلطان<sup>(١)</sup>. أما عن مدينة زبيد فقد أدار الملك طغتكين بن أيوب سوراً عليها بالطين واللبن في عرض عشرة أذرع ووضع فيه أربعة أبواب هي: باب غلافقة، وباب سهام، وباب الشبارق، وباب القُرْبُ<sup>(٢)</sup>، كما وضع على السور أبراج عديدة ذكرها ابن المجاور بقوله: "عددت أبراج زبيد فوجدتها مائة بُرج وتسعة أبراج، بين كل برج وبرج ثمانون ذراعاً، ويدخل في كل برج عشرون ذراعاً إلا برج فإنه مائة ذراع"<sup>(٣)</sup>؛ وجعلوا على كل تلك الأبراج والأبواب حراساً ومناوبين<sup>(٤)</sup>؛ وبجانب ذلك السور ترك طغتكين مساحة من الأرض ثم أدار سوراً آخر بناه بالطين واللبن ذا طول كبير وسعة في العرض، وذلك لإسكان الجند فيما بين السوريين بأموالهم ودوابهم، فلما فرغ من بناء السور توفي قبل أن يسكن الجند به<sup>(٥)</sup> فربما سكنوا في عهد ابنه المعز إسماعيل .

٤- **العمارة المدنية** : ويشمل هذا النوع من العمارة ما تم إنجازه في اليمن في عصر الدولة الأيوبية من بناء القصور والبيوت والأسواق والطرق والحمامات والخانات والدروب والمشافي وغيرها .

أ- **القصور والبيوت** : أهتم الكثير من الملوك والسلاطين والأمراء بتشييد القصور والدور الخاصة والعامة ومن أمثلة هذه الدور، دور الضيافة التي توزعت في شتى أنحاء اليمن بهدف إيواء الغرباء الوافدين إلى البلاد وتوفير الطعام لهم، فيذكر أن الملك طغتكين بن أيوب أقام دار مضيف في قرية خنوة بالقرب من تعز والذي يؤدي مهمته الاجتماعية في إكرام الضيف الغريب حيث ظل قائماً حتى عهد الملك الرسولي المنصور بن رسول، حيث قام ابن أخيه فخر الدين أبوبكر بن حسن بإخراجه، فابتنى بأحجاره دار ضيافة في عكار (وهي قرية قرب مدينة ذي جبلة من شمالها)<sup>(٦)</sup> .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٤ ؛ الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٠١ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٣١ .

(٣) المستبصر ، ص ٧٤ ؛ فصار بذلك محيط المدينة عشرة آلاف وتسعمائة ذراع . الشجاع ، زبيد بأفلام الرحالة ، ص ٢٥٦ .

(٤) عمارة ، المفيد ، ص ١٦٨-١٦٩ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٧٤ ؛ عمارة ، المفيد ، ص ١٦٧ .

(٦) الأشرف الرسولي ، فاكهة الزمن ، ص ٣٨٦-٣٨٧ ؛ الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٣٠ ، (ح ٣) .

وحرياً بنا هنا أن نشير إلى أن منازل ودور أهل اليمن عامة كانت لها  
مميزات ومواصفات من حيث البناء، حيث وصفها ابن المجاور بقوله: "وبناء دورهم  
مربعة كل دار وحدها طبقتين الأسفل منها مخازن والأعلى منها مجالس، وبنائهم  
بالحجر والجص والخشب والملج"<sup>(١)</sup>، ويصف القلقشندي عمارة أهل اليمن أيضاً  
بقوله: "ولهم الديار الجليلة والمباني الأنيفة إلا الرخام ودهان اللزورد فإنه من خواص  
السلطان لا يشاركه فيه غيره من الرعايا"<sup>(٢)</sup>.

أما قصور الملوك أو الحكام والسلاطين والأمراء، والتي اتخذت مساحات  
واسعة داخل كل مدينة، فقد أمدتنا المصادر بأمثلة من تلك الإنشاءات التي تبين بجلاء  
مدى اهتمامهم بتشبيدها لهم ولأسرهم وحواشيهم في شتى أنحاء اليمن للتعبير عن  
الأبهة والفخامة، ويعتبر الملك طغتكين بن أيوب، بحق أفضل الحكام الأيوبيين في  
اليمن على الإطلاق من حيث عنايته في بناء المنشآت المدنية، فقد استغل  
سنوات حكمه خصوصاً الأخيرة منها في إقامة المنشآت المدنية على اختلافها، وسواء  
كانت خاصة به أم بالحكومة أم بعمامة الناس؛ فقد أدخل البستان الواقع غرب مدينة  
صنعاء داخل السور وأجرى إليه غيل البرمكي<sup>(٣)</sup>، وبنى قصراً فخماً في البستان  
المذكور وسمي بـ (الدار السلطانية)، حيث بالغ في بنائه، وزخرف غرفه بالذهب  
وألوان الصناعات، وبنى فيه حماماً وبركة، وعمل فيه  
نافورة بديعة، والأنهار تجري من حولها والبساتين حافة بها، وفيها أصناف الأشجار  
 وأنواع الرياحين والأزهار<sup>(٤)</sup>؛ كما بنى قصراً آخر في عدن مقابل الفرضة عُرف  
بـ (دار السعادة)<sup>(٥)</sup>، وبنى أيضاً في المنصورة قصراً وحماماً وأنشأ حوله البيوت

(١) المستبصر ، ص ١٣٧ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٧ .

(٣) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٣٧ ؛ وغيل البرمكي : جدول في صنعاء معروف إلى اليوم  
استخرجه محمد بن خالد بن برمك من شمال صنعاء لماوليها للرشيد سنة ١١٨٣ هـ ، وقد شح هذا الغيل ونضب  
خلال السنوات الأخيرة . بامخرمة ، تاريخ تغر عدن ، ج ٢ ، ص ٢١٤ ؛ الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ٢٥٧ .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١١٠ ؛ عن دار السعادة ، انظر : دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٧٢ .

لعساكره وكان مشغولاً بالقصر والمدينة (المنصورة) التي اتخذها مسكناً<sup>(١)</sup>؛ وكان الأمير وردسار قد بنى لنفسه داراً في بستان الملك طغتكين في الجانب الغربي من صنعاء بالقرب من الخندق العدني<sup>(٢)</sup>، وقد اقتدى الملك المعز إسماعيل بأبيه طغتكين، فحرص بدوره على ابتناء القصور في بعض المناطق ومنها عدن التي بنى بها قصراً رائعاً على جبل حقات سمي بدار المنظر<sup>(٣)</sup>؛ ومثله فعل الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول، حيث بنى قصراً عظيم الهيكل سنة ٦١٨ هـ في موضع قصر غمدان<sup>(٤)</sup>.

ولم يحدو حذو الأيوبيين في هذا المجال أحد من السلاطين والأمراء المعاصرين لهم، باستثناء ما ذكر عن عمارة دار للإمام عبدالله بن حمزة في صعدة، وأن الموقع الذي فيه هذه الدار سمي بـ: الدرب المنصوري نسبة إليه، وحتى هذه الدار لم تحوِ أشكالاً تدل على الترف، فيكفي أن نعرف أن من يريد أن يقابل الإمام لا يلزمه إلا أن يقف على باب حجرته<sup>(٥)</sup>، وهذا يدل على تواضع هذه الدار، كذلك التزم كل من الملوك والأمراء الأيوبيين والمعاصرين لهم وبخاصة الزيدية وعلى رأسهم الإمام عبدالله بن حمزة، بإعادة إعمار القرى التي تعرضت للخراب والدمار من قبل عساكرهم؛ ومثال على ذلك، أن الإمام أصدر أمراً للأمير علم الدين سليمان بن موسى بإعادة إعمار قرية العادية من بلاد ظليمة<sup>(٦)</sup>، بعد أن تضررت من الحرب مع الأيوبيين<sup>(٧)</sup>.

#### ب- الأسواق والحمامات والخانات:

أعنتى الملوك والأمراء من بني أيوب في اليمن بإقامة هذه المنشآت

المدنية في بعض المدن الرئيسية .

- (١) ابن حاتم ، المسط الغالي ، ص ٣٩ .
- (٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٨٧ .
- (٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١١١ .
- (٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٨١ ؛ وقصر غمدان : يقع في صنعاء بطرفها الشرقي الى سفح جبل نغم .
- الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص ٦٧٦ .
- (٥) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .
- (٦) ظليمة : ناحية من قضاء شهارة في الشمال الشرقي من حجة ، منها مدينة حبور ولذلك يقال لها ظليمة حبور ، وظليمة أيضاً مخلاف من بني خالد وأعمال آنس . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٦٨ ؛ المعطى ، معجم ، ص ٤٢٦ .
- (٧) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٢٧-٣٢٨ .



ففي عدن ونتيجة لازدياد النشاط التجاري فيها، فقد بنى عثمان الزنجيلي قيصارية عتيقة للتجار<sup>(١)</sup>، كما بنى بها الأسواق والدكاكين ودور الحجر، وبنى خاناً حوله دكاكين، كانت تعرف بسوق الخان، وأزدهرت عدن في زمانه؛ كذلك بنى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بناية في عدن جميعها دكاكين لبائعي العطور، وهي بمثابة قيصارية جديدة، غير قيصارية ابن الزنجيلي العتيقة، وقد جدد والي عدن المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي قيصارية المعز، باسم الملك المسعود، كما بنى المعتمد حماماً فاخراً بها<sup>(٢)</sup> . وبنيت في عدن أيضاً حمامات عديدة إلا أنها رديئة كما وصفها المقدسي، لأنهم يجلبون إليها الماء من مسافات بعيدة من عدن، لعدم وجود الماء بها لأن آبار عدن نفسها كانت آبار مالحة<sup>(٣)</sup> . ولذلك كان من الطبيعي أن يزداد سكان مدينة عدن، ويتسع عمرانها ويستقر فيها الناس من كل مكان، حيث بنوا فيها الدور والقصور، كما بنوا المساجد وأقاموا المناير وحفروا الآبار، وبنوا الحمامات، وقد علل ابن المجاور أن سبب ازدياد بناء عدن، ناتج عن خراب فرضة أبين نتيجة لقدمها، فانتقل التجار من أبين إلى عدن، فبنيت المدينة وكثرت بها العمارة<sup>(٤)</sup>؛ فمن الأسواق التي بنيت في عدن في فترة الدراسة: سوق الصباغة، الصرافين، الخان، الخزف، القصب؛ ومن الحارات أو الحافات التي بنيت: القطيع، الزعفران، البزازين، وكان أكبرها حافة الأحبوش، والبرابر<sup>(٥)</sup> .

#### ج - الطرق :

لم تظهر اهتمامات الملوك والسلاطين والأمراء كثيراً في تعمير المدن بالطرق والجسور والقناطر<sup>(٦)</sup> ولم تتوافر معلومات كثيرة عن هذا النوع من

(١) القيصارية : مجموعة من الدكاكين متراسة في صفوف متقابلة ، تضمها بناية كبيرة مسقوفة لها أبواب ثققل بالليل . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٠ ، والقيصرية أيضاً الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار . دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٠ .

(٣) احسن التقاسيم ، ص ٨٥ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ، ويضيف با مخرمة حافة الدناكل . تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٦) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١١٦ .

العمارة، فلم تحظ بنفس الاهتمام والعناية اللذين أولاهما الملوك والسلاطين والأمراء في اليمن في العصر الأيوبي للعمارة المدنية الأخرى والعسكرية والدينية بالذات على الرغم من أهمية هذا النوع من العمارة على المستويين السياسي والديني، فعبّره يتم تحقيق أغراض شتى منها: تسهيل سير الحجاج، وسير القوافل التجارية عبر اليمن، وتسهيل سير الجند والبريد من مكان إلى آخر وكذا تيسير انتقال الناس من مكان إلى آخر داخل اليمن، إلا أن ذلك لا يعني خلو هذا العصر من هذا المظهر العمراني؛ فقد قام الشيخ أحمد بن الجنيد بن بطل، وقيل الشيخ محمد بن سليمان بن بطل بإنشاء الطريق من المفاليس إلى نقيل الحمر<sup>(١)</sup>، ويحتوي هذا الطريق على ثلاثمائة وستين منعطفاً (ملوى)، حيث كلفه الكثير، فقد ذبح على كل ملوى رأس بقر فدية، وستة أحمال حنطة وأخرج ثلاثمائة دينار على المنعطفات، وقيل أنه أنفق على كل منعطف ألف دينار، وبنى في كل منعطف سقاية ومسجداً، وبقي الطريق على ذلك الحال إلى أن دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب، فقامت بعض القبائل اليمنية بتخريب أجزاء من الطريق لكي لا يعبره الأيوبيون، وظل حاله مهتماً حتى جدد عمارته الملك طغتكين بن أيوب من ماله الخاص، وبذلك أدى خدمة اجتماعية للناس المسافرين والمتنقلين عبر ذلك الطريق الآمن، والذي وقاهم الخوف من مسالك الطرق الأخرى وبعد المسافة<sup>(٢)</sup>. كذلك بنى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين الطريق من إب إلى المغرب على مسافة فرسخين<sup>(٣)</sup> (سنة أميال) . وقد عمل ملوك وسلاطين وأمراء اليمن على تأمين الطرق، فالإمام عبدالله بن حمزة وهو الذي عاصر الأيوبيين، كان يوجه أمراءه وجنوده للوقوف في الطرق لمنع المفسدين وقطاع السبيل، حتى يأمن الناس شرهم<sup>(٤)</sup>.

(١) والمفاليس : زنة مصاييح ، بلدة من أسفل الأحكوم والأناور من المعافر (الحجرية) جنوب تعز ومنه يسافر المسافر إلى لحج وعدن . الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٧٣ ، (ح ١) ؛ ونقيل حمر : لعله ما يعرف اليوم بحمراء العلب جنوب صنعاء على بعد نحو (٥ كم) . الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ١٧٣ .

(٢) ابن الجاور ، المستبصر ، ص ١٥٠-١٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٥-١٧٦ ؛ السوروي ، الحياة السياسية ، ص ٧١٠ .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٦١ ؛ ودخل تأمين الطرق في بنود الإتفاقيات التي كانت تعقد بين الإمام والأيوبيين . ابن حاتم ، السط الغالي ، ص ٩٢، ١١٦ .

# **الباب الثاني**

## **الحياة الاقتصادية في بلاد اليمن في**

### **عصر الدولة الأيوبية**

## **الفصل الأول**

### **الزراعة والثروة الحيوانية في بلاد اليمن**

## أولاً - الزراعة :

### ١- المقومات الزراعية :

للزراعة في اليمن تاريخ طويل، فقد اشتهرت اليمن بأراضيها ومنتجاتها الزراعية على مر العصور، حتى عُرفت منذ فجر تاريخها بالسعيدة أو الخضراء، ولكثرة مزارعها وأشجارها وأثمارها وريعتها<sup>(١)</sup> .

والزراعة هي أساس التحضر والعمران وهي مهمة لحياة الإنسان، وقد عرّفها ابن خلدون بقوله: "هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعتها وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبة غلافه، وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه، وهي من أقدم الصنائع كما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالباً، إذ يمكن وجوده من دون جميع الأشياء إلا من دون القوت"<sup>(٢)</sup> .

كذلك تعتبر الزراعة ركيزة الاقتصاد اليمني وعليها يعتمد أغلب سكان اليمن الذين يمارسونها<sup>(٣)</sup>، وكانت تمثل إلى جانب التجارة الدعامه الرئيسة التي يركز عليها التقدم الحضاري للمجتمع اليمني منذ القدم وعبر العصور المختلفة ومن جملتها العصر الأيوبي .

ولقد ساهمت في هذا الازدهار الزراعي المقومات الطبيعية كالتضاريس وخصوبة التربة، ووفرة المياه المختلفة المصادر والمناخ الملائم، كما أن للمقومات البشرية هي الأخرى الدور الإيجابي في تلك النهضة كوفرة الأيدي العاملة التي تقوم بالعمليات الزراعية وتشبيد منشأتها<sup>(٤)</sup> وتوضح ذلك كالاتي:

(١) الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ؛ الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٢٤٤ ؛ الثور ، عبدالله ، هذه هي اليمن ، ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٤٨ ؛ وقال الشاعر ذو الكلاع الحميري في قصيدته :  
هي الخضراء فاسأل عن ربّاهما      يُخبرك السيقين المخبرونا

الى ان يقول : وأشجاراً منوّرة وزرع      وفاكهة تروق الآكلينا . الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .  
(٢) ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٩٤٤ .

(٣) شايف عبده سعيد ، " الحياة الاقتصادية في اليمن لدى الجغرافيين العرب في العصور الوسطى " ، مجلة دراسات يمنية ، العدد (٤١) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٩٠م ، ص ١٦٦ .

(٤) الجرو ، أسهان سعيد ، " النهضة الزراعية في اليمن القديم " ، مجلة سبأ ، العدد (٧) ، جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٨م ، ص ٦١ .

## أ-المقومات الطبيعية :

من المعروف أن الزراعة هي وليدة التفاعل بين الظروف المناخية والواقع التضاريسي، فقد نتج عن هذا التفاعل ظهور بيئات مناخية متقلبة ومختلفة باختلاف السطح، فأدى ذلك إلى تنوع المحاصيل الزراعية<sup>(١)</sup>، فانتشرت زراعة الحبوب والفواكه والحدائق المثمرة، وكذلك الأشجار البرية المختلفة<sup>(٢)</sup> .

وتنوعت التربة في اليمن بتنوع الصخور التي تكونت منها أو حسب المواد المكونة لها، ففي المدرجات الجبلية ومنطقة القيعان في المرتفعات الوسطى توجد تربة أسهمت سيول الحمم البركانية(اللافا)في تكوينها، ولهذا فهي غنية بالمواد العضوية<sup>(٣)</sup>، وفي المناطق الساحلية توجد تربة رسوبية عالية الخصوبة تكونت منها أشهر الوديان الزراعية الفسيحة<sup>(٤)</sup>، وكان ذلك أحد الأسباب لقيام الزراعة .

وتعد الأمطار من أهم المقومات الزراعية في اليمن، حيث حظيت دون غيرها من بلدان شبه جزيرة العرب بهطول كمية وافرة منها خلال مدة تقارب الستة أشهر<sup>(٥)</sup>، بالإضافة الى مصادر المياه الأخرى كالمياه السطحية مثل المآجل والمسائل والغيول<sup>(٦)</sup>، والتي كان بعضها دائم الجريان في الصيف والشتاء<sup>(٧)</sup>، كما وجدت في اليمن المياه الجوفية الغزيرة كالينابيع والآبار<sup>(٨)</sup> .

- 
- (١) عن ذلك التنوع انظر : الهمداني ، صفة ، ص ١٣٧ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ - ٣٥٠ ، ٣٦٠ .
- (٢) الجرو ، أسمهان سعيد ، " نماذج من المحاصيل الزراعية في اليمن القديم " ، مجلة سبأ ، العدد (٨) ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٠م ، ص ٤٣ .
- (٣) الجرو ، للنهضة الزراعية ، ص ٣٦ .
- (٤) لمعلومات أوفى عن تلك الوديان انظر : الهمداني ، صفة ، ص ١٢٠ وما بعدها .
- (٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٦٠ ؛ ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٣٤ ؛ الأكوخ ، محمد بن علي ، اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ط ١ ، مط السعادة ، القاهرة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م ، ص ٦١-٦٢ ؛ أبو العلاء ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ٧ ، ص ٩٠ .
- (٦) الهمداني ، صفة ، ص ١٣٦ ؛ ابن فضل الله العُمري ، مسالك الأبصار ، ص ٤٩ .
- (٧) عمارة ، المفيد ، ص ١١٤ .
- (٨) الهمداني ، صفة ، ص ٢٣٦ .

## ب - المقومات البشرية :

لقد امتاز المزارع اليمني بالعمل الدؤوب والهمة العالية<sup>(١)</sup>، حيث كان له الدور البارز في الازدهار الزراعي من خلال استفادته من الطبيعة بقدر الإمكان واستصلاحه الأرض للإنتاج الزراعي، فقام ببناء المدرجات وجمع التربة، وعمل كل الإحتياطات اللازمة للحفاظ عليها . ولما كانت الأمطار موسمية والمياه الجارية لا تكون لقلتها أنهاراً كبيرة دائمة الجريان، عمل المزارع على استثمار تلك المياه، حيث قام بحفر الآبار العديدة في الأراضي التي لا تصل إليها المياه الجارية، إذا ماتوافرت المياه في صهاريجها الجوفية فاستعانوا بها في زيادة المساحات المزروعة<sup>(٢)</sup>، وكذلك حفروا الآبار في بطون الجبال الصخرية وكلفهم ذلك وما يزال يكلفهم الجهد والمال باستمرار<sup>(٣)</sup>، وقاموا أيضاً ببناء السدود والخزانات (البرك) لحجز مياه الأمطار والمسائل والاســتفادة منها في أيام الجفاف، ومن أشهر تلك السدود سد مارب الذي يعتبر من عجائب الفن الهندسي<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يمكن القول إن اليمنيين أقاموا حضارة زراعية رائعة مازالت بقايا منشآتها من سدود وحواجز مائية قائمة شاهدة على ازدهار تلك الحضارة التي لا تقل أهمية عما نشاهده اليوم من آثار الحصون والمدن .

## ٢ - نظم الري وطرقه :

مما لا شك فيه أن المزارع في اليمن قد عرف نظام الري واستخدامه منذ زمن بعيد، يدل على ذلك الاكتشاف الأخير لأحد المواقع الأثرية في صنعاء من قبل إحدى البعثات الأثرية، والذي ثبت فيه أن المزارعين كانوا يستخدمون آنذاك نظم ري متطورة وقنوات لتحويل مياه

(١) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح وتقديم : مصطفى السيد بن

أبي ليلى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٢) أبو العلاء ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) أبو غانم ، البنية القبلية في اليمن ، ص ١٦٦ ؛ النقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٢٤٤ .

(٤) ابن الماور ، المستبصر ، ص ٢٠٠ ، ٢٩٥ ؛ حلاق ، حسان ، مدن وشعوب إسلامية ، دار الراتب الجامعية ،

سوفانيير ، ص ١٢٨ ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

## الأمطار الى الزراعة<sup>(١)</sup> .

وقد اعتنى المزارع اليمني بإنشاء السدود لتنظيم عملية الري مثل سد مأرب الذي أنشئ أساساً لهذا الغرض<sup>(٢)</sup>، والذي يعدّ من أضخم مرافق الري الزراعي في تاريخ اليمن القديم وربما في تاريخ الحضارة القديمة بصفة عامة<sup>(٣)</sup> .

والى جانب سد مأرب أنشئت العديد من السدود الأخرى منها: سد الخانق بجنوب صعدة، وسد العرائس بلحج، وسد ريعان في وادي ضهر<sup>(٤)</sup> وغيرها من السدود الأخرى<sup>(٥)</sup> .

واستمر أهل اليمن في إقامة السدود في العصور الإسلامية المختلفة<sup>(٦)</sup>، كذلك عمدوا الى حفر الآبار المتعددة للارتفاع بالمخزون الجوفي من المياه ليس فقط من أجل سقاية زراعاتهم وإنما لتأمين مياه الشرب أيضاً<sup>(٧)</sup>؛ ولكي يقوم المزارع اليمني بتنظيم زراعة الأرض ابتكر طرائق مختلفة للري، وهو الأمر الذي أوضحه ابن رسته في سياق حديثه عن المناطق الجبلية في بلاد اليمن وما تحويه من ضياع مثمرة، فقد ذكر أن بعض هذه الضياع يروى بماء العيون، والبعض الثاني يعتمد على مياه الآبار التي يرفع إليها الماء بواسطة سواقي تجرها الإبل والأبقار، بينما

(١) حلاق ، مدن وشعوب إسلامية ، ص ١٢٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٨ .

(٣) العودي ، حمود صالح ، المجتمع اليمني ، ط ١ ، جامعة عدن ، عدن ، ١٩٨٦م ، ص ١٩ ؛ زبال ، سليم ،

عدن مدينة مبنية في فوهة بركان ، مجلة العربي ، العدد (٦٨) ، الكويت ، ١٩٦٤م ، ص ٥٧ .

(٤) وادي ضهر: أحد متنزّهات صنعاء الغربية الشمالية يبعد عنها بمسافة ٧ كم وينسب الى ضهر بن سعد بن

عريب بن ذي يقدم ويمتاز بخصب أرضه ، ويتكون الوادي من أربعة مناطق . انظر : المقحفي ، معجم ، ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٥) مثل : سدود وأودية جردان وبيحان ويحصب وعمد . الهمداني ، صفة ، ص ١٤٧ ؛ راجع أيضاً : الرزازي ،

تاريخ مدينة صنعاء ، ص ٢٧٨-٢٨٠ .

(٦) ومن أشهر هذه السدود الإسلامية ما قام بإنشائه المفضل بن أبي البركات (ت . ٥٠٤هـ ) وزير الملكة

الصلحية السيدة بنت أحمد الصليحي ، لتوفير المياه لمدينة الجند . للمزيد انظر : ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ١٩٤-١٩٥ ، ومن الآبار بئر في جبل صبر وآبار كثيرة في عدن وفي لحج وغيرها .

(٧) انظر: ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٥ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٠٥ ، ١٣٠-١٣٣ ، ١٤٩ ؛ أبو غانم ، البنية

القبيلة في اليمن ، ص ١٦٦ .



البعض الثالث وهو الأكثر والأهم فكان يروى عن طريق السدود التي يقيمها أهل اليمن ويصنعون لها فتحات في أسفلها يجري الماء منها في قنوات تحمله إلى الضياع<sup>(١)</sup>.

#### أ- الري بمياه الأمطار :

تعد الجروب (المجاري المائية) النازلة من المناطق الجبلية العالية من جراء سقوط الأمطار عليها ملكية عامة لجميع مالكي الأراضي الواقعة على جوانبها وفي أودية اليمن المستوية، وليس من حق الحاكم أو المحكوم امتلاكها لشخصه<sup>(٢)</sup>، ولذلك قام المزارع اليمني بعمل الجروب على شكل خطوط، بحيث تسمح للمدرجات بأخذ حاجتها من المياه وبشكل مقنن<sup>(٣)</sup>؛ لأن زيادتها تؤدي إلى انهيار جدران المدرجات ومن ثم انجراف التربة . أما القاعدة العامة في ري أراضي المزارعين في الأراضي المستوية من مياه السيول فهي أن يتم وفق الدور، أي يروي المزارع الأول أرضه ثم الذي يليه لكل بحسب دوره<sup>(٤)</sup>، حتى يتمكن الجميع من سقاية أراضيهم، ولا يحق لشخص ما أن يحتجز المياه أو يستبق الدور قبل غيره<sup>(٥)</sup>.

وعادة ما كانت توضع علامة في آخر حدود الأرض المروية، لكي يتم سقاية الأراضي المتبقية، خصوصاً حين تكون كميات الأمطار النازلة لا تكفي لسقاية أراضي الوادي كاملاً؛ وهكذا يجري النظام في كل مرة، وبالذات في حالة تتابع سقوط الأمطار، مع حرص المزارع التام في التوزيع العادل لمياه السيول وبما يكفل إنتاج أثمار زراعية وافية دون أن تتعرض للضمور والذبول، بل وعند الاكتفاء تصرف مياه الأمطار إلى البحر<sup>(٦)</sup>.

(١) الأعلاق النفيسة ، ج٧ ، ص ١١٢ .

(٢) الشلي ، محمد بن أبي بكر بن أحمد الحسيني ، المشرع الروي في مناقب السادة آل بني العلوي ، مصر ، ١٣١٩ هـ ، ص ١٥٢ ؛ الأهل ، حسين بن أبي القاسم ، كشف القناع في معرفة أحكام الزراعة ، تح :

عبدالله محمد الحبشي ، مجلة الإكليل ، العدد (١) ، صنعاء ، ١٩٨٠ م ، ص ١١٦ .

(٣) العودي ، حمود صالح ، المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي : دراسة عن المجتمع اليمني ، ط ٢ ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٣ ؛ وقد كان أهالي فحال وهم كثيرون العدد لا يزرعون الدخن والذرة إلا على مياه

الأمطار . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٣ .

(٤) الأهل ، كشف القناع ، ص ١١٦ ؛ الشلي ، المشرع الروي ، ص ١٥٢ .

(٥) الأهل ، كشف القناع ، ص ١١٦ .

(٦) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٠١ ؛ الشلي ، المشرع الروي ، ص ١٥٢ .

## ب- الري بمياه السدود :

قام المزارع اليمني بإنشاء السدود التحويلية والتي تسمى الى اليوم (مآجل أو عوارض) وذلك في أسافل الجبال وقريبة من الأراضي الزراعية، ومهمة هذه السدود اعتراض السيل وتحويله إلى الأرض عبر فتحات توضع أسفل السد تُفتح بعد امتلائه بالمياه، وفي الوقت نفسه كانت هذه السدود تعمل على تهدئة المياه المتدفقة من أعالي الجبال مما يقلل من خطورتها في جرف التربة<sup>(١)</sup> .

ولما كانت هذه السدود في موقع مرتفع عن الأراضي، فقد سهل تصريف مياهها إلى الأراضي المحيطة بها عبر قنوات أعدت مسبقاً لذلك الغرض .

## ج - الري بمياه الغيول والينابيع :

الغيول والينابيع مجارٍ سطحية بعضها دائم والآخر موسمي، وفي كلتا الحالتين فإنها أقل من مياه السيول<sup>(٢)</sup> .

ونظام الحصص هو النظام المتبع في توزيع مياه الغيول على المزارعين الواقعة أراضيهم بأسفل هذه الغيول والينابيع، حيث كان المزارعون يشتركون في إقامة خزانات (مآجل) من الحجر كلاً حسب حصته، وعادة ما كانت تقام في مستوى أدنى من مخرج مياه العين الجارية، ومزودة في أسفلها بفتحة لتوزيع المياه على الأرض الزراعية بحسب القدر المخصص لكل أرض؛ والقناة الرئيسة التي توجد في أدنى الخزانات (المآجل) من الخارج (عند فتحة الخزان) والتي تحمل المياه إلى الأرض التي يراد سقيها، كانت لها شبكة من القنوات الفرعية<sup>(٣)</sup> .

وقد كانت القناة الرئيسة (المَرْفُ) ملكاً عاماً لجميع المزارعين<sup>(٤)</sup>، في حين تؤول القنوات الفرعية لأصحاب الأراضي، الذين يتم التفاهم معهم في حال تطلب الأمر سقي أراضي بعيدة عن المجاري المائية .

(١) السقا، تاريخ العرب القديم، ص ٧٦؛ للجرو، النهضة الزراعية، ص ٣٨-٣٩ .

(٢) أبو العلاء، جغرافية شبه جزيرة العرب، ج ٣، ص ٢٤٨ .

(٣) الأهدل، كشف القناع، ص ١٢٧-١٣١؛ أبو العلاء، جغرافية شبه جزيرة العرب، ج ٣، ص ٢٤٩-٢٥١ .

(٤) الشلي، المشرع الروي، ص ١٥٢؛ أبو العلاء، جغرافية شبه جزيرة العرب، ج ٣، ص ٢٤٥؛ المَرْفُ :

مستخدم في لهجات بعض المناطق في اليمن كمصطلح ري للدلالة على مجرى الماء الذي يسمى ساقية وتخرج من مكان تتجمع فيه مياه الأمطار أو نبع وتوزيعها بشكل منظم .

ويتم حساب الحصص المائية للمزارعين أحياناً بالأيام وأحياناً أخرى بعدد مرات امتلاء الخزان<sup>(١)</sup>، وبالتناوب كلاً على حسب حيازته من أراضٍ زراعية يستغلها<sup>(٢)</sup>. أما المشرف على مياه الري وتوزيعها فهو شيخ يُطلق عليه (شيخ العُبر)، يتم اختياره من قبل زراع الأرض نوي الخبرة بالزراعة وينظم ريها وتوزيع حصصها، ويقع على عاتق الشيخ مراقبة توزيع المياه، وفرض أي نزاع قد ينشأ بين المزارعين. وإذا ما نظرنا إلى نظم الري المتبعة من الغيول، فإن وصف الهمداني الدقيق عن سقاية وادي ضهر، يوضح لنا وبجلاء تام مدى العدل في ري الأراضي الزراعية وتوزيع حصصها حسب الأدوار دون تمييز بين حاكم أو محكوم أو تقديم وتأخير في ذلك<sup>(٣)</sup>. يُذكر أن المحاصيل الزراعية التي تروى بالغيول والينابيع تختلف اختلافاً بيناً من حيث حاجتها إلى كمية المياه، فبعضها لا يحتاج إلى عمل أحواض (أسوام أو سباب) مرتفعة لتستقر فيها المياه ويكتفى بمسحة بسيطة من تلك المياه، على حين يتطلب بعض المحاصيل، مثل الأرز، كمية كبيرة من مياه الغيول، لذلك يعتمد المزارع إلى تقطيع الأرض إلى أحواض تكون جوانبها مرتفعة، لكي تسمح باستقرار كمية كبيرة من المياه لبقائها فترة طويلة حتى تجف<sup>(٤)</sup>.

#### د - الري بالمياه الجوفية (الآبار) :

يتطلب ري الأراضي الزراعية عن طريق المياه الجوفية جهداً كبيراً من الإنسان وقد يساعده في ذلك الجهد الحيوان كالإبل والبقر والحمير وبخاصة في رفع مياه الآبار، وقد بين ابن رسته أن ذلك يتم عن طريق ربط الدلو في البئر ثم يجره الحيوان، ويتم تفريغه في أحواض أو صهاريج مقامة بجانب الآبار، حيث تتكرر عملية الإنزال والرفع حتى تتجمع كمية كافية من المياه، بعدها يتم دفعه إلى الضيعات

(١) أبو العلاء ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٢) الأهدل ، كشف القناع ، ص ١١٦ ؛ أبو العلاء ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٣) انظر : الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ، الإكليل ، حرره وعلق على حواشيه: نبيه أمين فارس ، دار العودة ، بيروت ، د.ت ، ج ٨ ، ص ١٢١ - ١٢٢ ؛ محمد أمين ، تاريخ اليمن الإسلامي ، ص ٢٠٥ .

(٤) ابن رسول ، السلطان الملك الأشرف ، عمر بن يوسف ، "منح الملاحة في معرفة الفلاحة" ، نسخه وعلق عليه : محمد عبدالرحيم جازم ، مجلة الإكليل ، العدد (١) ، السنة الثانية ، ١٩٨٥م ، ص ١٨٤ ، ١٨٨ ؛ عن السوم انظر : الصلوي ، إبراهيم محمد ، "ألفاظ يمانية خاصة: دراسة لغوية دلالية مقارنة" ، مجلة كلية الآداب ، العدد (١٢) ، جامعة صنعاء ، صنعاء ، ١٩٩١م ، ص ٧٦ .

عن طريق السواقي<sup>(١)</sup>؛ وهذا ما أكد عليه ابن بطوطة بل وأضاف أن اليميني يعتمدون في ري أراضيهم على آبار شديدة العمق، ولكي يقوموا بهذا العمل يربطون دلواً كبيراً بعدة حبال ويشدون أطرافها الأخرى بواسطة العبيد، فيجر هؤلاء الدلو متسلقين عموداً من خشب أقيم حول البئر، ثم يصبون الماء في صهريج ينطلق منه الماء لري الأرض<sup>(٢)</sup>.

يفهم مما تقدم ما للمزارع اليميني من قدرات عقلية، سواء كان ذلك في بناء منشآت الري وفق مواصفات هندسية محكمة التخطيط، أم من خلال استخدام كل طريقة من طرق الري بما يتلاءم مع طبيعة التضاريس والظروف المناخية للمنطقة، ومع مصادر المياه وفي الوقت نفسه كانت تقي الأرض من انجراف تربتها، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على إجادة المزارع لمهنته وخبرته ومهارته في ذات المجال.

### ٣- المراحل التي تمر بها الزراعة الحقلية :

من غير المعقول أن يكون المزارع اليميني قد مارس العملية الزراعية بطريقة عشوائية أو دون تخطيط ومعرفة مسبقة، وأغلب الظن أن مهارته وخبرته بالأرض حتمًا عليه اتباع شروط ومواصفات وخطط معدة مسبقاً لإنتاج زراعي مفيد وراقي، ويمكن توضيحها على النحو الآتي:

#### أ- تسميد الأرض :

استخدم المزارع اليميني السماد الطبيعي (الدمان) وذلك من مخلفات الحيوانات والطيور بغية تخصيب الأرض وزيادة إنتاجها، ولكي يحقق السماد الفائدة المرجوة منه، أخضعه المزارع للتجارب الميدانية لمعرفة أنواعه وأفضلها وشروط استخدامه، فكانت النتائج كالآتي:

١ - إن زبل (دمان) الحمام هو الأفضل، وكذا زبول الطير كله باستثناء طير الماء لاسيما البط، وأجود دمان الحيوان سرقين<sup>(٣)</sup> (دمان) الخيل، وأردأها سرقين الخنزير،

(١) الأعلام النفيسة ، ج ٧، ص ١١٢ .

(٢) الرحلة ، ج ٢، ص ١٩٧ .

(٣) السرقين والزبول : هي روث وفضلات الطير والحيوان بأنواعه . ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٧٦،

- فإنه لا يصلح لما يسببه من عدم ثبات النبات بسبب ثقله وحرارته<sup>(١)</sup> .
- ٢- إن أكبر فائدة للأرض تحقق من السماد الذي يخلط بأكثر من نوع<sup>(٢)</sup> .
- ٣- إن كمية السماد التي يحتاج إليها الحقل تختلف باختلاف جودة التربة أو رداعتها، فكلما كانت جيدة قلت النسبة والعكس<sup>(٣)</sup> .
- ٤- بعض المزروعات لا تحتاج إلى السماد، كالسفرجل والفرسك<sup>(٤)</sup> .
- ٥- تصنيف السماد وفقاً لدرجة الحرارة حتى يمكن استخدامه في الأرض المناسبة له وفقاً لدرجة الحرارة أيضاً، ولما كان زبل الغنم حاراً فقد استخدم في الأرض الباردة حتى يرفع من درجة حرارتها، أما زبل الأبقار البارد فقد استخدم في المناطق الحارة لخفض درجة حرارتها<sup>(٥)</sup> .
- ومهما يكن من أمر فإن الفلاح كان يستخدم السماد قبل قيامه بحراثة الأرض، وفي أوقات أخرى كان يحرق الأرض ثم يضع السماد فيحرق عليه مرة أخرى<sup>(٦)</sup> .
- ب - حرث الأرض :**

تحرث الأرض في العادة خلال أيام الشدة (الشصرة) ففي أثنائها تكون الأرض قاسية متصلبة صعبة الحرث، وهي في العموم مبتدأ حراثة الأرض، حيث يكون الحرث في هذه الفترة من أحسن الحلل للأرض<sup>(٧)</sup>، وذلك من أجل تفتيت التربة لكي تتعرض للشمس فيجف منها الماء وتموت الحشائش .

وتختلف عدد مرات الحراثة تبعاً لنوعية التربة من جودة ورياءة وعلى قدر صلابتها ولينها، وعلى صفاء سطحها من الحشائش، وعلى حسب نوعية المحاصيل جيـث

(١) ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٧٦ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة ؛ كذلك يذكر ابن المجاور أن مطعوم دواب المزارعين في المنصورة كان السمك اليابس ، لذلك كانوا لايزيلوا أرضهم إلا بالسمك . المستبصر ، ص ٢٦٥ .

(٣) نور المعارف ، ج ١ ، ص ٣٧٨-٣٧٩ .

(٤) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٧٩ .

(٥) ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ٢٠٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ ؛ وتسمى تلك العملية بالقشيب ، أي شق الأرض في بداية الموسم الزراعي استعداداً لبزرها . الصلوي ، ألفاظ يمانية خاصة ، ص ٧٨ .

(٧) نور المعارف ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

تتراوح حرّاة الأرض بين مرتين إلى عشرين مرة<sup>(١)</sup> في كل عام .

أما عن الوسيلة المستخدمة في الحرّاة فهي الثيران، حيث يقوم بجر المحراث عادة ثوران يسميان (ضمد)<sup>(٢)</sup>، وعند الحرّث يوضع خط الحرّث بجوار الخط الأول، وهكذا، وتسمى تلك الخطوط (أتلان)<sup>(٣)</sup>، ولكن الحرّاة تصبح غير ممكنة في بعض الأماكن وبخاصة المدرجات وذلك، بسبب صغر حجم المدرج ولعدم قدرة الحيوانات على الوصول إليها لصعوبتها، مما يفرض على الفلاح حرّاتها بنفسه، وتسمى تلك العملية بـ: (القلط أو الكحيف) أو الحجونة، حيث يستخدم في ذلك معولاً يسمى مفرس<sup>(٤)</sup> أو حجنة .

والحرّث أثناء الزراعة يساعد على عملية ري الزراعة والاحتفاظ بالماء من خلال الشق (التلم) كما يساعد على تنقية الأرض من أنواع الحشائش والأشجار فتجود الزراعة في الأرض ويزداد إنتاجها<sup>(٥)</sup> .

#### ج - بذر البذور :

اهتم المزارع اليمني بالبذور التي سيتم بذرها، حيث كان يتم اختيار تلك البذور ابتداء من موسم الحصاد، إذ يقوم بجمع السنابل الجيدة ويضعها بمعزل عن بقية السنابل الأخرى، ثم يقوم باستخراج الحبوب منها وحفظها في مكان جيد إلى وقت البذر<sup>(٦)</sup>، كما كان يتم اختيار البذور السليمة الصلبة والتي لم يصيبها أي تسوس أو عفن<sup>(٧)</sup> . وكان الفلاح لا يبذر البذور إلا إذا جاء موسمها المحدد؛ لأن كل نوع من الحبوب له موسم محدد لزراعته، ومخالفة ذلك تؤدي إلى موت الزروع أو أن يكون نباته هزياً<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر : ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٧٨ ، ١٨٥-١٨٦ ، ١٨٨ .

(٢) نور المعارف ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٣) ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩١ . التلم : هو الخط الذي يتركه سن المحراث في الأرض . المصدر نفسه ، ص ١٧٨ ، (ج ١٠) .

(٤) أحمد وصفي زكريا ، رحلتي إلى اليمن ، ص ١٢٧ .

(٥) ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٨٢-١٨٣ ، الصلوي ، ألفاظ يمانية خاصة ، ص ٧٩ .

(٦) ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٧٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .

(٨) ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٧٥ .

أما عملية البذر فتختلف باختلاف نوعية الأرض والمحاصيل الزراعية، فالقمح (البر) مثلاً يبذر حين تكون الأرض ندية من المطر ولا تكون مشبعة بالماء، ويكون السطح فيها متوسطاً، وتختلف كمية سفح الحبوب تبعاً لجودة التربة وردائها، وبعد سفح الحبوب باليد يتم حرث الأرض<sup>(١)</sup>، أما بالنسبة للذرة، فيتم سفح البذور حين تكون الأرض متوسطة بين الجفاف والرطوبة وطريقة بذرها تختلف عن بذر القمح، حيث تبذر في خط المحراث، وذلك بأن يرمي البائر أو الزارع ما بين ثلاث إلى خمس حبات من بين أنامله في كل خطوة، ويكون رمي الحبوب في أثر المحراث حتى يغطيها التراب<sup>(٢)</sup>.

#### د - الحصاد :

يختلف نمو المحصول الواحد من منطقة إلى أخرى، وتبعاً لذلك فإن المدة التي يقضيها الزرع منذ بذرته إلى حين محصوله تختلف من نبات لآخر حسب طبيعة نموه، وكذلك حسب التربة المزروع فيها، وكذا المناخ، فبعض أنواع القمح (البر) التي تزرع في المناطق الباردة تستغرق حتى حصادها ما بين ثلاثة أشهر ونصف إلى أربعة، أما البر (الوسني) الذي يزرع في المناطق المعتدلة لا سيما في مخلاف جعفر فيستغرق حتى حصاده نحو ثلاثة أشهر ونصف<sup>(٣)</sup>، على حين يستغرق الشعير في مأرب ما بين بذر الحبوب وحصاده نحو شهرين<sup>(٤)</sup>، أما الذرة فهو المحصول الرئيس للبلاد، ويزرع في المناطق الحارة والمعتدلة، وتختلف فترة بقائه في الأرض من مكان لآخر بحسب نوعه، فمثلاً الذرة البيضاء والصفراء تجود زراعتها في الأودية الحارة فتبقى كل منهما في الأرض إلى أن تحصد قرابة خمسة شهور ونصف؛ أما الذرة الحمراء فتجود في الجبال الباردة، ويستغرق زرعها نحو من تسعة أشهر، ومنها صنف آخر يُحصد بعد سبعة أشهر، وهناك أنواع أخرى تزرع في الجبال وتحصد بعد أربعة أشهر<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٠، ١٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٠؛ الأكو، محمد بن علي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط ١، مط السعادة، القاهرة

١٣٩١هـ/١٩٧٢م، ص ٦١.

(٥) ابن رسول، ملح الملاح، ص ١٨١.

## هـ - درس الحبوب وتقريبها :

لقد استخدم اليمينيون طرقاً مختلفة لدرس الحبوب و تخزينها، وعلى الرغم من قلة الشواهد بل وندرتها عن الطرق التي تم استخدامها في ذات المجال في العصر الأيوبي، إلا أنه يمكن استنتاج تلك الطرق من خلال إفاضة المصادر في العصر الرسولي بالحديث عن الزراعة وجوانبها المختلفة، على اعتبار أن ما كان سائداً في العصر الرسولي هو الأمر الذي كان معمولاً به في العصر الأيوبي، وإن اختلفت قليلاً في بعض الطرق والجوانب<sup>(١)</sup> .

فابن رسول أمدنا بوصفٍ تفصيلي للطرق التي كان يستخدمها أهل اليمن في درس الحبوب، وذلك في سياق حديثه عن زراعتها، فذكر على سبيل المثال: أنه عندما يحصد البر (القمح) يجفف بالشمس في الجرن (المجران) ثم يكوم (يرقن) بحيث تكون ثماره من أعلى مجتمعة وجذوعه من أسفل مفتوحة على شكل هرم، ولا يكوم (يرقن) إلا وهو مجفف ليس به شيء من رطوبة المطر أو الندى حتى لا يصيبه التعفن والتلف، ويستمر مرمكاً ثمانية أيام بعدها يفك ويداس بالمداوس بواسطة الثيران بربط حجر في المداوس، وذلك بأن يكون بالحجر ثقب أو خط دائري محفور يربط بها الحجر، ويستمر الدرس حتى يخلص الحب من التبن (القش) وتسمى هذه العملية بـ (المدومة)، ثم تدرى الحبوب على الرياح لكي تذهب منها عوائم التبن وتصبح حبوباً صافية منقاة، بعدها يتم كيل الحبوب وتنقل للتخزين حتى لا يصيبها التسوس، بشرط أن تكون المخازن لائقة، لها فتحة واحدة تقابل الهواء ولا تكون الفتحة باتجاه الشرق أو الجنوب، وتكون المخازن بعيدة عن المساكن لا تجاورها مطابخ أو نار أو ضوء، ولا يجوز أن تكون قريبة من مساكن الدواب، لضمان سلامة الحبوب من التسوس<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن ذلك أنه من الضروري أن تكون المخازن مؤمنة من دخول المياه إليها سواء من جوانبها أم من أعلاها؛ لأن ذلك سوف يعرضها للتعفن والتسوس والتلف .

(١) ففي العصر الأيوبي وجدنا إشارة فقط عند ابن الجاور مضمونها أن بعض الناس في أعمال صعدة كانوا يبنون قصوراً ويعملون المخازن بدخلها . المستبصر ، ص ٣٧ .

(٢) منح الملاحه ، ص ١٧٩-١٨٠ ، عن المدومة ، نظراً: الصلوي ، أنفاط بملانية خاصة ، ص ٧٢ ، أما التخزين : هو وضع الحبوب في مدافن تشبه صوامع الغلال ، ولكنها تخالفها بكون هذه المخازن (المدافن) تحفر في الأرض وليست على شكل بنايات على ظهر الأرض . الشجاع ، زبيد بأقلام الرحالة ، ص ٢٦٦ .



وبالطريقة نفسها تعامل المزارعون مع بقية الحبوب الأخرى كالشعير والعلس<sup>(١)</sup>، مع فارق أن العلس والشعير يكوم (يرقن) من ساعة حصاده دون تجفيف، أما الذرة فتقطع سنابلها (سبولة) من عيدانه ثم يداس بالثيران والحجر إذا كانت الكمية كبيرة، أما إذا كانت الكمية قليلة فيخبط (يلبج) بالمخابط (المأبج)، وبعد ذلك كله يكال ويرفع (ينقل) إلى مخازنه التي كانت في العادة محفورة في جوف الصخور الصلبة (الأصفي) الملساء<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- الآفات الزراعية والكوارث الطبيعية المؤثرة على الزراعة :

كثيراً ما كانت الأراضي الزراعية في العصر الأيوبي تتعرض لأنواع متعددة من الأضرار التي كانت تصيبها بالتلف، مما يؤثر كثيراً على الثروتين الزراعية والحيوانية، ومن هذه الأضرار: الجُدمي<sup>(٣)</sup> (الحطمة) والجراد، والضرب (الصقيع)، وبخاصة في المناطق الجبلية حيث كان يؤدي ذلك إلى محق الثمار بعد قرب نضوجها، لشدة ضربة البرد<sup>(٤)</sup>، ومنها الجفاف والجذب والرياح والسيول، ومتى ما حلت هذه الآفات والكوارث الطبيعية أسرععت الدولة إلى إرسال موظفيها لتقدير حجم الأضرار، والعمل على مساعدة المزارعين والتقليل من همومهم، ومن تلك المساعدات إعفاؤهم من المبالغ المالية المفروضة عليهم للدولة<sup>(٥)</sup>.

وكان الجراد من أخطر الآفات<sup>(٦)</sup> التي تعرضت لها الزراعة في اليمن، فكانت هجماته تمثل خطراً فادحاً على الزراعة، حيث كان لها أكبر الأثر في إتلاف

(١) العلس: من أنواع القمح . ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٧٧ ، (ح ٢) .

(٢) ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٨٠-١٨٣ : الملاج أو المخابط: هي عيدان طويلة معكوف طرفها الأعلى التي تقبضه اليد ، وعادة تكون أسفلها أعرض قليلاً وانتقل من الأعلى ، وهذه العيدان تتخذ من فروع الأشجار مثل العلب والشوخط والسوط والأثل .

(٣) الجُدمي : هو حشرة دودية خضراء مخططة بخطوط طويلة سوداء تظهر في الأرض الزراعية بأعداد هائلة فتأكل المحاصيل الزراعية في بداية نموها حتى جذوعها وتؤدي إلى خسائر فادحة بالمزروعات . نور المعارف ، ج ١ ، ص ٣٨٢ ، (ح ٢٨١٩) .

(٤) محمد الأكوخ ، اليمن الخضراء ، ص ٥٩ : نورة عبدالله العلي ، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية ، ط ١ ، الرياض ، ١٩٩٢ م ، ص ١٤٢ .

(٥) نور المعارف ، ج ١ ، ص ٣٨١-٣٨٣ .

(٦) قال تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ) . سورة الأعراف ، الآية رقم (١٣٢) .

معظم زروع البلاد ونخيلها<sup>(١)</sup>؛ وهو الأمر الذي حصل مع مزارع قوم من بني صريم<sup>(٢)</sup>، حيث أتى الجراد على مزارعهم ولم يبق منها شيئاً، إلى درجة أن الجراد هاجم الزرع وهو على ظهر رجل يحمله وكان ذاهب به إلى منزله ليعلف به الحيوانات فانحطب عليه فألقاه عن ظهره ومضى، فانزعج الأهالي من ذلك الأمر<sup>(٣)</sup> . ومن الآفات الزراعية التي تصيب النخيل دودة النخيل، حيث كانت تقوم بأكل ثمره، وفضلاً عن ذلك كانت هناك ديدان وآفات تقوم بنخر عود غرسة النخيل، ولحد من خطورتها كان المزارع يقوم بوضع بصل في الحفرة المراد الغرس فيها، ثم يضع بجانبه الغرسة، ثم يدفن، وبذلك يضمن عدم إصابتها بتلك الديدان والآفات، أما إذا كانت تلك الآفة هي الأرضة، فقد كان يقوم بصب مادة القطران في الحفرة إذ هي كفيلة بالقضاء عليها<sup>(٤)</sup> .

ومن أبرز الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الزروع والمزارع كان: الجفاف الذي يحدث في بعض المواسم الزراعية نتيجة تناقص كمية الأمطار الموسمية التي تسقط على الجبال، فيقل منسوب المياه الجوفية في الأرض مما يؤدي إلى حدوث القحط والجذب، وينتج عن ذلك قلة المزروعات والمحصولات وارتفاع الأسعار، وهلاك الماشية وهزالها وقلة الأطعمة، مثال ذلك ما حدث سنة ٥٩٩هـ حينما اشتد القحط فانزعج الناس وضجوا بالدعاء إلى الله<sup>(٥)</sup>؛ وتكررت حالات الجفاف والقحط التي أصابت أراضي اليمن، وظهرت آثاره السيئة على المزارع والثروة الحيوانية، ومن ثم على الأحوال الاقتصادية للبلاد، وهو ما حدث في السهل الغربي (تهامة) حيث تناقص منسوب المياه الجوفية في آبار مدينة زبيد وما حولها حتى سنة ٦٢٥ هـ، إذ بلغ عمق البئر من ١٢ إلى ١٥ قامة، بعد أن كان المزارعون يستقون الماء من

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٢٨؛ انظر: العشم، محمد يحيى، "حشرة الجراد الصحراوي" ماهيتها وأخطارها وموقف الإنسان منها"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٥)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٩م، ص ٣٠١، ٣١٩ وما بعدها .

(٢) بني صريم: من قبائل حاشد . ابن جرير الصنعاني، تاريخ صنعاء، ص ٩٦، (ح ١) .

(٣) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٧٨ .

(٤) ابن رسول، ملح الملاحه، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٥) ابن المجاور، المستبصر، ص ٩٨؛ يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٦٧ .

هذه الآبار بأيديهم ويشربون، وذلك في عهد الملك طغتكين بن أيوب<sup>(١)</sup> .  
وتعرضت المزارع إلى موجة صقيع (ضريب) شديدة أدت إلى إتلاف  
المزروعات، ومثال ذلك ما حدث لمزارع همدان سنة ٥٩٩هـ، والتي لم تدع من  
محصولهم شيئاً<sup>(٢)</sup> .

كما ساهمت الرياح والسيول في الإضرار بالزروع وإتلافها، وتشير المصادر  
إلى الأضرار التي سببتها الرياح والسيول الجارفة التي كانت تصيب بلاد اليمن فتقلع  
الأشجار وتهلك الماشية وتتلغ النخيل وأشجار الفاكهة وغيرها من أصناف الزراعات  
وتجرف التربة وتتبعش القبور وهو ما كان يحصل في وادي زبيد ورمع<sup>(٣)</sup>؛ وكذلك في  
وادي ضهر<sup>(٤)</sup> وحضرموت<sup>(٥)</sup>؛ إلا أن أشد السيول هو الذي خرب دار الأمير وردسار  
في صنعاء وبساتينه الحافة به والدور وذلك سنة ٦٠١ هـ، وأهلك مافيها من نفوس  
وأموال، وشكل ذلك خطراً على وردسار نفسه، إلى الحد الذي يقول فيه يحيى بن  
الحسين: "ففر بنفسه . . وكاد أن يهلك"<sup>(٦)</sup> .

وقد أضرت الرياح بالزراعة، ومثال ذلك ما حدث في نجران، حيث هبت رياح  
شديدة استمرت مدة اثني عشر يوماً هلكت من جرّائها الزروع والكروم<sup>(٧)</sup> .  
وأما إذا أردنا معرفة الأضرار البشرية على الزراعة فقد حدث الكثير منها  
في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، والشواهد التي أوردتها المصادر كثيرة جداً، بل  
قد أفاضت في ذلك الأمر وخصوصاً في أوقات الحروب، وليس هناك متسع لسرد كل  
تلك الأضرار ويكفي أن نذكر أهمها:

- (١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٤ ؛ للمزيد عن الجفاف واضرار انظر: صيام ، نادر محمد ، \* المحل والجفاف  
والتغيرات المناخية \*، مجلة كلية الآداب ، العدد (١٢) ، جامعة صنعاء ، صنعاء ، ١٩٩١ م ، ص ٣٤٠-٣٤٦ .
- (٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .
- (٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٣ ؛ وادي زبيد ورمع : واديان مشهوران تغذيهما مياه الهضبة الجبلية  
ويخترقان سهل تهامة ويصبان في البحر الأحمر إلى الجنوب من مدينة الحديدة .
- (٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٩٣ .
- (٥) انظر : شنبيل ، أحمد بن عبدالله ، تاريخ حضرموت المعروف بـ تاريخ شنبيل ، تح: عبدالله محمد الحبشي ،  
ط ٢ ، مكتبة صنعاء الأثرية ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ٨٢ .
- (٦) غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٨٧ .
- (٧) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢١٢ .

أ- أمر الملك طغتكين بقطع الأشجار في الوادي القائم بين حصني الظفر وكوكبان أثناء حربه مع بنوحاتم .

ب- في سنة ٥٩٧هـ أمر الإمام عبدالله بن حمزة بقطع نخيل وزروع أهالي بيحان بسبب مخالفتهم له<sup>(١)</sup> .

ج- في سنة ٥٩٩هـ تم قطع زروع وادي الجنات بسبب الحرب الدائرة هناك بين الأيوبيين وكان يمثلهم وردسار وبين الإمام عبدالله ويمثله الأمير محمد بن إبراهيم [الحمزي]<sup>(٢)</sup> .

د- في سنة ٦٠١هـ خرب الأمير وردسار مزارع الأعناب في مسلت بالقرب من حوث<sup>(٣)</sup> .

وفي ضوء ذلك يمكن القول إن الآفات الزراعية والكوارث الطبيعية والبشرية كانت لها تأثيراتها السلبية على الزراعة في اليمن، ومن ثم عكست تأثيراتها على اقتصاديات البلاد وهددت أمنها وسلامة مواطنيها .

#### ٥- أنواع الملكية الزراعية :

تعددت أنواع ملكية الأراضي في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، فمنها ما كان ملكية خاصة، ومنها ما كان ملكية عامة للدولة، فضلاً عن أراضي الإقطاع والأوقاف والأراضي غير المملوكة والتقبيلية والمرهونة .

#### أ- الملكية الخاصة :

وهي الأراضي التي كان يمتلكها بعض الأشخاص، إما عن طريق الميراث والهبات، أو عن طريق البيع والشراء، وهذه الملكية كانت شائعة في أراضي اليمن، حيث كانت موزعة بين صغار الملاك وهم يمثلون السواد الأعظم من الملاك، وبين كبار الملاك وهم قلة لكنهم يمتلكون أراضي شاسعة<sup>(٤)</sup>، فمنهم على سبيل المثال: الشيخ

(١) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٥٤ ؛ ويحان : تقع على الحدود الشرقية لمدينة البيضاء . الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص ٦٦٢ .

(٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

(٣) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٨٧ ؛ حوث : بلدة مشهورة في الظاهر الأعلى من بلاد حاشد . المقضي ، معجم ، ص ١٩٨ .

(٤) بتروفسكي ، اليمن قبل الإسلام ، ص ١٠٣ .

علي بن أحمد بن إبراهيم المعلم (ت-٥٩٦هـ) والذي كانت له أملاك واسعة في مناطق عديدة منها: المجرعة (المقرعة) وذو جبلة وضراس وذو أشرق وغيرها من الأماكن<sup>(١)</sup>؛ ومنهم أيضاً الفقيه محمد بن الحسين البجلي وأخوه علي، حيث كانت لهما أراضٍ جليلة في الجهة القبليّة من منطقة عواجة<sup>(٢)</sup> وهي عبارة عن وادٍ متسع من الأراضي الزراعية .

ومن الضياع ما حصل عليه الشيخ حمير بن سعيد وهي عبارة عن ضيعتين كبيرتين انتقلت ملكيتهما إلى الشيخ عن طريق الهبة، الأولى: من عثمان الغزي وهي ضيعة كبيرة تعرف بضيعة ذوال في زبيد، والأخرى: ضيعة العبادي التي حصل عليها من الوزير من الله الفاتكي (ت-٥٢٤هـ) بما فيها من زروع ومالها من أبقار، وقد علق عمارة اليماني على جودة أراضي هذه الضيعة وعظم مساحتها وما تضمنه من زرع وضرع بقوله: "وهي الضيعة التي لا ضيعة على من ملكها"<sup>(٣)</sup> .

ومن الهبات ما قدمه بعض أهالي زبيد حينما اشتد عليهم العمال في طلب الخراج في عهد الأتابك سنقر (ت-٦٠٨هـ)، فعندما لم يستطيعوا دفع الخراج اضطروا إلى

(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٧٠ .

(٢) الفقيه البجلي ، هو أبو عبدالله محمد بن حسين ، كان عالماً محققاً جامعاً بين الشريعة والتصوف ، صاحب الشيخ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الحكمي أحد مشايخ الصوفية ، وتلازما حتى فارقا الحياة الواحد بعد الآخر ، وعرفا في مصادر التراث اليماني بصاحبي عواجة ، وكان يجلبهما المنصور الرسولي فتوفى الحكمي سنة ٦١٧هـ ، بينما توفى الفقيه البجلي سنة ٦٢١هـ ، وكان للبجلي شقيق فقيه مبارك التدريس يدعى علي ، للمزيد انظر: الشرجي ، طبقات الخواص ، ص ٢٣٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧-٢٧٠ ؛ عواجة : في بلاد الرمه على مقربة من المنصورية فيها قبرا للشيخين محمد بن أبي بكر الحكمي المتوفى سنة ٦١٧هـ وأبي عبدالله بن محمد بن حسين البجلي المتوفى سنة ٦٢١هـ وبها أرض وفقية للشيخ علي البجلي المنزلة نحو ألف وخمسمائة معاد تقريباً . الحضرمي ، عبدالرحمن عبدالله أحمد صالح ، تهامة في التاريخ ، ط١ ، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٨٠ .

(٣) المفيد ، ص ١٧٦ ؛ وكان سبب حصول الشيخ حمير على هاتين الضيعتين مقابل وساطته في تزويج الوزير من الله الفاتكي من جارية عثمان الغزي المسماة (وردة) لأن حمير كان يعمل في تربية الجواري وبيعهم، وكان قد باع تلك الجارية إلى عثمان الغزي ، وكان من الله الفاتكي قد أعجب بها وأرادها لنفسه ، وفي الوقت نفسه كان قد طمع في أخذ الإقطاع الذي منحه جيش بن نجاح للغز من يد عثمان الغزي ، فتوسط فيما بينهما حمير بأن يتنازل عثمان الغزي عن جاريته الجميلة وردة لمن الله الفاتكي مقابل تنازل الآخر عن انتزاع الإقطاع منه ، فتمت الوساطة وكان منح الضيعتين مقابل ذلك . انظر : عمارة ، المفيد ، ص ١٧٣-١٧٦ ؛ الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١١٩-١٢١ ؛ السروري ، الحياة السياسية ، ص ٤٣٥ .

وهب أراضيهم للدولة<sup>(١)</sup> .

#### ب - ملكية الدولة :

تنوعت الأراضي التي تمتلكها الدولة في اليمن في العصر الأيوبي، فمنها ما آل إليها عن طريق الاستصفاة أو المصادرة، وهو ما عُرف بالصوافي (أي ما صفي لصالح بيت المال)<sup>(٢)</sup>، ومنها ما كان عن طريق الشراء، ومنها ما كان عن طريق استصلاح بعض الأراضي ثم زراعتها، وتوضيح ذلك كالآتي:

#### ١ - المصادرة أو الصوافي :

هناك نوعان من الأراضي الخاصة: نوع يمتلكها أفراد معينين لشخصهم، ونوع تمتلكها طائفة من الأهالي، وقد كانت طرق استصفااتها ومصادرتها وتحويلها إلى ملكية الدولة مختلفة .

فمن ملكية الأفراد: ما استصفاه الملك الأيوبي طغتكين من أملاك الشيخ علي بن أحمد المعلم، وكان ملتزماً بجميع مخلاف جعفر بمال معلوم، فلما طلب منه الملك طغتكين أداء المال الذي تضمن به البلاد، عجز ابن المعلم عن أدائه، فصادره الملك طغتكين مصادرة عنيفة، أدت إلى هربه، فقبض طغتكين على أغلب أملاكه ودوره وكانت جليلة وفي أماكن كثيرة<sup>(٣)</sup> .

ومن ملكية الأهالي: ما استصفاه الملك طغتكين من أراضي النخيل المملوكة لأهل مدينة زبيد، وذلك عن طريق فرض زيادة الخراج عليهم إلى الحد الذي صاروا فيه غير قادرين عن دفعه، فاضطر ذلك بعضهم إلى الهرب تاركين أملاكهم نتيجة تلك الزيادة، فأمر الملك طغتكين باستصفاة نخيل كل من هرب منهم لصالح بيت المال، وبذلك أصبحت كثير من أراضي النخيل في زبيد ملكاً للدولة عن طريق المصادرة<sup>(٤)</sup> .

(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٦٩ .

(٢) الصوافي : جمع صافية وهي الأرض التي يعجز أصحابها عن أداء الخراج المقرر عليهم فتصفي لبيت المال في مقابل الخراج المستحق عليها ، فعرفت بالصوافي . انظر : ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٠ .

(٣) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٦٨ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٨٣ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٦٦ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٠ ؛ تجدر الإشارة إلى أن الملك طغتكين كان قد أصدر أوامره إلى العثمانيين سنة ٥٩٣هـ للقيام بعملية المسح للأراضي الزراعية باليمن تمهيداً لحصرها وإعادة تثمينها وضمها إلى الديوان لإعادة =

## ٢- الشراء :

هناك جملة من الأراضي التي آلت ملكيتها للدولة عن طريق الشراء، منها: بعض أراضي النخيل الواقعة في أرض تهامة بالقرب من زبيد، حيث وجدت هناك قطعتان من أحسن قطع النخيل، الأولى: عُرفت بالفازة، والأخرى: بالقبة، وكانتا في الأصل ملكاً لأخوين أعتنيا بهاتين القطعتين حتى ذاع صيتهما عند الأتابك الأيوبي سيف الدين سنقر، فسولت له نفسه شراء النخيل، فامتنع صاحباها عن بيعه لسنقر، فأمر عماله أن يزيدوا الخراج عليهما، فأنقلت الزيادة كاهلهما، وعجزا عن أدائها، فتظلما إليه، فلم ينصفهما، بل لقد جار عليهما وظلمهما وطلب منهما أن يبيعا أرضهما بقوله: "بيعوني وأريحوا أنفسكم من ظلمي"<sup>(١)</sup>، فما كان منهما إلا الإذعان للطلب وأن يكون البيع والشراء على وجه الجرد، وحُدّ ثمن كل نخلة بدرهم، وعندما أحصيت النخيل وكان عددها ألفي نخلة، اشتراها سنقر بخمسمائة دينار؛ ولم يقتصر الظلم على ذلك الحد فقط، بل تجاوز ذلك بكثير، فحين أراد الأخوان المغادرة من تلك الأراضي للبحث عن عمل آخر بعد بيعهما أرضهما ونخيلهما، منعهم الأتابك سنقر وأجبرهما على البقاء والعمل في تلك الأراضي، ومن شدة الغبن الذي أصاب الأخوين لإجبارهم على بيع نخيلهما بأبخس الأثمان، أقدم أحدهما على قتل عامل الأتابك سنقر، حيث كان ذلك العامل مشرفاً على النخيل؛ وكان الغرض من ذلك هو عودة الحق إلى أصحابه وهو الأمر الذي لم يتحقق البتة، حيث بقيت النخيل سلطانية، أي أن ملكيتها بقيت بيد الدولة<sup>(٢)</sup> وتحت تصرفها .

= النظر في التوزيع الإقطاعي في اليمن ؛ ولكنه توفي قبل إتمام هذا العمل ، لينتهي المشروع بوفاته ، ولم يحاول أحد من خلفائه إكمال عملية الروك(الحصر)، والظاهر أن هذا العمل الذي أقدم عليه طغتكين كان غريباً على أهل اليمن ، وظنوا أن الهدف منه أن تكون الأراضي كلها ملكاً للديوان ، فيكون من أراد أن يحرث شيئاً منها تقدم إلى الديوان وعمل عقد إستئجار من الدولة . انظر : الخرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٦٩-١٧٠ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٨٢ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢، ص ٢٥٥٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١، ق ١، ص ١٧٧ .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩١ ؛ الخرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٦٨-١٦٩ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩١-٩٢ .

### ٣- الإستصلاح :

استصلحت الدولة في العصر الأيوبي العديد من أراضي اليمن والتي كانت بوراً لا مالك لها، واعتنت بزراعتها، مما ساعد على ازدهارها وزحف العمران إليها، ومن أمثلة ذلك:

١- استصلاح الملك طغتكين الأيوبي بعض الأراضي الزراعية ومنها إحياء وادي خنوم الذي ابتنى فيه مدينة المنصورة، وكان هذا الوادي قبل ذلك مأوى للوحوش، كما استصلاح أيضاً أراضي وادي الدارة والقاعدة<sup>(١)</sup>، وزرعها بأنواع الثمار والزراعات المختلفة .

٢- قام الأمير ناصر الدين فاروت والي عدن سنة ٦٢٤هـ بتعمير بستان بقرية ربّاك ، إحدى قرى لحج ، وحفر به الآبار اللازمة، وقام على غرسه بأصناف الفواكه والشجر لا سيما النارج والنارجيل، والأترج والموز، كما غرس به أحد النواخيد، ويُعرف بالناخوذة عمر الأمدي سنة ٦٢٥هـ شجر الشّكي البركي<sup>(٢)</sup> (التين الشوكي)، وكان غالب زروعاته أشجار النخيل، ولما عُمرت تلك الأماكن أصبحت بعد ذلك منتزهاً لأهل عدن وغيرهم<sup>(٣)</sup> .

٣- ومن الأسباب التي ساعدت على استصلاح الأراضي إطلاق حكام اليمن التسامح الضريبي تشجيعاً لمن يقوم بزراعتها مثل : أرض المفازة الواقعة بين زبيد وحيس، وكانت أرضاً فقراء غير عامرة، يعاني المارة فيها كثيراً من المشاق، ويتعرضون في اجتيازها للقتل والسلب والنهب، فأقدم المنصور نور الدين الرسولي وهولم يزل من ولاية الأيوبيين في اليمن أقدم على تعميرها، فابتنى بها مسجداً وجعل فيه مؤذناً وإماماً، وشرط لمن يسكن معها مسامحة في ما يزرعه، فسكن

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ ؛ الخزرجي ، المسجد المسيوك ، ص ١٦٨ ؛ والدارة والقاعدة واديان بالقرب من مدينة تعز .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٠٥ ؛ العبدلي ، أحمد بن فضل بن علي بن محسن ، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ١١ ؛ وقد أطلق العبدلي على ذلك الشجر اسم (تشكي) التركي ، كما أن ثمار هذا النوع من الأشجار يخرج من بدن الشجرة بخلاف باقي الأشجار وهو ما ينطبق على شجر التين الشوكي المعروف بمصر أو (البلس الشوكي) كما يسمى في بعض مناطق اليمن . انظر أيضاً : بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٧٣ . وعن كلمة الأترج انظر الحاشية رقم (١) من ص ١٩٢ .



الناس معها حتى صارت قرية جيدة وانتفع بها الناس نفعاً عظيماً<sup>(١)</sup>.

### ج - الأرض المقطعة :

مُنحت الكثير من أراضي اليمن الزراعية على شكل إقطاعيات سواء أقطعها الخليفة من مركز الخلافة لمن يشاء أم أقطعها ولاته في اليمن لمن شاؤوا من الأمراء والزعماء، وأبرز تلك الإقطاعيات مايتي:

١ - أقطع الخليفة العباسي الأمين للأشراف العلويين عندما ازداد عددهم في الحجاز، فخرجت مجموعة منهم إلى العراق وطلبوا من الأمين أن يعطيهم أرضاً يقيمون فيها ويتعيشون عليها، فأقطعهم من مكة إلى الهلّة طولاً، ومن صعدة إلى ساحل البحر عرضاً، وبقيت هذه الإقطاعيات في أيدي الأشراف حتى سنة ٦١٥هـ - وحينها دب الضعف فيهم وانتزعها الأيوبيون من أيديهم، وصارت في حوزة الغز وفي قبضتهم<sup>(٢)</sup>.

٢ - إقطاع منطقة صنعاء، أي الأراضي الواقعة بين نقيل سرح ونقيل عجيب<sup>(٣)</sup>، وذلك من قبل الملك طغتكين الأيوبي الذي منحها للأمير الهمام أبا رياء<sup>(٤)</sup>.

٣ - أقطع الملك طغتكين القاضي الأسعد بلاد حرص، بعد أن رفعه إلى مصاف أمراء الطبلخانة<sup>(٥)</sup>.

٤ - أقطع الملك المسعود الأيوبي أمراء بني رسول القحمة وصُهبان<sup>(٦)</sup>.

(١) الخرجي ، العقود النولوية ، ج ١ ، ص ٨٢-٨٣ ؛ ابن النديم ، قرة العيون ، ص ٣١٢ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٥٧ .

(٣) النقيل هو الجبل أو العقبة ، ونقيل سرح يدور حول صنعاء ويقع فيما بين نقيلي صيد وعجيب الذي يقع شمالي صنعاء على الطريق بينها وبين صنعاء . انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٣٨ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٠٣ ؛ إسماعيل الأكوخ ، البلدان اليمانية ، ص ٢٩٠ .

(٤) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٣٨ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٤٣ .

(٦) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ؛ والفحمة : هي بلدة تقع في الشمال الشرقي من زبيد فيما بين بيت الفقيه والمتصوفة . المقحفي ، معجم ، ص ٣٢٤ ؛ إسماعيل الأكوخ ، البلدان اليمانية ، ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛ وأما صُهبان : فتعرف بمخلاف صُهبان في ناحية ذي سفال قرب ذي جبلة جنوبي إب وتعرف أيضاً بنعيمة السواد نسبة إلى أحد الحصون هناك ، وتسميتها صُهبان منذ القرن الثامن الهجري نسبة للأمير الصُهباني أحد أمراء الدولة الرسولية ، وهو مخلاف ينسب إليه الكثير من العلماء والفقهاء . انظر : المقحفي ، معجم ، ص ٤٣٧ . لمعرفة المزيد عن الإقطاعيات في عصر الدولة الأيوبية في اليمن . انظر : حماد ، مظاهر الحضارة في اليمن ، ص ١٠٥-١١١ .

#### د - أراضٍ موقوفة :

وجدت في اليمن الكثير من الأراضى الموقوفة التي أوقفت لأغراض متعددة منها:  
للتصرف على المدارس والمساجد التي أقامها الملوك والأمراء وغيرهم، ومنها ما كان  
خاصاً للإنفاق على طلاب العلم وشيوخه، وأهم تلك الأراضى الموقوفة ما يأتي:

١- وادي الضباب (غربي مدينة تعز) وهو وادٍ كثير الزرع والثمار، أوقفه الملك المعز  
إسماعيل بن طغتكين، ليصرف من خيره على المدرسة السيفية التي أنشأها محل  
دار الأتابك سنقر بعد أن اشتراها منه ونقل إليها رفات والده، فأوقف أرض الوادي  
للإنفاق على المدرسة والتربة والقراء المرتبين فيها<sup>(١)</sup>.

٢- أوقف الملك المعز إسماعيل أرضاً جديدة في زبيد للتصرف على المدرسة التي  
أقامها هناك والتي عُرفت بمدرسة الميلين<sup>(٢)</sup>.

٣- أوقف المبارك بن منقذ والي بني أيوب في زبيد أراضى كثيرة على مسجده الذي  
أنشأه هناك<sup>(٣)</sup>.

#### هـ - أراضى غير مملوكة :

على الرغم من أن معظم الأراضى الزراعية باليمن كانت مملوكة أو موقوفة، إلا  
أنها وجدت بها أراضٍ زراعية لا مالك لها ولا واقف، ومثال ذلك ما كان في سهل  
تهامة في منطقة (سفاكا) من القحمة في وادي ذوال، حيث وجدت بها أرض زراعية  
واسعة، كان يزرع بها الموز الطيب والرمان والملح وأصناف الفاكهة كالتمر هندي  
(الحمر) الذي كان يصدر إلى خارج اليمن، وهي أرض غير مملوكة لأحد، ويقول  
عنها ابن الجاور: "وفي هذه البلاد عقد لم تسلك لكثرة شجرها ووعرها ٠٠٠ ويكون بهذه  
العقد النارج والأترج والليمون والموز ضائع لا مالك له وهذه الأشجار بين أنهار وعيون"<sup>(٤)</sup>.

(١) الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٧١؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٨٣؛ يحيى بن الحسين، غاية  
الأمان، ج ١، ص ٣٣٩؛ العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٧٩.

(٢) الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٨٩؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٨٥؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزمن،  
ص ٨٠؛ إسماعيل الأكوخ، المدارس الإسلامية، ص ١٨٠.

(٣) وكان يُعرف بمسجد المناخ. الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٢٣؛ الخزرجي، المسجد المسبوك، ص ١٥٥.

(٤) المستبصر، ص ٦٢؛ الأترج: هي ورقة وقشرة حادة وحرافة وعطرية؛ والنارج: شجرة معروفة تزرع  
وتربى في البساتين، ولها ثمر يشبه البرتقال إلا أنه صغير ومذاقه حامض، ويسمى في بعض نواحي تعز  
(راناج) ابن رسول، ملح الملاحه، ص ١٧٣، (ح ٣، ٥).

إضافة الى ماسبق ذكره من أنواع ملكية الأراضي الزراعية التي وجدت في اليمن في الفترة موضوع الدراسة، وجدت هناك أيضاً أنواع من ملكية الأراضي، مثل تقبيل ثمار الأراضي الزراعية، والتقبيل هو قبول الشيء المعروض للبيع بمبلغ محدد يتم الاتفاق عليه بين البائع والمشتري على أن يدفع باقي المبلغ بعد بيع الثمار، من ذلك ما كان يجري في زبيد، فكان إذا طرح النخيل تقبل كل واحد من الناس كلاً على قدر طاقته، ويجيء إليه الناس من باب حَرَض إلى آخر أعمال أُبَيْن وينزل أهل الجبال إلى تهامة<sup>(١)</sup>؛ كما وجد نظام رهن الأرض<sup>(٢)</sup>.

## ٦- مظاهر تشجيع الزراعة في العصر الأيوبي :

من الطبيعي أن يولي حكام بني أيوب وغيرهم في اليمن الزراعة عناية كبيرة لما لها من فائدة اقتصادية، فعملوا على تنميتها والنهوض بها من خلال قيامهم بشق القنوات وتفجير العيون وتنظيم الغيول، وإقامة البساتين في أنحاء البلاد، والتي يمكن القول بأنها كانت أشبه بمحطات تجارب زراعية، فأهتموا بجلب البذور لها، واستيراد أصناف الغروس والأشجار المختلفة من شتى البقاع، لا سيما الديار المصرية والهند لغرسها فيها، حتى إذا تأكدوا من صلاحيتها للنمو في أراضي اليمن نشروا غروسها بسائر البلاد .

ولم يحتقر المجتمع والدولة في اليمن في العصر الأيوبي الزراعة والمزارعين، كما كان في مناطق أخرى، بل لقيت الزراعة والمزارعون الاهتمام من قبل المجتمع والدولة، فنقرأ في المصادر المعاصرة لموضوع البحث والتي ترجمت لبعض الشخصيات اليمنية من فقهاء، وأدباء، وقضاة، ومعلمين أن هذه الشخصيات كانت تشغل بالزراعة بالإضافة الى أعمالهم التي كانوا يزاولونها<sup>(٣)</sup>؛ فقد كانت الزراعة غالبية على نشاط أفراد المجتمع، فالاشتغال بالزراعة كان طريق الناس المعتادة<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن الجاور ، المستنصر ، ص ٧٩ .

(٢) السروري ، الحياة السياسية ، ص ٤٣٨ ؛ حَمَاد ، مظاهر الحضارة في اليمن ، ص ٢٧٩ ، (ح ١) .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، ٩٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

كما كان تقييم الفرد ومكانته في المجتمع - لدى البعض - يعود إلى اتباعه لطريقة السلف الصالح، وذلك بأن يباشر الإنسان أعمال الزرع بيده، ويجتهد بالعبادة<sup>(١)</sup>.

وقد تجلت مظاهر عناية ملوك بني أيوب بالزراعة، من خلال اهتمام الملك طغتكين بن أيوب بذلك الأمر، حيث أعطى أوامره بالرفق بالفلاحين، وتخفيف الضرائب المفروضة عليهم، لما يلاقونه من متاعب كثيرة في سبيل إنتاج المحاصيل، وكان هذا التخفيف حافظاً لهم على البقاء في أراضيهم، وبذل المزيد من الجهد في العناية بزروعها إيماناً منه بأن الزراعة تمثل الركيزة الأساسية لاقتصاديات البلاد<sup>(٢)</sup>.

وبلغ من اهتمام الملك طغتكين بالزراعة أن أرسل إلى مصر طالباً غروس بعض الأشجار ليقوم بزراعتها في أرض اليمن، حيث اعتنى بغرس عدد من البساتين الواسعة بأنصاف الأشجار منها البستان المعروف ببستان السلطان (نسبة إليه) في صنعاء؛ كما أجرى الأنهار حول الدار السلطانية بالمدينة نفسها، التي أحاطها بالبساتين الزاخرة بجميع أنواع الأشجار والرياحين والأزهار؛ كما أنشأ العديد من البساتين في مدينة المنصورة التي أبتناها قبلي الجند، واعتنى بتوفير المياه اللازمة لها، فعمد إلى استخراج غيل البرمكي من شرقي جبل شعوب، وأجراه إلى بستان السلطان، بينما أجرى الغيل لري بستان المنصورة من قمة جبل صبر<sup>(٣)</sup>، ولم يتردد بعد أن تم له الإستيلاء على حصن الدملوة في إعادة تعميره، كما بادر بإنشاء بستان عظيم بجوار البرك التي أنشأها في الحصن، ثم أنشأ بستاناً آخر تحت الحصن يقال له الجنات، حيث غرس فيه من جميع الفواكه، ويطلع فيه أترجات كبيرة الشكل والوزن<sup>(٤)</sup>.

وسار على الشاكلة نفسها في الإهتمام بالزراعة والعناية بغراسة البساتين

(١) اليربهي، طبقات صناعاء اليمن، ص ١٥٧.

(٢) ابن الجاور، المستبصر، ص ٨٠.

(٣) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٣٩؛ يحيى بن الحسين، إنباء أنباء الزمن، ق ٥١، ٢٤١؛ الكبيسي، اللطائف

السنية، ص ١٠٣.

(٤) يقول ابن الجاور أن وزن كل أترجة عشرة أمان، المستبصر، ص ١٥٤. والمراجع أن هذا الأمر مبالغاً فيه.

بصنوف الأشجار بعض المعاصرين لبنى أيوب، ومنهم أحمد بن محمد بن عبدالله بن مزروع الحبوضي، صاحب ظفار، الذي أقام ببلاده أواخر القرن السادس الهجري مدينة أطلق عليها اسم المنصورة، وغرسها بأنواع الثمار وأصناف الفاكهة وجلب إليها كثيراً من أصناف الغرسات من بلدان مختلفة، فيذكر ابن المجاور، أنه جلب إليها من فواكه الهند الفوفل<sup>(١)</sup> والنارجيل، ومن فواكه الساحلية (أي ساحل اليمن) قصب السكر والموز، ومن فواكه العراق الرمان والعنب ومن النخل جمل، ومن ديار مصر الليمون والأترنج والنارنج، ومن السند النبق، ومن الحجاز الدوم وهو (المقل) وأدى ذلك إلى ازدهار العمران في هذه المنطقة، حيث اجتذبت إليها طوائف من المهاجرين الحضارمة مما ساعد على زيادة كثافتها السكانية وتعميرها<sup>(٢)</sup>.

## ٧- المحاصيل الزراعية :

اشتهرت بلاد اليمن بمنتجاتها الزراعية المختلفة من الحبوب والبقول وجوز الهند وأشجار النخيل وأنواع الفاكهة، وقد وصف الهمداني بلاد خولان بأنها خزانة اليمن لكثرة ما تنتجه من الحبوب كالقمح والشعير والذرة، كما وصف بلاد ذمار ورعين والسحول، بأنها مصر اليمن لانتشار زراعة الذرة والبر والشعير بهذه المناطق وتبقى مدة طويلة<sup>(٣)</sup>؛ ويؤكد هذا التنوع وتلك الشهرة اليمنية بهذه الحبوب الثلاثة وصف ياقوت الحموي لبلاد اليمن والذي يأتي على لسان أحد رجالها فيقول: "أما جبالها فكروم وورس، وسهولها بر وشعير وذرة"<sup>(٤)</sup>.

مما تقدم يتضح لنا أن الحبوب تعدّ من أشهر الحاصلات الزراعية في اليمن، حيث زرع اليمنيون، الذرة والقمح، والشعير والدخن، والأرز والسمسم والفل،

(١) الفوفل : نخلة شبيهة بنخلة النارجيل وتحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر، وهي شجرة هندية، والفوفل أنواع منه الأحمر والأسود ويتميز أجوده بالرائحة النفائس. انظر : الملك المظفر، يوسف بن عمر، المعتمد في الأدوية المفردة، تح وتصحيح وفهرسة : مصطفى السقا، دار القلم، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٣٧٢.

(٢) المستبصر، ص ٢٦٥؛ الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ١٨١؛ والنبق : شجرة خالية من الشوك تستعمل لدباغة الجلود، وتتواجد بكثرة في زبيد. الشجاع، زبيد بأقلام الرحالة، ص ٢٦٧.

(٣) صفة، ص ٢٣٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٩.

(٤) معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤٨؛ إسماعيل الأكوخ، البلدان اليمنية، ص ٣١٣؛ حسن إبراهيم حسن، اليمن البلاد السعيدة، ص ٨.

وكانت الذرة أكثر هذه الحبوب زراعة، لأنها تمثل غالب قوت أهل اليمن<sup>(١)</sup> حيث كانت تزرع في اليمن بأنواعها البيضاء والصفراء والحمراء والخبراء وغيرها<sup>(٢)</sup> وقد عرفت اليمن خمسة وعشرين نوعاً منها<sup>(٣)</sup>، وكان اللون هو الذي يميز هذه الأنواع بعضها عن بعض؛ وتنتشر زراعة الذرة مع البر والشعير والدخن في معظم سهول اليمن ومناطقها وبخاصة في تهامة وحضرموت<sup>(٤)</sup> والمناطق الجبلية عندما تشتد الحرارة، ومن أشهر مناطق زراعتها، كما أوضح ذلك الهمداني السحول ورعين وذمار وخولان<sup>(٥)</sup>.

ويزرع في اليمن القمح بأنواعه ويعرف باسم البر والحنطة، وذلك بتوافر البرودة واعتدال الجو المناسبين لزراعته، وتوجد زراعته في المناطق الجبلية لليمن وفي الهضاب والسهول المجاورة لها بما يكتنفها من حقول ووديان مثل (صبر) بتعز وجبال (الشعر) شرقي مدينة إب، والحقول شمال إب، والشوافي غرب إب<sup>(٦)</sup>، وكذلك يزرع في السحول ورعين وذمار وخولان<sup>(٧)</sup>؛ وتنتج البلاد أنواعاً مختلفة منه، فهناك البر العربي المتميز بحبه الأبيض الرقيق، والبر الوسني ذو الحب الأحمر والبر الهلبا ذو الحب الأبيض القصير، كذلك البر الحبشي ذو اللون الأحمر المائل للبياض<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) ابن المجاور، المستبصر، ص ٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٦.
- (٢) الهمداني، صفة، ص ٣٥٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤٨؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ١١٣.
- (٣) ابن رسول، ملح الملاحه، ص ١٧٧.
- (٤) انظر: شنبل، ص ٧٧.
- (٥) صفة، ص ٢٣٥؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ٦٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٦٩؛ كما زرعت الذرة في المناطق الجبلية من اليمن مثل شهارة ومسور والشرجة والسروات وعثر ونجران، وكذا في مسارب والجوف وبيحان وغيرها. انظر: السروري، الحياة السياسية، ص ٤٤٨-٤٤٩؛ وزرعت الحبوب في حضرموت وصنعاء وأبين ونجران. انظر: شايف عبده سعيد، الحياة الاقتصادية في اليمن، ص ١٦٧.
- (٦) ابن رسول، ملح الملاحه، ص ١٧٧؛ كما كان البر (القمح) يزرع في بلاد الأهنوم من همدان. الهمداني، صفة، ص ٣٥٠.
- (٧) الهمداني، صفة، ص ٢٣٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٦٩.
- (٨) ابن رسول، ملح الملاحه، ص ١٧٧-١٧٨؛ كذلك وجدت في اليمن غرائب الحبوب مثل: الثوبياء والعتير والأقطن والأطهف. انظر: الهمداني، صفة، ص ٣٥٨.

أما الشعير فقد زرع باليمن أعلى المناطق الجبلية في فِشال على وادي رَمَع في تهامة وذلك سنة ٦٢٣هـ<sup>(١)</sup>، وفي تلك المناطق نفسها زرع الشعير والعسل<sup>(٢)</sup> .

أما السمسَم (الجلجلان) فقد انتشرت زراعته في المناطق الساحلية وعند سفوح الهضاب، وكانت له استخدامات كثيرة وأهمية كبيرة عند أهل اليمن، حيث كانوا يعتمدون عليه في استخراج زيت السيرج لعدم توافر زيت الزيتون في بلادهم<sup>(٣)</sup> .

كذلك زرع اليمنيون الدخن في المناطق الساحلية والجبلية الحارة التي تسقط فيها الأمطار<sup>(٤)</sup> وهي لا تحتاج إلى عناية كبيرة وتزرع في الأماكن القليلة المياه، لأنها لا تحتاج إلى مياه كثيرة وهي مصدر غذاء للبدو<sup>(٥)</sup> .

كما حظي محصول الأرز بعناية بسيطة في اليمن، خصوصاً وأنها عرفت زراعته في أواخر العصر الأيوبي، حيث أجريت تجربة لزراعته في منطقة فِشال من تهامة فنجحت التجربة في زراعته سنة ٦٢٤هـ على أثر نجاح زراعة الحنطة والشعير في المنطقة نفسها سنة ٦٢٣هـ، ولكن نتيجة لجهل المزارعين بزراعة الأرز جعلهم يقلعون من الجذور وقت الحصاد<sup>(٦)</sup> .

وإلى جانب زراعة الحبوب اشتهرت اليمن في العصر الأيوبي بزراعة البقول، ومن أنواعها اللوبياء، ويطلق عليه (الدجر) والعتر<sup>(٧)</sup> والبازلاء، والفل، والجلبان (الهرطمان)<sup>(٨)</sup> .

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ٦٣؛ الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٤٤ .

(٢) الهمداني، صفة، ص ٣٤٩، ٢٦٢ .

(٣) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ج ٧، ص ٨٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ١٥٤؛ الشجاع، زيبذ بأفلام الرحالة، ص ٢٦٦ .

(٤) ابن رسول، ملح الملاحه، ص ١٨٤؛ الدخن: نوع من الحبوب صغير الحجم .

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٤-٨٥؛ نورة عبدالله، الوضع الاقتصادي، ص ١٣٨ .

(٦) ابن المجاور، المستبصر، ص ٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٦-١٧ .

(٧) العتر: نبت يزرع متفرقاً فإذا طال وقطع أصله خرج منه شبه اللبن قيل أن يتداوى به . الدمياطي، محمود مصطفى، معجم أسماء النبات الواردة في تاج العروس للزبيدي، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٦م، ص ٩٨ .

(٨) محمد الأكوخ، اليمن الخضراء، ص ٦٦؛ والهرطمان: هو حب متوسط بين الشعير والحنطة قيل هو العصفور وقيل الجلبان ووصف جالينوس يدل على أنه البسلة المعروفة بمصر . الدمياطي، معجم أسماء النبات، ص ١٥٥ .

وفضلاً عن ذلك عرفت اليمن زراعة العديد من أنواع الفاكهة والخضر المختلفة، فمن الفاكهة: العنب<sup>(١)</sup>، والسفرجل والتفاح، والبرقوق، والمشمش والخوخ (الفرسك) والكمثري، والموز، والبطيخ، والرمان، والتين (البلس)<sup>(٢)</sup>؛ كذلك زرعوا الحمضيات بنوعيتها: الحامض والحلو، والأترنج والنانج، والبرتقال<sup>(٣)</sup>؛ وقد انتشرت زراعة الحمضيات في الأودية والمرتفعات المعتدلة الحرارة<sup>(٤)</sup>. وقد عرفت مدينة ظفار الحبوذي زراعة الموز، فقد ذكر ابن بطوطة أنه كان يوجد بهذه المدينة عدد كبير من بساتين الموز الذي يصفه بأنه طيب المذاق شديد الحلاوة كبير الحجم حتى أن الحبة الواحدة منه وزنت أمامه فبلغت اثنتي عشر أوقية<sup>(٥)</sup>.

كما زرع اليمنيون أنواع عديدة من الفاكهة وصنوف الخضروات المختلفة فمعظم ما كان يزرع في أرض مصر من الفواكه كان يزرع في بلاد اليمن<sup>(٦)</sup>، كالرمان والموز والتمر هندي (الخمر)<sup>(٧)</sup> والتفاح والخوخ والتوت والبرقوق والأترج<sup>(٨)</sup> والجوافة والتين والعنب الذي يعدده البعض بأربعة وعشرين نوعاً ويزرع في إب وذمار وتعز ولحج<sup>(٩)</sup>؛ كذلك قام أهل اليمن بزراعة مختلف الخضروات وأهمها: القرع والخيار والملوخية والقثاء، والكراث، والبصل، والثوم، والفجل (البقل) والكرنب<sup>(١٠)</sup> وعرفت اليمن في العصر الأيوبي زراعة الكتان والحناء

(١) وقد عدد الهمداني أنواع العنب مثل: الملاحي، والدوالي والأشهب والدرج والنواصي والزبادي، والأطراف والعيون والقوارير والجوشي والششاني والتابكي والرازقي والضروع والرومي والوادي. انظر: صفة، ص ٣٥٤؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٣٠.

(٢) الهمداني، الإكليل، ج ٨، ص ١١٣-١٢١؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٤١-٤٢؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٣٠-٣١، ٣٤.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٦؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٤١؛ حسن إبراهيم حسن، اليمن البلاد السعيدة، ص ١٥٩.

(٤) شائف عبده سعيد، الحياة الاقتصادية في اليمن، ص ١٦٨.

(٥) للرحلة، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٦) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٦-٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٨.

(٧) وكان يسمى في اليمن الخمر. ابن المجاور، المستبصر، ص ٦٢؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٤١؛ انظر أيضاً: الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ١٤٠.

(٨) الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٢٤.

(٩) ابن المجاور، المستبصر، ص ٦٢-٦٣؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٤١؛ الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٤٦؛ العطار، التخلف الاقتصادي، ص ١٩٩.

(١٠) محمد الأكرع، اليمن الخضراء، ص ٦٧-٦٨؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٣٦.



والفوة<sup>(١)</sup> التي كان يستخرج منها الصبغ والورس<sup>(٢)</sup> ونبات النيلة<sup>(٣)</sup> . كذلك عرفت زراعة القطن المعروف باسم (العطب)، واللوز، والزنجبيل، واللائسون، والحبّة السوداء (حبّة البركة)<sup>(٤)</sup>، والصبر الذي كان يُستخدم في العقاقير الطبية<sup>(٥)</sup> وقد اشتهرت اليمن بزراعة الزهور والورد والرياحين فنجد الورد الأحمر ينمو طبيعياً بها، كذلك زرع الأيوبيون ضروباً من الزهور التي يستخرج منها الدهون والعطور<sup>(٦)</sup> مثل النرجس والياسمين بنوعيه الأبيض والأصفر، المعروف باسم الزنبق أو الفل وزرعت أيضاً في زهرة اللينوفر والأقحوان<sup>(٧)</sup>، وزهرة الكاذي التي جلبت من خارج اليمن وهي المعروفة برائحتها العطرية القوية<sup>(٨)</sup>.

وإذا ما انتقلنا إلى تفصيل أكثر حول مناطق زراعة بعض المحاصيل والفواكه والخضار وضروب الأزهار وغيرها، نجد مثلاً: أن مدينة تعز، ونتيجة لاعتدال هوائها وكثرة مائها، قد زُرعت فيها صنوف الفواكه والرياحين مثل: العنب والرمّان والسفرجل والليمون والتفاح، وأصناف أخرى كثيرة ولكن بمقادير أقل، وكان يزرع بها أنواع الرياحين والزهور، ويجلب بعضه من الخارج من بلاد الشام والهند ويغرس في أرضها، لاسيما الزهور البيضاء، وكان موعد زراعتها شهر نيسان؛ كذلك عرفت حدائق تعز أنواعاً عدة منها:

(١) الفوة: هي عروق نبات لونها أحمر، يستعملها الصباغون وتعرف بفوة الصباغين، طعمها مر، ولها استعمالات طبية كثيرة، انظر: الملك المظفر، المعتمد في الأدوية، ص ٢٩٢-٢٩٣؛ الدمياطي، معجم أسماء النبات، ص ١٢٠.

(٢) الورس: نبات كالسمسم يصبغ به أصفر اللون كالزعفران. الملك المظفر، المعتمد في الأدوية، ص ٤٢١.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٨.

(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص ٥٦؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ١٤١.

(٥) شائف عبده سعيد، الحياة الاقتصادية في اليمن، ص ١٦٩.

(٦) الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٣٤.

(٧) الهمداني، صفة، ص ٤٤؛ الأقحوان: نبت زهرته صفراء وورقه كأسنان المنشار. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط ١، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ج ١، ص ٤٢.

(٨) قال ابن المجاور عن زهرة الكاذي: "أما ورد الكاذي فلم يكن في سائر المشمومات لأذ منه رائحة ولا أطيب منه". المستبصر، ص ٨٢-٨٣.

النرجس بأنواعه الياسمين والفل وشجر الكاذي المجلوب أصلاً من الهند، ويتميز برائحته الزكية التي تفوق غيره من أنواع الزهور الأخرى<sup>(١)</sup>، وأنواع النباتات الطبية والعطرية الأخرى<sup>(٢)</sup>.

أما في زبيد فقد زرع القطن وصنوف الفاكهة والخضروات وأنواع الرياحين والزهور خلا البنفسج<sup>(٣)</sup>، ومن أشهر مزروعاتها - نظراً لوقوعها في المنطقة الحارة - الموز والتين وشجر النارجيل<sup>(٤)</sup> والعنباء والنخل على كل لون أصفر وأحمر وأخضر والبطيخ والليمون والنارنج بنوعيه الحلو والحامض والحناء وزهرة اللينوفر وغيرها من المشمومات<sup>(٥)</sup>.

وفي مدينة ظفار الحبوضي كان يزرع النارجيل أو جوز الهند والتببول<sup>(٦)</sup>، وكان يزرع أيضاً في وادي سررد وشاعت زراعة الورد في المنيخرة وفي وادي الجنات<sup>(٧)</sup>، واللبان في الشحر، والأترج في نجران، والسندوس (صمغ الساج) وشجر الحنون (الحنا) والخيار والأهليج، وعدد من الرياحين كاللينوفر وغيره في تهامة<sup>(٨)</sup>.

وكان يزرع الصبر في سقطرى وحضرموت، وفي حضرموت أيضاً كان يزرع النبق، وتغل الشجرة منه حوالي خمسة أوقر (حملة خمسة جمال)، وفي الجوف ومأرب يزرع الحمص والكمون والسمن الموصوف بجودته<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٦؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٢) الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٣٤؛ الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٦.

(٤) النارجيل : نوع من النباتات الحمضية كان يؤتى به من بلاد الهند . انظر : مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٧٦ ، (ح ١١٤) .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٧٢ ؛ ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٣٤ ؛ الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٦) عن التببول واستعمالاته انظر : ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ٢ ، ص ٢٠٤-٢٠٦ .

(٧) الهمداني ، صفة ، ص ١٣٦-١٣٧ .

(٨) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٠ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨١، ٨٧، ٩١ ؛ وللمزيد انظر : الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٢٤٥-٢٤٦ ، ٣٥٩-٣٥٦ .

(٩) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٩، ٣٦١ ؛ الأديسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٥٠-٥١ ، ٥٦ ؛ ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٦٦ ؛ إسماعيل الأكوخ ، البلدان اليمنية ، ص ١٥١ .

وتأتي الفوة في مقدمة الحاصلات الزراعية، التي ارتبطت زراعتها- من حيث الكثرة والقلّة -بالنشاط التجاري لبلاد اليمن، ومدى الإقبال عليها، فكانت للفوة سوق رائجة باليمن وتصدر لعدد من الدول المجاورة، الأمر الذي دفع المزارعين إلى الإقبال على زراعتها، فازدادت مساحاتها في الجبال على حساب المحاصيل الأخرى، وبخاصة الغلال والحبوب، مع أن الجريب الواحد منه كان يباع بأضعاف ثمن الشعير أو القمح وغيره؛ ففي سنة ٦١٥هـ، كان ثمن جريب الحنطة أو الشعير خمسة دنائير، بينما يبلغ ثمن جريب الفوة ٦٠ ديناراً، ووصل سعره في عدن سنة ٦٢٢هـ - إلى ٧٦ ديناراً، فاتجه الناس إلى زراعته على اختلاف طبقاتهم، حيث زرعا كل من الخدم، والجواري، والنساء، والمشائخ، والأغنياء<sup>(١)</sup> .

وظل المزارعون في تنافس حاد على زراعة الفوة والاستثمار منها إلى درجة أن المحاصيل الأخرى كانت مهددة بالانقراض، إلى أن عين الملك المسعود الأيوبي ملكاً على اليمن فأدرك خطورة التوسع في زراعة هذا النبات على حساب المحاصيل الأخرى الرئيسة للبلاد، فأمر سنة ٦٢٤هـ بمصادرة الفوة ولم يبق لأحد وزن أوقية، ومنع الناس من زراعتها بهذه الكميات<sup>(٢)</sup> .

ومن المزروعات الهامة شجرة النخيل التي تأتي في مقدمة زراعات اليمن في العصر الأيوبي، وذلك لما للتمر من أهمية حيث يمثل الغذاء الرئيس لبعض قبائل اليمن، وقد ذكر ابن المجاور أن هذه النخيل كانت تنتج أنواعاً كثيرة ومتميزة من التمر<sup>(٣)</sup>، وقد انتشرت حقوله وذاع صيتها في معظم الأصقاع حتى أن أهل اليمن عُرفوا بأهل بلاد التمر<sup>(٤)</sup>، فقد زرع في مأرب وجرش وزاد إنتاجه في المناطق الساحلية ومنها حضرموت، والواحات الشمالية في منطقة نجران<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٠، ١٤٧، ١٧٤-١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٥؛ وعن غراس الفوة وكيفية ربيها انظر: السروري، الحياة السياسية، ص ٤٦٧-

٤٦٨ .

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ٩١-٩٢ .

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٥ .

(٥) الهمداني، صفة، ص ٢٥٧، ٢٢١، ٣٦١؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٧؛ القلقشندي، صبح

الأعشى، ج ٥، ص ٤٠ .

إلا أن أهم منطقة تركزت فيه زراعة النخيل كانت تهامة، وبخاصة في وادي زبيد<sup>(١)</sup>، حيث ذكر ابن المجاور أن عدد قطع النخيل قد بلغت في وادي زبيد في العصر الأيوبي ما يزيد على عشر قطع هي: الأبيض والكديجا، والمجرشية والمحلة والأثيل والمجازع وكروة والمحجر والقهيرا والمغارس وحجنة، وكل واحدة من هذه القطع يكون عرضها وطولها ربع فرسخ؛ وأشار إلى أن أجود أنواع رطب النخيل ثلاثة، هي: الرطب الحماري، والرطب الصفاري، والرطب الخضاري<sup>(٢)</sup> .

ولقد نالت زراعة النخيل اهتماماً كبيراً من قبل الأيوبيين، وما الزيادة التي حصلت في خراج النخيل في العصر الأيوبي، والتي فاقت الزيادة التي حصلت قبل عهدهم، إلا نتيجة لزيادة المساحات المزروعة منه، والتي قدر خراجها في زمن الملك طغتكين الأيوبي بمائة وعشرة آلاف دينار نقداً<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من تشدد هذا الملك في معاملة أصحاب النخل، على اعتبار أنهم يجنون الثمر من العام إلى العام بدون عناء أو مشقة، وكذلك الزيادة الضرائبية وهروب بعض القائمين على تلك النخيل، إلا أن زراعة النخيل لاقت حظوة ولم تتأثر بهذه الإجراءات، حيث بقيت المزارع تنتج وبقي الاهتمام بها قائماً .

ومع هذا الاهتمام تشير المصادر إلى قدر واضح من الظلم الواقع على أصحاب النخيل وخصوصاً في فترة تولي الأتابك سنقر أمر بلاد اليمن، حيث أمر عماله بأن يزيدوا الخراج على أصحاب النخل حتى عن العاجزين عن الدفع، نجد أن أصحاب النخل طلبوا من الأتابك سنقر أن يخفف عنهم لكنه رفض، فاضطروا إلى ترك أراضيهم وبيعها بأبخس الأثمان، فاشتراها هو منهم كل نخلتين بدينار، وبهذه الخطوة لو كان يريد أن يحارب زراعة النخيل لكان تركها دون اعتناء وقضي بذلك على أمرها، ولكن خطوته تلك على الرغم أنها كانت بغير صالح الفلاحين، لكنها لم تكن تستهدف إنهاء شجرة النخيل، وربما كان الغرض من ذلك هو إيقاؤها ثم زيادتها لتكون حكراً عليه، لأنه أساساً يعرف ما لهذه الشجرة من أهمية

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٥ .

(٢) المستبصر، ص ٧٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٠ .

ومن مردود اقتصادي كبير، وللتوضيح أكثر فإن الأتابك سنقر أجبر المزارعين على العمل في الأرض بعد أن باعوها إليه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرصه من قبله على بقاء شجرة النخيل قائمة، كما يدل على ذلك أيضاً الاهتمام بغرسها والاستثمار من زرعها، وزيادة الأنواع المزروعة منها، والتي تعود بالفائدة على الدولة مباشرة من خلال استصفاء أموالها إلى بيت المال<sup>(١)</sup>.

وكان للتمر سوقه الرائجة في بلاد اليمن، فإذا حان وقت نضجه أقبل الناس عليه من سائر أنحاء اليمن من باب حرص إلى آخر أعمال أبين، وينزل لشرائه أهل الجبال إلى تهامة، ويتم الشراء بطريقة التقبيل<sup>(٢)</sup>.

ويقيم الناس في موسم النخل مدة شهرين أو ثلاثة لرعاية النخل ويقضون هذه المدة في لهو ومرح، ويجمعون البر والرطب والتمر، ويعمل منه نبيذ، ويحصلون من ذلك على ثروة كبيرة تكفي لمعيشتهم طوال العام، غير ما تحصله الدولة من ضرائب على هذا التمر<sup>(٣)</sup>.

ولاتزودنا المصادر التي بأيدينا بإحصائيات لما ينتجه الجريب أو الفدان من المنتجات المذكورة، ولكن المحصول على كل حال لم يكن ثابتاً على مدى الأعوام المختلفة، فقد كانت الكميات الإنتاجية للمحاصيل تتغير تبعاً لكميات الأمطار، ومدى عناية المزارعين بأرضهم ومحاصيلهم، إضافة إلى تعرض المحصول للتلف بسبب تعرضه لبعض الآفات الزراعية كالجراد، أو بسبب الكوارث الطبيعية ومنها: الضريب (الثلج) وخاصة في المناطق الجبلية<sup>(٤)</sup>، ومنها الجفاف الذي تعرضت له المزارع والزرورع في بعض السنوات، حيث دلت الحوادث والوقائع على حدوث جفاف في بعض المواسم، فضلاً عن تناقص كمية الأمطار الموسمية التي تسقط على الجبال من سنة إلى أخرى، والدليل على ذلك نقص منسوب المياه الجوفية في منطقة

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٩؛ الحضرمي، عبد الرحمن عبدالله أحمد صالح، "الدولة الرسولية والسبوت في زبيد"، مجلة اليمن الجديد، العدد (٦)، صنعاء، السنة السابعة، فبراير - مارس ١٩٧٥م، ص ٢٢-٢٣.

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ٧٩؛ النفدي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٤) يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٤١.

تهامة الساحلية بشكل ملحوظ على مدى أربعين سنة<sup>(١)</sup> .

ومن كل ماسبق عرضه يتضح أنه كانت هناك نهضة زراعية مهمة في العصر الأيوبي، حيث كان اهتمام أهل اليمن وملوكهم بكل جوانب الحياة الزراعية وتفصيلها من ري وسماد وحرث وبذر وحصاد قد أدى إلى تحسين مستوى الإنتاج الزراعي وتنوعه ووفرته، حتى أن هذا الإنتاج المتميز الوفير كان يغطي الأسواق المحلية والفائض منه يصدر إلى الخارج، وبخاصة إلى بلاد الحجاز التي اعتمدت على استيراد الحبوب من اليمن ومصر؛ وقد كانت اليمن دوماً تمون الحجاز بالحبوب والتمور<sup>(٢)</sup> .

## ثانياً - الثروة الحيوانية :

### ١- المراعي :

من الثابت تماماً أن بلاد اليمن قد عرفت المراعي المتعددة لرعي الأبقار والإبل والأغنام وغيرها من الحيوانات التي وجدت في البلاد، فمن هذه المراعي ماكان طبيعياً، ومنه ما خصصه الإنسان للرعي . فالغالب على المراعي أنها كانت تنمو مع هطول الأمطار وبذلك يقبل الناس على رعي مواشيهم بها، وهذه المراعي كانت منتشرة في شتى أنحاء اليمن، وبخاصة في مواسم الأمطار عندما تكتسي مسطحات الجبال وسفوحها بالمزارع والحشائش وتصبح مرتعاً خصباً للسائمة على اختلاف أنواعها<sup>(٣)</sup> . أما أصحاب الأراضي والمزارعون فقد كانوا يخصصون مراعي للحيوانات، ولا سيما في المناطق الكثيفة بالمحاصيل الزراعية، ومثال ذلك المنطقة المجاورة لمسجد الأشاعر في زبيد والتي كانت مليئة بالأشجار والمياه الجارية، وكانت تستخدم لرعي البقر<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٤ .

(٢) المقنسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ .

(٣) ومن أشهر هذه المراعي المتوافرة في وادي حضرموت في أحقاف الرمل ، حيث كانت تلك المراعي مخصصة للرعي، وكانت القبائل تقيم في تلك المراعي لرعي إبلهم وأغنامهم طوال مدة الخصب . المقريزي ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ، الطرفة الغربية في أخبار وادي حضرموت العجيبة ، على بنشره ، p - NoskoYI - بون ، ١٩٥٥ م ، ص ٤١ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٩ ؛ كذلك كانت في زبيد ومارب والجوف وصعدة مراعي خاصة لرعي الإبل وهي مقاربة -

وقد كان لكبار المزارعين وملاك الأراضي الزراعية الواسعة عبيد (رقيق) يرعون مواشيهم، وبخاصة من الذين كانوا يستقدمونهم من الحبشة، وتخصصت الجوارى الحبشيات وبعض النسوة من أهل اليمن في هذا الجانب<sup>(١)</sup>، وكانت المهام الموكلة إلى الرعاة هي الاهتمام برعي الأغنام والحفاظ عليها في المناطق المخصصة للرعي، مع التشديد على الرعاة بعدم التعدي على المراعي والمزروعات الخاصة بأفراد المجتمع الآخرين وعدم ترك مواشيهم للدخول فيها وإتلاف مزروعات الأفراد<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الحيوانات :

مع الاهتمام بالزراعة اعتنى أهل اليمن وسلطينهم في العصر الأيوبي بالثروة الحيوانية ومنتجاتها، خاصة أن اليمن كانت لها شهرة واسعة في مجال تربية أنواع معينة من الماشية، فهناك الأبقار وأشهرها: الجبلانية الموجودة في جبلان<sup>(٣)</sup> والأبقار الخديرية والجنديّة والمجيدية<sup>(٤)</sup>؛ والتي يستفاد منها في الأعمال الزراعية وهناك الأغنام والماعز، وجميعها حيوانات مستأنسة طيبة اللحم، كذلك يستفاد من كل تلك الحيوانات في إدرار الألبان؛ فقد ذكر ابن رسته أن الأغنام التي كانت تربي في صنعاء وفي مختلف أنحاء اليمن لا يوجد أذن من لحمها<sup>(٥)</sup>، واتصفت البقر الجنديّة والخديرية بالقوة وضخامة الجسم، وكانت لحومها طيبة المذاق، وقد وصل، في أوقات، ثمن الثور الواحد منها نحواً من ثلاثين ديناراً<sup>(٦)</sup>؛ كذلك يستفاد

= لسكن أصحابها، بل وقد خصصت مساكن للإبل قريبة للمراعي بحيث تخرج من باب سكنها إلى المرعى مباشرة . انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٠١، ٢٠٨، ٢٥٠ .

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٨-١٩، ١٥٣؛ أبو غانم، البنية القبلية في اليمن، ص ١٨٤ .

(٢) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٥٠؛ وللمزيد من المعلومات عن إجراءات الاعتداء على أملاك ومراعي الآخرين، انظر: أبو غانم، البنية القبلية في اليمن، ص ٢٩٧ .

(٣) الهمداني، صفة، ص ٢٢٢؛ جبلان: أحد مخاليف اليمن من ناحية المعارف . المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٠ .

(٤) الخديرية: نسبة إلى خدير المعارف؛ والجنديّة نسبة إلى مخلاف الجند؛ والمجيدية نسبة إلى بلد بني مجيد وهي على محجة عدن إلى زبيد . الهمداني، صفة، ص ٢٥٨ .

(٥) الأعلاق النفيسة، ج ٧، ص ١١٢ .

(٦) الهمداني، صفة، ص ٢١٠، ٣٥٧؛ ويشير الهمداني إلى فائدة الأبقار بقوله: " فإذا أرادوا دابة يستفدون بها في رأسه مثل البقر للحرث " . صفة، ص ٣٥٠ .

من جلود تلك الحيوانات الجلود وبخاصة جلود الأبقار الجبلانية السوداء التي وصفت بالجودة، حيث تدبغ جلودها للنعال وكانت تصل قيمة الجلد منها إلى عشرة مثاقيل وأحياناً تصل إلى عشرين مثقالاً<sup>(١)</sup> .

كذلك اشتهرت اليمن بتربية الإبل وكانت لإبلهم، وخاصة المهرية، شهرة واسعة في العصر موضوع الدراسة ؛ كما اشتهرت هذه البلاد بتربية الخيول الأصيلة التي تمتاز بالسرعة وخفة الحركة ؛ هذا إلى جانب كثرة البغال والحمير، وجميعها أيضاً من الحيوانات المستأنسة التي تستخدم للركوب والنقل (للأحمال)<sup>(٢)</sup> .

فمن الإبل مثلاً : نجد أن الأبل المهرية العيدية -نسبة إلى قبيلة العيد- قد ذاعت شهرتها لحسن صورتها وضخامة أجسامها؛ كذا الإبل الأرحبية بهمدان، والصدفية والجرمية والداعرية، والمجيدية، والأخيرة تعد من أكرم الإبل وأنجبها بعد المهرية التي تعد أكرم إبل اليمن<sup>(٣)</sup>، ومن الإبل أيضاً المسماة السكسية وهي مخصصة للحمل والنقل<sup>(٤)</sup> .

أما عن الخيول في بلاد اليمن: فهي كثيرة ومختلفة الألوان، بيضاء وشقراء ودهماء وخضراء<sup>(٥)</sup>، وقد اشتهرت أنواع منها: العنسية نسبة إلى مدينة عنس من مخلاف زمار، والتي تعد من عتاق الخيل<sup>(٦)</sup>، والجوفية نسبة إلى مدينة الجوف، والحبيبية نسبة إلى حجاج أو حجة، والشوافية نسبة إلى مخلاف الشوافي، وجميع هذه الأنواع من الخيول كانت تمتاز بالصبر والصبابة والجرأة، وسرعة الركض، والقدرة على حمل الأسلحة الثقيلة، وعلى خلاف الخيول المصرية، فإن ضالة أجسام

(١) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٢ ؛ المتقال : لفظة مشتقة من السوليدس (solidus) الرومي البيزنطي ، حسب وزنه على أساس الوجهة الشرعية نسبة إلى الدرهم وهي كنسبة ١٠ إلى ٧ . انظر: محمود علي عامر ، المكايل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني دراسة وثائقية ، مطابن حيان ، دمشق ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٥٣ .

(٢) شائف عبده سعيد ، الحياة الاقتصادية في اليمن ، ص ١٧٠ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٢١٠ ، ٣٦٢ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٥ ؛ محمد أمين صالح ، تاريخ اليمن الإسلامي ، ص ٢٠٦ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ٢١٠ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٩٦ .

(٦) الهمداني ، صفة ، ص ٢٢٤ ؛ الجرافي ، المختطف ، ص ٥٥ .



خيول اليمن ساعدها في القدرة على الحمل والحركة السريعة<sup>(١)</sup> .  
ومن البغال توافر نوعان: سروجية للركوب، وحبشية للأحمال<sup>(٢)</sup>؛ وتوافر من الحمير أيضاً نوعان: نوع لنقل البضائع، وآخر يستخدم للسروج أي للركوب وأفضلها وأشهرها الحضرمية والمعاربية، لما تتميز به من خفة وسرعة وقوة وقدرة على العمل الشاق<sup>(٣)</sup> .

تجدر الإشارة إلى أن جزيرة سقطرى كانت لها شهرة واسعة بتربية الحيوانات بأنواعها واستكثارها، فيشير ابن المجاور إلى توافر الألوفا المؤلفة في الجزيرة من الإبل والبقر والضأن<sup>(٤)</sup>؛ وقد كان للمواشي نصيب في الاهتمام بعلاجها بطرق مختلفة<sup>(٥)</sup> .

إلى جانب الحيوانات والمواشي التي لها علاقة بالزراعة والغذاء وجدت في اليمن مجموعة كبيرة من الحيوانات المتوحشة، مثل: الضباع، والنمور، والذئاب، وبنات آوى، والكلاب<sup>(٦)</sup> والقطط، والأسود والسباع، والثعالب، والوبر، والقروء، والغزلان، والفهود، وغيرها من الحيوانات المستوحشة<sup>(٧)</sup> .

(١) الهمداني، صفة، ص ٣٦٣؛ الإكليل، تح وتعليق: محمد بن علي الأكوخ، منشورات المدينة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ج ١، ص ٣٧٥؛ وكان بيع وشراء أهل نجد اليمن في المواشي وبخاصة الخيل والإبل والغنم، وكذا الحمير والبغال، ولم يعرفوا غير هذا المال شيئاً آخر . ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٣١ .  
(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٩ .  
(٣) الهمداني، صفة، ص ٣٦٣؛ شائف عبده سعيد، الحياة الاقتصادية في اليمن، ص ١٧٠ .  
(٤) المستبصر، ص ٢٦٦ .

(٥) عن طرق علاج الحيوانات انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ٢١٣ .  
(٦) الجرافي، المقتطف، ص ٥٥؛ وقد كانت مدينة عدن مليئة بالكلاب المتوحشة التي كانت تشكل خطراً على أهل المدينة، بل ووصل بها الأمر إلى حد أكل بني آدم وهو الأمر الذي وضعه ابن المجاور بقوله: " فأكل بعض أولاد البرابر فاستغاثت المرأة البربرية إلى رضي الدين المعتمد محمد بن علي التكريتي (والي عدن) فأمر المعتمد بقتل كل كلب في عدن فقتل في اليوم خمسة وعشرون كلباً وهرب الباقون إلى رؤوس الجبال ويطون الأودية . . . . . وذلك سنة ٥٩٢هـ . . . . . المستبصر، ص ١٣٧؛ ونتيجة لكثرة الكلاب وجدت بئر في عدن أطلق عليها بئر الكلاب جدد عمارتها أحمد العشير سنة ٦٠٢هـ . شهاب، عدن فرضة اليمن، ص ١٢٣ .

(٧) الهمداني، صفة، ص ١٠٥، ٢٦٨-٢٦٩، ٢٨٨، ٣٤٤، ٣٤٦؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ٥٧، ١١٠، ١٣٧، ١٥٥، ١٧٤، ١٨٦، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٣ .

إضافة إلى ما سبق ذكره من أنواع الحيوانات، فقد وجدت في اليمن الطيور على اختلاف أنواعها فالدواجن كانت منتشرة بكثرة في اليمن وهذا يدل على وجود نظام التدجين، وبخاصة في مناطق صعدة<sup>(١)</sup> فضلاً عن وجود أنواع أخرى من الطيور والعصافير، فهناك الحمام، والأوز، والنعام، وهناك أيضاً الغراب، والحدأة، والنسر، والصقر<sup>(٢)</sup>؛ ومنها الطيور التي كانت هدفاً للقنص في رحلات الصيد<sup>(٣)</sup>.

كذلك النحل يمكن أن نضيفه إلى عداد الثروة الحيوانية التي اشتهرت بها اليمن، حيث كان له أهمية في المجال الاقتصادي؛ فقد اشتهرت اليمن بكثرة المناحل وجودة العسل، وقد أعجب ابن المجاور بعسل صنعاء وجبلان، على أن أهم مراكز النحل في اليمن هي: جبلان والأهونوم<sup>(٤)</sup>.

وفضلاً عن ذلك فقد اشتهرت اليمن بوفرة أسماكها، إذ يعد السمك عنصراً أساسياً من عناصر غذاء سكان اليمن وبخاصة في السواحل، حيث كانوا يصطادون كل أنواع السمك بما فيها الحيتان الكبيرة التي كانوا يأكلون لحمها ويستخدمون زيوتها في الدواء وفي أغراض الزينة<sup>(٥)</sup>.

الخلاصة أنه إذا كانت الزراعة مورداً رئيساً للاقتصاد اليمني ولحياة السكان فإن المورد الآخر في معيشتهم بعد الزراعة كان تربية المواشي التي تزودهم بما يحتاجون إليه من منتجات حيوانية مثل الألبان واللحوم والسمن وتعطيهم الأغنام منها على وجه الخصوص الأصواف التي تستخدم في صناعة الأغذية والبساط والسجاد، وتساعد الأبقار، وبخاصة الذكور منها (الثيران) في مساعدتهم على إنجاز عملية حراثة الأرض الزراعية، إذ أن السكان لم يكونوا قد عرفوا استخدام الآلات الزراعية الحديثة؛ وغالباً ما كان المزارعون يقومون بتربية الأبقار والجمال من أجل تأجيرها لغيرهم من الزراع للعمل في حراثة الأرض الزراعية مقابل عائد نقدي محدد في اليوم الواحد؛ فضلاً عن الاستفادة من بيع الفائض من الماشية لشراء ما يحتاجونه من سلع ومواد استهلاكية وغيرها.

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٠٧.

(٢) الهمداني، صفة، ص ٣٤٦، ٤٠٦؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ١٧٤، ١٨٦، ١٩٩؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ١٥٤.

(٣) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ج ٧، ص ١١٢.

(٤) الهمداني، صفة، ص ٢٢٨، ٣٠٠؛ نوره عبدالله العلي، الوضع الاقتصادي، ص ١٦٠؛ الجرافي، المقطف، ص ٥٥.

(٥) ابن المجاور، المستبصر، ص ٩٠، ٩٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٢.

## **الفصل الثاني**

### **الصناعة في بلاد اليمن**

## أولاً - مقومات الصناعة :

ساعد الموقع الجغرافي المهم لبلاد اليمن، الواقع في ملتقى خطوط التجارة البحرية، على رفد العامل الصناعي فيها، فهو يطل على بحر العرب من الجنوب، و (البحر الأحمر) من ناحية الغرب، وكانت تمر بهذا الإقليم شرايين التجارة العالمية البحرية القادمة عبر المحيط الهندي الى الخليج العربي، أو الى البحر الأحمر، كما ارتبطت بلاد اليمن بأقاليم الجزيرة العربية الأخرى بشبكة من الطرق البرية، ولا ريب ان هذا الموقع الاستراتيجي ساعد على استيراد بعض المواد الخام اللازمة لسد النقص الذي كانت تعاني منه الصناعة في اليمن، وفي الوقت نفسه لتسويق الإنتاج الصناعي وتصريفه الى بعض الأقطار التي أقبلت على شرائه . ٦٩١٦٨٦

كما توافرت في بلاد اليمن المواد الخام باختلاف أنواعها من خامات زراعية وحيوانية ومعندية، والتي كانت عاملاً أساسياً لقيام صناعات متعددة؛ فمن ناحية توافرت المعادن والمواد الخام اللازمة للنشاط الصناعي، حيث وجد الذهب والفضة والحديد والعقيق والجزع وغيرها<sup>(١)</sup>؛ ومن ناحية ثانية توافرت الثروة الحيوانية التي يستفاد من صوفها وجلودها في الصناعة كالإبل والبقر والغنم<sup>(٢)</sup>، ومن ناحية ثالثة فإن بعض الصناعات كان قيامها يعتمد على النباتات والأشجار التي توافرت في اليمن مثل: الصناعات الخشبية والصناعات القطنية<sup>(٣)</sup> . وكان لهذا التنوع في المواد الخام سواء المحلية أم المستوردة دوراً أساسياً في تعدد الصناعات وانتشارها في العديد من المدن والمناطق اليمنية، وقد قاد هذا الأمر الى توافر العديد من الأيدي العاملة ذات الخبرة والمهارة، ومن طالع الحظ أن بلاد اليمن قد وجد فيها العديد من الحرفيين المهرة في الصناعات المختلفة بحكم الممارسة الطويلة في مجال الصناعات، حيث زاول الصناعة في اليمن بعض العرب والموالي والرقيق، الى الحد الذي قيل عنهم أنهم كانوا مابين دابغ جلد وناسج بُرد<sup>(٤)</sup> .

(١) حسن إبراهيم حسن ، اليمن البلاد السعيدة ، ص ١٦١ ، الشمري ، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ، ص ٣٢٨ .

(٢) نوره عبدالله ، الوضع الاقتصادي ، ص ٨٣-٨٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

(٤) الخضري ، محمد بك ، الدولة الأموية ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، د.د. ، ص ١٨ ؛ حسن إبراهيم حسن ، اليمن البلاد السعيدة ، ص ١٠٧ ؛ غازي رجب محمد ، اليمن وصلاتها الفنية في العصر الإسلامي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٤٣)، بغداد ، المنة ٦ .

وعلى الرغم من ذلك فقد حرص اليمنيون منذ القدم على استجلاب المهرة من الصناعات للاستفادة من خبراتهم<sup>(١)</sup>، وكانت الحاجة تقتضي استجلابهم من مصر والشام والعراق بل ومن كل الأقطار<sup>(٢)</sup>، وقد أحسن اليمنيون معاملتهم وأجزلوا لهم الرواتب، وسعوا جاهدين للتخفيف من غربتهم، ومنحوهم ما عوضهم عن ترك أوطانهم بما وفروه لهم من أسباب الرفاهية ورغد العيش<sup>(٣)</sup>، ومما يذكر في هذا الصدد أن الملوك والأمراء الأيوبيين ومن عاصرهم جلبوا الصناعات، وعلى الأخص الإمام عبدالله بن حمزة الذي كان كثيراً ما يستجلب الصناعات إلى اليمن<sup>(٤)</sup>.

وفي الحق أن هذا الأمر أسهم إلى حد كبير في تطور الصناعة وازدهارها، ووفود عدد من محترفيها من كل الأقطار إلى اليمن<sup>(٥)</sup>، وهو ما أوضحه الفلقشندي بقوله: "إنهم لا يزالون مقصودين من آفاق الأرض قل أن يبقى مجيد في صنعه من الصنائع إلا ويصنع لأحدهم شيئاً على اسمه"<sup>(٦)</sup>.

ولقد كان للأمن والاستقرار الذين شهدتهما اليمن في عهد بعض الملوك الأيوبيين أو من عاصرهم وكذا انتشار العدل في عهودهم، أثر كبير في تطور الصناعات وتعدد مجالاتها، الأمر الذي شجع الصناعات على مزاوله حرفة الصناعة ونقل بضائعهم بأمان، كما اهتم الملوك والأمراء في العصر الأيوبي بإنشاء شبكة طرق المواصلات التي تربط بين المناطق اليمنية، وكذا بين اليمن والأمصار الإسلامية الأخرى، بهدف سهولة التسويق الصناعي وجلب المواد الخام للصناعة التي تحتاجها بعض الصناعات اليمنية<sup>(٧)</sup>.

(١) للهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الجوهريين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تج وتقديم: كريستوفر تول، ط٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، مشروع الكتاب ٣/١٥، ١٩٨٥م، ص ٥٠-١٢٦.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٦-٥٧؛ إسماعيل الأكوخ، أعراف وتقاليد حكام اليمن، ص ٢١.

(٣) حسن إبراهيم حسن، اليمن البلاد السعيدة، ص ١٠٧.

(٤) إسماعيل الأكوخ، هجر العلم ومعاقله، ج ٣، ص ١٢٨٤-١٢٨٥؛ العيسري، الإمام المنصور عبدالله بن حمزة، ص ١٣٨.

(٥) عليان، محمد عبدالفتاح، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول في اليمن، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الآداب جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٣م، ص ٢١٠.

(٦) صبيح الأعشى، ج ٥، ص ٣٦.

(٧) السيف، عبدالله محمد، 'الصناعة في اليمن في العصر الأموي'، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة التاسعة عشر، مارس ١٩٧٥م، ص ١٣٨-١٣٩.

والشيء اللافت للاهتمام ان التقدم الصناعي في اليمن جاء نتيجة لعناية الحكام الأيوبيين وغيرهم، وذلك نظراً للحاجة الماسة الى تلك الصناعات لكونها توفر احتياجاتهم وحاجات الناس المعيشية، وفي الوقت ذاته تعتبر من الموارد المالية للدولة بما تفرضه من ضرائب مختلفة على أهل تلك الصنائع، بالإضافة الى ذلك فإن حكام اليمن كانوا ينظرون الى بعض تلك الصناعات بما تمثله من قيمة مادية وإبداعية مجالاً للتفاخر، ومن ثم فإن دليل احترامهم لمملك ما أو حاكم معين يرتبطون معه بعلاقات وثيقة، هو اهداؤه قطعة من تلك الصناعات، سواء كانت نسيجية (كسوة من الثياب الفاخرة) أم معدنية (سيوف أو جنابي مزينة بالذهب)، وهذا ما كان يحصل بين الأيوبيين أنفسهم داخل اليمن وبينهم والزعماء المحليين المعاصرين لهم، وكذا بين حكام وأمراء اليمن وملوك الدول المصاحبة لليمن، وعلى الأخص الدولة العباسية، ومصر الأيوبية، وغيرها من الدول التي ارتبطت معها بعلاقات وثيقة<sup>(١)</sup>.

ومن المؤكد أن تنوع الصناعات وجودتها في العصر الأيوبي في اليمن كان من المقومات الرئيسية التي أدت الى التنوع الصناعي، مثل: صناعة المنسوجات، والصناعات الجلدية، والصناعات المعدنية وغيرها، الأمر الذي أدى الى زيادة الطلب عليها في الأمصار الإسلامية الأخرى، مثل: مصر والحجاز والعراق وبلاد الشام<sup>(٢)</sup>.

وفي العموم فإن كل تلك المقومات لا تتحقق من غير وجود السوق الذي يتم فيه تصريف المنتجات الصناعية، فكما هو معروف أن السوق كلما كان واسعاً وذات قوة شرائية كان ذلك عاملاً مساعداً على قيام الصناعة لتلبية احتياجات ذلك السوق، واليمن معروفة بأسواقها المشهورة، فقد وجدت فيها الأسواق اليومية والأسبوعية والموسمية<sup>(٣)</sup>، فكان الناس يتقاطرون على تلك الأسواق من كل مكان لشراء البضائع، والدليل على ذلك أن أحد الأسواق الأسبوعية كان يرتاده أكثر من عشرة آلاف شخص<sup>(٤)</sup>.

(١) المقرئزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج ٣، ص ٧٠٢، ٧٢٩.

(٢) السيف، الصناعة في اليمن في العصر الأموي، ص ١٣٩.

(٣) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأة، ط ١، دار الفكر، دمشق،

١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١١٣-١١٤.

(٤) الهمداني، صفة، ص ١١٤.

## ثانياً - أهم الصناعات الحرفية :

### ١ - الصناعات المعدنية :

وجدت في اليمن العديد من الصناعات، ومرجع ذلك هو توفر المعادن المختلفة في شتى المناطق اليمنية، حيث قام أهل اليمن باستخراجها وفقاً للحاجة والضرورة ، واستخدموها في صناعاتهم ومتطلبات حياتهم<sup>(١)</sup>، وأهم تلك الصناعات المعدنية مايلي :

#### أ - صناعة الذهب والفضة :

برزت هذه الصناعة في اليمن نتيجة لتوافر المادة الخام للذهب والفضة في العديد من المناطق اليمنية<sup>(٢)</sup>، وهي صناعة تمر بمراحل متعددة: أولها تسخين المعدن<sup>(٣)</sup> حيث يسخن الى درجة حرارة معينة بحيث يصبح قابلاً للدق، بعدها تأتي مرحلة تشكيله بالمبرد وغيره من الآلات والأدوات الخاصة بذلك<sup>(٤)</sup>، وتأتي المرحلة الثالثة حيث ينتهي تشكيل المعدن، بعدها يقوم الصانع بجلاته (تصفيته وتلميعه) ثم يتم طلاؤه بمادة الزئبق<sup>(٥)</sup> .

ومن الصناعات التي اعتمدت على الذهب والفضة صناعة القناديل، حيث نالت شهرة واسعة في العالم الإسلامي، وكان أمراء بني أيوب يرسلونها الى مكة المكرمة لتعلق على الكعبة، فيذكر أنه في سنة ٦٢٣هـ، أرسل الأمير نورالدين بن عمر الرسولي بقناديل الى الكعبة من الذهب والفضة<sup>(٦)</sup> .

(١) خليفة ، ربيع حامد ، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ١٣-١٤ .

(٢) انظر: الهمداني ، الجوهريتين العتيقتين ، ص ١١٣ ؛ ابن الديبع ، وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد ، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ، صنفه : أحمد راتب حموس ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت / دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٨٠-٨١ ؛ الأتوسي ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ؛ الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ٨٨ .

(٣) الهمداني ، الجوهريتين العتيقتين ، ص ١٣٦ .

(٤) نور المعارف ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، (ح ١٢٢٨) .

(٥) انظر : الملك المظفر، يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، المخترع في فنون من الصنع ، دراسة ونسج : محمد عيسى صالحية ، ط١ ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ١٩٨٩م ، ص ٢١٢-٢١٥ .

(٦) للخزرجي ، العقود التولوية ، ج ١ ، ص ٥٥ .

وفي السنة نفسها وقع خلاف بين أشراف مكة فعمدوا الى هذه القناديل واستعانوا بها في حروبهم، وعندما علم الأمير ابن رسول بذلك بادر بتعويض ما أخذوه من قناديل الكعبة وأرسل قناديل جديدة مصنوعة أيضاً من الذهب والفضة الخالصة<sup>(١)</sup> .

كما أُستخدِم الذهب والفضة في ضرب النقود من دنانير ودراهم<sup>(٢)</sup>، وكذلك استخدمت في صناعة الحلّي الذي تزيّنت به نساء اليمن، مثل: تلك التي تزيّن بها المرأة رأسها والتي تسمى عصائب، ووجهها كخرصة الأذن وزين الخد الذي يتم تثبيته في الشعر ويتدلّى الى جانب الخد، أو التي تزيّن صدرها، مثل الدقة، أو التي تزيّن بها معصمها ويدها كالأسورة والخواتم والقفازة، وكذلك ساقها كالخلخال والأحبال<sup>(٣)</sup> .

وقد كانت الفضة تستخدم في العديد من صناعات الحلّي التي تم ذكرها، بالإضافة الى صناعة بعض الأدوات التي تستخدمها المرأة لحفظ زينتها كالمكحلة التي يتم فيها حفظ الكحل، أو الصناديق الصغيرة لحفظ المجوهرات، وكذا يصنع منها أدوات لحفظ الطيوب والعطور مثل المرشّات، فضلاً عن بعض الأطباق التي تستخدم للمأكولات على الموائد<sup>(٤)</sup>، وكانت هناك الدراهم الفضية الخالصة التي ضربت في العصر الأيوبي، فيذكر أن وردسار أقام دار ضرب في صنعاء وأخرج من الفضة ستة أبهرة تضرب دراهم<sup>(٥)</sup> .

وفضلاً عن ذلك فإن الذهب والفضة والأحجار الكريمة كانت تدخل في العديد من الصناعات ولاسيما في زخرفة الملابس والأحذية وفي صناعة مقابض السيوف وأنصال السكاكين، وكذا في تزيين خشب السقوف، وقد قام الملك طغتكين بتذهيب

(١) ابن حاتم ، السمط العالي ، ص ٢٠٧ .

(٢) انظر: بلعغير ، محمد صالح مبارك ، " العملة والتداول النقدي بعدن في عهد الدولة الطاهرية " ، مجلة سبأ ، العدد (١٤-١٥) ، دارجامعة عدن للطباعة والنشر ، عدن ، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ / يوليو ٢٠٠٧م ، ص ٢٥١-٢٥٥ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٧١ ؛ وبسبب ذلك تعرضت الحاجة وهي خالة وردسار للنهب من السراق ، فقد راح عليها مايساوي أربعين ألف دينار ذهباً . ابن حاتم ، السمط ، ص ١٥٤ .

(٤) بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢ ، ص ٢٥٨٥-٢٥٨٦ ، ٢٥٩٥ ؛ نور المعارف ، ج ١ ، ص ١٥٨-١٦٢ .

(٥) ابن حاتم ، السمط العالي ، ص ١٤٠ .



سقف جامع الجند بالذهب واللازورد<sup>(١)</sup>، ودخل الذهب والفضة في ترصيع الصفائح التي تُكسى بها أبواب القصور الملكية وواجهات المحاريب وفي تذهيب وتقضيض رقوق المصاحف، وفي بعض الأحيان كانا يصدران على شكل سبائك، فقد ذكرت المصادر التي ترجمت للملك طغتكين بن أيوب، أنه جمع من الأموال مالا يحصى، فلما كثرت كميات الذهب عنده عمد إلى سبكه على هيئة الطواحين، مما يشير إلى وفرة الذهب آنذاك باليمن<sup>(٢)</sup>. وكانت الجواهر النفيسة الأخرى الموجودة في اليمن مثل العقيق والزبرجد والياقوت الأحمر واللؤلؤ والجزع والبلور تستخدم جميعها في ترصيع الحلي عند صنعائها، ويتخذ منها الفصوص للخواتم والأساور<sup>(٣)</sup>. جدير بالذكر أن بعض تلك المصنوعات كانت تُقدّم كهدايا من ملوك وسلاطين وأمراء اليمن إلى أمراء وسفراء الدول الأخرى كدليل على الروابط الوثيقة بينهم.

وعن مناطق وجود الذهب والفضة والمعادن الثمينة الأخرى، فالذهب أُستخرج في الجوف وفي بيحان ورداع وفي سعوان بجبل صبر وفي بلاد عنس وفي جبل نغم وشبام بالقرب من صنعاء، وكذلك في القفاعة من أرض صعدة وهو خير معادن الذهب<sup>(٤)</sup>، وفي أرض خولان<sup>(٥)</sup>، على أن أهم مناطق وجوده هي: عطان بيش<sup>(٦)</sup>، ومنطقة سلوق<sup>(٧)</sup>، وفي جبل سرواح من مأرب قرب وادي بيحان، حيث يذكر ابن المجاور أن تـرابه أصفر شبيه بالزرنـيخ<sup>(٨)</sup>. وفي مخلاف عثر في أقصى تهامة

(١) ابن المجاور، ص ١٦٥-١٦٦، ١٩٦؛ وللمزيد انظر: الهمداني، الجوهريين العتيقتين، ص ٢٠٢-٢٠٤؛ نور المعارف، ج ١، ص ٥، ١٢، ٧٠، ٢٥١-٢٥٢؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٩٦؛ كما أهدى طغتكين إلى السلطان بشر بن حاتم سرجاً مذهباً وسيفاً. يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ج ١، ص ٣٣٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ١٠، ص ٢٠٦؛ ويذكر ابن الأثير أن طغتكين قتل والي زبيد حطان بن منقذ فأخذ منه الأموال والذهب العين في سبعين غلافاً زردية مملوءة عينا. مج ١٠، ص ٧٢؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٦٧.

(٣) ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ٢٣٨-٢٣٩؛ اللؤلؤ؛ أصله صدف يتربى في قعر البحر المالح. انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) الهمداني، الإكليل، ج ١، ص ٣٥٧؛ الجوهريين العتيقتين، ص ٢٢٣؛ خليفة، الفنون الزخرفية اليمنية، ص ١٦؛ الفقهي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٥٢؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٨٨، ٩٠-٩١.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٤١؛ المقحفي، معجم، ص ٣٣٤؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٨٨.

(٦) الهمداني، الجوهريين العتيقتين، ص ١٢٣؛ الإكليل، ج ١، ص ٣٥٧؛ إسماعيل الأكوخ، البلدان اليمنية، ص ٥١.

(٧) سلوق: بلدة في ناحية خدير جنوب الجند من أعمال تعز. انظر: الهمداني، صفة، ص ١٤٣.

(٨) المستبصر، ص ١٩٩؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٨٨.

الشمالية كان يوجد بها معدن الذهب<sup>(١)</sup>، أما معدن الفضة فقد كان يستخرج من وادي الرضراض بين نهم وخولان، وفي وادي ضهر ومن شبام كوكبان وهي قريبة من صنعاء، وكذا من فوق مدينة جبلة<sup>(٢)</sup>، ووجد هذا المعدن في سلوق، وفي قفاعة قرب صعدة من أرض خولان<sup>(٣)</sup>، وفي جبل المعدن بأعمال العواهل قرب وادي بيحان من أعمال مأرب<sup>(٤)</sup> .

ومن أهم الأحجار الكريمة المستخرجة العقيق والجزع، وأشهر العقيق هو المستخرج من صنعاء، إذ أكد المؤرخون بأنه قد وجد فيها بكثرة، ويقول أحدهم : "ومن أراد العقيق كان يشتري قطعة أرض في صنعاء ويحفر فيها فربما استخرج منها العقيق"<sup>(٥)</sup>، كما تم استخراجها من جبل شبام وألهان ومقرى وثمار<sup>(٦)</sup>؛ وتعتبر صناعة العقيق من أشهر الصناعات الحرفية، نظراً لتوافر العقيق في صنعاء وكثرة المشتغلين في صناعته<sup>(٧)</sup>.

أما الجزع والبلور، فيظهر في نقم وسعوان ووادي عشار قرب صنعاء<sup>(٨)</sup>، ويوجد بآنس جزع وخرز البقران ذو الألوان المتعددة، وأغلاها ثمناً نوع المثلث، وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود<sup>(٩)</sup>، ويوجد نوع آخر يسمى السعواني نسبة إلى سعوان وهو فص أسود فيه عرق أبيض<sup>(١٠)</sup> .

(١) المقنسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٢١ ؛ الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ؛ الجرافي ، المقطف ، ص ٥٢ ؛ الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٩٩ ؛ المقنفي ، معجم ، ص ٣٣٤ ؛ الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ٩١ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٩٩ ؛ ويذكر ابن المجاور أن الفضة كانت تستخرج أيضاً من جبل معدل في حضرموت . المستبصر ، ص ١٨٩ .

(٥) الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٦ ؛ المقنسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٠١ ؛ على أن أهم مناطق استخراجها هي الشرف بشيخة وغرب همدان . الهمداني ، الإكليل ، ج ٢ ، ص ٣٧-٣٨ .

(٦) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٨٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٩٤١ ؛ ففي جبل هران قبلي مدينة ثمار استخرجت معادن الحجارة النفيسة اليمانية من العقيق الأحمر، والأبيض والأصفر، والمورد ، وفي بلدة لوقرية ملص من مغرب ثمار معادن العقيق اليماني . الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ٩٢ .

(٧) الهمداني ، صفة ، ص ٣٢٢ ؛ المقنسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٨ .

(٨) الهمداني ، صفة ، ص ٣٢٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٩٤١ .

(٩) الهمداني ، صفة ، ص ٣٢١ ؛ ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ج ٧ ، ص ١١٢ ؛ الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ؛ الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ٩٦ .

(١٠) الجرافي ، المقطف ، ص ٢٧ .

وفيما يخص الياقوت والزبرجد والزمرد واللؤلؤ والمرجان، فقد وجد الزمرد والياقوت في زبيد وجبل نقم<sup>(١)</sup> واللؤلؤ والمرجان والصدف والعنبر وجد في الجزر اليمنية<sup>(٢)</sup>، وفي الجوف وقرب مأرب وجد الزبرجد<sup>(٣)</sup>.

تجدر الإشارة إلى أن جميع المصوغات الذهبية والفضية وغيرها وبخاصة حلي المرأة، كانت تعمل على شكل زخارف حيوانية كالثعبان أو الطير، أو أن يكون الشكل ذا مدلولات أخرى، كأن تصاغ الحلية على شكل ضريح فتسمى قبور العشاق<sup>(٤)</sup>، وهي بذلك تعطي مدلولاً عاطفياً، وما إلى ذلك من الأشكال التي كانت تُشكّل على وفق أساليب فنية تعبر في مجملها عن ذوق رفيع وتجديد في التشكيل، كما هي الحال في الوقت الحاضر الذي يطلق عليه بـ(الموضة) .

وعلى الرغم من العمل الزخرفي البحت الذي قصده أهل اليمن من تشكيل المصنوعات، إلا أن ذلك لم يكن كافياً بالنسبة لهم، فقد أرادوا أيضاً زخرفة بعض المصوغات بزخرفة كتابية منحوتة على جدار المعدن المسبوك، إما إلى الداخل وتسمى (القلع) أو إلى الخارج وتسمى (البريح)، أو النحت بالمزاوجة بين الطريقتين السابقتين، وتسمى هذه الزخرفة بـ(القلع والدفن)<sup>(٥)</sup>، وكانت كتاباتهم الزخرفية المنحوتة تحمل الشعارات والرموز التي تكون بارزة، وهو الأمر الذي أبدع فيه الصانع اليمني ولاقت منتجاته رواجاً وشهرة في الأسواق العالمية خصوصاً، صناعة العقيق التي كتب عليها كل ذلك<sup>(٦)</sup> .

#### ب - صناعة الحديد والنحاس :

تصدر الحديد قائمة معادن اليمن من حيث الأهمية والوفرة، لا سيما إذا عرفنا أن صناعة الأسلحة بأنواعها والتي كانت لها شهرة واسعة كانت أساساً تعتمد

(١) الهمداني، صفة، ص ٢٠٣؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٨٨، ٩١-٩٢ .

(٢) مثل جزيرة اللحية وكمران وفرسان وفي سواحل البحر الأحمر من باب المنذب إلى حدود الحجاز ويتحصل بواسطة الغواصين . ابن الجاور، المستنصر، ص ١٨٥؛ الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ص ٢٠٣؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٨٩ .

(٣) الحميري، منتخبات في أخبار اليمن، ص ٩٨؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٩٢ .

(٤) نور المعارف، ج ١، ص ١٦٤ .

(٥) المصدر نفسه والجزء، ص ١٦٥ .

(٦) انظر: الزهراني، ضيف الله يحيى، دار السكة تشاتها، أعمالها، إدارتها، مجلة الدارة، العدد (٢)، السنة ٢٠، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٤١؛ المتيمي، محمد، 'الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء وأفاق تطورها'، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٢)، أبريل - يونية، صنعاء، ١٩٨٨م، ص ١٧٠ .

على هذا المعدن؛ ومن معدن الحديد تمت صناعة أدوات الفلاحة التي استخدمها المزارعون مثل: المحراث، الفأس، المنجل، الشُرْم<sup>(١)</sup>، وغيرها من الأدوات وبخاصة المنزلية المصنوعة من هذا المعدن<sup>(٢)</sup>؛ وكان وجود المادة الخام للحديد في العديد من المناطق اليمنية أحد أهم الأسباب لقيام هذه الصناعة<sup>(٣)</sup>، هذا بالإضافة الى معدن النحاس الذي يوجد هو الآخر في بعض المناطق اليمنية<sup>(٤)</sup> .

وقد برع الصانع اليمني في استخدام الزخارف في المصنوعات الحديدية كالسيوف والخناجر (الجنابي)، فالسيوف كانت تمتاز بوفرة زخارفها، وتكون مقابضها في العادة مرصعة بالعملات الذهبية، وقد استخدم الصانع اليمني الإبداع نفسه في الخناجر، ولأن الأخير من الأسلحة الخفيفة وهو يتكون من نصل ومقبض، فعادة ما كان يصنع النصل، وهو قصير الحجم، من الفولاذ أو الحديد، أما المقبض فكان يصنع من الفضة أو قرون الحيوانات، مثل وحيد القرن، أو من الخشب أو العاج أو النحاس أو الحديد؛ مع أن الزخارف التي استخدمها الصانع اليمني في المصنوعات الحديدية تلك كانت تكتب بماء الذهب أو أن تكون رسومات زخرفية والتي غالباً ما كانت تعمل بطريقة التخریم (التنقيب)<sup>(٥)</sup> . ومن أبرز مناطق توافر الحديد كان جبل الحديد على مقربة من عدن<sup>(٦)</sup>، فتشير المصادر إلى أن أهل الخبرة في صناعة التعدين قد سبك من هذا الجبل حديداً قدره بهارين ونصف<sup>(٧)</sup> .

(١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٢٧؛ الشُرْم: قطعة من الحديد مقوسة ومسننة في الجهة السفلى وفي طرفها الأسفل مقبض مصنوع من الخشب.

(٢) بامخرمة، فلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٨٥-٢٥٨٦، ٢٥٩٤-٢٥٩٦؛ المتيمي، الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء، ص ١٦٨-١٦٩ .

(٣) ابن الديبع، نشر المحاسن اليمنية، ص ٨٢ .

(٤) الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٨٩؛ الحداد، عبدالله عبدالسلام، حيس اليمنية تاريخها وأثارها الدينية، ط ١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٥٨ .

(٥) نور المعارف، ج ١، ص ١٥٣-١٦٥ .

(٦) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ص ٢٠٤؛ وقال ابن المجاور: "وما اشتهر اسم عدن إلا من المعدن وهو معدن الحديد" . المستبصر، ص ١١٠ .

(٧) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٠٦؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١، ص ١٨ .

كما تم استخراج الحديد من جبل كدمل في الطريق الى الحجاز<sup>(١)</sup> ونجران ، وفي سلوق<sup>(٢)</sup>، إلا ان صعدة هي أهم مناطق استخراج معدن الحديد في العصر الأيوبي وبالذات في منطقة رغاغة التي تبعد ٣٧ كم شمال غربي صعدة، ونتيجة شهرتها في استخراج معدن الحديد احتوت المنطقة على ١٥ معملأ أو مسبكاً واسعاً للحديد، والدليل على ذلك أنه تم العثور في هذه المنطقة على أدوات وأفران استخدمت في صهر المعادن وبخاصة في صهر الحديد وتنقيته من الشوائب العالقة به<sup>(٣)</sup> .

وكان لاستخراج الحديد بكميات كبيرة من صعدة أثر في ازدهار الصناعات القائمة عليه الى درجة بلوغ تلك الصناعات الاكتفاء من ذات المعدن والتصدير منه الى الخارج<sup>(٤)</sup> وبخاصة الى الهند ومصر، وكان يتم التصدير عبر فرضة عدن .

ونتيجة للأهمية البالغة التي احتلها الحديد في مجال تصنيع الآلات والأدوات المختلفة في العصر الأيوبي، عمد حكام بني أيوب الى احتكار تجارته ومنع من يشتريه من عدن إلا بموافقتهم، فبلغ سعر نصف الرطل ديناراً، بينما كان سعر خمسة أرطال منه في صعدة بدينار<sup>(٥)</sup> .

ولأهميته أيضاً صار يدخل ضمن شروط الصلح التي كانت تُعقد بين الأئمة الزيديين وحكام بني أيوب في اليمن، ولعل أبرز مثال على ذلك مايلي:

١- تسليم الإمام عبدالله بن حمزه مائة حمل موقرة حديداً في كل سنة للأمير الأيوبي وردسار أمير صنعاء<sup>(٦)</sup>، في الصلح الذي جددته الأتابك سنقر سنة ٥٩٩ هـ مع الإمام عبدالله الذي كان يمثله في هذا الصلح أخاه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٥٥ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ١٤٣ ؛ حيث يقول الأكوسي : " وفي نجران أيضاً جبل من حديد " . بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٢١ ؛ المقضي ، معجم ، ص ١٧٩ ؛ إسماعيل الأكوخ ، البلدان اليمنية ، ص ١٣٠ .

(٤) الشعبي ، حسين عيطة ، " مدينة صعدة عبر أطوار التاريخ " ، مجلة الإكليل ، العدد (١) ، السنة التاسعة ، صنعاء ، ١٩٨٩ م ، ص ١٠٣ .

(٥) الشعبي ، مدينة صعدة ، ص ١٠٥ ؛ وقد أخذ الإمام عبدالله بن حمزة أخماس الحديد من المناطق التي تشتهر بوجوده ، وتوعد بالعقوبة لمن يمد الأيوبيين بالحديد .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

٢- تأدية خمسة أحمال حديد وأشياء أخرى تعهدها الإمام عبدالله لأمير صنعاء الأيوبي وردسار، وذلك نظير موافقة الأخير على إقرار الهدنة<sup>(١)</sup> التي عُقدت بين الأمراء الأيوبيين والأئمة الزيديين سنة ٦٠١هـ .

٣- تسليم مائة حمل موسقة بالحديد الصعدي من الإمام عبدالله بن حمزة الى الأمير وردسار<sup>(٢)</sup> في الصلح الذي عُقد بين الأئمة الزيديين والسلطين الأيوبيين سنة ٦٠٥هـ .

تتضح مما سبق ذكره أهمية معدن الحديد الذي قامت عليه العديد من الصناعات في اليمن والتي لبت الاحتياجات آنذاك؛ على أن صناعة السلاح، مثل: السيوف والدروع<sup>(٣)</sup> والرماح والخناجر والسروج واللجم والخوذ، احتلت الأولوية في قائمة الصناعات، التي اعتمدت بشكل رئيس على معدن الحديد، خصوصاً وأن الأيوبيين كانوا يولون تلك الصناعة جل اهتمامهم، لحاجتهم الماسة إليها في تسليح الجيوش الأيوبية التي خاضت الكثير من المعارك ضد المتمردين عليها من القوى المحلية في اليمن، وضرب السيف اليماني الرقم القياسي في الشهرة من بين الأسلحة التي تصنعها اليمن، وهي أشهر سيوف العالم منذ أقدم العصور<sup>(٤)</sup>؛ على حين احتلت صناعة المعدات الزراعية<sup>(٥)</sup> والأواني المنزلية<sup>(٦)</sup> والمعدات المعمارية<sup>(٧)</sup> الدرجة الثانية في قائمة الصناعات التي اعتمدت على معدن الحديد .

أما الصناعات النحاسية، فعلى الرغم من ندرة المعلومات التي تبين مدى المهارة أو الإبداع لدى الصانع اليمني في ذلك المجال في العصر الأيوبي، إلا أنه من خلال الإشارات التي وردت في بعض المصادر، والتي بيّنت بعض مناطق استخراج معدن النحاس، والاستخدامات الصناعية لذلك المعدن، تبين أن

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١١٨ .

(٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١، ص ٣٩٣ ؛ ابن النبيع ، فرة العيون ، ص ٢٨٩ .

(٣) يذكر ابن حاتم أنه عندما توفي بكسر السيفي وهو أحد القادة الأيوبيين ، وجد في منزله من الدروع مائة وسبعين درعاً . السمط ، ص ١٥١ .

(٤) ونعل من أشهر هذه السيوف ، الصناعية نسبة الى صنعاء مركز صناعتها ، وتتميز بقصر أعضائها وحدتها . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٩ .

(٥) مثل : السحوب والحجن . عن السحوب والحجن انظر : نور المعارف ، ج ١، ص ٢٩٦، (ج ٢١١٣) .

(٦) مثل: الأطباق والمعلق والتي تستخدم للأطعمة، وأدوات نقل الماء أو استخراجها من الآبار كاللدلي . انظر: الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ١، ص ٣٨٧ ، ٣٩٤ .

(٧) مثل : الأبواب والشبابيك ، وكذا الزبر والصبار والمطارق ؛ فالملك المسعود الأيوبي ركب باباً حديدياً كبيراً في سور الجند . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٦٤، ٢٣٩ .

هناك صناعات اعتمدت على ذلك المعدن، فقد ذُكرَ أن النحاس كان يستخرج من رداع والبيضاء ويريم وذمار وإب<sup>(١)</sup> . كما وجد هذا المعدن في خولان وبلاد حجة وأنس وبين القاعدة وتعز وغيرها<sup>(٢)</sup> .

ولذلك فإن معدن النحاس كان يستخدم في صنع الصدريات والأباريق الى جانب وسائل الإضاءة المعدنية، مثل: الشماعة والفوانيس والقنائر بالإضافة الى المباحر والمسارج<sup>(٣)</sup>؛ كما استخدم في صناعة الأواني والأطباق، وكذا في تزيين قصور وبيوت الملوك والأمراء .

كما وجد في اليمن معدنا الكبريت والفحم الحجري، حيث لعبا دوراً فاعلاً في الصناعات المعدنية السالفة الذكر، وبخاصة في صناعة الحديد والنحاس، فقد كان يستخرج الكبريت من ذمار التي يقال أن أرضها كبريتية ومنها يجلب الى سائر أنحاء اليمن<sup>(٤)</sup>، أما الفحم الحجري فقد وجد بكثرة في الجنوب من صنعاء حتى أنه يبدو على السطح في منحدرات الجبال، ووجد أيضاً في مدينة إب<sup>(٥)</sup> .

ولا ريب أن هناك الكثير من المعادن التي وجدت في اليمن ودخلت في الاستخدامات الصناعية المختلفة ، فهناك معدن الملح، وأشهره في الصليف، والذي يحوي نسبة كبيرة ومرتفعة من كلوريد الصوديوم، تجعله في مصاف أفضل المناجم في العالم<sup>(٦)</sup>، وهناك معدن الرصاص الأسود الصافي الجيد، الذي تم استخراجه من برط<sup>(٧)</sup> والذي يستعمله أهل الصنائع المعدنية المختلفة، ليتخذوا منه أصلب الفولاذ، وهو المسمى في اليمن الهندوان<sup>(٨)</sup> .

(١) خليفة، الفنون الزخرفية اليمنية، ص ١٩، الجرافي، المقتطف، ص ٥٢؛ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٨٩، ٩٣ .

(٢) انظر: الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٩٦ .

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٥٠، باسمرة، فلاة البحر، مج ٢، ص ٢٥٨٥-٢٥٨٦، ٢٥٩٤-٢٥٩٥، خليفة، الفنون الزخرفية اليمنية، ص ١٥ .

(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٩١؛ كذلك وجد الكبريت في مأرب في شعب يسمى (ذخر)، يقال إنه كلما أراد أهل تلك الناحية شيئاً من الرصاص لأشغالهم، أخذوا حطباً وأشعلوه في الموطن المذكور فيجدون الرصاص لو الكبريت تحته . الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٩٦، ٩٨ .

(٥) الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٨٩ .

(٦) أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، مط السنة المحمدية، القاهرة، ط ١، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م، ص ٢٣ والصليف: شبه جزيرة غير بعيدة كثيراً عن مدينة الحديدة . الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٩٥ .

(٧) للفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٥٣؛ وبرط: جبل مشهور من بلد همدان من بكيل وموقعه في الشرق الشمالي من صنعاء بمسافة ٢٣٢ كيلو متر . المقحفي، معجم، ص ٦٩؛ بيضاني، إيمان محمد، الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية في اليمن في صدر الإسلام، ط ١، دار الفكر العربي، مصر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص ١١٨ (٧ح) .

(٨) الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٩٧؛ ووجد معدن الرصاص الأسود بالقرب من صنعاء وعس ومارب . الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص ٩٠-٩٣، ٩٦ .

ومن المعادن التي توافرت بكثرة في اليمن، وخصوصاً بالقرب من مدينة عدن، معدن الزئبق، ودخل في العديد من الاستخدامات، وقد قال عنه الواسعي: " وفي جوار عدن، الزئبق بمقادير وافرة، وهذا المعدن مخلوط بمادة أخرى تسمى (الزنجفر)، والكل يعلم أن الزئبق يصلح لأن تتخذ منه أنواع المقاييس، كمقياس الحرارة، ومقياس الجو، وتطلى بها ظهور المرايا الى غيرها من الشئوون" (١) .

كذلك وجد في اليمن معدن الطلق الذي يدخل في العديد من الصناعات المختلفة (٢)، ومعدن الزعفران الذي يستخرج من منطقة زبيد (٣)، وفي جبال الغراس مما يلي الروضة كان يوجد معدن الألومينيوم (٤) .

## ٢- صناعة المنسوجات والملابس:

نظراً لتوافر المواد الخام لهذه الصناعة من القطن والحريير والكتان والصوف المنتجة محلياً والمستوردة من خارج اليمن لسد حاجات الناس من هذه السلع، وكذا لتوافر الأصباغ التي تصبغ بها المنسوجات، ونتيجة للعناية الفائقة من قبل حكام اليمن آنذاك، ازدهرت هذه الصناعة بشكل ملحوظ في العصر الأيوبي، ونالت مصنوعات اليمن شهرة واسعة في عواصم البلدان العربية والإسلامية حتى قبل العصر الأيوبي (٥) .

ولا شك في أن العناية بالمنسوجات والملابس من قبل ملوك وأمراء اليمن جعلت تلك الصناعة تدخل في مجال التفاخر بجودة الصنعة الى الحد الذي كان يحرص الملوك على ان تدخل ضمن قوائم التحف والهدايا (٦) التي يتم تبادلها في المناسبات المختلفة بين ملوك وأعيان الدولة وضيوفها وكذا بينهم وسلاطين الدول

(١) فرجة الهموم والحزن ، ص ٩٥-٩٦ .

(٢) حيث كان يوجد في جبال خولان ، وكحلان ، وعفان ، وهوبة من بلاد حجة ؛ والطلق : صفائح سمكة بيضاء بلون الفضة توجد بين طبقات الأحجار . الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ٩٦-٩٧ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٩٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٥ ؛ وتم إستخراج الزعفران أيضاً من مدينة صنعاء . الواسعي ، فرجة الهموم والحزن ، ص ٩٦ .

(٥) عن شهرة اليمن في صناعة المنسوجات قبل العصر الأيوبي ، انظر:

Serjeant , R . B . : Islamic Textiles , material for Ahistory to The mongle conaucest , Libraire Du Liban , peirut , Lebanon , ١٩٧٢ p. ١٢٣ - ١٢٦.

(٦) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٩٩ ؛ ابن حاتم . السمط الغالي ، ص ٧٨ ، ١٢٧ .



المجاورة لليمن، فقد أهدى الملك طغتكين كسوة جليلة للسلطان حاتم بن أسعد الياامي<sup>(١)</sup>، وبعث أمير صنعاء الأيوبي الجزري بكسوة عظيمة للإمام عبدالله بن حمزة<sup>(٢)</sup>، وكذا كسوة أرسلها الأمير الأيوبي وردسار هدية منه للإمام عبدالله بن حمزة<sup>(٣)</sup>، أما الملك المسعود الأيوبي فقد حمل معه عند خروجه إلى الديار المصرية العديد من الهدايا، أشار الخزرجي إلى أن بعضها كان عدداً من الصناديق الموسقة بفاخر الأقمشة والملبوس<sup>(٤)</sup>.

وفي ضوء ذلك يمكن القول إن اليمن اشتهرت بصناعة أنواع الملابس، مثل: الوصائل والوشى، وأقيمت دارين للطراز: إحداهما دار الطراز الخاصة، وهي المصانع الحكومية التي خصصت لصناعة طرز من المنسوجات الخاصة بملوك البلاد ومن يلوذ بهم من الأمراء والحاشية ورجال البلاط، والثانية دار الطراز العامة التي زخرت بها العديد من المدن اليمنية المختلفة، لسد حاجة أهل البلاد من المنسوجات المختلفة، وقد اشتهرت صنعاء بالبز والثياب المقدرات السعيدية، فضلاً عن البرود والأردية والعمائم وغيرها<sup>(٥)</sup>؛ والراجع ان المصانع الأهلية كانت تعمل تحت رقابة وإشراف الدولة .

وقد اشتهرت مسميات هذه المنسوجات بأسماء المناطق التي صنعت بها، واسم الأمر بصناعة قطعة النسيج، وسنة الصنع، وذلك بالخط الكوفي المورق والمزهر<sup>(٦)</sup>، وأهم الصناعات النسيجية في اليمن مايلي:

#### أ - المنسوجات الحريرية :

كثيرة هي المنسوجات الحريرية التي تم إستخدامها في مجالات شتى وذاع صيتها في العصر الأيوبي، واشتهرت بصناعتها مدن معينة فاختصت حجة بصناعة

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .

(٢) وذلك سنة ٥٩٨ هـ . ابن حاتم السمط الغالي ، ص ٨٧ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٣) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

(٤) العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٤٧ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٩٠ ؛ ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٣٦ ؛ كما كانت عملية

غزل الملابس مستخدمة وممارسة أيضاً في أوساط النساء في منازلهن . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٠ .

(٦) خليفة ، ربيع حامد ، " مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء ، دراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر

الإسلامي " ، مجلة الإكليل ، العدد (٢) ، صنعاء ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٦-٤٧ .

البرود<sup>(١)</sup>، كما اشتهرت الشوافية بصناعة فرش العباءات الملونة النفيسة والعجبية التي تستخدم للراحة<sup>(٢)</sup>، كذلك اشتهرت زبيد بصناعة عدد آخر من المنسوجات الحريرية، منها: شقق الحرير الأبيض التي كانت طول الشقة منها يبلغ عشرين ذراعاً، ومنها البيرم، ويبلغ طول الشقة منه ستة أذرع، ومن شقق الحرير الزبيدية أيضاً السباعية، وهي نوع من الأردنية يبلغ طول الواحدة سبعة أذرع في عرض أربعة أذرع، وهي صنفان: أحدهما من الحرير الخالص، والثاني مشروك، أي خليط من الحرير والكتان<sup>(٣)</sup>.

#### ب - الثياب :

قامت العديد من دور الطراز باليمن بإنتاج أنواع الثياب القطنية، فمنها الثياب البيضاء في السحول، والتي عرفت بالثياب السحولية<sup>(٤)</sup>، كما عرفت صعدة بدورها إنتاج الثياب الحريرية والقطنية من البرود وغيرها وكان لباس أهلها منهما<sup>(٥)</sup>، وصنعت الثياب في المعافر، وعرفت باسم الثياب المعافرية<sup>(٦)</sup>، وفي تزيد وعرفت بالثياب التزيدية، وكانت تتميز بأنها تزدان بخطوط عديدة ملونة لا سيما الخطوط الحمراء<sup>(٧)</sup>؛ وهناك الثياب العدنية، نسبة إلى مدينة عدن<sup>(٨)</sup>، ومن أشهرها الشروب، وهي منسوجات كتانية رقيقة تدخل في لحمتها خيوط الذهب، وبلغ من رقعتها ونعومتها

(١) ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ٢، ج ٣، ص ٤٧٩.

(٢) الهمداني، صفة، ص ٣٦٣؛ فقد أحتوى دار الناصر الأيوبي في صنعاء على الكثير من الأثاث والفرش واليساط. ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٥٣.

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ٨٩، ١٤١؛ الحبشي، عبدالله محمد، جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني، مجلة الكلمة، العدد (٥١-٥٢)، صنعاء، ١٩٧٩م، ص ١٠٢؛ انظر: العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٩٣؛ ١٣٠، p. cit, op. serjeant.

(٤) وهي الثياب التي كُنْ بها الرسول (ﷺ)، حيث قيل أنه كفن بثلاثة أثواب قطنية بيضاء من عمل السحول، وقيل في ثوبين كما كفن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في ثوبين سحوليين، وهذا يعزز من شهرة سحول منذ القدم في صناعة المنسوجات وعلى الأخص القطنية. انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ١٧٥؛ ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، ص ٢٢، ٢٩؛ الجندي، السلوك، ج ١، ص ٤١٣؛ ١٢٧، p. cit, op. serjeant.

(٥) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٠٦.

(٦) Serjeant, op. cit, p. ١٣٢؛ واشتهرت عنس بالحياكة وإنتاج الثياب ذي الألوان الصفراء والبيضاء. ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٧٧.

(٧) الهمداني، الإكليل، ج ١، ص ١٨٩؛ محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الإسلامي، ص ٢٠٧.

(٨) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٣٥، ٢٥٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٨.

لملمسها أن اليمنيين كانوا يفضلونها على القصب<sup>(١)</sup>، وصنعت الثياب في ظفار الحبوضي، وهي ماسمي بالثوب الظفاري، وهي ثياب فائقة الجودة من الحرير والقطن والكتان<sup>(٢)</sup>.

واشتهرت أحم (بلدة قريبة من تعز لعلها ماتعرف اليوم بـ : دحيم) بصناعة الثياب الأتحمية المنسوبة إليها<sup>(٣)</sup>، وأنتجت مصانع زبيد العديد من الأقمشة التي كان يدخل في نسيجها القطن والكتان، ومنها الملايات أو الملايا<sup>(٤)</sup>؛ واشتهرت حضرموت بصناعة أنواع مختلفة من الثياب<sup>(٥)</sup>، واختصت حراز (إحدى قرى المعافر) بصنع الثياب الحرازية التي عرفت بـ: ثياب التجاوز، أي الشريحة المطرزة بألوان الصباغات<sup>(٦)</sup>.

### ج - البرود :

تعد البرود من أشهر أنسجة اليمن، وكانت تصدر الى بقية أقاليم الجزيرة العربية وغيرها<sup>(٧)</sup>، وقد ورد عند ابن دعثم ما يدل على وجود هذه الصناعة في المناطق الزيدية، خصوصاً في منطقة حجة، حيث أهدى الإمام أربعة أبراد حريرية من أبراد حجة للأمير الأيوبي محمد بن كز اليرقشي<sup>(٨)</sup>، وهذا يؤكد ان حجة اشتهرت بصناعة مثل هذه الأبراد الثمينة، والتي لولا جودتها وإتقانها لما أهداها الإمام الى هذا الأمير، كما أن ذلك لا يمنع وجود مثل هذه الصناعة في مناطق أخرى تابعة للدولة الزيدية التي عاصرت الوجود الأيوبي، وإن لم تكن بجودة أبراد حجة ؛ بل لقد وجدت تلك الصناعة النسيجية في أغلب مناطق اليمن، فقد عرفت عدن والمعافر وشرعب صناعة البرود، وما يزال يهود شرعب يحتكرون صناعة هذه

serjeant , op . cit , p . ١٢٩

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٦ ؛

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ٢ ، ص ١٩٨-١٩٩ ؛ وانظر: ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤١، حيث أشار الى تحصيل ربع دينار وجائز ضريبة على كل ثوب ظفاري يخرج من فرضة عدن ؛ cf . also , serjeant , op . cit , p . ١٣٠

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ١٢٦ ، و(ح ٢) ؛ الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٥ ، (ح ٤) ؛

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ ؛ الحديثي ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص ٥٥ .

(٦) حرازة : تقع في عزلة أيفوع المجاورة للأحمر . انظر: الهمداني ، صفة ، ص ٢٠٩ ، و(ح ١) .

(٧) السيف ، الصناعة في اليمن ، ص ١٣٣ ؛ الشمري ، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ، ص ٣٨٨ .

(٨) السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ .

البرود حتى العصر الراهن<sup>(١)</sup>، وذاع صيت زبيد في صناعة المنسوجات الحريرية، التي عرفت باسم القماش الزبيدي<sup>(٢)</sup>، إلا أن جودة صناعتها ظهرت في طرازها بالبرد، حيث يصنع بها البردة التي يصل طول الواحدة منها ثمانية أذرع باليد، وتعد للتصدير ويوسق حمل الجمل الواحد بما يقدر عدده بـ ١٢٢ برءاً، ويخرج من زبيد إلى الشحر حيث يباع بأسواقها<sup>(٣)</sup>.

وكانت تنسج في رمع البرود الجياد، ومن البرود الأخرى التي كانت تنسج في اليمن البرود السحولية وخاصة الموشاة<sup>(٤)</sup>، والقديمة، والسعدية، والنجرانية<sup>(٥)</sup>، واشتهرت مدينة الجند بالعصب الذي كان يعد من البرود الثمينة<sup>(٦)</sup>.

إن العناية الفائقة في مجال صناعة المنسوجات والملابس المذكورة أدى إلى ظهور أنواع أخرى من الثياب القطنية والكتانية، ومنها الفوط، وأشهرها ما يعرف باسم السوسى، والتي يشدون بها بعض أهل ظفار أوساطهم بدلاً عن السروال (البنطلون)، والبعض منهم يجعلونها فوق ظهورهم لتقيهم من حر الشمس، وهذه الفوط يتم صناعتها من القطن الوارد من الهند<sup>(٧)</sup>.

ومن المصنوعات العمائم<sup>(٨)</sup>، وكذلك الحبرات، وهي من الألبسة الخارجية للرجال، وتصنع من نسيج القطن<sup>(٩)</sup> ووجد في اليمن الزبي الخاص بأهل البادية، وتمثله

(١) انظر: السويدي البغدادي، أبو الفور محمد أمين، مبانك الذهب في معرفة قبائل العرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٤٦٥؛ serjeant op. cit., p. ١٣٢؛ وشرعياً: ناحية معروفة بالشمال الغربي من تعز بمسافة ٤٠ كم، المقحفى، معجم، ص ٣٥٠.

(٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ١٨٤؛ إسماعيل الأكوع، البلدان اليمنية، ص ١٦٥، serjeant, op. cit., p. ١٣٢.

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ٨٩؛ العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٩٣.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٨؛ الحميري، محمد عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٧٦، ٢٠٨؛ serjeant, islamic, p. ١٢٧.

(٥) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٣٩.

(٦) السيف، الصناعة في اليمن، ص ١٤٠.

(٧) ابن بطوطة، الرحلة، ج ٢، ١٩٨-١٩٩؛ ابن المجاور، المستبصر، ص ٨٩.

(٨) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ١١٢؛ وهناك الأحواك (الملاحف أو المعاوز) وهي من المنسوجات اليدوية التي تصنع من القطن والكتان، ولونها أبيض، تقوم النساء على غزل خيوطه ونسجه بطرق خاصة يتقنها. انظر: ابن

المجاور، المستبصر، ص ١٤١، ٢٥٦؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١، ص ٦٠.

(٩) السيف، الصناعة في اليمن، ص ١٣٩.

الثياب التي لم تدخل عليها ألوان الصباغات المختلفة، كما عرفت صنعا وظفار الثياب المقدرات الحريرية المسماة الفتوح والتي كانت ترتديها النساء في تلك الجهات وكانت تتشكل في ألوان عديدة تضيف عليها ألقا ورونقا خاصا بها<sup>(١)</sup> .

ومهما يكن من أمر فقد اهتم ملوك وأمراء اليمن في عصر الدولة الأيوبية بتصنيع المنسوجات والملابس المختلفة وبخاصة مقدرات الحرير لتفضيلهم لبس أريدته عن غيره من المنسوجات الأخرى، وكانوا يفضلون أن تكون خلعتهم وهداياهم للمقربين والمفضلين عندهم مصنوعة من الحرير<sup>(٢)</sup> .

### ٣ - الصباغة والزخرفة :

لقد استلزمت صناعة المنسوجات والملابس المختلفة قيام صناعة صباغة تلك الملابس بعد نسجها أو بعد خياطتها، وأحيانا يصبغ الغزل قبل نسجه، واستخدم العاملون بالصباغة<sup>(٣)</sup>، وهم الذين يطلق عليهم أسم الصباغين ألوانا مختلفة، مثل: اللون الفاتح، والأبيض، والأصفر الفاتح، والأزرق وغيرها .

وكانت الأصباغ في الغالب نباتية ، يتم استخراجها من بعض الأشجار، ولم يقتصر استخدامها في الصناعات النسيجية المختلفة، بل تعدا استخدامها الى تلوين الأواني الفخارية، وفي تزيين المرأة، وتلوين المرايا، وحتى كانت الأصباغ تخطط بالطور لإضفاء رائحة عطرية على الملابس<sup>(٤)</sup> . ولما كانت الأصباغ في معظمها نباتية، فإن أشهر أنواع النباتات التي اعتمد عليها النساجون في الصباغة والتلوين مايلي:

### أ- الورد :

وقد كانت مناطق زراعته في وادي الجنات بالقرب من تعز، وكذا في وادي

(١) انظر: ابن الجاور ، المستبصر ، ص ١٨٩، ١٩٢، ٢٥٣ ؛ serjeant ، op . cit ، p . ١٣٠ ؛ كما وجد في اليمن نوع من القماش يسمى الروسي (نسبة الى قرية الروس بالقرب من صنعاء جنوباً) وكان يصنع من الكتان ، بامزومة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١، ص ٦٥ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٦٨، ٨١ ؛ حسن إبراهيم حسن ، اليمن البلاد السعيدة ، ص ١٦١ .

(٣) انظر : بيضاني ، الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية ، ص ٩٢ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ٢٠٢ .

شيعان<sup>(١)</sup> موضع الورس النفيس، حيث ينبت فيه بكثرة، والورس أنواع، منه: الحبشي لونه المائل للسواد، والأحمر الذي يتميز بجودته في الصباغة، والذي وصفه ابن حوقل بقوله: "وفيها (أي في اليمن) ينبت الورس وهو نبات أحمر في معنى الزعفران يباع منوان بدينار فيصبغ به"<sup>(٢)</sup>، وقال عنه الإدريسي: "والورس نبات يشبه الزعفران تصبغ به الثياب"<sup>(٣)</sup>، أما اللون الأصفر فهو الذي كان ربما يصدر منه إلى الخارج، فقد ذكر ابن المجاور أن جمال اليمن التي تحمل الورس من اليمن إلى عمان تصفر ألوانها بتأثير الأحمال التي تحملها<sup>(٤)</sup>.

### ب - الفوة :

وهو نبات كان يستخرج منه اللون الأحمر الذي يدخل في صباغة الحرير والصوف<sup>(٥)</sup>، وقد انتشرت زراعته بشكل واسع في اليمن في آخريات العصر الأيوبي، حيث زرعت جميع الأراضي الجبلية في اليمن بالفوة سنة ٦١٥م، فأقبل على زراعته جميع فئات المجتمع من الخدم والنساء والمشائخ وأهل اليسار، وراجت تجارته بكثرة في مدينة عدن، يدلنا على ذلك ما أورده ابن المجاور عن مقدار الضريبة المحصلة على تجارة الفوة الصادرة من ثغر عدن كل سنة، حيث بلغت مائة وخمسين ألف دينار<sup>(٦)</sup>، وبلغت ضريبة البهار الواحد من الفوة في عهد المعز إسماعيل بن طغتكين ١٢ ديناراً، وكانت قبل عهده تتراوح بين دينارين وثلاثة دنانير، مما يشير إلى شدة الإقبال على شرائها، ومن ثم زادت الضرائب المفروضة عليها استغلالاً لحاجة الناس إليها ورواج تجارتها، وضعف زراعات المحاصيل الأخرى، وهو الأمر الذي جعل الملك المسعود الأيوبي يقدم على مصادرة جميع كميات الفوة باليمن سنة ٦٢٤هـ<sup>(٧)</sup>، فتضاءلت من ذلك الوقت الكميات المعروضة

(١) شيعان : وادي مشهور ، وهو في سنجان جنوب صنعاء . الهمداني ، صفة ، ص ١٠٤-١٠٥ ، (ح ٢) .

(٢) صورة الأرض ، ص ٣٧ .

(٣) نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(٤) المستبصر ، ص ٧٩ ؛ خليفة ، الفنون الزخرفية اليمنية ، ص ٨٥ .

(٥) الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٣٧١-٣٧٢ .

(٦) المستبصر ، ص ١٤٤-١٤٥ .

(٧) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠-١٤٧ ، ١٧٤-١٧٥ .

بأسواق اليمن، وهذا يثبت يقيناً بأن زراعة الفوة اقتصر على تلبية الحاجة التي تتطلبها مصانع النسيج المحلية أو داخلياً ولم يتم تصديرها بعد ذلك الى الخارج .

### ج - النيلة :

نبات استخرج منه لون ذو زرقة، استخدمه الصانع اليمني في صباغة المنسوجات والملابس المتنوعة<sup>(١)</sup>، ولجودة صباغته في القطع النسيجية العديدة، فمن المحتمل أن أهل اليمن كانوا يفضلون تلك القطع ويقبلون على شرائها، ولأنها مرغوبة فقد كانت المنسوجات المصبوغة بلون ذلك النبات تستهلك محلياً، وفي حالة تصديره الى خارج اليمن، فإن الأيوبيين كانوا يفرضون على القطعة الواحدة منه عند خروجه من فرضة عدن ضريبة مقدارها ٤ دنانير ونصف دينار<sup>(٢)</sup> .

لم تقتصر صناعة الصباغة والزخرفة على ماتم استخراجها من ألوان النباتات المذكورة، بل تم استخراج ألوان عديدة من نباتات أخرى، فمثلاً: الزاج<sup>(٣)</sup> بألوانه المختلفة كان صانعوا الثياب في حضرموت يستخدمون مادته في صباغة الثياب، وبخاصة النسائية، فتظهر مادته على تلك المنسوجات أو الثياب وتشكل لوناً عجيباً<sup>(٤)</sup> . كذلك استخرج من نبات العُصب<sup>(٥)</sup> صبغ أحمر استخدم في صباغة البرود، وصبغ أحمر أيضاً من نبات العُصفر استعمله الصناع في تلوين المنسوجات الحريرية وغيرها<sup>(٦)</sup> . ومن شجرة دم الأخوين المتواجدة بكثرة في جزيرة سقطرى وكذا بالقرب من عدن عند قرية الجحفة تم استخراج صبغ كلون الدم، وكان يوزع على شكل عصيات بين الخياطين، واستخدم بكثرة في صبغ الثياب وتلوين الأواني الفخارية، حيث كان يتم استخلاص المادة الصابغة منه من سيقان الأشجار

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٨ ؛ وعن كيفية استخراج المادة ذو اللون الأزرق من نبات النيلة ، انظر: الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٥٣١-٥٣٢ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠ ؛ وانظر : خليفة ، مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء ، ص ٥٠ .

(٣) الزاج : هو مادة صبغية على عدة ألوان منها الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر ويعرف بالمصري ، وله استعمالات طبية عديدة بالإضافة الى دخوله في صباغة الثياب . الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ١٩٢-١٩٣ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٥٣ .

(٥) العُصب : نبات شبيه بنبات الورم ، ويعرف بأسم نبات الصباغة . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٧ .

(٦) الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٣٢٧ .

عن طريق شقها بالسكين، فتخرج على شكل مادة لزجة حمراء تتجمد في فصوص داكنة هشة يطحنها الأهالي ويستخدمونها في الصباغة وأحياناً في التداوي<sup>(١)</sup> .

بقي لنا الإشارة هنا إلى أن النساجين قد استخدموا طرق صناعية عديدة لإنتاج

الثياب والملبوسات المطرزة والمزخرفة بألوان عدة، وأهم هذه الطرق مايلي:

١- **طريقة الطبع**: وهي طريقة تتم بواسطة القالب، فعادة ماتحفر الزخارف محل هذه القوالب حفراً بارزاً وغائراً، ثم تغمس هذه القوالب في الأصباغ أو ماء الذهب ويختتم بها على المنسوجات<sup>(٢)</sup> .

٢- **طريقة الوصائل**: وتعد من أبرز الطرق في صناعة المنسوجات ، والتي كانت تتم عن طريق حجز أجزاء من خيوط الغزل البيضاء وبواسطة مادة عازلة بحيث إذا غمست هذه الخيوط في الأصباغ أخذت الأجزاء الظاهرة لون الصبغة المطلوبة، فإذا جفت وكشفت الأجزاء المحفوظة بعد ذلك ظلت بيضاء<sup>(٣)</sup> .

٣- **طريقة التطريز**: وهي طريقة يتم بها زخرفة المنسوجات والملابس بخيوط ثمينة من الحرير والذهب والفضة<sup>(٤)</sup> .

٤- **طريقة الخلع والدوامه**: وهي طريقة زخرفية تتم بأسلوبين: الأول يكون العمل الزخرفي منسوجاً على الثوب عند نساجته أي أنه يكون منه، والثاني يتم العمل الزخرفي بعد الانتهاء من نساجة الثوب، وهي أن يؤتى بقطعة أخرى ويعمل منها العمل الزخرفي ثم تلتصق بالثوب<sup>(٥)</sup>، كذلك كانت تتم زخرفة المنسوجات والملابس بواسطة أسلوب التخریم .

#### ٤- الصناعات الجلدية :

لليمن شهرة واسعة في مجال دباغة الجلود والصناعات الجلدية، وقد عُرفت بجودتها العالية وشهرتها العالمية، وذلك نظراً للطافة الجو في بعض المناطق اليمنية

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٠٢ .

(٢) نور المعارف ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ، (ح ١٩٨٣) .

(٣) خليفة ، الفنون الزخرفية اليمنية ، ص ١٦٦-١٦٧ ؛ مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء ، ص ٤٩ .

(٤) نور للمعارف ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٥) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٨٦ .



ولوفرة الثروة الحيوانية بها ولكثرة نبات القرظ<sup>(١)</sup> الذي يستخدم أوراقه وحبه لدباغة الجلود، والذي كان ينمو في أغلب مناطق اليمن، لا سيما في مناطق خولان وصعدة وجرش<sup>(٢)</sup> وعدن ونجران<sup>(٣)</sup>، وقد استغل اليمنيون تلك الثروة الحيوانية وانتجوا أنواعاً متعددة من جلود البقر والماعز والحمير والإبل والأغنام وقاموا بدبغها، وبذلك ازدهرت صناعة الأدم أي دباغة الجلود في عصر الدولة الأيوبية، ونظراً للحاجة كانت معامل دباغة الجلود (المدايع) تستورد الأدم من مكة وعمان ونجران وكرمان وفارس، وتقوم بدباغتها وتنظيفها ثم تعيد تصدير بعضها إلى العراق وخراسان وكرمان وما وراء النهر وخوارزم<sup>(٤)</sup>، والبعض الآخر قامت عليه الصناعات الجلدية المختلفة، مثل صناعة الأحذية والنعال والسروج والدروع وأدم الكتابة والأحزمة والدلي (الدلو التي بها يتم استخراج المياه من الآبار) والقرب لحفظ الماء، كذلك استخدمت الجلود، وبخاصة جلود الأبقار، في صناعة تجليد الكتب<sup>(٥)</sup>، وقد كانت الإنطاع<sup>(٦)</sup> ذات الأشكال والمقاييس والجودة المختلفة والاستخدامات المتعددة، أهم تلك المصنوعات الجلدية .

ومن أهم مراكز دبغ الجلود والصناعات الجلدية في اليمن منطقة صعدة، حيث انتشرت فيها مدايع الجلود وكانت تستعمل نبات القرظ في الدباغة<sup>(٧)</sup>، وتتنوع انتاجها من المصنوعات الجلدية كالنعال والإنطاع، وكذلك عُرِفَت صنعا بإنتاج النعال

(١) القرظ : شجرة لها سيقان غليظة أوراقها صفراء ، وله حب يدبغ ويتداوى به ويستخرج منه أصباغ يصبغ بها الأدم ، ويطحن القرظ بطواحين ضخمة . للمزيد عن القرظ واستعمالاته انظر : الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٣٨٣-٣٨٤ .

(٢) جُرَش : بلدة خارية شمال نجران . إسماعيل الأكوخ ، البلدان اليمنية ، ص ٧٥ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٢ ؛ حسن إبراهيم حسن ، اليمن البلاد السعيدة ، ص ١٦١ ؛ السيف ، الصناعة في اليمن ، ص ١٤٣ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٧-٩٨ ؛ كما تم استيراد جلود النمر من جزيرة دهلك . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٢ .

(٥) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ١١٠ ، ١١٢ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ ؛ الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٩٢ .

(٦) الإنطاع : مفرد لها نطع ، وهو البساط المتخذ من الأديم أو الجلد . الزبيدي ، تاج العروس ، مج ٦ ، مادة (سرداق) ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص ٩١١ .

(٧) الهمداني ، صفة ، ص ٩٨-٩٩ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٦٨ .

المشعرة والإنطاع (البساط) والبرود الغالية الثمن<sup>(١)</sup>، ووجدت أيضاً مراكز لدباغة الجلود في كل من عدن ونجران وجرش<sup>(٢)</sup>، وقد كانت الدباغة العمل الوحيد لأكثر القبائل في اليمن، فقد تعلموها من الزنوج الذين نبغوا في صناعة الأديم<sup>(٣)</sup> .

ويشير المؤرخون الى أن منطقة زبيد كانت مزودة بعدد من مدابغ الجلود، واستخدم الدابغ طواحين القرظ كوسيلة ميكانيكية لصناعة الجلود، ويبدو أن صناعة هذه المدينة انتعشت وراجت في أواخر العصر الأيوبي، كذلك استخدم الصانع اليمني في المصنوعات الجلدية أساليب زخرفية رائعة، فقد كان يزينها بالحرير والذهب والفضة<sup>(٤)</sup>، وكانت الدولة في العصر الأيوبي تتقاضى على معامل الدباغة المذكورة رسماً ثابتاً مقداره ثلاثة عشر ألف دينار سنوياً<sup>(٥)</sup> .

وفي ضوء ذلك يمكن القول إن المهارة الفائقة لدى الصانع اليمني في حياكة المنسوجات والملابس المنتجة داخل اليمن أو المستوردة من الخارج، وكذا براعته في استعمال الصباغة والألوان في تلك المنسوجات، هي التي كان لها دور في شهرة اليمن بصناعاتها النسيجية الرائعة وألوانها وزخارفها البديعة .

#### ٥- الصناعات الفخارية والخرفية :

تعد هذه الصناعة من الصناعات الشعبية، وقد كانت لها مراكز في اليمن، حيث اشتهرت مدينة زبيد بصناعة الفخار، والأواني الفخارية، وبلغت شهرة الفخار الزبيدي مبلغاً كبيراً وبخاصة في أواخر العصر الأيوبي وبداية العصر الرسولي، وكانت الأواني والصحون المصنوعة من الفخار الزبيدي كثيرة في اليمن — ويستخدمها الخاصة والعامة، مما يشير إلى تقدم مثل هذه الصناعة ورقياً

(١) ابن رسته ، الأعلام النفيسة ، ج ٧ ، ص ١١٢ ؛ ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٩٧ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، ١٥١ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٤٣ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٠-٤٢ .

(٣) أنم منر ، الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٣٢-٣٣٣ .

(٤) نور المعارف ، ج ١ ، ص ١-١٣ ؛ الشجاع ، زبيد بأقلام الرحالة ، ص ٢٦٧ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ ؛ انظر أيضاً : المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٨ .

في البلاد، ومما ساعد على تقدمها وفرة المادة الخام اللازمة لها مثل الرصاص، وشيوع استخدام التجار لهذه الأنية الفخارية، حيث كانوا يستخدمونها عوضاً عن الورق في الوقت الحالي، فيضعون في هذه الأنية ما يبيعونه ويأخذ عملاؤهم ما يشترونه فيها بدلاً من الورق<sup>(١)</sup> .

ومن أهم المراكز لتلك الصناعة منطقة حراز التي صنعت الخزف، حيث أنتجت أطباقاً خزفية راقية عُرفت بالأطباق الحرازية<sup>(٢)</sup>، ووجدت صناعة الفخار والخزف في ذي جبلة<sup>(٣)</sup>، وصنعاء<sup>(٤)</sup>، وعُرفت مدينة عدن صناعة الفخار والخزف<sup>(٥)</sup>، ومن مراكز صناعته حيس<sup>(٦)</sup>، وقد ازدهرت فيها صناعة الخزف في العصر الأيوبي، وكان يتميز خزف حيس بالزخارف المنقطة والمستديرة والمغطاة بطبقة من الطلاء الزجاجي الأخضر اللون، وتميزت حيس أيضاً بإنتاج نوع من الخزف يتخذ شكل الكؤوس الصغيرة المنفردة في شكلها، ونفذت زخارفها بطريقة الحز على بطاقات ملونه<sup>(٧)</sup>، وانتشرت صناعة الخزف في الدمينية الواقعة على الطريق بين نعر وزبيد<sup>(٨)</sup> .

(١) حماد، مظاهر الحضارة في اليمن، ص ٣٢٩؛ وقد كانت للمنتجات الزبيدية الفخارية والخزفية شهرة كبيرة وخاصة أنها كانت تستخدم في الموائد الملكية والاستعمالات المنزلية بشكل ملفت للنظر. الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ٢٤١؛ الشجاع، زبيد بأقلام الرحالة، ص ٢٦٧ .

(٢) الهمداني، صفة، ص ٢٠٩؛ حراز: قرية تقع غرب مدينة صنعاء بنحو بضعة وستين كيلو متر؛ وعن الأطباق الحرازية راجع: إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ٩١ .

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٦٨؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٨٧، و(ح ١)؛ حتى قيل إن اسم جبلة ينسب إلى رجل يهودي كان يصنع في ذلك المكان الفخار. عمارة، المغيد، ص ١١٤ .

(٤) وقد كانت المصنوعات الفخارية والخزفية في صنعاء ذات جودة عالية وتتميز بلمعان بريقتها. نور المعارف، ج ١، ص ٢٥٤ .

(٥) وقد كان للخزف في عدن سوقاً مخصصة عُرفت بسوق الخزف. ابن المجاور، المستبصر، ص ١٣٢؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١، ص ٥٢ .

(٦) الهمداني، الإكليل، ج ١، ص ٢٧٤؛ إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ١٠٧، و(ح ٤)؛ حيس: مدينة جنوب زبيد بمسافة ٢٣٥ كم، وتقع على الضفة الجنوبية لوادي نخلة. انظر: الحصري، تهامة في التاريخ، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ١٠٧، و(ح ٤) .

(٧) انظر: خليفة، الفنون الخزفية في اليمن، ص ٢١٠؛ ولا زالت حيس تمارس صناعاتها الفخارية والخزفية حتى الوقت الحاضر. الحداد، مدينة حيس، ص ٥٨ .

(٨) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٣٣ .

وقد زخرفت الأواني الفخارية والخزفية بألوان عدة، منها اللون الأحمر الذي يتم استخراجها من شجرة دم الأخوين؛ وقد كان صناع الفخار يستخدمون طرق راقية تتمثل في استعمال مادة الرصاص مما جعلها ذات بريق ولمعان، فضلاً عن زخرفة الجدار الخارجي للوعاء على شكل خطوط دائرية بعضها تحت بعض، وكل خط يحتوي على عدد كبير من المثلثات على هيئة أسنان المنشار، أو نتوءات بينها فواصل تبدأ من أسفل عنق الوعاء وتخترق جسمه لتصل إلى قرب قاعدته الدائرية<sup>(١)</sup>.

وقد كانت الأواني الخزفية تطلّى بألوان مختلفة، ويتم رسم العناصر الخزفية في الأواني الخزفية من تلك الألوان، وتعد الزخارف الكتابية أهم العناصر الخزفية في هذه المصنوعات، التي وجدت بكثرة في العصر الأيوبي، حيث كانت تحدد بواسطة الحز ثم تلون، وتعددت طرق استعمال الألوان في تلك المصنوعات وبالذات في أشهر مناطق إنتاج الخزف في تهامة لا سيما في زبيد والمناطق المحيطة بها<sup>(٢)</sup>.

## ٦- الصناعات الزجاجية :

كانت هذه الصناعات مستحدثة وموجودة في العصر الأيوبي، وقد وردت بعض النصوص التاريخية التي تشير إلى معرفة أهل اليمن بفنون صناعة الزجاج، وخير دليل على ذلك أن ابن المجاور قد أشار في سياق حديثه عن منطقة لخبه (بئر أحمد حالياً) الواقعة بظاهر مدينة عدن، والتي قام بتأسيسها الأمير عثمان الزنجيلي النائب الأيوبي على عدن، أشار إلى وجود معامل الزجاج بها، وكان ينقل منها إلى عدن<sup>(٣)</sup>، ثم يصنع ويبيع في أسواقها، كذلك وجدت معامل الزجاج في مخلاف لحج في منطقة تعرف بالمجاهيل<sup>(٤)</sup>.

ويرى بعض الباحثين<sup>(٥)</sup> أن وجود الصناعات الزجاجية في اليمن جاء نتيجة

(١) نور المعارف، ج ١، ص ٢٠٧، ٢١٢، و(ح ١٥٣٦) .

(٢) عن أنواع الخزف في زبيد واستعمالاته : انظر : خليفة ، الفنون الخزفية اليمنية ، ص ٢٠٨ - ٢١٢ .

(٣) المستبصر ، ص ١٤٨ ، بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ٢٢ ؛ الأشرف الرسولي ، فلكة الزمن ، ص ١٠٦ ؛ العبدلي ، هدية الزمن ، ص ٨ .

(٤) العبدلي ، هدية الزمن ، ص ٩ ؛ ولم أجد لمنطقة المجاهيل تعريفاً، فربما تكون هي قرية المجحفة وهي شرق الحوطة عاصمة محافظة لحج حالياً .

(٥) Lane , g ,serjeant , R.B. " pottery and Glass fragments from the Aden littoral with Historical notes " , j . R . A . S , ١٩٤٨ . p . ١٦

العلاقات التجارية التي كانت تربط بلاد اليمن بالدول الأخرى وبالذات الصين فتأثر الزجاج اليمني بالمنتجات الصينية وحاول تقليد مصنوعات ومنها الخزف الصيني ذو الشهرة العالمية، والأمر كذلك في المصنوعات الزجاجية؛ وكذلك فإن هناك إشارات واضحة من هؤلاء الباحثين تدل على إن الزجاج الخام كان من ضمن منتجات الساحل الحضرمي، ويذكر أن العرب في مدينة عدن كانوا يستخدمون أساليب لصهر الزجاج تشابه الأساليب التي يتبعها أهل الصين، وكانوا يضيفون إلى الزجاج مادة البوراكس لتطويعه أوليصب أكثر ليونه ومرونة<sup>(١)</sup>، ليسهل تشكيله، وهذا يدل على خبرة ومعرفة الصانع اليمني بطرق صناعة الزجاج .

ولم يقتصر الأمر على تقليد المصنوعات الزجاجية الصينية، فقد عثر على مجموعة محدودة من الأشكال والأساليب البسيطة في مدينة عدن، معظمها عبارة عن سوارات مزخرفة بدقة وإتقان شديدين مما يوحي بأن صناع الزجاج من أهل عدن قد تخصصوا فيها<sup>(٢)</sup>، ونجحوا في تطويع الزجاج لأشكال مختلفة أيضاً، فقد صنعوا منه الأواني المنزلية لا سيما الكيزان<sup>(٣)</sup>، والأطباق، ووسائل الإضاءة مثل المصابيح والقناديل والأوعية لحفظ الطيوب والعطور وزينة المرأة، والمرايا أو بعض الأدوات الخاصة بأغراض صناعية وطبية<sup>(٤)</sup> .

وإلى جانب هذه الصناعات الزجاجية التي أنتجتها مدينة عدن وحضرموت، وجدت في مناطق أخرى من اليمن صناعات تحمل الفن نفسه وكذلك الأسلوب والاسم، ومن تلك الصناعات الفقاعات (إناء زجاجي) وقد صنعت على وجه الخصوص في مدينة المهجم، وظهرت زخارفها على شكل فقاعات هوائية في نفس الصنعة، وهي بذلك تشبه الأساليب المصرية المستخدمة في الصناعات الزجاجية التي بدأت في الظهور منذ عصر الدولة الفاطمية<sup>(٥)</sup> .

(١) porter, v., The Art of the Rasulids (in: Yemen ٣٠٠٠ Years..., ) p . ٢٣٤

Lbid, p . ٢٣٦ (٢)

(٣) الكيزان : مفردا كوز ، وهو وعاء يستخدم للشرب .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٨ ، ٣٤٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٩٢ ؛ نور المعارف ، ج ١ ، ص ٣٠١-٣٠٩ .

(٥) نور المعارف ، ج ١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٨٠ ، و (ح ٢١٦٣) .

## ٧ - صناعة العطور والطيب :

كانت لعطور وطيب اليمن شهرة عالمية واسعة، حيث دخلت من ضمن البضائع التي كانت ترسل كهدايا فيما بين ملوك وأمراء اليمن في العصر الأيوبي<sup>(١)</sup> وبينهم وحكام وملوك الدول المجاورة، وشكلت هذه الصناعة أيضاً أهمية بالغة في المجتمع اليمني؛ لأن الكثير من أهل اليمن، وبخاصة سكان مدينة عدن، كانوا يترزقون في أقواتهم من وراء هذه الصناعة؛ وساعد على وجود هذه الصناعة كثرة وتنوع الرياحين والزهور في بلاد اليمن والدهون المستخلصة من بعض النباتات العطرية، مثل: الزعفران والصندل وشجر الكاذي المتميز برائحته النفاذ<sup>(٢)</sup>؛ بالإضافة إلى وجود العنبر الذي كان يستخرج في الشحر بحضرموت والمنطقة القريبة من باب المندب<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن من شيء فقد كانت مدينة عدن رائدة في مجال الصناعة العطرية والطيب حيث وجدت فيها أكثر من المدن الأخرى، فيذكر أن تجار البحر والبر الواصلين إلى عدن من بلدان مختلفة كانوا يحملون معهم، عند عودتهم، الطيب المعمول في عدن فيتفاحرون به في السند والهند، وفارس وروما، وبقي الحال عند أهل عدن إلى الوقت الحاضر، فيقول الأفغاني: "ما يحسن عمله إلى اليوم إلا أهل الإسلام بعدن"<sup>(٤)</sup>.

وهذه الشهرة التي اكتسبتها مدينة عدن في مجال العطور وتجاريتها زادت أكثر في العصر الأيوبي ولقيت من الاهتمام والتشجيع ما جعلها متفردة عن بقية المناطق في تلك الصناعة، ويعزز ذلك ما حدثتنا به المصادر عن العناية الفائقة التي أولاها حكام بني أيوب والتشجيع على صناعة العطور، فالملك المعز إسماعيل بن طغتكين قام ببناء قيسارية كبيرة محكمة البناء لم يوجد مثلهما من قبل، وجعل بها حوانيت أكثرها للعطارين، وأدار عليها باباً يغلق ليلاً، واستمر الاهتمام بهذه القيسارية زمناً طويلاً مما يشير إلى العناية بهذه الصناعة وما تدره تجارياً من أرباح، فتذكر المصادر أيضاً أن الملك المسعود الأيوبي، آخر حكام بني أيوب في اليمن، قد قام

(١) فقد أهدى الأمير الأيوبي وردسار إلى الإمام عبدالله بن حمزة بثياب وإلى جانبه طيب كدليل على الإحترام . ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٩٨ .

(٢) انظر : ابن الجاور ، المستنصر ، ص ٨١ ؛ الملك المظفر ، المعتمد في الأيوبية ، ص ٤٠٧ ؛ وإلى جانب ذلك وجد عند العطارين العفص : وهو شجرة لها ثمر مكر إذا نزل بالماء تحلل منه مادة سوداء وكان يزرع في مدينتي إب وجبنة . الجدي . السنوك ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .

(٣) ابن الجاور ، المستنصر ، ص ١٩٢ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ؛ باخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٤) الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٦٩ .

بتجديد عمارة القيسارية، بل وعمل إضافات وملحقات إليها، ووجدت هناك محلات للطور الخاصة بالرجال والخاصة بالنساء<sup>(١)</sup> وهذا يدل قطعياً على مدى الاهتمام، وعلى المستوى الرفيع في صناعة العطور .

#### ٨- الصناعات الخشبية والمعمارية :

##### أ) الصناعات الخشبية :

نظراً للأهمية التي تحتلها هذه الصناعة في مجال العمران، وكذا الفائدة من الأخشاب يقول ابن خلدون: "إن الله سبحانه وتعالى جعل للأدمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته، وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر، مما هو معروف لكل أحد، . . فيتخذ منها الوقود والدعائم والأوتاد للخيام، والرماح والقسي والسهام، والسقوف والأغلاق والكراسي"<sup>(٢)</sup>؛ لذلك استخدم الصانع اليمني الخشب بكثرة في العماثر والمنشآت الدينية والمدنية، فازدهرت هذه الصناعة بشكل ملفت للنظر، وساعد في ذلك الأمر وجود العديد من الغابات المليئة بالأشجار الصالحة في هذه الصناعة داخل الأرض اليمنية، وبخاصة في تهامة وحضرموت ووادي سررد وزبيد ومنطقة المرتفعات الوسطى في تعز وإب ووادي ريمة<sup>(٣)</sup>، بالإضافة إلى استيراد العديد من الأخشاب النادرة من العديد من الأقطار، وبالذات من الهند، وساعد في ذلك الأزدهار أيضاً توافر الصناع ذوي الخبرة والمهرة من الخشابين والنجارين سواء كانوا من أهل البلاد، أم من الوافدين إليها، فمن الخشب تمت صناعة الأبواب والنوافذ والمنابر والدكك والكراسي والمقاصر المختلفة والدواليب والتوابيت والحظائر، ومنه تمت أيضاً صناعة الأواني والأثاث المنزلية كالأطباق والأقداح، كما كانت تصنع منه الرحال التي توضع على ظهر البعير للركوب<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن بعض أدوات القتال مثل: الرماح والنبال والسهم

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٣٠، ٨٧؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١، ص ٤٩؛ وانظر: Goitein, letters of Medieval Jewish Trader prinston, newgerse, ١٩٧٢, p. ٢٠٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٩٤٩-٩٥٠ .

(٣) المطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي، ص ٢٠٦؛ السيف، الصناعة في اليمن، ص ١١٤٨ وقد كانت أشجار الكاكي والتألب والشوحط هي أجود الأشجار التي تستخدم في الصناعات الخشبية . ابن المجاور، المستبصر، ص ٨٧؛ الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٥٣ .

(٤) شحبة، مصطفى عبدالله، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٣٩ .

والنشاب والأقواس<sup>(١)</sup>، وكذا العديد من الأدوات الموسيقية وغيرها من المصنوعات<sup>(٢)</sup>. وقد اشتهرت المصنوعات الخشبية في اليمن بكثرة زخارفها الهندسية والنباتية وهي المعروفة بالرقش (الأرابسك) بالإضافة الى استخدام الخط الكوفي في الزخرفة والتزيين، وقد انتقل هذا الأسلوب الى باقي أنحاء الجزيرة العربية، وبخاصة الى الحجاز بحكم العلاقات التي كانت تربط اليمن بها، حيث إن أبواب عمائر ومباني الحجاز مزخرفة بالأسلوب نفسه<sup>(٣)</sup>.

ولما كان فن الصناعات الخشبية في العمارة اليمنية الدينية مزدهراً في اليمن، فإن جامع ظفار، كان غاية قصوى في كمال البناء، وروعة الزخارف، ودقة النقوش، والكتابة بالخط الكوفي المحفور على أخشاب سقفه وعلى جوانبه، والمصبوغ بألوان زاهية ثابتة، ورغم انتقال هذا الفن من اليمن الى الحجاز، إلا أن القائمين عليه في اليمن ربما اقتبسوا طراز هذا الفن في العمارة من غيرهم، وربما استقدم حكام اليمن ومنهم الإمام عبدالله بن حمزة معماريين من خارج اليمن وبالذات من العراق، لأن أثر الفن العباسي ظاهراً جلياً من طراز عمارة هذا الأثر الإسلامي الرائع، ولا سيما في مئذنته ونحت أخشاب سقفه. ففيها شبه كبير بطراز عمارة المدرسة المستنصرية في بغداد<sup>(٤)</sup>.

كذلك نستدل على رقي وازدهار صناعة الأخشاب في اليمن من خلال دراية الصانع اليمني ومعرفته بالأساليب الصناعية والزخرفية المتبعة في زخرفة الأخشاب وفن الحشوات الخشبية في العالم الإسلامي، فمنبر جامع الجند الذي يعود تاريخ صناعته الى سنة ٥٨٨هـ، يبين أن صانعه كان يمينياً يعرف بآبن النظام بن

(١) نتيجة لكثرة صناعة الأقواس من الأخشاب، فقد سلب الناصر الأيوبي ما كان للأمر بكثرة السيفي الأيوبي من الأقواس والتي بلغت أربع مائة قوس، بالإضافة الى الأثاث المصنوعة من الأخشاب. ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٥١.

(٢) عن تلك المصنوعات انظر: نور المعارف، ج ١، ص ١٧-٢٠، ٢٢-٢٤، ٢٩-٣٢، ٤٣-٤٤، ٤٦، ٤٨-٤٩، ٥٣-٥٤، ٨٦، ٩٢، ٢١٤-٢١٧، ٢٢٠-٢٢٣، ٢٢٩-٢٤٢، ٣٣١-٣٣٥.

(٣) Geoffery King g . Lewcock, R " Key Monuments of islamic Architecture inArabia". Architecture of islamic World , Michelle G., Thames and Hudson, London ١٩٧٨, p. ٢٠٩.

(٤) انظر: إسماعيل الأكرع، هجر العلم ومعاقله، ج ٣، ص ١٢٨٤-١٢٨٥.



حسين، وذلك من خلال توقيعه بنص كتابي ونقش بالخط الكوفي عُثر عليه في الخشب على حشوة مستطيلة تعلو عقد مدخل باب المقدم، يتكون النص من ثلاثة أسطر جاء فيه: " ٠٠٠ مما أمر بعمله الجنب الأجل ٠٠٠ الحسن بن علي بن الحسن العنسي في شهر المحرم أول سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ٠٠٠ عمل ابن النظام بن حسين" (١) .

### ب - الصناعة المعمارية :

شهدت اليمن في العصر الأيوبي تطوراً معمارياً ملحوظاً في مختلف أنواع العمارة، فقد كان الملوك والأمراء الأيوبيون وكذا المعاصرون لهم من وجوه اليمن وأعيانها يهتمون بإنشاء الحصون، والمدارس والدور وبترميمها، ففعلوا الكثير في مجال العمران، والذي ما تزال بعض معالمه الباقية حتى العصر الراهن شاهدة على ذلك الاهتمام الذي أولاه جميع السلاطين والأمراء والأعيان للعمران بمختلف أشكاله ومظاهره .

وفي ضوء ذلك ازدهرت الصناعة المعمارية في بلاد اليمن، وساعد على ذلك توافر الأحجار في جبال اليمن والأجر والجص (النورة) (٢) والقضاض؛ حيث تفنن الصانع اليمني من كل هذا في جميع العماير على اختلاف أنواعها، سواء كان المبنى مسجداً أم داراً أو مدرسة، أو سوقاً، واهتم البناء اليمني بتجميل الواجهات وتزيينها بإضافة اللمسات الجمالية ومظاهر الفخامة عليها، خصوصاً واجهات القصور والمنازل والجوامع، التي امتازت بزخارفها الرائعة والجميلة الهندسية والنباتية والكتابية (٣) .

وقد زودتنا العديد من المصادر عن اهتمام الفني المعماري اليمني الى الخلاصة الطبيعية للمواد المحلية السائدة في صنعاء وغيرها من المدن كالأحجار والطين والحصى، وكذلك الى تصنيع مواد أخرى كالباجور

(١) شيحة ، مدخل الى العمارة والفنون الإسلامية ، ص ١٤٦-١٤٨ ؛ وللمزيد عن وصف المنبر وزخارفه وحشواته انظر : خليفة ، توقيعات الصناع ، ص ٨٧-٨٨ .

(٢) النورة : مادة جيرية بيضاء يتم حرقها أكثر من الجص الأبيض ؛ والقضاض مادة تشبه الأسمنت . شيحة ، مدخل الى العمارة والفنون الإسلامية ، ص ٢٢ .

(٣) شيحة ، مدخل الى العمارة والفنون الإسلامية ، ص ٢٢-٢٣ .

والجص والقضاض، ومن مادة الأحجار والياجور شيدت الفنادق (الخانات) المنحوتة من الأحجار السوداء والحمراء، وزخرفت الدار السلطانية في صنعاء، والتي بناها الملك طغتكين الأيوبي سنة ٥٨٧هـ وبالع في بنائها، وزخرف غرفها بالذهب واللوان الصناعات، وجعل فيها حماماً وبركة يطلع منها الشذروان<sup>(١)</sup> .

وبمهارة الفني المعماري اليمني شيدت العمارة السكنية في أغلب مناطق اليمن إن لم يكن في جميعها، وكان بناؤها أكثر إتقاناً وأجمل هندسة، وبمواد ذات جودة عالية ومتوفرة محلياً . وبفضل جودة هذه المواد حافظت بعض العمارات على استمرار الطابع الفني والصناعة الفريدة في العمارة حتى وقتنا الحاضر .

وجامع ظفار هو نموذج الصناعة الراقية للعمارة اليمنية الدينية الأصلية، وقد ظهر عليه الحس الحضاري المتفتح، وذلك بتشكيلته الزخرفية الفريدة التي كان يزخر بها، وأعمدته التي كانت تعلوها هامات من تيجان مزخرفة بالجص، ويبدو تحت السقف مباشرة أفريز<sup>(٢)</sup> من الخشب، وينور هذا الأفريز حول الجدران الداخلية لرواق القبلة التي نقش عليها آيات قرآنية بالخطين الكوفي والثلاث .

أما مئذنة الجامع فهي من أبرز العناصر المعمارية، فتبدو وقد شيدت بالآجر على قاعدة مربعة، وتتخذ شكل عمود إسطواني تلتف حوله زخارف على شكل شعابين متقابلة الأفواه، ولقد شاع استخدام هذا العنصر في الفن السلجوقي<sup>(٣)</sup> .

وقد تحدث إسماعيل الأكوع عن جامع ظفار بقوله: " . . . وعمر [الإمام عبدالله بن حمزة] . . . جامعاً شرع في بنائه لأيام خلت من جمادى الآخرة سنة

(١) بحى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٣٧ ؛ والشذروان : نلف معرب عن الفارسية ، ورد في المراجع العربية بمعنى الزخارف والحلي والزينات المختلفة . الأزرقى ، أبو الوليد محمد بن عبدالله ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تح : رشدي صالح مفس ، مكة المكرمة ، ١٣٥٢هـ ، ص ٢٠٩ .

(٢) الإفريز : هو عبارة عن بروز أفقي في أعلى الجدار مخصص لأغراض زخرفية ، أو عنصر بارز النحت في العمارة الكلاسيكية يتوسط النضد . انظر : الريحاي ، عبدالقادر ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، مركز النشر العلمي ، جامعة الملك عبدالعزيز ، ط ١ ، جدة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٦٢١ .

(٣) السلاجقة : مجموعة من القبائل التركية التي عرفت بأسم (الغز) ، كانت تسكن الهضبة القريبة من بحيرة خوارزم ، والهضاب المحيطة بنهر سيحون وجيحون ، وقد أطلق على هذه القبائل التركية أسم السلاجقة نسبة إلى رجل منها تزعمها واسمه (سلجوق بن دقاق) ، ويبدو أنه هو الذي جمع شملها ووحدها تحت زعامته ، ثم قادها ونزل بها أرض الإسلام ، فأسلمت معه وانتسبت إليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده من بعده . للمزيد -

٦٠٢هـ، ولم يفرغ من عمل نقوشه وزخارفه إلا سنة ٦٣٨هـ على يد أخيه الأمير يحيى بن حمزة، كما هو مزبور في جداره<sup>(١)</sup> .

وعن مدينة ظفار يمكن القول إن مساجدها وأضرحتها وخزانات الماء وكل منشأتها المعمارية تعبر عن مهارة المعماري الذي صمم، ومهارة البناء الذي نفذ، ومهارة النقاش الذي زين وجمل البناء، وتعتبر في الوقت نفسه عن ثراء الدولة وازدهارها<sup>(٢)</sup> .

ومن محاسن الصدف أيضاً أن نجد أسماء بعض الماهرين والبارعين في البناء والزخرفة المعمارية في العصر الأيوبي، وذلك من خلال أعمالهم التي ظلت باقية حتى الوقت الحاضر تشهد بمدى براعتهم، وما وصلت إليه صناعتهم من تقدم آنذاك، فمنهم عبدالله بن أبي الفتوح، وهو من الجصاصين، فقد قام بصنع محراب جصي بجامع الجند يرجع تاريخه إلى سنة ٦١٨هـ، وقد سجل اسمه أعلى العمودين الذين يزينان جانبي المحراب ونصه: "فرغ من عمل هذا المحراب العبد الفقير إلى رحمة الله بن أبي الفتوح، في شهر رجب سنة ثمانى عشر وستمئة وصلى الله على محمد وآله ورضي الله عن الصحابة أجمعين"<sup>(٣)</sup> .

والشيء الجدير بالملاحظة أن تاريخ الفراغ من عمارة هذا المحراب يتفق مع ما أورده المصادر من عزم الملك المسعود الأيوبي على تجديد عمارة مسجد الجند، بعد تهدمه، فأمر بهدم العمارة الأولى، إلا أنه تعذر عليه إعادة بنائه لقلّة الماء، فلما أحدث الله المطر بعث المسعود بمال عظيم إلى الشيخ ظهير الدين علي بن عمر وأمره أن يبني المسجد بناء جيداً، ويفعل فيه ما جرت به عادة الملوك

- انظر : الزهراني، محمد بن مسفر ، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية ، ط٢ ، مط المدني ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ ، ص١٦٧-١٦٨ ؛ الناصر ، محمد حامد ، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري ، ط١ ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٥١-٥٦ .

(١) هجر العلم ومعاقله ، ج٣ ، ص١٢٨٤-١٢٨٥ .

(٢) وإلى جانب جامع ظفار وجدت العديد من الجوامع الأخرى ومنها جامع حوث الذي تدل بعض الكتابات المزبورة على لوح كان في الجدار العلوي من الجامع على أنه من عمارة الإمام عبدالله بن حمزة . إسماعيل الأكوع ، هجر العلم ومعاقله ، ج١ ، ص٤٩٣ .

(٣) خليفة ، توقيعات الصناع ، ص٨٣-٨٤ .

في المباني من التهذيب والزخرفة، وان يجعل على بابه منزلاً لطيفاً لقعوده فيه ففعل<sup>(١)</sup> .

## ٩ - صناعات أخرى :

### أ- صناعة النبيذ :

لا شك أن انتشار مزارع النخيل والكروم أو الأعناب في بلاد اليمن، كان له الأثر الكبير في قيام صناعة النبيذ<sup>(٢)</sup>، وتعدد مراكزها في مناطق مختلفة من اليمن . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل صناعة النبيذ المقصود بها الخمر المسكرة ؟ وهل كانت الخمر تصنع وتستثمر في اليمن في العصر الأيوبي ؟

والإجابة على ذلك يمكن استخلاصها من الإشارات الواردة في المصادر، والتي يفهم منها أن النبيذ بنوعيه المسكر وغير المسكر وجد في اليمن في العصر موضوع الدراسة، فأما المسكر فلم يكن ضرره كبيراً كما كان شائعاً في العصر الرسولي، وأما غير المسكر فقد كان ذا رواج وذا شهرة كبيرة . ومع أن أبسط معايير المجتمع المسلم تمنع هذا النوع من الاستثمار أو التجارة، وبما أن أكثر الصناعة من هذا المشروب غير مسكرة، فلم يجد من استثمارها مانعاً وبخاصة مع زيادة الطلب عليها؛ ولذلك وجدت الكثير من دور النبيذ الحلال، وهي دور رسمية كانت تشرف عليها الدولة، وهي تشبه دور الضرب، وفيها تعمل الأشربة من التمر والزبيب والحنطة والشعير وغير ذلك، أي أنه نبيذ لفترة قصيرة دون أن يفور ويتحول إلى مسكر . ومن ذلك فقد كان الأيوبيون حريصون على إقامة الدور المتخصصة بالمشروبات الطبيعية المحلاة بالسكر التي تباع للناس في ليلهم ونهارهم داخل المدينة للتخفيف من حرارة الجو وضراوة العطش، وشاع تناوله بكثرة في سبوت النخل عند الاحتفال بنضج التمور، ويقبل عليه عامة الناس وخاصتهم على اختلاف مشاربهم من

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٤١٧-٤١٨ ؛ وللمزيد من التفاصيل عن محراب الجند واستخدام الجصاص للزخارف النباتية في طاقية المحراب ، والكتابة النسخية في الأقاريز ، مما يتفق والأسلوب المتبع في العمائر الأيوبية ، انظر: خليفة ، توقيعات الصناع ، ص ٨٤ .

(٢) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل ، الآية رقم (٦٦) .

الرجال والنساء، ويتقبلها الضامن ويدفع عنها اثني عشر ألف دينار سنوياً، لأن الإقبال كثير على هذه المشروبات أو العصائر (جمع عصير) لحرارة الجو في زبيد وعدن<sup>(١)</sup>، لهذا كانت من مصادر الدخل للدولة في العصر الأيوبي .

أما النبيذ المسكر فمن دون شك أنه وجد أيضاً في اليمن في العصر الأيوبي وبخاصة في مدينة عدن، ويبدو أن صناعة الخمر وانتشارها في مدينة عدن ارتبطت بوجود الكثير من الأجانب وأهل الذمة من اليهود والنصارى، الذين أجادوا صناعة النبيذ، وبخاصة نبيذ الزعفران الذي لا يحتاج إلى عسل، وهو ممزوج بثمر الكاذي ذي الرائحة النفاذة، والذي كان يصدر إلى الجند وصنعاء وزبيد . وهو النبيذ الذي شربه الأتابك سيف الدين سنقر سنة ٦٠٨هـ، وأعجب بطعمه ومذاقه حين قدمه له والي عدن المعتمد محمد بن علي التكريتي في إحدى زيارات الأتابك إلى عدن<sup>(٢)</sup> .

ووجدت معاصر الخمر في أثافت ورداع<sup>(٣)</sup>، وبلاد وادعة شرقي صعدة وبعض المناطق التي كانت تابعة للأشراف الزيديين المعاصرين للأيوبيين في اليمن، فتذكر المصادر أن الأئمة خرجوا إلى تلك الأماكن لإزالة المنكرات وإراقة الخمر، ودخلوا في معارك طويلة مع شارب الخمر، واعتاد الأئمة على مهاجمة أماكن تعاطيها وتدميرها وإراقة خمرها، كما تعرض اليهود اليمنيون لكثير من المتاعب بسبب قيامهم ببيع الخمر للمسلمين<sup>(٤)</sup> .

#### ب - صناعة الحلويات :

تقدمت صناعة الحلويات في اليمن، والسبب يعود إلى وفرة السكر وعسل النحل، فتفنن أهل اليمن في صناعتها واكتسبوا شهرة في ذلك، إلى درجة أن الحلوى، وبخاصة المصنوع من الجوز، كان يدخل ضمن السلع التي يتم تصديرها من اليمن إلى الخارج، وبالذات إلى الهند . ومما ينهض دليلاً أقـسوى على

(١) ابن الجاور ، المستبصر ، ص ٧٩ ، ٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣١ ويشير المقدسي إلى شهرة عدن في صناعة الخمر ، فيذكر أنه كان يصنع بها شراب يفضلته الناس على العصب . أحسن التقاسيم ، ص ٩٨ ؛ ويصدر إلى المناطق الأخرى فيذكر ابن حاتم أن الأمير وردسار حين دخل مدينة الجند انفتح في شرب الخمر . السمط لغالبي ، ص ٩٥ .

(٣) انظر : الهمداني ، صفة ، ص ٩٧ ، ٢٧١ ؛ إسماعيل الكوع ، البلدان اليمنية ، ص ١٧-١٨ ؛ المقهي ، معجم ، ص ٩٠ .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٥٣ ، ٣٦١ ؛ Serjeant , San'a , p . ١٧١

شهرة اليمن في تلك الصناعة ما أشار إليه الهمداني، فقد ذكر ان أهل اليمن كان لهم براعة في صنع الحلوى ومذاقها الطيب الى حد إذا شرع الرجل في أكلها فإنه قد يقضم على طيبها بعض أنامله، وكانوا يصنعونها من معقدات الفاكهة من أترج، وجزر وقرع، وخوخ ونحوها، وكانت من الأكلات المحببة عندهم<sup>(١)</sup> .

وقد اشتهر، من انواع الحلوى، الشهد الحضوري الماذي الجامد الذي يقطع بالسكاكين، وكان يصدر الى العراق ومكة وسائر البلدان . وكانت صناعة تلك الحلويات تتم عن طريق تسخين معقدات الفاكهة تحت حر الشمس حتى يصير في عقود قصب اليراع، ثم يوضع في مظروف ويوضع في مكان بارد ويترك حتى يجمد، مع ختم أفواه المظروف بالقصة (أي الغطاء المقصوص من المظروف)، وبهذا العمل يصبح طعم الحلويات كالعسل، أما طريقة إفراغه فتقوم على كسر المظروف، ثم يُقدم إلى الموائد، فيقطع بالسكين على طيفورية (أي طبق صيني)<sup>(٢)</sup> . ومن الصناعات الغذائية (الحلويات) التي تعمل، بالطريقة السابق ذكرها، المربي الذي يصنعه من الزنجبيل على نوعين: الأول يعرف بالمقصوص وهو قليل العسل، والثاني يعرف بالمطحون وهو أكثر جودة من الأول<sup>(٣)</sup> .

### ج - صناعة الزيوت :

انتشرت صناعة الزيوت المعتمدة على البذور والثمار التي تغلها أرض اليمن الزراعية في العديد من المناطق اليمنية، فكانوا يستخرجونه إما من بذور السمسم (الجلجلان) التي تنتجها البلاد بكميات وفيرة، وإما من نبات الخردل، لذلك وجدت معاصر الزيوت (السليط) في المخا على ساحل البحر الأحمر، حيث وصفها المقدسي بقوله: "ومخا مدينة بزبيد عامرة كثيرة المعاصر"<sup>(٤)</sup>، كما عرفت جبلة وزبيد معاصر الزيوت، فوجد في زبيد سوق عرفت بسوق العصر خصص لعصر الزيوت والتجارة فيه، وهو سوق أكسب المدينة شهرة كبيرة في هذا المضمار<sup>(٥)</sup> .

(١) صفة، ص ٣٥٦-٣٥٧ : آدم متر، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٣١٢ .

(٢) الهمداني، صفة، ص ٣٥٨، ٣٥٥ : آدم متر، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٣١٢ : محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الإسلامي، ص ٢٢٥ .

(٣) الشجاع، زبيد بأقلام الرحالة، ص ٢٦٨ .

(٤) أحسن التقاسيم، ص ٨٦ .

(٥) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٣٨٢ : للمزيد النظر: حنّاد، مظاهر الحضارة في اليمن، ص ٣٣٣-٣٣٤ .

ووجدت معاصر الزيت في صنعاء وعدن، فوصل عدد معاصر الزيت في صنعاء الى ٤٥ معصرة كانت تقوم على استخراج زيت السمسم<sup>(١)</sup>.

تجدر الإشارة الى أنها قامت على صناعة استخراج الزيوت صناعة أخرى هي صناعة الصابون، لا سيما الصابون المعتمد على زيوت السمسم (الجلجلان)، وإن لم تصل في جودتها الى مثل ما وصلت إليه في مصر مثلاً<sup>(٢)</sup>.

#### د- صناعة السكر :

والى جانب تلك الصناعات السابقة وجدت أيضاً صناعات أخرى ولكنها صغيرة ، منها: صناعة سفرات الطعام من خوص (سعف) النخيل، كذلك عرفت اليمن صناعة السكر، التي تقوم على قصب السكر الذي انتشرت زراعته في اليمن منذ فترة طويلة، وكان يطلق على مصانعه اسم المسابك، وقد كانت صناعته بسيطة لا تقارن بما كان موجوداً في مصر والشام<sup>(٣)</sup>.

زبدة القول أن اليمن ونتيجة لتوافر المواد الخام والمعادن المختلفة التي تدخل في العديد من الصناعات ، شهدت نهوضاً وتنوعاً في الصناعة في العصر الأيوبي، الأمر الذي ساعدها على تلبية الاحتياجات اللازمة للناس من تلك المصنوعات المحلية، سواء على نطاق ملابسهم المتنوعة وفرشهم، أم على نطاق الأواني المنزلية المتعددة، أو الأدوات المستخدمة في الحرف، وأدوات الزينة، ووفر لها الفرصة في النمو الاقتصادي الذي شهدته حينذاك، والذي كان من دعائمه الموارد المالية المتحصلة من تلك الصناعات .

(١) الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص ١٦٤ ؛ أما معاصر الزيت في عدن فقد وجدت بضواحيها أي في قرية

لحجة وقامت أيضاً على استخراج زيت السمسم ، بامخرمة ، تايخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) انظر : الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٥٨ ؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ص ١٥٩ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٩ ؛ الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٦٦ ؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ،

## **الفصل الثالث**

### **التجارة في بلاد اليمن**



تعتبر التجارة الدعامه الأساسية التي ارتكزت عليها الحياة الاقتصادية في اليمن في عصر الدولة الأيوبية، حيث إن معظم الموارد المالية للدولة جاء من التجارة والنشاط التجاري الذي اتسع اتساعاً ملحوظاً في هذا العصر، ولأهمية التجارة في الاقتصاد اليمني، يعلق ابن فضل الله العمري على ذلك، بقوله: "اليمن لها ارتفاع صالح من الأموال، وغالب أموالها من موجات التجار الواصلين من الهند ومصر والحبشة مع ما لها من دخل البلاد"<sup>(١)</sup>. وكان رخاء اليمن التجاري عائداً في المقام الأول الى الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به، والواقع على البحر الأحمر والمحيط الهندي، مما جعلها تتحكم في طرق التجارة البحرية العالمية بين الشرق والغرب، وبذلك نشطت فيها حركة الاستيراد والتصدير، حيث كانت اليمن سوقاً للمنتجات الخام الواردة من آسيا وإفريقيا، كما أن انتاجها من المصنوعات المعدنية والزجاجية والمنسوجات المختلفة وغيرها قد حقق للتجارة ميزة خاصة، وقامت بتصدير منتجاتها المتميزة الى البلدان الشرقية والغربية<sup>(٢)</sup>.

## **أولاً - التجارة الداخلية :**

### **١ - الحركة التجارية بين الأسواق اليمنية :**

نشطت حركة التجارة الداخلية في اليمن في العصر الأيوبي بشكل ملحوظ فشملت أغلب المدن والقرى اليمنية، وكان للرواج التجاري ووفرة البضائع المحلية والمطلوبة من الخارج أثر كبير على التجارة الداخلية في الأسواق التي تقام في مدن وقرى اليمن المختلفة، وتم نقل البضائع والمنتجات الزراعية والصناعية والمعدنية بين أنحاء البلاد المختلفة، ولذلك ازدهرت الأسواق وتعددت أنواعها، فمنها اليومي الذي يقام في ميعاد محدد ومنها الأسبوعي والموسمي والدائم، وكانت زبيد أكثر مدن اليمن ازدهاراً بالأسواق، حيث تعد هذه المدينة خير نموذج لحركة التجارة الداخلية باليمن، فقد ازدهر بها النشاط التجاري وتعددت أسواقها وتمتع بمردودها المادي،

(١) مسالك الأبصار ، ص ٤٩ ، ٥٦ .

(٢) R.B. Serjeant , " Early Islamic and Medieval trade and commerce in the Yemen . " Yemen ٢٠٠٠ years of Art and civilization in Arabia felix ,ed. By Werner Daun . Frakfurt , Main ١٩٨٧, p . ١٦٣ .

وكانت تقام بها الأسواق اليومية المتخصصة التي زخرت بالحركة التجارية مثل سوق البز، فتتسع حركة البيع والشراء وبخاصة عندما كان الناس يأتون من كل مكان الى زبيد حاملين بضائعهم التي يبيعونها في نهار كل يوم<sup>(١)</sup> .

ولا غرابة في نشاط حركة التبادل التجاري بين المدن والقرى اليمنية، فقد كان تجار صنعاء وذمار يتنقلون بتجاريتهم الى عدن فيبيعونها، ويعودون الى اسواقهم محملين من عدن سلع أخرى لم تكن عندهم مثل: العطور والطيب وغيرها . وكان الناس يأتون بالجزع والعقيق من منطقة ألهان وسعوان الى أسواق صنعاء<sup>(٢)</sup> . وتشير المصادر الى خروج جميع أنواع السمك من غلافقة الى زبيد<sup>(٣)</sup>، وتخرج الأبقار الجبلانية من جيلان الى صنعاء<sup>(٤)</sup>، كذلك كان للأخشاب نصيب في التبادل التجاري بين الأسواق، فحمل الخشب من أودية سررد ومور وزبيد وغيرها الى أنحاء اليمن كافة<sup>(٥)</sup>، ومن السروات تم تصدير الحبوب والتمور والعسل الى أنحاء اليمن كافة، وصدرت الشجر السمك الى عدن وأطراف اليمن<sup>(٦)</sup> .

وكانت أسواق زبيد تزخر بالخضر والغلال والبقول ، وكانت تباع في أسواق زبيد متجاورة ، ومنها ما تنتجه أراضي زبيد ذاتها ، ومنها ما يجلب إليها من الأسواق والبوادي المجاورة لبيعه في أسواقها<sup>(٧)</sup> .

ولذلك يمكن القول إنها قامت حركة مصغرة للاستيراد والتصدير داخلياً فيما بين مناطق اليمن المختلفة، تقوم على أساس تبادل المنتجات الزراعية والصناعية والمواد الخام، فانتعشت على اثرها الأسواق في اليمن .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٨ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٤٣ ، وكان ضمان سوق السمك في زبيد يبلغ ١٣ دينار ملكية كل يوم .

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ١٠٣ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٣ .

(٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦-٨٧ ؛ الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٣٥٤ .

(٧) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٦٢، ٨٩-٩٠ .

## ٢- الأسواق في المدن والبضائع والسلع :

أنشأ اليمنيون في المدن أسواقهم التجارية الدائمة اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية منذ فترات تاريخية مبكرة، وارتادوا ما جاورهم من الأسواق العربية حاملين إليها ما تنتجه بلادهم من محاصيل زراعية، وما تزخر به من خيرات و سلع وأحجار كريمة وأطباق كسوق الهجر وسوق المشقر وسوق عمان، الذي كان يجري فيها التبادل البضائعي والسلعي بين بلدان فارس والهند والحبشة وعمان ومصر والشام وبلاد العراق والحجاز، ويصب فيها كل تاجر قطر ما حمل من قطره، ويرجع بلاده بما أخذه من عروض ليست فيها (بلده)<sup>(١)</sup>، وسوق عكاظ الذي أتخذها اليمنيون لأنفسهم مكاناً واسعاً فيه، عرضوا متاجرهم الكثيرة: البرود المتنوعة (حريرية وكتانية وقطنية ومشروكة)<sup>(٢)</sup> والمختلفة الألوان، والزعفران والبخور واللبان والمواد الطبية والعطور والأحجار الكريمة، كالعقيق والزبرجد والذهب والفضة والأدم والأصباغ والتوابل والغلال<sup>(٣)</sup> .

وكان لاتساع التجارة العظيم في اليمن والارتباط بين أسواقها التجارية منذ القدم عبر شبكة المواصلات الداخلية التي عرفتها المدن وكذا التي تسلكها القوافل من شمال الجزيرة العربية وإليها، دور في انتعاش الأسواق في المدن اليمنية على اختلافها، حيث استفادت المدن، ومنها: عدن وصنعاء وظفار والشحر وتعز والمكلا وزيد بتجارها من الطرق التجارية، ومن أشهر أسواق اليمن التجارية مايلي:

### أ- أسواق عدن :

ازدهرت عدن في عصر بني أيوب وكثر الناس بها وتوطنوها، فاحتلت أسواقها التجارية حيزاً واسعاً في التبادل البضائعي السلعي في ذلك العصر، كون عدن المنفذ الأساسي البحري للدولة، ومنها توزع البضائع والسلع الى مختلف أنحاء اليمن، وإليها يفد ما يصدر من بضائعها وغلالاتها وسلعها المختلفة، لذا فلا ريب أن

(١) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص ٢٥٦-٢٥٨ .

(٢) مشروكة : تعني هي خليط من عدة أصناف من الحرير وقطن أو قطن وكتان . انظر : الأفغاني ، أسواق

العرب ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٨ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

تكون المدينة عامرة بالأسواق زاخرة بالبضائع والسلع مكتظة بالتجار وأصحاب السفن والنواخيد<sup>(١)</sup>، ويصف القلقشندي مدينة عدن بخزانة ملوك اليمن وفرضتهم<sup>(٢)</sup>، أما ابن فضل الله العمري، وصلاح الدين الحكيم المتوفى سنة ٧٤٣هـ، فيصفا الحركة التجارية النشطة في مدينة عدن بقولهما: "ولا يخلو أسبوعاً من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى ومتاجر متنوعة، والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجارة مربحة"<sup>(٣)</sup>. وتشير المعلومات الواردة في المصادر والمراجع التي بين أيدينا إلى أن الأيوبيين وربما الزرعيين من قبلهم قد أقاموا في مدينة عدن الأسواق التجارية، حيث يعد الأمير الأيوبي عثمان الزنجيلي من أكثر ولاية عدن اهتماماً بالتجارة، وينسب إليه الاهتمام بسوق عدن، حيث أقدم على بناء عدد من العمارات الاقتصادية، كالقيصرية العتيقة التي يعتقد أن بناءها يرجع إلى عهده، وكذا الأسواق والدكاكين ودور الحجر، ويُعتقد أن القيسارية إنما كانت عبارة عن أسواق خاصة بتجارة وتجار المواد العطرية والطيوب، وكذا المواد الطبية المصنوعة محلياً من نباتات وأعشاب بمواصفات معينة والتي كانت تعطى للمرضى بعد خلطها على أيدي العارفين والأطباء<sup>(٤)</sup>. وقد شهدت عدن نشاطاً تجارياً في أسواقها الأسبوعية، ومنها سوق السبت<sup>(٥)</sup>، وأسواقها الدائمة والتخصصية، ومنها سوق البز أو ما كان يطلق عليه بـ(خان البز)، والذي يرجح بأنه كان مبنى كبيراً من طابقين يحتوي الطابق السفلي (الأرضي) على الدكاكين والمخازن لحفظ البضائع والسلع، بينما كان الطابق الثاني (العلوي) عبارة

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٢-١٤٤؛ لقمان، حمزة علي إبراهيم، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة

العربية، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٧٤-١٧٥، ٢٩٩-٢٩٨.

(٢) صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٠-١١.

(٣) مسالك الأبصار، ص ١٥٧؛ وصلاح الدين الحكيم: هو صلاح الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن البرهان

، نقل أخباراً كثيرة عن اليمن طبيعتها وأسواقها ومتاجرها وأخذ عنه القلقشندي الكثير مما أورده عن اليمن.

عنه انظر: أيمن فؤاد سيد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار

الشرقية بالقاهرة، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) لقمان، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص ٦٥-٦٦؛ وللمزيد عن ذلك انظر: الشمري، محمد كريم

إبراهيم، إنجازات الأيوبيين في تشجيع وحماية التجارة والتجار في عدن، مجلة التراث، العدد (٤)، مركز

البحوث والدراسات اليمني، فرع عدن، يناير - مارس، ١٩٩٢م، ص ٣٢-٣٦.

(٥) حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي، ص ٢٥٧.

عن فندق أو محل إقامة التجار والعاملين في السوق، وبالإسم نفسه (سوق البز) يوجد في المدينة حالياً سوق تجاري متخصص بتجارة الأقمشة، ولعله أقيم على انقاضه أو على مقربة منه ويقع إلى القرب من الفرضة (صيرة) <sup>(١)</sup> .

وحرص الملك المعز إسماعيل بن طغتكين جرياً على تنشيط التجارة الداخلية بشعر عدن على إقامة سوق جديدة للعطارين، بُني من عدة دكاكين تتمتع بالإحكام الأمني ضد السراق واللصوص بكونها ثقيل ليلاً، ويعود بناؤه على الأرجح إلى أواخر العصر الأيوبي، أو أنه كان قائماً وجُدد في عهد الملك المسعود الأيوبي، وعلى أيدي حاكم عدن المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي <sup>(٢)</sup> .

ومن أسواق عدن الدائمة، سوق الطعام، الذي خصص لبيع المواد الغذائية والحبوب بأنواعها المستوردة والمحلية، وسوق الخضار؛ وسوق اللحوم والأسماك <sup>(٣)</sup>؛ وسوق الصاغة، ويبدو أن اليهود الساكنين في مدينة عدن كانت لهم خبرة واسعة في هذه الصناعة؛ وسوق الخزف <sup>(٤)</sup>، وهو سوق متخصصة في بيع وتجارة الخزف والأواني الفخارية سواء المحلي منها أم المستورد، وبخاصة من الصين، وسوق القصب <sup>(٥)</sup>، تجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الأسواق التي وجدت في عدن في العصر الأيوبي، والتي اهتم بها أمراء وسلاطين اليمن في ذلك العهد، فبنوا البعض منها وجددوا البعض الآخر، وقد ظلت تمارس مهامها حتى مجيء الرسوليين إلى سدة الحكم <sup>(٦)</sup>، وبسبب من هذا الاهتمام بإقامة تلك المؤسسات الاقتصادية وتجديدها وحراستها، انتعشت التجارة الداخلية والخارجية لمدينة عدن، فعاد على أهلها والدولة بالفائدة، فأثرى بعضهم وارتفع مستواهم المعيشي، وقد عبر ابن المجاور عن ذلك

(١) لقمان، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص ٦٦-٦٧؛ الشمري، محمد كريم إبراهيم، "الإنجازات العمرانية لبني أيوب في عدن"، مجلة التراث، العدد (٥)، مركز الدراسات والبحوث اليمن، عدن، أبريل ١٩٩٢م، ص ٢٧-٣٥ .

(٢) انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ١٣١-١٣٣؛ بامخرمة، تاريخ شعر عدن، ج ٢، ص ٢٢٢ .

(٣) للمزيد انظر: الشمري، الإنجازات العمرانية لبني أيوب، ص ٢٨-٢٩ .

(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص ٣٢، ١٣٢ .

(٥) بامخرمة، تاريخ شعر عدن، ج ٢، ص ٨٣ .

(٦) انظر: ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٥، ١٤٨؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٩ .

بقوله: "فبنوا الدور والأماك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق" (١) .

#### ب - أسواق زبيد :

تعددت الأسواق التجارية في مدينة زبيد نتيجة لتعدد العمران فيها، فالمقدسي يصف المدينة بأنها حسنة البنيان وأنها تشبه بغداد وهي أكثر عمراناً من مكة وأكبر وأكثر مرافقاً، ويذكر أن أسواقها كانت داخل أسوار المدينة، بحيث لا تدخل إليها سلعة أو بضاعة إلا عبر بوابات المدينة، حين كان لكل باب منها مرصد أو نقطة تفتيش ولديهم قائمة بالسلع الداخلة إلى المدينة، وما يخرج منها من بضائع وما عليها من مكوس أو ضرائب، وغالباً ما كانت بيوتها وأسواقها ومرافقها كالحمامات والخانات (الفنادق)، تبنى من الآجر . وتتميز زبيد بالانفتاح والنظافة، وإن كانت أسواقها قد وصفت بأنها ضيقة . وما كان يميز أسواق زبيد أنها بنيت على مسافة بعيدة من جوامعها التي وصفت حماماتها بأنها كثيرة ونظيفة وحسنة الإضاءة (٢) . ونتيجة للرواج التجاري في زبيد كان التجار يتعرضون للصرامة من خلال تلك المراكز (نقاط التفتيش والتحصيل) المقامة على الأبواب، فكان التاجر يدفع عن الحمل من السلع الغير ضرورية ديناراً، أما السلع الضرورية فيدفع نصف دينار، لهذا كانت الأسعار في زبيد غالية (٣) .

ويعتبر سوق زبيد الأسبوعي المسمى (سوق الوعد) من أشهر أسواق اليمن الأسبوعية فكان يعقد كل يوم جمعة، ويرتاده الناس من مختلف بوادي تهامة وحواضرها ومحلاتها القصية، وهذا السوق ربما استمر في أداء مهامه طيلة فترة العصر الأيوبي كل يوم جمعة إلى أن تم تغييره في العصر الرسولي (٤) . كما وجد في زبيد سوق يومي للسماك، كان يتحصل من ضمير السوق مبلغاً وقدره

(١) المستبصر ، ص ١٣٠ .

(٢) للمزيد ، انظر: أحسن التقاسيم ، ص ٨٤-٨٥ ؛ ابن المجاور، المستبصر ، ص ٨٥-٨٧ ؛ الشجاع ، زبيد بأقلام الرحالة ، ص ٢٥٥-٢٥٦ ، ٢٦٠ .

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٥ .

(٤) ففي عهد الملك الأشرف الرسولي الثاني (٧٨٨-٨٠٣ هـ) تغير موعد السوق من الجمعة إلى الخميس من كل أسبوع ؛ لأن كثير من الناس يشتغلون بالتجارة عن أداء صلاة الجمعة . الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩١ .

ثلاثة عشر ديناراً عن كل يوم الى خزينة الدولة<sup>(١)</sup> .

وومما يذكر أن زبيد تعد أكثر المدن اليمنية معرفة بأسواق بيع المنتجات التي اشتهرت بصناعتها والقرى التهامية الأخرى<sup>(٢)</sup>، كالبرود والبيارم والسباعيات والملايا والفوط ومختلف أنواع الجلود المدبوغة والحصائر والحلي، وعرفت المدينة تجارة الجوارى والعبيد، وخصصت أسواقاً بعيدة عن الجوامع للأسماك واللحوم وبيع المواشي والقصب (علف الحيوانات)<sup>(٣)</sup> .

وتشير المصادر الى تبادل الكثير من السلع المستوردة في أسواق زبيد، كالهيل والزنجبيل والمربي والخرز والعدس والشيزر والتمر هندي والعود والأطياب، ومن كتب الرحالة عن زبيد نعلم أنها كانت للمرأة في المدينة مشاركة ملموسة في العمل التجاري في أسواقها، حيث يذكر ابن بطوطة بأن نساء زبيد كن يخرجن الى الأسواق يبعن الفواكه والبلح ويركبن الجمال في سفرهن لهذه التجارة<sup>(٤)</sup>، كما عرفت زبيد أسواقاً مخصصة لبيع منتجاتها من الفخار، وخاصة الفخار الحيسي الذي اشتهرت بصناعته مدينة حيس وقرائها ومنها قرية التريبة والجراحي<sup>(٥)</sup> . ويذكر، عن تجارة أسواق زبيد، توافر أصباغ الملابس فيها، مثل: النيلة الزرقاء التي تزرع في وادي زبيد والنيلة الهندية<sup>(٦)</sup>، وتجارة الوسائد والفرشان واللحف والأردية والفوط والحبال المصنوعة من جوز الهند وشجر النخيل وشجر الدوم، والذي كانت الفازة والمجيليس من أشهر قرى تهامة في إنتاجه<sup>(٧)</sup> .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢٤٣ .

(٢) الحضرمي ، عبد الرحمن ، زبيد العاصمة الأولى لليمن بعد الإسلام (لمحات تاريخية - جغرافية - ثقافية) ، مجلة الحكمة ، العدد

(١٤) ، يوليو ، ١٩٧٢م ، ص ٥٢-٥٣ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٢-١٩٤ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٨-٨٩ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٥ .

(٤) الرحلة ، ج ٢ ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٥) الحضرمي ، زبيد العاصمة الأولى ، ص ٥٢-٥٣ ؛ ومن الأسواق المتخصصة ، سوق الشباك الذي كان متخصصاً في

بيع وصناعة شباك الصيد ، وسوق المعاصر وكان مختصاً بصناعة وبيع الزيوت ، وسوق التجارة ، وسوق المرباع المخصص لتجارة الحيوانات ، وهناك أيضاً المجزرة التي كانت تقوم على أحد جوانب سوق زبيد الكبير . انظر: الخزرجي ،

العقود التولوية ، ج ١ ، ص ٧٤ ، ١٥٥ ؛ ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، ٢٣٨ ؛ ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٩٩ ؛ قرة العيون ، ص ٣٨٢ .

(٦) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ .

(٧) المجيليس : من قرى وادي رمع على ساحل البحر في بلاد القراشة وأعمال زبيد . انظر : الحجري ، مجموع ،

مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٨٩ .

ومن أهم المعروضات، التي وجدت في أسواق زبيد، الزجاج بمختلف ألوانه وأشكاله وأحجامه ومختلف الأواني المصنعة منه والذي كان يصنع في زبيد، وكانت الحركة التجارية تبلغ ذروتها في أسواق المدينة بعد صلاة الظهر من كل يوم<sup>(١)</sup>. على أن أشهر ما تداولته أسواق زبيد الدائمة والأسبوعية واليومية والشهرية، المنتجات الزراعية التي اشتهرت بها الأراضي التهامية، مثل الحبوب بأنواعها والخضروات والفواكه بأنواعها واختلافها<sup>(٢)</sup>. كذلك اشتهرت بوجود سوق موسمي فيها، كان يعقد في مواسم السبوت، أو مواسم حصاد النخيل، ويتوافد الناس الى وادي زبيد من أنحاء اليمن كافة، وتتحول بساكن النخيل إلى مزار ومنظره سياحي يقيم الناس فيه مدة تتراوح بين شهرين وثلاثة أشهر وهم في لعب وضحك وشرب العصائر المحلاة، وتقام لهم الأسواق لتزويدهم بما يحتاجون إليه أثناء مدة الإقامة التي تنتهي بانتهاء جني الرطب<sup>(٣)</sup>. وعلى ساحل زبيد اشتهرت منطقة الأهواب بوجود الأسواق والدكاكين والجوامع<sup>(٤)</sup>.

### ج - أسواق صنعاء :

كانت أسواقها متميزة بالتنظيم والتنسيق والنظافة ، وسوقها الرئيس كان يضم مجموعة من المباني ذات الأسقف المنخفضة ، تقع خلفها المخازن المنفردة ، أو العامة، وهي التي تعرف في اليمن بـ (السمسرات)<sup>(٥)</sup>، أو الخانات المخصصة لسكنى التجار الوافدين وتخزين بضائعهم ومبيت دوابهم، وهي تطل على الحوانيت مباشرة، بالإضافة الى وجود مبانٍ أخرى منتشرة عبر السوق، وهي أماكن مخصصة لتناول الطعام، والأسبلة، ومعاصر الزيوت، الى جانب مجموعة من المعامل الحرفية<sup>(٦)</sup>. ويضم هذا السوق الكبير الى جانبه عدداً من الأسواق التخصصية

(١) الحضرمي ، زبيد العاصمة الأولى ، ص ٥٢ .

(٢) للمزيد عن تلك المنتجات الزراعية في الأراضي التهامية ، انظر: ابن رسول ، ملح الملاحه ، ص ١٤-١٧ ، ١٩-٥٣ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٨ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٧٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .

Serjeant , San<sup>(٥)</sup> a , p . ٢٧٦ - ٢٩٠ .

(٥) عن هذه السمسرات انظر:

Serjeant , op . cit , p . ٢٧٦

(٦) وعن شوارع سوق صنعاء ووصف حوانيته انظر :



المتفرعة منه، والتي كانت تعرف بأسماء السلع المباعة فيها، ومنها مايلي:

١- سوق البز (الأقمشة): وكانت ترد إليه أنواع الأقمشة المحلية من زبيد وحضرموت، والمستوردة من بلاد الهند ومصر، وقد كان هذا السوق يخضع لحراسة مستمرة، حيث يدفع تجار الأقمشة مبالغ محددة مقابل تأمين حراسة السوق وسلامة بضائعهم وأموالهم، وبخاصة في الأوقات التي تشتد فيها الصراعات وتهدد مدينة صنعاء بالاجتياح<sup>(١)</sup>.

٢- سوق الحلقة<sup>(٢)</sup>: وهو من أهم أسواق صنعاء وقد وصف بأنه قلب السوق، وكان يباع فيه الخزف بمختلف أنواعه والخرز وغيره، وعدّ الخرز من السلع الرائجة بهذا السوق لاعتقاد أهل صنعاء بأنها جالبة للحظ، وأنها مربحة لمن يعمل بها، ومن ثم ازدهرت تجارته واتسعت لتشمل العديد من الأسواق اليمنية الأخرى<sup>(٣)</sup>.

٣- سوق الصاغة: وقد كان يطلق عليه سوق الفضة، وهو موجود الى وقتنا الحاضر، ويتم فيه معالجة المعادن الثمينة من ذهب وفضة ونحاس وصياغتها على أيدي صاغة مهرة، غالباً ما كانوا من اليهود الذين يسكنون في المناطق القريبة من صنعاء، وعرف سوق الصاغة في صنعاء أيضاً بسوق اليهود، حيث كان تجمع سكانهم في مدينة تقع غرب صنعاء تسمى القاع أو قاع اليهود، وكانت أكبر مركز لتجمع اليهود في اليمن، حيث كان يسكنها ويعمل في أسواقها قرابة العشرة ألف منهم<sup>(٤)</sup>، وحالياً صارت هذه المنطقة (القاع) من الأحياء التجارية في مدينة صنعاء بعد توسعها؛ ووجد الى جانب هذا السوق سوق المعادن، الذي يعتقد بأنه كان مخصصاً لبيع ما يفد الى صنعاء من المعادن المختلفة: رصاص، حديد، نحاس، فضة، وذهب وعقيق

(١) المؤيد الشهابي، جمال الدين علي بن عبدالله، المنشورات الجليلة في أخبار الدولة الرسولية، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٣م، ص٨١، ٨٤-٨٥.

(٢) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ج١، ص١٥٦، و(ح١)؛ واسم الحلقة: من الأشجار البرية التي تشبه أوراقه وثمره انكروم، تجفف أوراقه وتصير حامضية الى لذعة ينطبخ بها اللحم، ولها منافع طبية كثيرة ينظر عنها: الملك المعطر، المعتمد في الأدوية، ص١٠٢.

(٣) للمزيد عن موقع السوق، انظر: Serjeant, op. cit, p. ١٦١-١٦٢.

(٤) المؤيد الشهابي، المنشورات الجليلة، ص٦٢؛ ويقول العرشي بأنه كان لا يوجد في هذا القاع بيت واحد للمسلمين. العرشي، حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، مطبعة البرتيري، القاهرة، ١٩٣٩م، ص١٣٨.

قبل معالجته وتباع في السوق كمعادن أولية تعالج وتصنع وتباع في اسواق خاصة بكل معدن، مثل سوق النحاس وسوق الحدادة(سوق الحديد)وسوق الفضة الذي ربما كان سوقاً جامعاً لكل أنواع المصاغات المخصصة للزينة من الذهب والفضة، وربما كانت في هذه السوق دور لضرب النقود الدرهم الفضي<sup>(١)</sup>، وبخاصة أن صنعاء من المدن التي احتوت على دور لضرب للنقود في العصر الأيوبي<sup>(٢)</sup> .

٤- **سوق الطعام (الحطب)** : كان وما تزال ترد إليه أنواع الحبوب من محاصيل اليمن وغلاتها المختلفة<sup>(٣)</sup>، وهو من الأسواق التي كانت تقام عليه حراسة دائمة لحفظ أموال التجار وسلعهم، وسلامة التداول فيه، ومنع الغش في الكيل الذي كان يوكل الى كيالين يتم اختيارهم بعناية، حيث كان يتم اختيار عشرة اشخاص كيالين مشهورين بأمانتهم وعدم الخيانة ويتبعون الكيالة المعتادة، ويتسلمون مقابل عملهم من البائع ثمن الثمن ومن الشاري نصف ثمن الثمن من القدح الواحد من الحبوب المباعة<sup>(٤)</sup>، وظل هذا النظام معمول به طيلة العصر الأيوبي .

٥- **سوق الحطب** : وهو من الأسواق التي كانت تقام عليها حراسات دائمة، لما كان يشكله الحطب من أهمية في استعماله وقوداً للتدفئة في الشتاء ولأعمال الطهوالمعتادة، ولأعمال الحدادة وغيرها .

٦- **سوق المواشي** : وهو سوق كبير تتفرع منه أسواق، منها: سوق البقر، وسوق الغنم، وسوق الخيل والبغال، وسوق الجزار، وخصص فيه سوقاً لبيع ما تحتاجه البهائم من أعلاف وقصب يدعى سوق العلف<sup>(٥)</sup> .

٧- **سوق السلب** : وهو سوق مخصص للأسلحة التقليدية اليمنية التي كانت تعرض فيه، مثل: السيوف والخناجر(الجنابي)، وهو من الأسواق الشهيرة في صنعاء،

(١) الصائدي ، أحمد قائد ، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت/دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ١٧٣-١٧٧ ؛ "المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن " ، مجلة دراسات يمنية ، العدد(٣٥) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٧٥ .

(٢) سيتم الإشارة الى دور الضرب في صنعاء في العصر الأيوبي . انظر : ص ٢٨٥ .

(٣) ابن الجاور ، المستبصر ، ص ١٨٩-١٩٠ ؛ المؤيد الشهابي ، المنشورات الجليلة ، ص ٨٥ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٥ .

(٤) المؤيد الشهابي ، المنشورات الجليلة ، ص ٨٤ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

والذي ما يزال محافظاً على طابعه التاريخي بصناعته ومعروضاته حتى الآن<sup>(١)</sup> .

٨- سوق الفواكه: وكان هذا السوق يزخر بالحركة والتبادل التجاري، وكانت تجلب إليه مختلف أنواع الفواكه والأعشاب - التي يزيد عدد أنواعها عن أربعين نوعاً - والتفاح والمشمش والأجاص والخوخ والسفرجل والكمثري والموز واللوز والتين والتوت والبرتقال، ويأتيه الرطب من تهامة وحضرموت، والكثير من أنواع الخضار، وهي المحاصيل التي تخضع لتسعيرات يحددها شيخ السوق<sup>(٢)</sup> .

وافردت مدينة صنعاء أسواقاً عديدة للمشتغلين بأعمال البناء، منها: سوق المعمارين<sup>(٣)</sup> وسوق المجصصين وسوق المقضضين<sup>(٤)</sup>، تلحق بها أسواق الخشب والنجارة وسوق الأقطان والندافين<sup>(٥)</sup> وسوق الخزف، الذي كان يدعى سوق المدارين<sup>(٦)</sup>، وسوق العطار، وسوق السمن والسليط وأصحابه يعرفون بالسلّاطين أو المعصرانيين . كما حُدِّثت في صنعاء أسواق خاصة لذوي المهن المختلفة وأصحاب الصنائع والحرف مثل: الخياطين والنجارين وأصحاب الأفران والمخابز والحدادين والسراجين، كذلك حدد سوق للبيطرة (تطبيب المواشي)<sup>(٧)</sup> . تجدر الإشارة إلى أن أسواق صنعاء القديمة ما تزال تحمل في عصرنا أسماء تلك الأسواق التي كانت قائمة في العصر موضوع الرسالة .

(١) المؤيد الشهابي، المنشورات الجليلة، ص ٨٤ .

(٢) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٨٥-١٨٦؛ المؤيد الشهابي، المنشورات الجليلة، ص ٨٤-٨٥؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ١٣٩ .

(٣) المؤيد الشهابي، المنشورات الجليلة، ص ٨٥ .

(٤) يذكر الشهابي أن محارق الجص والنورة التي يطبخ فيها فشيء كثير لعله يزيد على المائتين من المحارق في صنعاء، أما أحمال الجص والنورة والرخام الذي قطع من معادنه ويدخل المدينة قد يتجاوز في اليوم الواحد

المئة أو المائتي حمل على الجمال والحمير . المؤيد الشهابي، المنشورات الجليلة، ص ٦٠ .

(٥) اندافون : هم الذين يعالجون القطن (العطب) ويصنعون منه الفرش والوسائد (المخدات) والأرائك اللحف وغيرها .

(٦) يسمى الخزف الذي يصنع محلياً (مدر) ويعمل منه أحجام وأشكال للعديد من الأغراض والاستعمالات المنزلية منها : الموف الذي يعمل بداخله الخبز والجرة الذي يعمل بداخلها الماء وأكواب وصحون كبيرة للطعام وأكواب صغيرة لشرب القهوة وتسمى (أقواب) ، وهناك العديد من الأواني الخزفية المصنوعة محلياً في اليمن ما تزال مستخدمة حتى عصرنا الحاضر .

(٧) الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٨٥، ١٥٢، ١٥٤، ١٦١؛ المؤيد الشهابي، المنشورات الجليلة، ص ٨٥ .

**د - أسواق تعز :** عرفت تعز في العصر الأيوبي نظام الأسواق الأسبوعية والشهرية والدائمة، فقد كانت تعقد بها سوق اسبوعية تعرف بسوق الوعد نظير التي كانت موجودة بزبيد، وبالرغم من أن المصادر لم تحدد في أي الأيام كان يعقد، إلا أن مرتادييه من جمهور الناس كان كثيراً وبالذات من أبناء تعز والمناطق المجاورة<sup>(١)</sup>.

كذلك عرفت تعز بدورها سوقاً كبيراً كان قائماً في منطقة المحالب، وهي المحلة التي خصصت، بعد انقضاء العصر الأيوبي، لسكنى العامة في عصر بني رسول<sup>(٢)</sup>.

**هـ - أسواق ظفار الحبوشي :** هي الأخرى كانت لها شهرة واسعة، وقد كان لظفار سوق رئيس يقام خارجها في أحد أرباضها المعروف باسم الحرجاء، وأكثر سلعه السمك وخضروات الفاكهة، وأشار ابن بطوطة إلى أن الخدم من النساء كن أكثر من يتولين عمليات البيع والشراء في هذا السوق بثيابهن السوداء<sup>(٣)</sup>؛ وقد عرفت أسواقها تجارة المواشي، وبالأخص الخيول منها، والتوابل وجوز الهند ومختلف أنواع الحبوب والأرز المجلوب من الهند، والذي كان إلى جانب السمك يشكل قوام طعام أهل ظفار، وقد وصف أهل ظفار بأنهم أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها، الأمر الذي يوحى بنشاط أسواقها ووفرة البضائع والسلع فيها والتي كان من أبرزها اللبان وهو غلة البلد الأساسية، وكان يوصف بأنه غلة السكان في المدينة<sup>(٤)</sup>.

وقد كانت موارد ظفار، في عهد حكامها من آل الحبوشي في العصر الأيوبي، تعتمد على الزراعة والتجارة معاً، لا على الجباية، وعند انتهاء العصر الأيوبي وتولي بني رسول مقاليد الحكم صارت مواردها قائمة على الجبايات المحصلة من التجار الواردين إليها بحراً من الهند وغيرها<sup>(٥)</sup>، ويؤكد ذلك ابن بطوطة الذي زارها في عهد الملك المجاهد الرسولي فيقول عن أهلها إنهم: "أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها"<sup>(٦)</sup>.

(١) الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الحسني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، نج : محمد حامد الفقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م، ج ٦، ص ١٦٦.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ج ٢، ص ١٧٣.

(٣) المصدر نفسه والجزء، ص ١٩٦-١٩٧؛ الفاسي، العقد الثمين، ج ٨، ص ٢٧٣.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ج ٢، ص ١٦٧؛ إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ١٩٣.

(٥) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٩٥.

(٦) الرحلة، ج ٢، ص ١٩٧-١٩٨.

**و - الشحر :** مدينة وميناء وسوق تجارية كبيرة بساحل حضرموت تمحورت حياة سكانها في التجارة داخل المدينة نفسها، وانقسمت أحياء المدينة السكانية بين فئات وشرائح اجتماعية ذات ارتباط وثيق بالحركة التجارية والحرفية فيها . وكافة أحياء المدينة تتمحور أو تتركز حول السوق الذي كان يشغل مساحة تشتمل على حوانيت البلد ومتاجرها الكبيرة ومخازن البضائع والمطاعم ومنازل البحارة الغرباء، الذين تجبرهم الرياح الموسمية وغيرها على البقاء في الشحر ريثما تتحسن الأحوال الملاحية<sup>(١)</sup> .

ويعرف عن سوق الشحر انه من أقدم أسواق اليمن، حيث كان يقام موسمه السنوي في الأيام الأخيرة من شهر شعبان أو في منتصفه، يعرض فيه ما تنتجه الأرض اليمنية من غلال زراعية (قمح، ذرة، شعير، دخن) ومختلف أصناف الأقمشة والبخور والصبر والمرو والأطياب والعطور، وما تجود به البحار من ثروات كاللؤلؤ والأسماك وأجود أنواع العنبر المعروف بالعنبر الشحري، وقد ظلت مدينة الشحر مرتبطة تجارياً بتلك السلع، حتى أن نيبور في القرن الثامن عشر الميلادي أشار الى ارتباط المدينة بهذه السلع وتجاريتها<sup>(٢)</sup>، وقد كان ميناء الشحر يستقبل السلع والبضائع الواردة، ويستهلك القليل منها ويوزع الباقي من المنتجات المحلية الى عدن وتعز وزبيد وصنعاء وغيرها من مدن اليمن، ويصدر فائض سلعه وبضائعه الى مصر والشام وبلاد الحجاز والعراق<sup>(٣)</sup> .

والظاهر أن العمل التجاري في مدينة الشحر وتوسعه وتنوع التركيبة السكانية من بينيان<sup>(٤)</sup> وصومال وأحباش، قد ألزم بإقامة دور للمشروبات الروحية المصنعة محلياً وفتح دور للرقص والغناء، والتي كانت تجلب إليها الراقصات من بلاد الهند على وفق عقود عمل لمدد يتفق عليها، تكون بعد انقضائه قادرة على مغادرة المدينة

(١) بامطرف ، محمد عبدالقادر ، الشهداء السبعة، مط الجمهورية ، منشورات دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٤م ، ص ٣٠-٣٤ .  
وعن كلمة الشحر أيضاً انظر: العمري ، حسين بن عبدالله ، الحضارة الإسلامية في اليمن ، (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ١١٦-١١٧ .

(٢) الصائدي ، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٦٨-١٦٩ .

(٣) بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص ٣١-٣٢ ؛ شهاب ، حسن صالح ، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، دار العودة ، بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٨١م ، ص ١٣١-١٤٢ .

(٤) البيهيسان : هو الاسم المحلي الذي كان يطلقه أبناء الشحر على الجالية الهندية المتواجدة فيها ، والتي كان أكثرها هندوكية ، كما يطلق هذا الاسم على الجالية الهندية في عدن حالياً . انظر : بامطرف ، الشهداء السبعة ، ص ٣١ .

عائدة الى بلدها أو التوجه الى مدن أخرى كعدن أو مدن الحجاز، وقد كانت الراقصات الهنديات من ضمن مآثر فنه الشحر من العوائد السنوية الى الخزينة السعيدة في تعز، الأمر الذي يدل على انتشار تجارة الجواري والراقصات في هذه المدينة على مستوى يمكن وصفه بالاستثمار المشترك بين أصحاب رؤوس الأموال اليمانيين والهنود، حيث كانت مثل هذه الأماكن تدار من قبل بعض الهنود واليمانيين من أهالي مدينة الشحر<sup>(١)</sup> بالإضافة الى ما كانت ترفعه الشحر في العصر موضوع الدراسة الى خزينة الدولة في تعز من سلع، أهمها: العنبر والكافور، وهما من الغلال التي تستثمر الشحر بها<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت هذه أبرز أسواق المدن اليمانية التي تمكنا من الوقوف على بعض جوانبها التبادلية، فلا يعني أن بقية مدن اليمن الأخرى لم تشهد حركة تجارية وأسواقاً دائمة فيها، إلا أن ما وصلنا عن أسواقها من القلة بحيث يجعلنا نكتفي بما أوردناه كنماذج لبقية أسواق مدن اليمن ومناطقها المهمة مثل: الجوف، صعدة، خولان، حجة، السحول، ريمة، حراز، نمار، ذي رعين<sup>(٣)</sup>، والمهجم وتريم وسيئون وغيرها من المدن التجارية التي كانت رافداً لما يجلبه الباعة الى الأسواق الأسبوعية والشهرية والدائمة المنتشرة في مختلف نواحي اليمن وعزلها من سلع وبضائع يتاجرون بها مضافة الى معروضاتهم الأساسية في أسواقهم المحلية من غلال وبهائم وطيور بالدرجة الأساسية، والتي ربما كان التبادل التجاري فيها يأخذ في غالبيته شكل المقايضة، محاصيل ببضاعة، أو بهائم وطيور (دجاج وحمائم) ببضاعة ومحاصيل، الى جانب التعامل بالعملة: الدينار، والدرهم والفلوس، وكانت هذه الأسواق من الكثرة والانتشار بحيث تغطي نواحي اليمن موزعة على أيام الأسبوع أو الشهر حتى يتسنى ارتياد أقرب سوق لمن أراد بيع المحاصيل أو السلع أو الشراء منها<sup>(٤)</sup>.

(١) بامطرف، الشهداء السبعة، ص ٣٣.

(٢) للمزيد من المعلومات عن قائمة ماكانت ترفعه الشحر الى خزينة الدولة السعيدة في تعز، انظر: محيرز، عبدالله محمد، صيرة (أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومراقبتها الاقتصادية والعسكرية)، ط ١، عدن، ١٩٩١م، ص ٦٣.

(٣) انظر: الهمداني، صفة، ص ٧٦، ٨٢، ١٠٨، ١٣٦، ١٤٨، ١٦٩، ١٨٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٢-٢٢٣، ٢٢٨، ٢٤٨، ٢٥٠.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٥١-٥٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٧؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج ٢، ص ١٦٠-١٦١.

### ٢- الحسبة والمحتسب :

وهي من الوظائف التي عرفتها أسواق اليمن منذ أمد طويل، فالمقدسي يذكر في رواية له وجود المحتسب بعدن وذلك في معرض حديثه عن بعض المواد التي تدخل في تجليد الكتب، فلما سأل عنها أشاروا عليه باللجوء الى المحتسب ليدله عليها باعتباره أعرف الناس بأصناف السلع<sup>(١)</sup>، ففي عصر الدولة الأيوبية، ومن خلال بحثنا ودراستنا، لم نجد كثيراً من النصوص التي نستطيع من خلالها إلقاء الضوء على هذا المنصب، وما تمكنا منه هو حصر نصين اثنين فقط حول تلك الوظيفة . الأول : ما ذكره ابن دعثم، أن الإمام عبدالله بن حمزة عين مسعود بن الأقحف الصنعاني محتسباً على حوث وأعمالها<sup>(٢)</sup>، والثاني ما حكاه أيضاً من حدوث فرقة في صعدة وكان سبب هذه الفرقة أن رجلين، أحدهما من آل الزيدي والآخر من الحدادين، تخاصما على كيل طعام فلما جاء محتسب تلك المنطقة، ويدعى الشريف علي بن أحمد، للشدة على المخطيء وعقابه ثار عليه عبيد الحدادين ومنعوه من ذلك<sup>(٣)</sup> . فهذان النصان يؤكدان وجود منصب الحسبة في ذلك العصر، ولاشك أيضاً أن الإمام كان يعين محتسباً في كل منطقة، شأنه في ذلك شأن تعيين الولاة والقضاة وغيرهم . أما مهام المحتسب<sup>(٤)</sup> فهي :

- أ- تفقد المكيال، والميزان، والأسواق<sup>(٥)</sup> وإنصاف المظلومين .
- ب - قبض الزكاة وأخماس الحديد والمعدن من التجار .
- ج- إصلاح كل ما يمارسه الناس في حياتهم اليومية، فأى شيء يضر الناس فإن على المحتسب إزالته<sup>(٦)</sup>، بل إن المحتسب في دولة الإمام يتمتع بصلاحيات واسعة

(١) أحسن التقاسيم ، ص ١٠٠ .

(٢) السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦٥-٧٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ .

(٤) لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع انظر :

Serjeant , R , B , A Zaidi

Manual of Hisbah the ٣<sup>rd</sup>

Century

(H) , R . S . O xxvm, ١٩٥٣ , pp . ١-٣٤

(٥) الشرجبي ، القرية والدولة في اليمن ، ص ١٨٨ .

(٦) الشجاع ، النظم الإسلامية في اليمن ، ص ٣٧ .

استطاع بواسطتها إضفاء الأحكام الفورية دون الرجوع الى الوالي أو القاضي، أو من هو في مقامهما، وهذا يدفعنا الى القول بأن هذا المنصب كان مستقلاً تماماً عن منصب الوالي أو القاضي .

د - مراقبة البيع والشراء، وفرض ما يراه صحيحاً في الأسواق .

هـ - تفقد أحوال الحصون، وما تقتقر إليه وتحتاجه<sup>(١)</sup> .

ويبدو أن سلطة المحتسب في المدن والأسواق كانت، إلى جانب ما ذكرنا من مهام، تشمل مراقبة السلوك العام في المدن والأسواق، ومتابعة المخلين بالأمن ومن يتسبب في الاضطرابات، والمقصرين بما لديهم من عهود قطعوها ووعود تخلفوا عنها<sup>(٢)</sup>، وكانت معالجتهم لمثل هذه الظواهر تنسم بالحزم والصرامة حفاظاً على السلوك العام وتحقيق الهدوء في المدن والأسواق، ومن يضبط بمخالفة عهد أو بنكثه أو بخلف وعد قطعه غالباً ما كان يشهر به علناً في الأسواق ويحظر التعامل معه ويطلق عليه (الأعيب)، وهو عار يلحق به ويطول أقرباه حتى يفي بما عليه ويرضى صاحب الحق بأن ينبح أمام منزله بعض ماله من الأنعام (عقيرة) ويدعى عمله ذلك إنصافاً . ومن العرف لدى أهل اليمن أن الرجل يفضل أن يفقد حياته على أن يعرض نفسه أو أهله لمهانة أو تشهير بسبب سلوك لا يقبله المجتمع، أو أن يعاقب على سلوك غير لائق اجتماعياً علانية أمام قاضٍ أو سلطان أو عامة<sup>(٣)</sup> .

(١) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦٥-٧٦٧ ؛ ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام الحراني ، الحسبة في الإسلام ، أو وظيفة الحكومة الإسلامية ، تح : الشيخ إبراهيم رمضان ، ط ١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ١١٦ ؛ ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ، القربة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه : روبن ليوي ، مكتبة المثنى ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٨ ، ٧٨ ، ٢١٩ .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٣-٥٤ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ط ٢ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٦٩ .

(٣) أبو غانم ، البنية القبلية في اليمن ، ص ٢٦٣-٢٩٦ .



## ثانياً - التجارة الخارجية :

### ١- الطرق التجارية :

لعبت التجارة دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية لبلاد اليمن في العصر الأيوبي، وغدت مركزاً هاماً لتجارة سلع الشرق، حيث كانت السفن التجارية القادمة من شتى مرافئ الهند والصين والسواحل الشرقية للقارة الإفريقية، تصل إلى فرضة عدن حيث تفرغ حمولتها من البضائع المختلفة، ثم من عدن يتم نقل البضائع عبر الطرق التجارية اليمنية، سواء كانت بحرية أم برية، إلى الشمال حيث بلاد الحجاز ومصر، ومن الإسكندرية، ميناء مصر الأول، كانت تحمل البضائع إلى دول الغرب الأوروبي<sup>(١)</sup>، ومن أهم الطرق التجارية مايلي :

### أ- الطرق التجارية البحرية :

موقع اليمن الاستراتيجي المطل على مياه المحيط الهندي من الجنوب، والبحر الأحمر من الغرب، وتحكمه في مضيق باب المندب الموصل بينهما، جعل اليمن بلداً يتوسط بلدان الشرق، كالهند والصين وبلدان الغرب وشرق إفريقيا<sup>(٢)</sup>، مما كان له أثره البالغ في الدور الذي قام به اليمنيون في التجارة العالمية عبر هذه البحار، طوال العصور التاريخية المختلفة . وكان لا بد لمن يسلك هذه البحار أن يكون خبيراً بها، عارفاً بمواسم الصلاحية للرحلات البحرية وطرقها المسلوكة، من ارتفاع الأمواج، وشدة الرياح، ووجود الصخور والخلجان وغيرها، فالرياح كانت هي العامل الحاسم آنذاك في دفع المراكب الشراعية وتسييرها من مكان إلى آخر، وكان لهذه الرياح مواقف معروفة لدى النواخذ والملاحين، بمواسمها التي يصلح فيها الإبحار وغير الصالحة لمسير السفن، يوضح ذلك العبارة التالية: "والمعلم الماهر لا تخفى عليه جميع الأرياح ومواسم [أسفار] جميع الدنيا، لأنها مرتبة على الأرياح"<sup>(٣)</sup> .

وقد أوضح الجغرافيون العرب مدى الصعوبات التي كان يواجهها الملاحون

(١) المقرئزي ، السلوك في معرفة دول الملوك ، ج ٣ ، ص ٤١٦ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٢٥ .  
(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩-٣٠ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣-٤ ؛ السقاء ، تاريخ العرب القديم ، ص ٧٣ ؛ أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، ص ١٢٦ .  
(٣) شهاب ، حسن صالح ، فن الملاحة عند العرب ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ١٨٧ .

في البحر الأحمر مما يستلزم منهم توافر قدر كبير من المهارة لدى النواخذة لتخطي الشعاب المرجانية التي تعترض المجرى الملاحي به في كثير من المواضع<sup>(١)</sup>، وكان الملاحون اليمنيون على دراية كاملة بالرياح الموسمية المساعدة على دفع السفن جنوباً والرياح الموسمية الغربية التي تساعد على الاندفاع ناحية الهند، والرياح الموسمية الشتوية التي تتجه الى الشمال الشرقي، الأمر الذي أفادهم كثيراً في رحلاتهم المتجهة عبر البحار المختلفة<sup>(٢)</sup>.

وسلك البحارة اليمنيون في رحلاتهم البحرية طريقين: أحدهما يتم بمحاذاة السواحل، والآخر يتم باختراق البحر مباشرة، أما الطريق الأول، فكانت تجوبه السفن المتجه من عدن الى عُمان وفارس ثم الهند<sup>(٣)</sup>، كما كان السير من الشرق الأقصى يبدأ من الصين، ثم يمر بسواحل الهند الغربية الى أن يصل الى ساحل عمان، ثم سواحل اليمن الجنوبية فالبحر الأحمر، أما السفن المتجهة الى القرن الإفريقي فكانت هي الأخرى تسير بمحاذاة ساحل شرق إفريقيا حتى بلاد الزنج<sup>(٤)</sup>، وقد شرح ابن المجاور ذلك، حيث يقول: "ومن عدن الى مقديشو موسم (أي رحلة تستغرق موسماً تجارياً) ومن مقدشو الى لكوة موسم ثان، ومن لكوة الى القمر موسم ثالث، وكان القوم يجمعون الثلاثة مواسم في موسم واحد"<sup>(٥)</sup>.

#### ب - الطرق التجارية البرية :

حرص حكام اليمن وسلطينها وأمرؤها منذ القدم على الاهتمام بالطرق التجارية البرية لكونها تخدم أغراض متعددة، يأتي في مقدمتها تسهيل وصول قافة الحج اليمني وسير الجيوش وانتقاله من موقع الى آخر للدفاع عن الحصون والقلاع والمدن،

(١) شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، ص ٢٢٥ ؛ السيد عبدالعزيز سالم ، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ م ، ص ٤ ؛ السيد عبدالعزيز ، والعبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

(٢) السيد عبدالعزيز سالم ، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي ، ص ٥ .

(٣) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٢ م ، ص ٢٢٧ .

(٤) الناصري ، علي حسين ، النشاط التجاري في شبه جزيرة العرب أواخر العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ م ، ص ١٤١ .

(٥) المستنصر ، ص ١١٧ ؛ شهاب ، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص ٧٢ ؛ ولكوة والقمر : جزر تقع في الركن الجنوبي لقارة أفريقيا .

وتيسير وصول البريد من العاصمة الى الولاة والنواب في المدن والأماكن المختلفة في اليمن، بالإضافة الى خدمة التجارة بنوعيتها الداخلية والخارجية، حيث تنقل العير البضائع الى أنحاء اليمن كافة ومنها الى خارجها شرقاً وغرباً .

وجرت العادة، عند إنشاء الطرق، أن يجعلوا بين كل فرسخ وآخر أو مرحلة وأخرى مسجداً للمصلين واستراحة وبئراً لمياة الشرب<sup>(١)</sup>، وكانوا في الغالب يجعلون هذه الطرق تمر عبر القرى اليمنية العديدة ضماناً لأمن المسافرين وراحتهم عبرها وتوفيراً للأغراض المطلوبة للمسافر أثناء السفر .

وكانت توجد في اليمن، في العصر موضوع الدراسة، ثلاث طرق بريّة رئيسة، هي: الطريق الساحلي، والطريق الجبلي، وطريق السهل الشرقي .

- **الطريق الساحلي**: وهذا الطريق كان يبدأ سيره عبر تهامة، ويتفرع منذ بدايته الى فرعين: الفرع الأول يتجه على الساحل مباشرة، حيث يسير من عدن الى باب المندب، فالمخاء، والسحاري، والخوخة، والأهواب، وغلافقة، والشرجة، وعثر، وحمضة، وحلى، ثم السرين حتى يصل جدة، والفرع الثاني، يتجه من عدن الى موزع، وحيس، والساعد، وعثر، والهجر، ثم السرين، ومنها الى مكة أو جدة . وتستغرق رحلة القوافل، على هذه الطرق من عدن الى مكة في تلك الفترة، حوالي شهر تقريباً<sup>(٢)</sup> .

وقد ازدادت أهمية هذا الطريق الساحلي أثناء حكم الدولة الايوبية لليمن، نتيجة لزيادة النشاط التجاري فيما بين مصر واليمن .

- **الطريق الجبلي**: وهو الطريق الذي يصعد الى الجبال مخترقاً السلسلة الوسطى من جبال اليمن طويلاً، ويسير من عدن الى الجوة والجند وذي أشرق، وإب ثم نمار، وصنعاء، وريدة، وأثافت، وخيوان حتى يصل الى صعدة، وجرش، وبيشة، وتبالة، ومنه الى الطائف... إلخ<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر: ابن الجاور، المستنصر، ص ١٥٠-١٥١؛ فيذكر ان طفتكين اتفق على اصلاح الطرق من ماله الخاص . عن الاهتمام بالطرق في العصر الايوبي انظر: ص ١٦٦-١٦٧ .

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٥٢؛ الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، مسالك والممالك، تح: محمد جابر عبدالعال ومحمد شفيق غريال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ/١٩٦٠م، ص ٢٨؛ عمارة، المفيد، ص ٧١-٧٢ .

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١١٢؛ عمارة، المفيد، ص ٦٧-٧٠؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٣٤-١٣٥ .

وعلى الرغم من أن هذا الطريق الجبلي كان أكثر نشاطاً واستخدماً لقوافل التجار والحجيج خلال العصور الإسلامية الأولى، إلا أن ذلك النشاط تقلص في العصر موضوع الدراسة نتيجة لوجود دولة الإمامة الزيدية في صعدة، والتي لم تكن على وفاق مع الكيانات السياسية والقبلية التي وجدت في اليمن أثناء الوجود الأيوبي وسيطرته على أغلب مناطق اليمن، والعداء الذي استمر بين الزيديين والأيوبيين طوال فترة العصر الأيوبي، ومن ثم فإن ذلك كان يعرقل سير القوافل، إذا ما اتخذت طريقها عبر الجبال عند صعدة<sup>(١)</sup>، فضلاً عن ذلك وعورة مسالك الطريق وضيق ممراتها مما كان يسهل الاعتداء على القوافل، وبالأخير فإن تلك العوامل وغيرها أدت إلى تقلص النشاط التجاري عبر هذا الطريق الجبلي وتفضيل المرور عن طريق السواحل .

- **طريق السهل الشرقي** : وهو طريق ممتدة في جنوب اليمن، ويسير من حضرموت عبر شبوه ومأرب، ثم نجران ومنها إلى مكة أو جدة، وبالعكس عند الرجوع، ومنها إلى حضرموت ثم إلى عدن<sup>(٢)</sup>، وهو الطريق الذي كانت تسلكه قوافل التجارة قديماً . أما في العصر الإسلامي فقد قل السير عليه لعدم توافر المياه الكافية لسفر القوافل التجارية أو الحجيج، إلا أن قربه من مكة جعل بعض القوافل مضطرة أن تسلكه برغم صعوبته، واستمر ذلك لفترات متعددة من العصر الإسلامي، وقد أورد الأصبخري جملة ذلك الأمر بقوله: "وأما أهل حضرموت ومهرة كانوا يقطعون بلادهم في العرض ويسبرون حتى يصلوا إلى طرق الجادة التي بين عدن ومكة، والمسافة بينهم إلى الاتصال بهذه الجادة ما بين ثلاثين إلى خمسين مرحلة [٥٠ كم]<sup>(٣)</sup>، وإلى جانب ذلك الطريق وجد طريق آخر لأهل حضرموت وذلك في العصر الإسلامي، وهو الطريق الذي تسير به القوافل التجارية من حضرموت إلى عدن ومنها إلى مكة وبقيّة المناطق الشمالية<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٢) عمارة ، المفيد ، ص ٦٧ .

(٣) مسالك والممالك ، ص ٢٨ : المرحلة :

(٤) عمارة ، المفيد ، ص ٧١-٧٢ .

## ٢- مراكز التجارة في العصر الأيوبي :

قامت بعض المراكز التجارية في مدن اليمن التي اشتهرت بالنشاط التجاري والذي ربط اليمن بعلاقات وثيقة مع العديد من بلدان العالم، وأكسب بذلك التجارة الخارجية أهمية؛ لكونها أنمت الموارد المالية للدولة، وأصبح لتجار اليمن مكانة في ذلك النشاط التجاري الذي لاقى القبول والتشجيع من قبل حكام اليمن وأمرائهم ؛ ومن أهم المراكز التجارية التي نشطت في العصر الأيوبي مايلي:

### أ - مدينة عدن :

عندما كانت بلاد اليمن مركزاً هاماً لتجارة الشرق، والحركة التجارية مزدهرة في المحيط الهندي والبحر الأحمر مع تلك البلدان الشرقية، كانت جميع السفن التجارية القادمة من الهند والصين لابد ان تمر بميناء عدن، ومنها تنقل البضائع في البحر الأحمر الى ميناء عيذاب، حيث تدخل من هناك الى مصر عبر تجار الكارم<sup>(١)</sup> الذين كانوا يفضلون الرسو به بسبب سهولة الدخول فيه والخروج منه؛ وبذلك فقد أفادت المصادر بأن ميناء عدن كان من أهم الموانئ بين المحيط الهندي والبحر الأحمر في العصر الأيوبي، وأصبحت عدن في ذلك الوقت من أكبر مراكز التجارة والنقل في العالم<sup>(٢)</sup>، الى درجة أن المقدسي أطلق عليها دهليز الصين، واصفاً حركة النشاط التجاري بعدن من خلال حديثه عن الأرباح الطائلة التي يجنيها التجار من وراء نشاطهم بعدن فيقول: "إذا أنت دخلت عدن فسمعت أن رجلاً ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار، وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة ، وآخر

(١) يعتقد بعض الباحثين ان اسم الكارم مأخوذ عن الكايم وهي منطقة من السودان الغربي تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد ، وان هذا الاسم أنتشر بين من اشتغلوا بتجارة البهار بعد أن وقع فيه تصحيف وأصبح كارم ؛ ويفترض هؤلاء الباحثين ان هذا اللفظ قد أخذ عن متاجر التجار نفسها ، ذلك أنه وجد في اللغة الأمهرية لفظة شبيهة بلفظة الكارم وهي تعني (الحبهان) الهيل وهي من التوابل التي تاجروا فيها ثم حرفت الكلمة وأصبحت كارم وأطلقت على التجار . صبحي لبيب ، "التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية"، مج ٤ ، العدد (٢) ، القاهرة ، ١٩٥٢م ، ص ٦٠ . وقسم أحد الباحثين تلك الكلمة (كارم) الى مقطعين : الأول: كار، وتعني الحرفة أو العمل في التجارة ، والثاني: يم ، ومعناها المحيط أو البحر ثم اسقطت الياء من كاريم فصارت كارم ، ومعنى الكلمة حسب هذا الرأي هو حرفة التجارة في البحر . الشاطر بصيلي ، " الكارمية " ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ١٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ٣٢٠ .

(٢) ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد ، رحلة ابن جبير ، ط بيروت ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ص ٦٣ .

بكافور فرجع مثله كافور . . .»<sup>(١)</sup>.

ولعل ازدهار التجارة الشرقية عموماً وتجارة الكارم خصوصاً، في اليمن قد لفت نظر الأيوبيين إلى الأهمية التي تحتلها هذه البلاد من الناحية التجارية، فكان ذلك من العوامل التي دفعت الأيوبيين إلى السيطرة عليها بصفقتها مفتاح التجارة الشرقية، وتجارة الكارم التي يجني منها الأيوبيون أموالاً طائلة بسبب كثرة الضرائب المفروضة عليها في ميناء عدن ثم في موانئ مصر .

وما أن تمت سيطرة الأيوبيين على اليمن حتى اهتموا بالتجارة الشرقية اهتماماً بالغاً وعملوا على تنشيطها في ميناء عدن وتنظيمها؛ فقد أدرك الأمير عثمان الزنجيلي، والي عدن من قبل توران شاه الأيوبي، أهمية عدن في ميدان التجارة الشرقية، فعمل على العناية بها وتحسينها، فأحاطها بثلاثة أسوار، الأول سور دائري على جبل المنظر إلى آخر جبل العر، وركب عليه باب حقات، وأقام سوراً ثانياً على جبل الخضراء، وابتدأ به من حصن الخضراء إلى حصن التّعكر، وأدار سوراً ثالثاً على ساحل البحر الأحمر من لحف جبل الخضراء إلى جبل حقات، وركب فيه ستة أبواب، هي: باب الصبّاعة، وباب حومة، وباب السيّلة، وباب الفرضة، وباب مشرق، وباب حيق؛ وعمل أمير عدن على تنظيم تحصيل الضرائب ودخول البضائع وخروجها فأنشأ الفرضة، وهي عبارة عن صالة كبرى للجمارك يتم فيها وزن البضائع وعدّها وتقدير قيمتها تمهيداً لتحصيل الضرائب عليها، وجعل لها بابين: أحدهما من جهة البحر، تدخل منه البضائع قبل أن تُعشر، والآخر من جهة المدينة، تخرج منه البضائع بعد أن تُعشر<sup>(٢)</sup>، واهتم أيضاً بتنشيط الحركة التجارية في مدينة عدن فأنشأ قيصارية وأسواقاً ودكاكين وأجرها على التجار؛ وقد ازدهرت الحركة التجارية في مدينة عدن وصارت في زمانه مركزاً تجارياً ضخماً، وصارت لها أهمية اقتصادية حيث يؤمها التجار من كل البقاع . وعمل بعد ذلك الملك طغتكين بن أيوب الكثير من التوسعات في سوق عدن، ووضع نظاماً دقيقاً لتأمين وصول المراكب إلى الميناء، وتفريغ شحناتها وبيعها، ثم شحنها بالبضائع المحلية المصدرة .

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٤، ٨٥ .

(٢) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١، ص ١٤ . وللمزيد انظر: ص ٢٢٢ من هذه الرسالة .

فكان يُرسل الشواني لحماية السفن التي تتعرض لاعتداء اللصوص والقراصنة في عرض البحر، وسار على ذلك النهج خلفاؤه<sup>(١)</sup>، فعندما انقطعت التجارة الشرقية عن الوصول إلى ميناء عدن سنة ٦٠٢هـ بسبب ازدياد نشاط القراصنة في المحيط الهندي بادر الأمير الأتابك سيف الدين سنقر إلى إرسال الشواني لحماية التجارة في المحيط الهندي من اللصوص، وقد نجحت البحرية الأيوبية في طردهم من الجزء الساحلي القريب من اليمن، واستمرت تقوم بدورها في حراسة عدن وحماية تجارتها في البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى أواخر العصر الأيوبي<sup>(٢)</sup>، وامتدت جهود الأتابك سنقر في سبيل تأمين سبل التجارة اليمنية إلى جزيرة سقطرى؛ حيث اتخذها القراصنة والسراق مأوى لهم يلجأون إليه بحصيلة نهبهم، فنجده يوجه إليها حملة بحرية من خمس شواني لتطهيرها من هؤلاء المتجرمة<sup>(٣)</sup>. فنشطت الحركة التجارية بين الشرق والغرب، وتدفق التجار والسفن التجارية، وعقدت الأسواق الموسمية فيها، ومن أشهر المواسم التجارية التي كانت تعقد في عدن موسم قدوم التجار الهنود الذين يأتون محملين بالبضائع المختلفة، فيقومون بشراء البضائع المختلفة من عدن ثم يعودون مخلفين وراءهم بضائعهم مع غلمانهم الذين ينتظرون الموسم الآخر لبيعها، وهو قدوم تجار مصر (الكارم) لتنشيط الحركة التجارية من جديد. ويعمل تجار الكارم مثل تجار الهنود في شراء البضائع الموجودة في عدن وترك بضائعهم لموسم قادم<sup>(٤)</sup>.

وأكبر دليل على ازدهار النشاط التجاري في ميناء عدن، كثرة السفن المحملة بالبضائع التي ترسو في الميناء، ويقدر عددها سنوياً بما بين ٦٠ إلى ٧٠ مركباً تزيد لا تنقص<sup>(٥)</sup>، والتي تأتي من كل مكان، فعرفت عدن بذلك بأنها عين اليمن، ووصفت كذلك بأنها مرفأً مراكب الهند والحجاز والحبشة<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٢؛ حوراني، جورج فضل، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل

القرون الوسطى، ترجمة: السيد يعقوب بكر، مطابع الكتاب العربي، منشورات مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٢١٠، ٢٢٧، ٢٣٠.

(٢) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤١-١٤٢؛ ابن حاتم، السمعط الغالي، ص ١٣١.

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ للمزيد انظر: الشمري، محمدي، إبراهيم، الإجراءات الأمنية لحماية التجارة والتجار في ميناء

عدن خلال العصر الأيوبي، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٤٥)، السنة الثامنة عشر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٩٣-٩٩.

(٤) نور المعارف، ج ١، ص ٤٩٢ وما بعدها.

(٥) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٤.

(٦) البغدادي، مرصداً الإطلاع، ج ٢، ص ٢٤١.

## ب - مدينة زبيد :

شاركت زبيد عدن في النشاط التجاري، وتركزت فيها الحركة الاقتصادية والرخاء المادي، وساعدها على ذلك وجود مصانع النسيج التي اشتهرت بها، بالإضافة الى تمتعها بمقومات زراعية واسعة تتمثل في واديهما الخصيب، فضلاً عن أنها كانت نقطة التقاء العديد من المناطق الزراعية، فكانت تصدر المنسوجات والمزروعات الى أغلب البلاد بعد الاستهلاك المحلي، ولهذا كان النشاط التجاري بها فاعلاً لا سيما الخارجي منه، كذلك تعددت الواردات إليها أيضاً وبخاصة سلع الحجاز ومصر والحبشة، بالإضافة الى السلع الواردة من بلدان الشرق الأقصى<sup>(١)</sup> . والشئ الجدير بالملاحظة أن حركة الواردات والصادرات في زبيد كانت تتم عن طريقين: الأول طريق بري يصل بين زبيد ومصر مروراً بأرض الحجاز، وهو الطريق الذي اعتادت قوافل الحج على اجتيازه من مصر الى مكة، ومن مكة الى اليمن، وبالعكس عند رحلة العودة، والطريق الآخر الطريق البحري، وهو فرعان، الأول المؤدي الى مصر ويبدأ من ميناء غلافقة الى مصر عن طريق الموانئ المصرية الشهيرة آنذاك: عيذاب، الطور، السويس، والآخر يبدأ من غلافقة أيضاً ويتجه الى سواحل شرق إفريقيا وبلاد الحبشة والهند والصين، وبالعكس عند العودة<sup>(٢)</sup> .

## ج - مدينة صعدة :

وهي من المدن والمراكز التجارية المهمة في اليمن، فقد ذكر أنها كانت مدينة عامرة أهلة يقصدها التجار من كل بلد<sup>(٣)</sup>، وأهم إنتاجها التجاري الأديم، الذي كان يصدر من مدابغها ذات الشهرة الواسعة في تجهيز الجلود، ولا يضاهيها سوى مدابغ صنعاء، وكان مجتمع التجار وأهلها أصحاب أموال وافرة وبضائع وتجارات كثيرة<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٩ ؛ ويؤكد القلقشندي التفوق التجاري الذي نالته مدينة زبيد فذكر ان زبيد فرضة اليمن وبها مجتمع التجار من الحجاز ومصر والحبشة ومنها تخرج بضائع الهند والصين . صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ .

(٣) إسماعيل الأكوخ ، البلدان اليمنية ، ص ١٧٥ .

(٤) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٥٥ ؛ وكان لصعدة دور في دباغة الأديم الذي كان يصدر الى المناطق المختلفة في اليمن وكذا الى الحجاز . المصدر نفسه والجزء ، ص ١٤٦ .



## د - مدينة صنعاء :

مثلت صنعاء مركزاً تجارياً داخلياً، وكذا مركزاً للتجارة الخارجية، أسهم في ذلك موقعها في الهضبة اليمنية التي كانت مسلكاً برياً للقوافل التجارية الى العديد من الأقطار المجاورة، كالحجاز والعراق وفارس والشام ومصر، وتشير المصادر الى وجود طريقين بريين كانت تسلكهما القوافل التجارية في رحيلها الى العراق، أحدهما، طريق كان يمتد من صنعاء الى البصرة عن طريق اليمامة، والثاني من صعدة الى البصرة عن طريق الרכب<sup>(١)</sup>، وقد أورد ابن المجاور نصاً يعزز استعمال تجار اليمن للطرق البرية المارة بصنعاء وصعدة في طريقهم الى العراق وهم يركبون الحمير ويحملون الأدم أو الجلود، معهم وذلك في معرض حديثه عن طريق الرضراض القريب منهما، وأن هذا الطريق ينفذ الى البصرة والكوفة مروراً باليمامة والإحساء<sup>(٢)</sup>، وهناك طريق آخر أيضاً يوصل بين صنعاء وصعدة والشام ومصر<sup>(٣)</sup>.

ومما لا شك فيه أن موقع صنعاء وارتباطها بالبلدان العديدة عبر شبكة الطرق الداخلية والخارجية، قد أسهم الى حد كبير في تنشيط الحركة التجارية فيها من خلال تصدير العديد من منتجاتها واستقبال العديد من البضائع .

## ٢- حركة الصادر والوارد وإجراءاتها :

كانت الأسواق في المدن والقرى المختلفة هي الأماكن التي تمارس فيها التجارة، لذلك عرفت اليمن العديد من الأسواق التي اكتظت بأنواع السلع المنتجة محلياً والمصدر فائضها الى الأسواق الخارجية، وكذا السلع الواردة، وبخاصة من الشرق الأقصى (الهند والصين)، أو من مصر أو السواحل الإفريقية الشرقية (الحبشة والصومال)، الأمر الذي أدى الى التنوع الشديد في حركة الصادر والوارد في اليمن، وبيان ذلك كالآتي:

(١) الهمداني ، الجوهريين العتيقتين ، ص ١٢٨ ، المتيمي ، الصناعة الحرفية في مدينة صنعاء وأفاق تطورها ، ص ١٦٥ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٢١٦-٢١٧ .

(٣) الهمداني ، الجوهريين العتيقتين ، ص ١٢٧ .

## أ- الصادرات :

صَدَّرت اليمن العديد من المصنوعات والمزروعات التي كانت تنتجها داخلياً، إلى العديد من البلدان المجاورة، فقد صدرت من الأحجار الكريمة الجزع والعقيق<sup>(١)</sup>، ومن الأسلحة السيوف اليمانية الجيدة ذات الحدة والصلابة، ومن المنسوجات صدرت أنواع البرود التي اشتهرت بها اليمن لجودتها<sup>(٢)</sup>، كما كانت تقوم بتصدير سائر أنواع الثياب والوشى الجيد والعنبر، وبعض أنواع مواد صباغة الملابس، وعلى رأسها الورس والنيلة والفوة<sup>(٣)</sup>، ومن الحيوانات الخيول العرب الجيدة التي تستخدم في السباق والبغال والحمير والأغنام<sup>(٤)</sup>، وطيور الصيد الجارحة<sup>(٥)</sup>، ومن المنتجات اليمنية أيضاً التي شاع تصديرها إلى مختلف البلدان، التمر والدخن، والذرة، وكانت تصدر إلى الحجاز، كما كان الجزع يصدر إلى الحبشة<sup>(٦)</sup>، واللبن إلى مختلف الدول كالهند وخراسان والصين<sup>(٧)</sup>، كما تخصصت بعض المناطق اليمنية بتصدير الفائض من منتجاتها، فكان يتم تصدير السمك المجفف من الشحر إلى عمان والبصرة<sup>(٨)</sup>، كما كانت تصدر عدن العطور<sup>(٩)</sup>، أما أنواع المنسوجات، كالثياب والبرود بأنواعها، فكانت تصدر من السحول وشرعب والمعافر وعدن وحجة وغيرها إلى مختلف الأنحاء<sup>(١٠)</sup>، واشتهرت زبيد بتصديرها لعدد من منتجاتها، ويأتي على رأس صادراتها الملابس بأنواعها لا سيما الحريرية منها وبعض البهارات كالزنجبيل والتمر هندي (الحمر)، كما يخرج من زبيد الأدم الذي يباع بالعدد<sup>(١١)</sup> .

(١) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٣٦ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٧ .

(٢) Serjeant , islamic Textiles , p . ١٢٧

(٣)

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٧٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤١ ؛ ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٨١ .

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ٧٣ .

(٧) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ ؛ الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٤٦٠-٤٦١ .

(٩) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ .

(١٠) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٥ .

(١١) Serjeant , : islamic Textiles . p . ١٣٢ .

(١١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ .

وهناك صادرات من اليمن الى بلدان مختلفة بعضها من إنتاج اليمن وبعضها من مستورداته من بلدان متعددة ، وقد وضع ذلك المقدسي بقوله: "اليمن معدن العصائب، والعقيق والأدم، والرقيق، فإلى عمان تخرج آلات الصيادلة والعطر كله، حتى المسك، والزعفران، والبقم، والساج، والساسم، والعاج، واللؤلؤ، والديباج، والجزع، واليوافيت، والأبنوس والنارجيل، والقند، والإسكندروس، والصبر والحديد والرصاص والخيزران، والغضار والصندل والبلور والفلل والعنبر والشروب والدرق وجلود النمر... (١) .

ومن خلال قائمة الصادرات التي أوردها المقدسي، نجد ان منها ماينتجه اليمن مثل العقيق، والجزع والصبر، ومنها ما يأتيها من بلدان متعددة، فتصدره الى البلدان الأخرى، مثل خشب الساج والعاج والأبنوس والديباج والغضار والبهارات وغيرها .

**ب - الواردات :**

كانت اليمن تستورد الكثير من السلع والمنتجات من بلدان مختلفة، بعض هذه الواردات مواد خام تصنع في اليمن، بعضها للاستهلاك المحلي والآخر للتصدير، وبعض هذه الواردات يؤخذ عليها عشور والبعض الآخر معفي . فمن السلع الشرقية التي كانت ترد الى ميناء عدن، الأفافية، وهي اسم جامع لجميع البهارات والتوابل الهندية مثل: الفلفل، والكافور، والهيل والقرنفل والزعفران وغيرها . والكتان والفول والمعز والخيل والصابون والأرز والسمن . وبعض المنسوجات مثل الثياب العرابية . ومن مصر: الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون وزيت الزيتون (٢) . ومن الحبشة: الجواري العشارية، والخرز . ومن الواردات أيضاً الحديد والرصاص والعاج والأبنوس . كذلك كانت ترد الى ميناء زبيد الكثير من الواردات القادمة من مصر لأنها أقرب من عدن . وترد إليها مراكب الزبالع (٣) القادمة من الحبشة (٤) .

(١) أحسن التقاسيم ، ص ٩٧-٩٨ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٣) الزبالع : لقب يطلقه أهل اليمن على غالب السودان الخارجين من بلاد الحبشة ، لا سيما من لم يكن منهم رقيقاً ، وربما يكون ذلك نسبة الى بلدة زبلع في القرن الإفريقي حالياً . انظر : الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٩ .

فمن الواردات أيضاً التي تأتي الى اليمن من جنوب شرق إفريقيا الذهب والشمع<sup>(١)</sup>، وقشر السلحفاة وكميات من جوز الهند والرقيق<sup>(٢)</sup> .

ومن الصين تستورد اليمن الحرير، والمسك والعود والسروج، والحديد والفلفل والأبنوس وغيرها من المنتجات التي يزداد الطلب عليها<sup>(٣)</sup> .

يجدر الإشارة إلى أنه كان يتم تحصيل العشور أو الضرائب على البضائع كافة سواء الواردة الى الموانئ اليمنية وبالذات عدن أم الصادرة منها، أما السلع والبضائع الواردة بغرض إعادة تصديرها مرة أخرى فكانت فيما يبدو تحفظ في مخازن الفرضة بعدن الى ان يتم إعادة تصديرها ثانية، ولم تذكر لنا المصادر ما إذا كانت تحصل عليها عشور التجارة أسوة بغيرها من أنواع التجارة الداخلية للمدينة أم تعفى منها . ولكن الثابت لدينا أنه كانت تحصل عليها ضريبة دار الوكالة، ومال الفرضة مقابل الانتفاع بحق التخزين، وهي ضرائب، كما ذكر ابن المجاور، لازمة على كل ما يدخل الفرضة حتى ولو كانت السلع معفاة من العشور<sup>(٤)</sup> .

ويأتي في مقدمة المواد الخام الواردة الى اليمن، حيث يقوم الصناع اليمنيون المتخصصون بمعالجتها وتصنيعها، ثم إعادة تصديرها ثانية كالأدم (أي الجلود) رغم توفير أنواع منه في اليمن، ويتم دبغها في المدايق اليمنية المنتشرة في اليمن، ثم يعاد تصديرها ثانية على شكل جلود بدون تصنيع أو في شكل مصنوعات جلدية مختلفة<sup>(٥)</sup> .

والشيء اللافت للاهتمام أن الأيوبيين في اليمن ألغوا بعض العشور أو الرسوم المفروضة على بعض السلع الاستهلاكية الواردة من مصر والهند والحبشة وبعض المدن اليمنية، بغية تنشيط التجارة وتوفير السلع الضرورية في الأسواق، ولذا تطلب الأمر تشجيع التجار على توريدها للبلاد ومثال على ذلك:

(١) شهاب ، أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص ٧٠ .

(٢) الثمري ، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ، ص ٣٤٥ .

(٣) انظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٧١ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ ، ١٤٨ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٧-٩٨ .

- تم إلغاء العشور على بعض السلع الواردة من مصر، مثل: الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون الرقي والأشنان<sup>(١)</sup> والقطارة وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح وكل ما يتعلق بالنقل<sup>(٢)</sup>، وعسل النحل بشرط قلة الكميات الواردة منهما<sup>(٣)</sup> .

- أعفيت بعض السلع الواردة من الهند من الضرائب كالعشور، مثل: السلع التي تصل عن طريق البحر كالأهليلج<sup>(٤)</sup>، والأنطاع، والمخاد، والأرز، والسسم، والصابون، وحطب القرنفل، والثياب العربية (وهي ثياب يتم صنعها في الهند)<sup>(٥)</sup>، وكان الخرز المجلوب من الديبل<sup>(٦)</sup> يعفى أيضاً من العشور، وقد أشار إلى ذلك ابن المجاور ذاكراً أن غلمان جودر المجلوبين من الهند كانوا يعفون من العشور<sup>(٧)</sup>، ويضيف لقمان أن الضرائب لا تفرض على الجواري الجميلات والعبيد والغلمان إذا كانت عيونهم واسعة<sup>(٨)</sup>، ولعل ذلك يرجع إلى الحاجة الماسة لمثل ذلك النوع من الجواري والعبيد، لأنهم يتمتعون بمزايا جمالية خاصة لها سوقها الرائج وقتذاك واستخدامهم في خدمات خاصة بالأمراء كخدمة قصورهم ومجالس سمرهم، وكذلك في خدمة الميسورين من التجار وأرباب الأعمال، وهذا يؤكد أن تجارة الجواري والعبيد كانت رائجة بشكل واسع في اليمن وبخاصة في عدن .

- 
- (١) الأشنان : هو شجر ينبت في الأرض الرملية ويستعمله العرب هو ورماده في غسل الثياب . انظر : الشمري ، محمد كريم إبراهيم ، " الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجري " ، دراسة تاريخية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٣٥) ، السنة ١٤ ، بغداد ، ١٩٨٨ م ، ص ١٨٨ (ح ٨٣) .
- (٢) النقل : ما ينتقل به على الشراة أو النيبذ . راجع : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٦٧٦ (مادة نقل) ؛ الشمري ، الفعاليات الاقتصادية ، ص ١٨٨ (ح ٩٣) .
- (٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ ؛ وهناك مجموعة أخرى من السلع التي كانت معفية من الضرائب منها: السليط والطور ولوز الحلويات إن كان قليلاً . انظر : لقمان ، تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ .
- (٤) الأهليلج : هو مادة تستعمل كمسهل (تدخل في الأدوية) ، وأصنافه عديدة منها: الكابلي نسبة إلى كابل ، والهندي . انظر: الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٥٣٦ .
- (٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ .
- (٦) الديبل : هي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند ، وهي فرضة كانت تنتهي إليها مائة لاهو ومولتان .
- (٧) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ .
- (٨) تاريخ عدن ، ص ٢٩٩ .

وكان يعفى من العشور أيضاً النعال الهندية، إن كانت بلا شرك (سيور)، وإن كانت بشراك أخذت عليها العشور<sup>(١)</sup>. وربما أن هذه النعال كانت ترد من الهند كإحدى الخامات المكملة لصناعة النعال المنتشرة في اليمن وكان يعمل بها قطاعاً من السكان.

- ومن الشجر كانت ترد بعض السلع المعفاة من العشور، ومنها التمر المقلّف (المنزوع النواة)، والسّمك المملح إن كان بلا رأس، وإن كان برأس أخذ عليه العشور، ويبدو أن لذلك علاقة بسرعة فساد السمك إذا ورد كاملاً برأسه، ولذا كان التجار يعمدون إلى قطع رأس السمك حتى لا يتعفن بسرعة فيعيش مدة أطول في الأسواق وبالتالي يعفى من العشور<sup>(٢)</sup>، أو ربما أن رأس تلك الأسماك كان ثميناً ذا قيمة عالية وأنه كان مرغوباً عند السكان كغذاء في الشجر فيعفى من العشور.

- وأعفيت من العشور من واردات جنوب شرق إفريقيا، الماعز والثيران الواردة من الحبشة<sup>(٣)</sup>.

يتضح لنا من ذلك كله أن تلك المواد قد تنوعت واشتملت على مواد غذائية ضرورية لأهل البلاد، وبخاصة معظم السلع الواردة من مصر، وكذلك بعض واردات الهند والحبشة، كما كانت تضم مواداً أخرى للاستعمالات اليومية المنزلية، ومنها: الصابون والأنطاع والفرش والمخاد والثياب، وكذلك المواد التي تدخل في الصناعات الطبية كالأهليلج وغيرها، مع بعض السلع الكمالية كالعطور والخرز والنعال الهندية.

وهذا التنوع في أصناف السلع المعفاة من الضرائب يبين لنا مدى حاجة البلاد عامة ومدينة عدن خاصة - باعتبارها الميناء الرئيس - إلى سلع أساسية ترد من الشرق الأقصى والهند وجنوب شرق إفريقيا ومصر لسد حاجة السكان من تلك السلع والمواد المختلفة.

#### ج - الإجراءات المتبعة في حركة الصادر والوارد:

نظراً للأهمية التجارية والنشاط التجاري لليمن، وبخاصة ميناء عدن الذي شهد حركة واسعة ورواج للسلع الصادرة منه والواردة إليه، فقد اعتنى بوصفه الجغرافيون

(١) ابن الجاور، المستبصر، ص ١٤٣.

(٢) حماد، مظاهر الحضارة في اليمن، ص ٣٥٨ (ج ٧).

(٣) ابن الجاور، المستبصر، ص ١٤٢-١٤٣.

والرحالة المسلمون، ومنهم ابن المجاور المعاصر للأيوبيين في اليمن، حيث قدم لنا وصفاً شاملاً لما شاهده في هذا الميناء من عملية وصول السفن وسفرها والإجراءات المتبعة في ذلك، والتفتيش والضرائب وغيرها، ولعل من أمتع الأوصاف ذلك الوصف التفصيلي الذي قدمه عن التقاليد والإجراءات المتبعة عند وصول السفن الى ميناء عدن ومغادرتها له ومنه:

كان هناك شخص يسمى الناطور مهمته رصد السفن القادمة وهو على الجبل الأخضر القريب من الميناء، فإذا شاهد الناطور مركباً قادماً عن بعد نادى على رفيق له يخبره بوصول المركب بكلمة (هَيرِيا)، فيقوم زميله هذا الذي يسمى الجراب بإبلاغ خبر وصول المركب الى البلد، ثم يخبر المشايخ بالفرضة . ويكافأ الناطور في حالة صدقه بدينار عن كل مركب من مال الفرضة، أما إذا تبين كذبه ضرب عشر عصي . ثم يستقل عدد من المبشرين الصنابيق (مراكب الصيد الصغيرة) الى المركب القادم ومعهم موظف يدعى الكراني يقوم بكتابة كل ما في المركب من البضائع والأمتعة، ويدون كذلك اسم الربان ومن معه من التجار في نسختين يسلم إحداهما الى الربان ويحتفظ بالأخرى، ويسأل المبشرون الربان عن اسمه ومن معه ومن أين وصل ويسألهم هو عن والي المدينة وأسعار البضائع . ثم يصدر المبشرون جميعاً الى الوالي ويسلمونه نسخة مما كتبه الكراني ثم يدورون في البلد يبشرون أهل من وصل من التجار والمسافرين ويأخذون بشارتهم .

فإذا رست المركب صعد إليها المفتشون يفتشون جميع من فيها من التجار والمسافرين تفتيشاً دقيقاً يصل الى العمامة والشعر والكُمين وحزّة السراويل وتحت الأباط، وللنساء عجوز تفتشهن مثل ذلك . وبعد ثلاثة أيام من نزول التجار من المركب تنقل البضائع الى الفرضة (صالة الجمارك) فيعد المعدود منها ويوزن الموزون بالقَبَّان لتقدير الضرائب عليها، وهي كثيرة، وتشمل: العُشُور، الشَّوَانِي، دار الوكالة، دار الزكاة، والدلالة وغيرها . وعندما يحين وقت المغادرة لا يستطيع التاجر السفر إلا بعد الحصول على خط جواز عليه علامة الوالي، ولا بد من وجود ضامن يضمنه بما قد يظهر عليه من دين أو عشور بعد ذلك . أما إذا كان غريباً ولم يجد له ضامناً فإن عليه أن يحضر منادياً ينادي في الأسواق أن فلاناً ابن فلان يعتزم السفر

فمن له عليه شيء يطالبه به فليتقدم، ويكون ذلك قبل سفره بمدة كافية، فإن لم يظهر له مطالب سار إلى أي جهة شاء<sup>(١)</sup>.

نستنتج من ذلك الوصف مدى الاهتمام التي أولته الحكومة في مجال التجارة، يضاف إليه ما قد سبق توضيحه حول اهتمام الحكام والأمراء في بناء الأسوار حول مدينة عدن وفرضتها، وكذا الاهتمام بالأسواق وبناء القيساريات وترميم القديم منها، وحماية المراكب التجارية في البحر والقادمة من الهند وإفريقيا وغيرها وذلك عن طريق إرسال الشواني إلى عرض البحر لتأمين وصول السفن إلى موانئ اليمن وبخاصة عدن<sup>(٢)</sup>.

ويمكن الاستنتاج من الوصف الذي قدمه ابن المجاور أن هناك قوانين شهدتها اليمن في مجال الاهتمام بالتجارة والتجار، يتم بواسطتها تنظيم الحركة التجارية، وأهم تلك القوانين: وقانون تنظيم المعاملات، قانون تنظيم عملية تفريغ البضائع من المراكب ودخولها الفرضة وخروجها منها، والقانون الضريبي، وقانون الملاحة البحرية (النقل البحري)<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً - وسائل المعاملات التجارية :

يرتبط النشاط التجاري في أي بلد بالعملة والموازين والمقاييس والمكاييل، ومن أجل القيام بدراسة شاملة للحياة التجارية باليمن في العصر الأيوبي يجب التعرف على العملة والموازين والمكاييل والمقاييس المتداوله آنذاك.

#### ١ - التعامل النقدي :

عرفت أسواق اليمن، مثل غيرها من أسواق الشرق الإسلامي، وحدات التعامل النقدي التي بواسطتها ينهض الاقتصاد وترسى دعائم الدولة، وتتعرز علاقاتها التجارية مع أقطار العالم المختلفة.

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣٨-١٣٩ ، ١٤٦ .

(٢) محيرز ، عبدالله أحمد ، الأعمال الكاملة (العقبة ، صهاريج عدن ، صيرة ) ، دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية وأبحاث متعمقة ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ١٨٩ .

(٣) عن تلك القوانين انظر : العراشي ، الدولة الرسولية في عهد الملك المظفر ، ص ١٤٤-١٤٥ .



ويمكن تقسيم الوحدات النقدية التي جرى التعامل التجاري بها في الأسواق اليمنية وخارجها (أي في أسواق مكة) والتي سكّت في العصر الأيوبي داخل اليمن وخارجها<sup>(١)</sup>، إلى ثلاث وحدات، هي: النقود الذهبية (الدينار)، وتمثل الوحدات النقدية الرئيسية لا سيما في المعاملات والصفقات التجارية الكبرى، ثم النقود الفضية (الدرهم)، والنقود النحاسية (الفلوس) وهما بمثابة الوحدات النقدية المساعدة<sup>(٢)</sup>.

أ- **الدينار المكي** : وينسب إلى الملك المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي الذي سك عملة جديدة بعد أن رأى تعدد عملات اليمن السابقة واضطرابها، وكانت الدنانير المستعملة في ذلك الوقت إما سعيدية نسبة إلى سعيد الأحول بن نجاح (٤٥٢-٤٨١هـ)، وإما عثرية من أعمال زبيد (نسبة إلى مدينة عثر بالمخلاف السلیماني)، فقام المكرم بضرب هذا الدينار سنة ٤٦٧هـ<sup>(٣)</sup>، وظل التعامل بذلك الدينار حتى قدوم الأيوبيين إلى اليمن<sup>(٤)</sup> واستمر التعامل بها طوال عهدهم وحتى بعد ذلك<sup>(٥)</sup>، وكانت هذه الدنانير تحمل أسماء ضاربها من ملوك وسلاطين بني أيوب، فمثلاً ضرب الملك توران شاه دنانير ذهبية في عدن سنة ٥٧٣هـ<sup>(٦)</sup>، ونُسب إلى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين دينار ذهبي ضرب في تعز سنة ٥٩٥هـ ويحمل على

(١) انظر: Goitein, (s.D), from Aden to India (specimens of the Correspondence of Indian Traders of the twelfth century, in (Journal of the Economic and Social History of the Orient) vol, xxlll, parts, I and II, April, ١٩٨٠, p. ٥٨-٦٠.

(٢) سامح عبدالرحمن فهمي، الوحدات النقدية المملوكية (عصر المماليك البحرية)، ط١، جدة، ١٩٨٣م، ص٢٧، ٢٩-٣٠.

(٣) انظر: بلعغير، محمد صالح، معطيات جديدة عن تاريخ اليمن الإسلامي: دراسة لتاريخ الدولتين الصليحية والزيرية من خلال المسكوكات، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الأول، يونيو، ١٩٩٦م، ص١٩.

(٤) وربما أن هذا الدينار الذي ضرب هو الدينار الحاتمي، الذي ذكره الخرجي في سياق حديثه عن الصلح الذي أبرمه السلطان بشر بن حاتم مع الملك طغتكين بن أيوب سنة ٥٨٣هـ، وقد حوت أهم بنوده على دفع الحاتمين مبلغ وقدره ثمانون ألف دينار حاتمية، العسجد المسبوك، ص١٦١.

(٥) ابن الجاور، المستنصر، ص٩٠، ١٤٥؛ الخرجي، العقود النولوية، ج١، ص١٧١، ٢٦٥-٢٦٦، ٣٢٧؛ ج٢، ص٤٨، ١٣٥.

(٦) عن تلك الدنانير انظر: BALOG, PAUL, THE COINAGE OF THE AYYUBIDS, ROYAL NUMISMATIC NO. ١٢, LONDON, ١٩٨٠, p. ٢٨٣.

الوجه عبارة: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه، وعلى مركز الظهر عبارة: الإمام الناصر لدين الله أحمد أمير المؤمنين، وفي هامش الظهر الملك المعز ناصر الدنيا والدين سلطان المسلمين إسماعيل بن طغتكين<sup>(١)</sup>.

**ب - الدينار المصري :** وهو الدينار الذي روجه الأيوبيون عند دخولهم الى اليمن وعرف بالدينار المصري<sup>(٢)</sup> أو الدينار الأحمر؛ وكان هذا الدينار يزيد في القيمة عن الدينار الملكي في بداية العصر الأيوبي، فقد حدده ابن المجاور بحوالي أربعة دنائير ونصف دينار ملكي<sup>(٣)</sup>. أما الدينار الملكي فقد كان يقسم الى وحدات نقدية صغيرة، حيث قسم الى أربعة أرباع، كل ربع يساوي ٣ جُوز، وكل جائز يساوي ٨ فلوس، وكل فلس يساوي أربعة دوارس (أو كل فلس يساوي بيضتين)<sup>(٤)</sup>.

**ج - الدرهم الفضي :** راج بشكل كبير في بلاد اليمن في العصر الأيوبي، وعرف في بلاد الزيدية بالدرهم العباسي<sup>(٥)</sup>، وكثر استعماله هناك، ولما كان التعامل في الأسواق والمناطق الزيدية بالدنائير الشموسية<sup>(٦)</sup> التي سكها الأيوبيون والدنائير السبئية التي سكها قبل ذلك سبأ بن أبي السعود وأحفاده من بني زريع أو الحاتميين؛ ولما كان في ذلك انتقاصاً لسيادة الدولة الزيدية (المنصورية) وارتباطها ارتباطاً مباشراً بالنظام الاقتصادي للدولة الأيوبية، قرر الإمام عبدالله بن حمزة سك عملة جديدة خاصة بدولته، وهذه الخطوة، وإن كانت من الخطوات الاقتصادية البحتة، إلا أن مضمونها لا يخلو من مغزى سياسي مفاده أن الإمام مُصر وعازم على المضي في إحياء الدولة الزيدية، وأنه في كل يوم يقترب من هذا الهدف خطوة خطوة، ويجسد لنا هذا المعنى قول الشاعر في هذه النقود :

أَمَرْتُ بِضَرْبِهِمَا الْمُخْلِصِينَ      فَجَاءَ كَمَثَلِهِمَا خَالِصِينَ

(١) انظر : Darley- Doran, Robert E , Examples of islamic Coinage from Yemen ,(in Yemen .

٣٠٠٠ Years of Art and Civilization in Arabia Felix,(ed,by Werner Daum Amsterdam

• Austria, ١٩٨٨ , p . ٢٠١)

Goitein .from Aden to india . p . ٦٠

١٤)

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٠ ؛ ولعل تسميته بالدينار الأحمر راجعة الى لون ذهب

١٥)

الدينار الضاربة الى الحمرة .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٩ ، ١٤٥ .

(٥) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٨٨ .

(٦) الدنائير الشموسية : ربما تكون منسوبة الى الملك شمس الدولة توران شاه الأيوبي الذي دخل اليمن سنة

## أهانا نُقُودُ جُنُودِ الضلالِ وكاتا بغيهما شاهدين

والى جانب هذا المغزى السياسي، يذكر ابن دعثم أسباباً أخرى منها: أن الإمام نظر في أمور المسلمين وما يقع عليهم من النقص من أموالهم والتفاوت في نقودهم؛ بسبب الغش في سك الدينار السبني والدرهم الأيوبي، وخلطها بالنحاس، مما أدى الى تناقص قيمتها إلى النصف والثلث والربع، بين حين وآخر؛ فلما رأى ذلك عزم على ضرب دراهم منصورية تحل محل هاتين العملتين، أو تكون بجانبهما وتكون سليمة السك ثابتة الثمن فأنشأ في صعدة سنة ٦٠١هـ داراً لضرب النقود، وعين الشيخ علي بن حسن الصعدي من بني النجار مشرفاً عليها<sup>(١)</sup> لما يتمتع به من أمانة وثقة، واعتمد في بادئ الأمر على الفضة في سك العملة، فكان العمل في البداية قليلاً نظراً لندرة الفضة، لكن الأمر تغير بعد أن جلبت الفضة من كل المناطق التابعة للدولة المنصورية التي تشتهر بوفرتهافيها، والتي كان الإمام يأخذ أخماسها، وعندما لم يف ذلك بالغرض اشترى الإمام ألوفاً من الققال من زبيد وغيرها من المناطق، فكان أن سك في شهر واحد ما مقداره خمسة وعشرون ألف درهم منصورية . وبعد ان استقر الأمر في سك الدرهم المنصوري، وهي رغبة طمح بها الإمام لإبطال التعامل بالدراهم الأيوبية، ضرب الدينار المنصوري من الذهب، والذي كان في القيمة يساوي الدينار الذي ضرب في عهد الإمام الهادي يحيى بن الحسين<sup>(٢)</sup>، وجعله ثلاث سكك : مثقال كامل، ونصف مثقال، وربع مثقال، وكتب عليه في الوجه الأول: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله، وفي دوره التاريخ والبلد وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أما الوجه الثاني فكتب عليه (الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين) وفي دوره (عبدالله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله)<sup>(٤)</sup> .

(١) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٣ ، ص ٧١٦-٧١٧ .

(٢) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٢٠ .

(٣) سورة المائدة ، آية رقم (٥٥) .

(٤) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٧٢٠-٧٢١ ؛ عبدالمغني محمود عبدالعاطي ، " أبو فراش بن

دعثم وكتابه السيرة المنصورية " ، مجلة كلية الآداب ، العدد (١٠) ، جامعة صنعاء ، ١٩٨٩م ، ص ٢٣٧ .

وكانت الدراهم المنصورية على قسمين:

- ١ - الدراهم الخفيفة<sup>(١)</sup> (الدرهم الصغير): يساوي ثمن قفلة<sup>(٢)</sup> .
  - ٢ - الدراهم الثقيلة<sup>(٣)</sup> (الدرهم الكبير): يساوي نصف قفلة، أي أربعة دراهم صغيرة .
- ومع أن الإمام حاول مجتهداً أن يخرج الدراهم المنصورية بالشكل الذي يجعلها تنافس الدراهم الأيوبية، إلا أن ذلك لم يتحقق؛ فنفر الناس عن هذه الدراهم في بادئ الأمر<sup>(٤)</sup>، ورفضوا التعامل بها في البيع والشراء حتى عين الإمام محتسباً للشدة على من ردها<sup>(٥)</sup>، والعقوبة على من امتنع عن قبضها<sup>(٦)</sup>، ويبدو أن ذلك لم يكف مما اضطر الإمام إلى التدخل بنفسه في الأمر، فكتب منشوراً ينطق بالشدة، ويتوعد فيه من رد الدراهم المنصورية، ويقسم فيه بأرجاع الدراهم الأيوبية إن أرجعوا الدراهم المنصورية<sup>(٧)</sup>، وبالفعل كان لهذا المنشور أهمية كبيرة في فرض هذه الدراهم على الناس أولاً، وعلى الأيوبيين ثانياً، ثم تغيرت الأمور لاحقاً، فصار

(١) Niitzel , Heinrich . Miinzen der Rasuliden Nebst Einem Abriss der Geschichte Dieser jemenischen Dynastie/ Coins of the Rasulids: Comprising A Synopsis of The History of That Yemenite Dynasty , Translated by Dr . Alferd Kinzelbach , Mainz , ١٩٨٧ , p .

٢٩ حول مآثرات هذه الدراهم انظر فيما سيأتي ، ص ٢٥٦ .

(٢) القفلة : درهم تام الوزن لا نقص فيه ولا زيف . انظر : الكرمل ، أنستاس ماري ، النقود العربية وعلم النميات رسائل في النقود لبلاندري والمقريري والذهبي ، مطبعة إلياس الحديثة ، القاهرة ، ١٩٣٩م ، ص ١٥١ ؛ تول ، كرسنوفر ، " مصطلحات عربية في المعايير والأوزان من كتاب الجوهريتين العنقيتين لئهمداني " ، ضمن كتاب : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره - بحوث ومقالات ، ترجمة : يوسف محمد عبدالله ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص ٤١٧ .

(٣) Balafier , Mohamed , Tresors et Collections de Monnaies islamiaues des Musees du Yemen , These de Doctorat , Universite de paris – Sorbonne (paris IV), ١٩٩٤, tome II, p. ٢٤٢ .

(٤) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي ، إنباء أنباء الزمن في تاريخ اليمن ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، رقم (١٢٤) ، ق ٦٦ ؛ غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٨٨ ؛ ويفسر الدكتور محمد صالح بلعقير هذا الأمر بقوله : " إن الإمام عبدالله بن حمزة قد ضرب أولاً الدراهم الخفيفة التي يتراوح وزنها بين (٦٠-٨٠ غرام) ، فلما نفر الناس عن قبضها ورفضوا التعامل بها قام بضرب الدراهم الثقيلة التي يتراوح وزنها بين (١٠٦٣-١٠٧٣ غرام) والتي أفتتج الناس بتداولها " . انظر : Balafier , op -Cit , P . ٢٤٢ .

(٥) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦٥-٧٦٦ .

(٦) عبدالغني محمود عبدالعاطي ، أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية ، ص ٢٣٧ .

(٧) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧١٨ .

الناس يرغبون في الدراهم المنصورية ويفضلونها على باقي العملات<sup>(١)</sup> .  
وفي العموم يمكن القول بأن دخول الأيوبيين اليمن يسجل خطأ فاصلاً في تاريخ العملة بها، فدور الضرب التي كانت تعمل بطريقة مستقلة، ويتم ضرب العملة لأسر حاكمية محلية مختلفة - أصبحت بعد الاهتمام المتزايد من قبل الأيوبيين بدور الضرب - تعمل تحت إشراف ومراقبة مركزية، وعلى الرغم من عدم تبعية بعض دور الضرب للدولة، إلا أنه يظهر أن هناك من كان يتقبلها على أن يدفع للدولة مبلغاً من المال كل عام مقداره ثلاثة عشر ألف دينار<sup>(٢)</sup>، بل إن البعض منها أصبحت إصداراتها تحمل الطابع الرسمي واسم السلطان والخليفة العباسي . حيث نجد توران شاه الأيوبي يقدم فيما بين سنتي ٥٦٩ - ٥٧١هـ على ضرب عملة ذهبية في اليمن، تحمل هذا الطابع الرسمي، وإن كانت لا تحمل اسم دار الضرب التي سككت فيه أو تاريخ الضرب ونقش عليها العبارة الآتية: على الوجه: لا إله إلا الله محمد رسول الله المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين وعلى مركز الظهر: الملك المعظم ملك اليمن شمس الدولة توران شاه بن أيوب<sup>(٣)</sup> .

والشيء الجدير بالملاحظة ما حصل من تغيير في معدن العملة المضروبة، فقبل السيطرة الأيوبية على اليمن كانت العملات اليمنية تتكون - باستثناء بعض الدراهم العباسية والرسمية - من دنائير ذهبية مختلفة الأنواع، أما الأيوبيون فقد سكوا العملة في معظم الأحوال من الفضة، باستثناء حالات قليلة ضربوا فيها عملة ذهبية، ولعل ذلك كان مرتبطاً ببعض المناسبات الخاصة، مثل: دينار توران شاه الذهبي الذي ارتبط ضربه فيما يبدو بالنجاح الذي أحرزه في ضم اليمن وتعبيراً عن قيام سلطة جديدة في البلاد .

وأمام هذا التبدل في معدن العملة الرئيس من الذهب إلى الفضة سادت الفضة

(١) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧١٩ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٠ .

(٣) العش ، محمد أبو الفرج ، "المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية ، الآثار الإسلامية في الوطن العربي" ، المؤتمر التاسع ، ١٩٨٠م ، تونس ، ١٩٨٥م ، ص ٢١٣ ؛ وتجدر الإشارة إلى أن نواب توران شاه الذين حكموا اليمن بعد رحيله عمدوا إلى ضرب السكة كل باسمه ومنع كل نائب أهل بلده عن التعامل بعملة الآخر . انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٢ ؛ ابن عبدالمجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣١-١٣٢ ؛ ومن هذه العملة الدراهم الخطابية نسبة إلى والي زبيد من قبل توران شاه وهو خطاب بن منقذ .

في معظم تعاملات أهل اليمن، وعمد الأيوبيون إلى سك دراهم منها ، فعند قدوم الملك الأيوبي سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن سنة ٥٧٧هـ، ضرب عملة جديدة عبارة عن درهم صغير عرف بالسيفي نسبة إليه، وكان عياره أربعة قراريط وحبّة<sup>(١)</sup> . ويبدو أن هذا الدرهم السيفي لم يجد إقبالاً عليه في التعامل بالأسواق لصغره، الأمر الذي دفع الملك المعز إسماعيل بن طغتكين إلى ضرب ما عرف بالدرهم الكبار بدءاً من سنة ٥٩٤هـ ، وكان وزن الدرهم منها ثلاثة عشر قيراطاً (أي مايقرب من ٢,٤١٨ جم)<sup>(٢)</sup> . ومن الدراهم المعزية (نسبة إلى الملك المعز إسماعيل)، درهم ضرب بتعز سنة ٥٩٤هـ وهو من الفضة، غير الذي أشرنا إليه سابقاً، والذي ضرب من ذهب، والدرهم الفضي يزين حافة وجهه كتابة دائرية تبتعد عن المركز وهي عبارة :

الملك المعز نصير الدنيا والدين سلطان المسلمين إسماعيل بن طغتكين

وفي الوسط أربعة سطور هي:

الإمام الناصر

لدين الله أحمد

أمير المؤ

منين

هامش الوجه : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدرهم

بتعز سنة أربع وتسعين وخمس (كذا) ، ثم دائرة ملساء

في داخلها نقش مربع على شكل نجمة ذات حواف

ملساء متتابعة

(١) القيراط في جزيرة العرب نوعان قيراط الذهب يعادل ما بين ١,٧٦ جم و ١,٩٥ جم تقريباً وقيراط الفضة

١,٨٦ جم ، أما الحبّة : فهي وزن حبّة الشعير العربية ويتألف الدرهم نظرياً من كميات مختلفة من هذه

الحبوب ، وكميات حبّة الفضة تساوي في جزيرة العرب بالجرامات حوالي ٤٩٥ جم . انظر : هنتس ،

فالتر ، المكابيل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العملي ، مطبوعات

المسلحة الأردنية ، عمّان ، ١٩٧٠م ، ص ١٠، ٢٥، ٤٤ .

(٢) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ ؛ بلغغير ، محمد صالح ، مجموعة النقود الإسلامية وكنوزها في اليمن ،

مجلة اليمن ، العدد ( ٩ ) ، مركز البحوث والدراسات ، جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٦م ، ص ١٢٤ .

وفي وسط / مركز الوجه

لا إله إلا الله

محمد رسول

الله صلى الله

عليه (١)

كما ضرب في عدن درهم مماثل للدرهم الذي ضربه المعز في تعز والذي يزن ٨٨ جم، وكان عيار درهم عدن أكبر، حيث يزن ٢,٥ جم، وضرب الملك المعز درهماً آخر في زبيد، كان عياره نفس العيار للدرهم المضروب في تعز ونقوشه الكتابية الكوفية الدائرية نفس نقوش الدراهم السابقة (٢) .

ويعد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين أول من أسس من الأيوبيين داراً لسك العملة في اليمن في كل من زبيد وعدن وتعز (٣)، وكذلك في بعض المدن اليمنية كصنعاء .

ولم يقتصر الأمر عند الملك المعز إسماعيل على ضرب العملة أو الدرهم في مدن اليمن، بل ولقد ضربت الدراهم الكبار بأمر الملك المسعود الأيوبي أيضاً في مكة على قوانين اليمن (٤) . وهذا يدل على أن لأهل اليمن أنظمة وقوانين محددة للعملات من ناحية الوزن والحجم والشكل والكتابة التي تتضمنها العملات .

وإذا كان المعز أول من أسس داراً لسك العملة في اليمن فإن الأتابك سنقر أول من أسس دار السكة بصنعاء في سنة ٦٠٤ هـ في عهد الملك الناصر بن طغتكين، وأخرج إليها ستة أبهرة من الفضة لتضرب دراهم (٥) .

(١) ( Bulletin d' institut d' Egypte, Tome. Xxxvi. ١٩٥٣-١٩٥٤ , le Caire , ١٩٥٥ , p . ٣٥٠ . ) : Dirhems Ayoubites inedite

Balog , op . cit , p . ٣٥١-٣٥٣ .

(٢)

(٣) الحبشي ، جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ١١٢ ، ١١٥ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢ ؛ كما أن الفلوس التي ضربت في عهد الملك المسعود كان لها تداول في عدن وغيرها من المدن اليمنية بشكل كبير . انظر : بلغغير ، محمد صالح ، مجموعة النقود الإسلامية وكنوزها ، ص ٢٦ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٤٠ .

وفي رأيي إن وجود الدرهم المضروب في صنعاء<sup>(١)</sup> والذي يحمل اسم المعز إسماعيل والمؤرخ بسنة ٥٩٥هـ ليس دليلاً على وجود داراً لسك العملة في صنعاء قبل إنشاء الأتابك سنقر الدار الرسمية فيها، بل يرجح أن ذلك الدرهم كان من ضمن النقود التي ضربت في تعز في السنة نفسها أو التي قبلها وتم تداولها في صنعاء، ولأن دار الضرب جديدة وأنشأها الأتابك فعلاً في فترة كانت اليمن تشهد نوعاً من استقرار الأوضاع لصالح الأيوبيين، فإن الملك الناصر أيوب قد قام باستخدام تلك الدار في سك درهم يحمل تاريخ سنة ٦٠٥هـ، وكان عياره حوالي ٩، ٢ جم<sup>(٢)</sup>، وهذا يعزز أن الدار الجديدة لم تكن إلا عبارة عن مظهر من مظاهر السيادة الأيوبية على صنعاء، أراد بها الأتابك وكذا الناصر إظهار هيبة الدولة؛ ولأن الناصر أيوب أيضاً قد عمد في سنة ٦٠٦هـ إلى إصدار درهم آخر يحمل اسمه، وذلك بدار الضرب في تعز، وكان وزنه ١٢، ٢ جم<sup>(٣)</sup>. وهذا ينهض دليلاً آخر على أنها كانت رسالة موجهة إلى القوى التي كانت تحارب الأيوبيين بأن قوة الدولة الأيوبية موجودة على أرض الواقع . وتابع الملوك الأيوبيون إصدار الدراهم الفضية باسمائهم في سنوات متفرقة من حكمهم، وضربت هذه العملات في مناطق متعددة من اليمن أهمها عدن وزبيد وتعز وصنعاء، كما ضربت بعض الدراهم في ريدة<sup>(٤)</sup>، وبعدها استمر ضرب العملة الأيوبية بأسماء الحكام الأيوبيين حتى سنة ٦٢٨هـ، أي بعد زوال سيادتهم الفعلية على اليمن، وانتقال الحكم إلى مؤسس أسرة بني رسول وهو المنصور نور الدين عمر بن رسول، وربما كان ذلك يرجع إلى عدة عوامل سياسية معينة تتصل بالرغبة في الحفاظ على الاستقرار السياسي وعدم الرغبة في الإعلان عن الاستقلال دفعة واحدة، ريثما يتم تمهيد الأمور وإقرار الأوضاع للسلطة الجديدة<sup>(٥)</sup> .

(١) عن الدراهم الأيوبية التي ضربت في صنعاء ، انظر : Miles (G.C.) , The Ayyubid Dynasty of the Yemen and their Coinage : Numismatic Chronicle, ٥ ser ١٩ : ١٩٣٩ , p . ٧٤ - ٧٥ .

(٢) Balog , op . cit , p . ٣٥٢-٣٥٤

(٣) I bid , p . ٣٥٤-٣٥٥

(٤) وإلى منطقة ريدة ينسب درهم أيوبي مؤرخ بسنة ٦١٢هـ، وعياره حوالي ١٥، ٢ جم يرجع إلى عهد الملك المسعود يوسف . انظر : Miles , op , cit , p . ٦٨ .

(٥) انظر : Serjeant , San ' a , p . ٣٠٥ .



يتضح مما سبق بأن العملة كانت الوسيلة الرئيسة في المعاملات التجارية، كما إن العملة التي ضربت باليمن كانت من الذهب والفضة والنحاس، ولم تكن أحجامها وأوزانها متساوية، وسكت في العديد من المدن اليمنية، إلا أن أهمها: عدن، وتعر، وزبيد، وصنعاء، وظلت تلك العملات متداولة طوال العصر الأيوبي .

## ٢- الموازين والمكاييل والمقاييس :

وكانت كلها تستخدم لوزن البضائع وكيل الغلال ومقاييس الأراضي المستخدمة، وقد ورد ذكر بعضها في المصادر اليمنية، وقد اختلفت المكاييل ووحدات القياس في اليمن من منطقة لأخرى، وهو ما عبر عنه ابن المجاور بقوله: "وسنجة عدن أقوى من سنجة زبيد بشيء يسير"<sup>(١)</sup>، ويظهر هذا الاختلاف أيضاً من عصر إلى آخر فيما ذكره ابن المجاور، عند سرده لأحداث سنة ٦٢٥هـ، فنذكر أن ولاية الأيوبيين أقدموا على التلاعب بتغيير كافة المكاييل والموازين، وبالتحديد في عهد الأمير الأتابك نور الدين عمر بن رسول الذي أصبح نائباً لبني أيوب في اليمن إثر سفر الملك المسعود إلى مصر، وقد عبر عن ذلك بقوله: "وزيد في القبان سدس بهار عما كان في الأول، وغير جميع مكاييل اليمن، ووضعوه على عيار زبيدي الجند، وغيروا الأوزان كلها سنة خمس وعشرين وستمائة"<sup>(٢)</sup> .

ولما كانت للأوزان أهمية في تحديد أسعار الكثير من البضائع والسلع، فإن الاختلاف في الموازين والمكاييل ووحدات القياس قد ظهر واضحاً في قيمة السلع، على أن هناك صلة وثيقة بين العملات والوزن، ولذلك تقدر أسعار الكثير من البضائع تبعاً لوزنها، وذلك خلال عملية البيع والشراء، هذا بالإضافة إلى أن للعملات أيضاً أوزاناً خاصة بها، كما إن الأوزان تختلف من بضاعة لأخرى، وقد تشترك مواد معينة بوزن موحد لها لا يمكن احتسابه وزناً لبضائع غيرها<sup>(٣)</sup> . ومن خلال دراستنا للعشور التجارية وغيرها، وما كان يصدر أو يستورد عبر الموانئ اليمنية، يمكننا الوقوف عند عدد من أشكال الموازين والمكاييل والمقاييس التي كانت سائدة ومتعامل بها في اليمن في فترة العصر الأيوبي، وهي كالآتي :

(١) المستبصر، ص ٨٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٤ : والمقصود بالأوزان : مواعيد السوق .

(٣) الشمري، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، ص ٢٨٩ .

## أ- الموازين :

١- البهار : هو وحدة وزن اختلف في مكان وزمان تحديده، فقل ان وزن البهار ٥٦٢, ٢٧٠ كغ، وقيل إنه حمولة جمل، وهو يزن نظرياً ٣٠٠مَن، وذكر أنه يزن في الجزيرة العربية ٣٠٠رطل = ٢٤٣٧٥ كغ<sup>(١)</sup> . ويذكر أن البهار قد اعتمد وحدة الوزن في التجارة للتوابل وأمثالها في عدن وفي البلدان المحيطة بالخليج العربي والمحيط الهندي<sup>(٢)</sup>، وفي المصادر وردت إشارات عديدة لأسماء بعض السلع والمواد (البضائع) التي كانت توزن بالبهار، أهمها: الكارم، السليط، الفلفل<sup>(٣)</sup>، الانكرة (الحلتيت)، الطباشير، قشر المحلب، الهيل، الكتان، الفوة، الحمر (التمر هندي)<sup>(٤)</sup>، والسكر، والحديد، والقار، والفضة وغيرها<sup>(٥)</sup> .

وقد قام الأتابك نور الدين بن عمر الرسولي بالتلاعب بوزن البهار في أواخر العصر الأيوبي، كما أشرنا، محققاً رغبته في جني الأرباح على حساب الناس الآخرين، فكان يمارس التجارة بنفسه ويقوم باحتكار بعض المواد ويفرض على السكان شرائها بأسعار باهظة جداً، فهو يشتري البضاعة من البائع وزن البهار بهار وربع ولكنه كان يبيعها للناس والتجار ببهار إلا ربع<sup>(٦)</sup>، وهذا ظلم وتعسف كبيران، إذ إن الفرق يساوي ربع الوزن وهو فرق كبير جداً، وفي هذا الفرق إضرار بالبائع والمشتري الذي يتعامل معه .

٢- الرطل : يختلف وزنه باختلاف البلد المنسوب إليه، ففي اليمن أطلق اسم الرطل على ثلاثة أوزان هي: رطل مكة، رطل المدينة، رطل العراق، وهناك نصف رطل مكي، وكان اليمنيون يتعاملون بهذه الأنواع الثلاثة، إلا أنهم استعملوا الرطل العراقي

(١) المقنسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٩؛ هنتس، المكييل والأوزان، ص ٢٠-٢١؛ لقمان، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة، ص ٣٠٠؛ محمود علي عامر، المكييل والأوزان والنقود، ص ٤٣ .

(٢) هنتس، المكييل والأوزان، ص ٢١؛ ففي المخا كان بهار القطن يزن ٣٠٠ رطل = ١٨٣٧ كغ، أو حسب رضى البائع ما بين ١٥٠ كغ و ١٥٦ كغ . محمود علي عامر، المكييل والأوزان والنقود، ص ٤٣ .

(٣) ابن الجاور، المستبصر، ص ١٤٧-١٤٨؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٣٥٠ .

(٤) ابن الجاور، المستبصر، ص ١٤٠-١٤١؛ ويذكر سرجنت أن أهل اليمن وبخاصة التجار كانوا يستقبلون بضائع الكارمية على شكل بالات، والباله = ٥٠٠ رطل، وكل ٦٠ باله = مائة بهار بأجمالي ٣٠ ألف رطل الأمر الذي يؤكد

أن البهار = ٣٠٠ رطل بغدادى . انظر: Serjeant, Sana, p. ١٦٢

(٥) لين حاتم، السمت العالي، ص ١٤٠؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٩٥ .

(٦) ابن الجاور، المستبصر، ص ١٤٨ .

أكثر من رطل مكة والمدينة، ويرجع ذلك الى ثبات الرطل العراقي وقبول البائع له في البيع، والشراء فهو يحسب بصورة دائمة بـ ٩١ مثقالاً، ولأن المصادر قد أشارت أيضاً الى أن الرطل اليمني كان يساوي الرطل البغدادي<sup>(١)</sup> وتباع به جميع الحوائج، لا سيما العطور، وقد حدد ابن المجاور وزنه بحوالي ١٣٠ درهماً، أي ما يساوي ٢٥، ٤٠٦ جرام على أساس أن الوزن الدقيق للدرهم يساوي ١٢٥، ٣ جم<sup>(٢)</sup>.

٣- المن: وهو من أهم وحدات الوزن التي استعملت لأغراض عدة في العصر الأيوبي، حيث يفاجئنا ابن المجاور ويلفت انتباهنا بذكر المن كوحدة وزن وكيل في آن واحد، ولا يكتفي بذكره بل يحدد مقداره أو وزنه وهو ثلاثمائة وعشرون درهماً<sup>(٣)</sup>. ونص على تخصيص هذا الوزن باليمن مما ينهض دليلاً على أنه يختلف في غير اليمن، وهذه اللفتة صادقة لأن الثلاثمائة والعشرين درهماً تساوي رطلين ونصف على حساب أن الرطل هو ١٢٨ درهماً، وطبقاً لذلك يكون وزن المن اليمني كيلو جراماً واحداً (١٠٠٠ جرام)<sup>(٤)</sup>.

وقد بين لنا ابن المجاور بوضوح استعمالات المن فذكر أن به يباع النباتات (أي سكر النبات) والسكر والعسل وجميع الحوائج الحلوة، وهناك من وزنه أربعمائة درهماً، وهذا تباع به اللحم والشحم، ونوع آخر بوزن ثمانمائة درهماً وبه يباع السمن والزيت والخل، وذكر في مكان آخر بأن السمن يباع في إناء يعرف بـ (الجمنة) وتتسع لخمسة أمان، أي عشرة أرطال<sup>(٥)</sup>.

ويبقى لنا القول في ذلك إن التفصيل الذي أورده ابن المجاور يعطينا دلالة واضحة على أن هذا المن يعد وحدة وزن وكيل في آن واحد، وأنه مختلف الأوزان

(١) المقنسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٩، وآخرين ذكروا أن الرطل جمع كل الموزونات فهو ١٢ أوقية، وكل أوقية = إستراراً، والإسترار ٤ مثاقيل، والمثقال درهم وثلاثة أسباع الدرهم، والدرهم ثمانية دنانير، والدانق قيراطان، والقيراط = طسوج، والطسوج = حبتين، والحبة هي حبة الحنطة. محمود علي عامر، المكييل والأوزان والنقود، ص ٤٩-٥٠.

(٢) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٢؛ هنتس، المكييل والموازين الإسلامية، ص ٣٠-٣١؛ وعن استخدامات الرطل في التجارة اليمنية وكونه مساوياً للرطل البغدادي، انظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٢٩٠.

(٣) المستبصر، ص ٨٩، ١٢٤؛ بامخرمة، تاريخ ثمر عدن، ج ١، ص ١٩٥؛ راجع أيضاً عن المن ومقداره: الأهل، كشف القناع، ص ١٥٤.

(٤) وقدر هنتس المن اليمني برطلين بغدانيين أي ما يساوي ٢٦٠ درهماً، فيكون الوزن الدقيق للمن هو ٨١٢،٥ كجم. المكييل والموازين، ص ٤٥.

(٥) المستبصر، ص ١٢-١٣، ٨٩؛ الشجاع، زبيد بأقلام الرحالة، ص ٢٧٣.

والأحجام<sup>(١)</sup>، ويختلف أيضاً عن المن في بلدان أخرى، كما هو الحال في خوارزم بتقرير ابن المجاور نفسه، كما أنه تباع به الثياب الحرير المقدر وزنها بـ ٢٦٠ درهماً، وبه تباع العصارة والقطن والعص وبعض السلع الأخرى، لاسيما الحلويات والعسل، كما يوزن به العود والزعفران، وبهذا نعود لنؤكد القول إن المن استخدم تارة كوحدة كيل، وتارة كوحدة وزن، على أن مقداره ووزنه يختلف باختلاف السلعة التي يستخدم لها .

٤- **الفراسلة** : هي وحدة وزن تساوي عشرة أمان، وتساوي ٢٠/١ من البهار، وتقدر بوزن عشرين رطلاً، أي مايساوي ١٣،٥٢٨١ كجم على أساس أن وزن البهار = ٢٧٠،٥٦٢ كجم<sup>(٢)</sup>، ويذكر سرجنت أن الفراسلة في سوق صنعاء كانت تساوي نحو خمسة كيلو جرامات، وتوزن بها البضائع الآتية على ظهور الجمال، وعلى أساسها يحدد كراء الجمال<sup>(٣)</sup>؛ وفي العموم فإن الفراسلة توزن بها بعض البضائع وأهمها: الكافور، والقرنفل، والزعفران<sup>(٤)</sup> .

٥- **القيراط** : القيراط كوزن للبضاعة غير ثابت لكنه، من وجهة شرعية، يساوي القيراط الواحد ٢٠/١ من المئقال ويتألف شرعاً من خمس حبات ، ولكنه يتألف غالباً من ثلاث، فهو يزن ١٤/١ من درهم الكيل زنة ٣،١٢٥ غم = ٠،٢٢٣٢ غم<sup>(٥)</sup>. وتجدر الإشارة الى أن القيراط جزء من الدينار، فيذكر أن القيراط ربع خمس مئقال والدينار عشرون قيراطاً في أكثر البلدان . وكان يؤخذ من كل دينار قيراط، وهو عشور دار الوكالة بعدن<sup>(٦)</sup> .

(١) ففي المخا كان المن يتراوح بين ٢٣ و ٢٤ باوند ، أي بين ١٠٤٢٥ و ١٠٨٠٦٤ غم أي بمعدل ١٠٦ كجم ؛ وفي مصر فإن المن المستخدم لدى المصريين يساوي رطلين بغداديين ، وكل رطل يزن ١٣٠ درهماً ، أي أنه يزن ٨١٢٥ غم ؛ وفي سورية فإن المن الشرعي يزن ٢٦٠ درهماً ، وإذا كان وزن الدرهم السوري هو ٣١٥ غم فإن الوزن الفعلي للمن هو ٨١٩ غم ، وفي العراق ، فقد كان المن الشائع به هو الذي يقدر وزنه برطلين بغداديين والرطل هناك يقدر بـ ١/٧ = ١٢٨ درهم = ٤٠١٧٨ غم . للمزيد انظر: محمود علي عامر، المكييل والأوزان والنقود ، ص ٥٦ .

(٢) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١، ص ٥٩ ؛ هنتس ، المكييل والموازين الإسلامية ، ص ٢١ ، ٤٠ .

(٣) انظر : Serjeant , San a , p . ١٦٢

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١، ص ٥١ .

(٥) هنتس ، المكييل والموازين الإسلامية ، ص ٤٤ .

(٦) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ ؛ وكان القيراط يستخدم لوزن العاس والدر وبقيّة الأحجار الكريمة . انظر: محمود علي عامر ، المكييل والأوزان والنقود ، ص ٥٢ .

٦- الأوقية<sup>(١)</sup> : جاء ذكرها عند الخزرجي بأنها تساوي عشر قفال بالختم المصري<sup>(٢)</sup>، كما حددها ابن المجاور بشكل أكثر تفصيلاً عند حديثه عن الرطل اليمني، فذكر أن الأوقية تعادل إحدى وعشرين درهماً وثلاث<sup>(٣)</sup>، وبحساب الدرهم ١٢٥، ٣ جم، فيكون وزن الأوقية، في العصر موضوع الدراسة، حوالي ٦٧، ٧٠٨ جم<sup>(٤)</sup>.

٧- البيعة : هي وحدة وزن تستخدم لبيع الأدم، وحسب ما جاء عند ابن المجاور، فقد قُدِّرَ وزن البيعة بحوالي مائة مَن، وَذُكِرَ أن حمل الجمل يبلغ بيعتين ونصف، وأحياناً يباع الأدم بالعدد، وقد حُدِّدَ سعر البيعة بسبعين ديناراً<sup>(٥)</sup>. وبذلك يتراوح وزن البيعة طبقاً لوزن المَن ما بين ٨١، ٢٥٠ كجم، و ١٠٠ كجم<sup>(٦)</sup>.

٨- الأعدال والقفلة : هي وحدات وزنية، الأولى تستخدم وحدة وزن للدقيق وسائر الأطعمة، والخمور<sup>(٧)</sup>، والثانية تستخدم في بيع وعيار السمن<sup>(٨)</sup>.  
٩- الجوزة : وهي واحدة من وحدات الوزن كانت تستخدم في موازين النقود، وقد ذكرها ابن المجاور عند شرحه لعيار الدينارين المصري والملكي، ويتراوح وزن الجوزة ما بين ١٩، ٨٦٣ أو ٢٣، ١٧٣٥ جم<sup>(٩)</sup>.

(١) الأوقية وحدة وزن تساوي ١/١٢ من الرطل، وفي شبه الجزيرة العربية كانت تساوي ٤٠ درهماً = ١٢٥ غم.  
• انظر : محمود علي عامر، المكييل والأوزان والنقود، ص ٤٢.

(٢) العقود للؤلؤية، ج ٢، ص ٢٥١؛ والأوقية المصرية تساوي ١٢ درهماً = ٣٧٥ غم، أما اليوم فالأوقية المصرية تزن رسمياً ٣٧٤٤ غم. محمود علي عامر، المكييل والأوزان والنقود، ص ٤٢.

(٣) المستبصر، ص ١٢؛ والأوقية = ١٠ أفعال، والقفلة = ٦٧٠، ٦ جم.

(٤) انظر : هنتس، المكييل والموازين الإسلامية، ص ١٩؛ محمود علي عامر، المكييل والأوزان والنقود، ص ٤٢-٤٣.

(٥) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٢.

(٦) ويقدّر هنتس وزن البيعة المصرية المستخدمة في وزن الحرير والعنبر بحوالي ٤٤، ٥ كجم. انظر : المكييل والموازين الإسلامية، ص ٢٣؛ ويؤكد صحة ما ذكره ابن المجاور عن البيعة في اليمن أن حمل البعير في شتى البقاع الإسلامية كان له قيمة تقريبية تتأخر ما ذكرناه وهو ٢٥٠ كجم. انظر : هنتس، المكييل والموازين الإسلامية، ص ٢٦-٢٧.

(٧) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٢١٢؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج ٢، ص ١٥٩؛ ويتراوح وزنها ما بين ١٢٥ و ١٥٠ كجم. هنتس، المكييل والموازين، ص ٣٩.

(٨) وقد سبق تحديد وزنها قياساً لوزن الأوقية فصارت = ٦، ٧٧٠ جم، ويباع السمن كل أربعين قفلة مجتمعة أي مايساوي ٨٣٢، ٢٧٠ جم. انظر : الخزرجي، العقود للؤلؤية، ج ٢، ص ١٨٨.

(٩) المستبصر، ص ١٢؛ هنتس، المكييل والموازين الإسلامية، ص ٢٥.

## ب - المكيال :

١- **الصاع** : وهو مكيال استخدمه اليمنيون لتقدير كفارة اليمين، وعلى هذا المكيال كانت تدور أحكام المسلمين، وكان يزن ثمانية أرطال، وهو الصاع الذي أقره الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وأجمعت الروايات على إن الصاع الشرعي هو الذي يزن خمسة أرطال وثلاث الرطل، ولما كان الرطل البغدادي هو المستخدم عند أهل اليمن وهو الرطل الذي يزن ١٢٨ درهماً، فإن الصاع المستخدم في التجارة هو الصاع غير الشرعي المتعارف عليه، لأن الصاع الشرعي كان أربعة أمداد وكل مد رطل وثلاث، على الرطل البغدادي، على أننا وجدنا تحديداً لوزن المد برطلين بغداديين أيضاً<sup>(١)</sup>، وبهذا يكون وزن الصاع ثمانية أرطال، وهذا ما يدفعنا للقول بأن أهل اليمن تعاملوا بالوزنين معاً بحسب الحالة التي تواجههم . تجدر الإشارة الى أن بعضهم يذكر الصاع بأنه يساوي ربيعة، والربيعة تساوي ١٨ أوقية، ثم صار يساوي أربع ربيعات، أي صار يساوي ٧٢ أوقية، أي ما يقارب ٩ كجم، وهذا يدل على اختلاف نوعية الصاع المستخدم في التجارة<sup>(٢)</sup>.

٢- **المد** : والمد في الأصل من يمد الرجل يديه فيملأه كفيه طعاماً؛ والمد في العراق واليمن والحجاز رطلاً وثلاث الرطل والرطل هو البغدادي الذي يزن ١٢٨ درهماً<sup>(٣)</sup>، وهو الأمر الذي فصله ابن المجاور حيث ذكر أن المد في اليمن كان يساوي ٣٢ ثمناً، والثمن ٣٢ زبدى، والزبدى يساوي من والمد رطلين، وكل رطل ١٢٠ درهماً، وكل درهم ثلاثة عشر قيراطاً<sup>(٤)</sup>. وكان المد يستخدم في اليمن كوحدة كيل للتمور والغلال وسائر الأطعمة<sup>(٥)</sup>، وكان يباع بالمد أيضاً القطن والعصارة والشيزر<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٣ ؛ سامح عبد الرحمن فهمي ، المكيال في صدر الإسلام ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، د.ت ، ص ٢٦ ؛ الشجاع ، زبيد بأقلام الرحالة ، ص ٢٧١-٢٧٢ ؛ خالد حميد عثمان ، أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل دولة بني رسول (٦٢٦-٨٥٨ هـ) ، رسالة دكتوراه ، جامعة البصرة ، البصرة ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٢٧ .

(٢) هلنس ، المكيال والموازين الإسلامية ، ص ٦٣؛ وقد أعطانا المقدسي معلومة عن مكيال خاصة بأهل اليمن وتستخدم في المراكب على وجه الخصوص ، فقد كان لهم مكيال يعرف بالصاع منه صاع صغير يستخدم في دفع الجرايات (أي ماجري أو مايفرض على الملاحين العاملين على المراكب) وصاع كبير يستعملونه في معاملاتهم التجارية . أحسن التقاسيم ، ص ٩٨-٩٩ .

(٣) الشرباحي ، أحمد رضا ، المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، ١٩٨١ م ، ص ٤١٣ .

(٤) المستبصر ، ص ٨٩ .

(٥) الخزرجي ، العقود النولوية ، ج ٢ ، ص ١٨٨-١٨٩ ؛ المسجد المسبوك ، ص ١١٩-١٢٠ .

(٦) نظر : ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ .

٣- الزبدى : هو من أهم المكاييل التي كانت واسعة الاستعمال والانتشار في اليمن في العصر الأيوبي، حيث كان معياره يستخدم لكيال الغلال على اختلافها وكذلك الدقيق وأنواع أخرى من الأطعمة، وهناك زبدى استخدم في كيل السمن، وعليه فإن هناك نوعان من هذا المكيال، هما: الزبدى السنقرى، والزبدى التعزى، وكذلك فإن عيار الزبدى يختلف من مدينة إلى أخرى داخل اليمن، فعبرة الزبدى في مدينة زبيد يساوي خمسون أوقية حباً<sup>(١)</sup>، أي مايساوي ٢٥٠, ٦ كجم وذلك طبقاً لوزن الأوقية ٢٥٠ جم، ونعتقد ان هذا المكيال هو الذي استخدم في كيل الحبوب، لأنه وجد في نفس المدينة زبدى آخر لكيال السمن كانت عبرته ١٢ رطلاً، والرطل الخاص بالسمن يساوي ٢٠ أوقية<sup>(٢)</sup>. فيصير وزن زبدى السمن = ٣٠, ٠ كجم .

وإذا ماعدنا إلى نوعي هذا المكيال الزبدى، نجد من خلال المصادر إشارات إلى أن مكيال الزبدى السنقرى الذي ضرب في عهد الأتابك سنقر ونسب إليه، قد عُرف في زبيد وأعمالها وكان هذا المكيال يساوي ٢٤٠ درهماً في العصر الأيوبي<sup>(٣)</sup>، وقد استعمل في كيل الغلال بأنواعها، وربما كان مكيال زبدى السمن قد اختص بالمدينة ذاتها واستعمل أيضاً في غيرها . أما الزبدى التعزى الذي لم نتمكن من معرفة مَنْ الذي قرره ومتى كان ذلك، فإنه طبقاً للمصادر كان يساوي ثمانية أرطال<sup>(٤)</sup>، أي مايقارب ٢٥, ٣ كجم، على أساس أن الرطل = ١٣٠ درهماً، بينما لو تم حسابه على أساس الرطل = فإنه سيساوي ١٢٠ درهماً أي الرطل المقدّر في عيار المد، فيكون عيار الزبدى التعزى ما يقرب من ثلاثة كيلو جرامات . وهذا يبرز الاختلاف الواضح بينه وبين الزبدى السنقرى الذي ظل في زيادة مستمرة حتى وصل إلى ٥٠٠ درهم، أي مايزيد قليلاً على كيلو جرام ونصف (٥٦٢, ٥ جم) .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ؛ والزبدى التعزى غير زبدى الجند الذي ذكر سابقاً .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٥١ ؛ المسجد المسبوك ، ص ١٠٥ ، ١٧٠-١٧١ ؛ ابن الديبع ، فرة العيون ، ص ٢٨٨ .

(٣) على الرغم من أن الزبدى السنقرى كان عياره ثابتاً في العصر الأيوبي ، إلا أنه بعد ذلك وبخاصة في فترة الحكم الرسوليّين لم يكن عياره مستقراً حيث طالته الزيادات باستمرار . للمزيد عن تلك الزيادات ، انظر : الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٠٦-١٠٧ ، ٢٥٥ .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٣٦ ؛ وهناك مكيال يعرف بالذهب وهو كالقدح ، ولا يزال يستعمل في الجبال ثم انقرض واستبدل بالقدح أما في زبيد فلا يزال مستعملاً . الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣٧ ، (ح) ١ .

٤- **الكيلجة** : هي وحدة كيل ذُكرت في المصادر<sup>(١)</sup> وكانت تستعمل في كيل الحبوب وسائر الغلال، وقد حددها هنتس بحوالي ٦٠٠ درهم، أي ما يعادل ١٨٧٥ جرام أو ٢,٥ لتر<sup>(٢)</sup> .

٥- **المكوك** : هو من وحدات الكيل التي أشار إليها ابن سلام وقدرها بعشرة أمداد<sup>(٣)</sup>، وخلص بعض الباحثين إلى أن المكوك مكيال عرفي إقليمي، تختلف مقاديره باختلاف الأقاليم الإسلامية<sup>(٤)</sup>، في حين المقدسي أفادنا بأن الصاع هو ثلث المكوك، وهذا يعني أن المكوك ثلاثة أصواع، وبما أن الصاع هو خمسة أرطال وثلث فيكون المكوك ستة عشر رطلاً، كما أشار المقدسي أيضاً إلى أن عيار المكوك في العراق هو خمسة عشر رطلاً<sup>(٥)</sup>، وبذلك يكون أولئك الباحثون قد أصابوا كبد الحقيقة إلى حد كبير .

٦- **الدرهم** : يعد الدرهم أساس نظام الوزن في الإسلام، وله اختلافات كثيرة من حيث الوزن<sup>(٦)</sup>، إلا أن ما يهمنا هنا هو درهم الكيل، فقد ذكر أن درهم الكيل =  $\frac{3}{2}$  مثقال، فيكون وزن درهم الكيل هذا ٣,١٢٥ غم بالضبط، ويتكون هذا الدرهم من ١٦ قيراطاً<sup>(٧)</sup>، وقيل إن الدرهم يساوي عشرة قراريط<sup>(٨)</sup> .

٧- **البطة** : (بطاط) : هي وحدة كيل استخدمت في اليمن كمعيار للسمن<sup>(٩)</sup>، وربما جاء بها الأيوبيون من مصر وتعاملوا بها في اليمن، لأنه المكيال نفسه والذي كان يستخدم في كيل الدقيق في مدن مصر المختلفة، وهذا المكيال = ٥٠ رطلاً ، أي ما يوازي حوالي ١٧,٥ كجم<sup>(١٠)</sup> .

٨- **القفعة** : وهي وحدة كيل استعملت للذرة، وكذا لكيل الدخن<sup>(١١)</sup>، ولا نعلم كم تساوي تلك القفعة .

(١) انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٣٧-٤١ : ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٠ .

(٢) المكيال والموازين الإسلامية ، ص ٧١ .

(٣) الأموال ، ص ٦٢٧-٦٢٨ .

(٤) سامح عبدالرحمن فهمي ، المكيال في صدر الإسلام ، ص ٣٩-٤٠ .

(٥) أحسن التقاسيم ، ص ١٤٥، ٩٨ : انظر : الشجاع ، زبيد بأقلام الرحالة ، ص ٢٧٢ .

(٦) عن الدرهم والاختلافات حول وزله انظر : محمود علي عامر ، المكيال والأوزان والنقود ، ص ٤٥-٤٦ .

(٧) هنتس ، المكيال والموازين الإسلامية ، ص ١١ .

(٨) لقمان ، تاريخ عدن ، ص ٣٠٠ .

(٩) ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(١٠) هنتس ، المكيال والموازين الإسلامية ، ص ٦٠ .

(١١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠-١٤١ : العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩٨ .



### ج - المقاييس :

١- الذراع : يعتبر الذراع أهم وحدة قياس تم استعمالها في العصر الأيوبي داخل اليمن وذلك لأغراض عديدة، وقد وجدت منه عدة أنواع أهمها:

أ- الذراع اليدوي: استخدم كوحدة قياس في بيع وشراء الأقمشة، كالبرود وشقق الحرير وغيرها من الأقمشة، فقد ذكر ابن المجاور أن ذراع اليد المستعملة في اليمن هي مساوية للذراع الأيوبي في مصر، وذكر أن طول البردة التي تنتجها مدينة زبيد هي ثمانية أذرع باليد<sup>(١)</sup>، وبالعودة الى هنتس يتضح لنا أن طول ذراع اليد كان يتراوح فيما بين ٤٨،٥٤ سم الى ٥٠،٣ سم<sup>(٢)</sup>.

ب- الذراع الحديدي: تم استخدامه في قياس وبيع ألواح الساج وشقق الحرير والبيض من إنتاج زبيد، حيث كان طول الشقة البيض يبلغ عشرين ذراعاً بالحديد، وكذلك البيرم، وطولها ستة أذرع، والسباعية وطولها سبعة أذرع<sup>(٣)</sup>، ويُعرف أيضاً بـذراع البز ويقدر طوله بحوالي ١٨٧،٥٨ سم<sup>(٤)</sup>.

ج- الذراع الأرضي: هو ذراع خاص بقياس الأراضي وتقدير مساحتها لحساب الخراج، ويبدو أنه كان أقل طولاً من الذراع الشرعي الذي يكون طوله أربعة وعشرون أصبعاً ويعادل ٤٩،٨٧٥ سم<sup>(٥)</sup>.

٢- القصبه : وهي وحدة قياس يمنية كانت تستخدم في بيع نوع من القماش عرف بالروسي، وحددها ابن المجاور بأربعة أذرع حديد<sup>(٦)</sup>، وطبقاً لذلك يكون طولها حوالي ٢٣٢،٧٤٨ سم، أي أقل من مترين ونصف.

(١) المستبصر ، ص ١٢، ٨٩ ؛ كما ذكر ان الذراع يختلف طوله حسب الزمان والمكان وينقص في الموسم ويعود الى ما كان عليه قبل الموسم .

(٢) المكييل والموازين الإسلامية ، ص ٩١-٩٢ ؛ كذلك استخدم الذراع اليدوي في قياس أحجار الآجر التي كانت تقاس به بالطول والعرض .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ ؛ هناك أنواع من الأذرع وصل عددها الى سبعة تتراوح بين القصر والطول . لمعرفة ذلك ، انظر: الفراء ، أبو العلاء ، الأحكام السلطانية ، تصحيح وتعليق : محمد حامد الققي ، دار الفكر ، لبنان ، ٢٠٠٤ ، ص ١٧٣-١٧٤ .

(٤) هنتس ، المكييل والموازين الإسلامية ، ص ٨٤ ، ٨٧ .

(٥) الخرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ؛ هنتس ، المكييل والموازين الإسلامية ، ص ٨٥ ؛ وقد عرف الذراع الشرعي بمسميات كثيرة بعد العصر الأيوبي . انظر: الخرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٢١ ؛ ابن السديع ، الفضل المزيد ، ص ١٤ من مقدمة المحقق .

(٦) المستبصر ، ص ١٤٥ ؛ وكانت هناك قصبه البناعلي اليمن تعادل ربع المعاد أي حوالي ٢٥٠٠ ذراع مربع . ابن السديع ، الفضل للمزيد ، ص ٥٠ ، (ج ٢) .

٣- **المعاد**: بناءً على إشارة ابن الديبع عند حديثه عن مساحة زبيد، يتضح أن المعاد هو عبارة عن وحدة قياس يمنية تم استعمالها لتقدير مساحة الأراضي باليمن، سواء أكانت تلك أراضي البناء أم الأراضي الزراعية . والمعاد، في عرف أهل اليمن، هو قطعة من الأرض مربعة لكل جانب منها حبلان أو قصبان، وبذلك يكون المعاد على درجة التقريب عشرة آلاف لبنة، واللبننة قطعة من الأرض طولها ذراع وعرضها ذراع، فيصير المعاد حوالي عشرة آلاف ذراع مربع<sup>(١)</sup> .

٤- **القطعة**: تم اتخاذها مقياساً لتقدير العشور المفروضة على مادة النبل<sup>(٢)</sup>، وليس هناك ما يشير إلى كمية هذه القطعة، وربما اعتبرت أساساً في العدد، وضمن قائمة العشور التي أوردها ابن المجاور جاء ذكر عدة مصطلحات اتخذت أساساً لتقدير كمية البضاعة والعشور المفروضة عليها، ودلت أيضاً على العدد والكيل، فمثلاً: ورد ذكر **المقاطع** كأساس لتقدير العشور على مادة الحمرة (التمر هندي)، والمقطع شيء تحمل فيه المواد للوزن ويعرف أحياناً بوزن معين إذا امتلأ بمادة معينة، واتخذت **العقدات** أيضاً لفرض العشور على التمر هندي حسب عدد العقدات، ومن المصطلحات الأخرى **الكورجة** المستعملة للمحابس والأحواك، أي النسيج، ومنها **السباعيات**، واستعملت **الكورجة** للثياب الخام الهندية، ولعلها تشبه الحزمة أو الشدة والكاره<sup>(٣)</sup> .

٥- **الفرسخ**: هو من الوحدات التي استعملت في قياس أبعاد المسافات بين المدن، والفرسخ المربع = ٣ ميل = ٥٥٤٤ متر = ١٢٠٠٠ ذراعاً .

مما سبق كله اتضح لنا أهم الموازين والمقاييس والمكاييل، والنقد المتداول في العصر الأيوبي، وكيف نظمت هذه الأشياء المعاملة في البيع والشراء وفي تقدير الضرائب المفروضة على الأهالي والسلع والبضائع التجارية الصادرة أو الواردة من بلاد اليمن وإليها .

(١) للمزيد من التفاصيل انظر: بغية المستفيد، ص ٣٣؛ الفضل المزيد، ص ٥٠؛ قره العيون، ص ٢٣٦ . وقد

قدر ابن المجاور دور البلد في عصره (العصر الأيوبي) بما يساوي ١٠،٩٠٠ ذراعاً أي ما يقارب

٩٤٥ معاداً . انظر: المستبصر، ص ٧٤ .

(٢) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٠-١٤١ .

## رابعاً - علاقات اليمن التجارية :

حرص ملوك وأمراء اليمن في العصر الأيوبي على توطيد علاقاتهم التجارية مع الأقطار الأخرى، وخاصة تلك التي تربطها باليمن علاقات تجارية ومصالح مشتركة منذ زمن بعيد، ومن أهم تلك الأقطار التي ارتبطت بعلاقات تجارية مع اليمن في العصر الأيوبي مايلي :

### ١ - الصين والشرق الأقصى :

هناك صلة وثيقة ربطت اليمن بالشرق الأقصى، وعلى وجه الخصوص الصين، حيث اعتاد تجار اليمن، ومنهم أهل حضرموت، على الإبحار إلى تلك البلاد والعودة بالسفن المحملة بالبضائع التجارية التي تصل إلى ميناء عدن، وهو الميناء الرئيس للسفن القادمة من الصين، والذي وصفَ بدهليز الصين، ومرفأها<sup>(١)</sup> . وعلى الرغم من أن الرحلات التي كانت تنطلق من عدن إلى الشرق الأقصى قليلة جداً بسبب ازدياد خطر القراصنة الهنود المتربصين للسفن التجارية في جزيرة سقطرى، إلا أن هذا لم يمنع من وجود نشاط تجاري ميز علاقات اليمن بالصين، والتي كان تجارها في ذهاب وإياب إلى اليمن، ووصلت من هناك العديد من البضائع أهمها: الحرير وقصب السكر، وكانت تتبادل البضائع مع اليمن وعمان وبلاد فارس<sup>(٢)</sup>؛ وقد وصلت إلى ميناء عدن بضائع أخرى كثيرة<sup>(٣)</sup>، منها: الحديد الفرند والمسك والعود والفلل والنارجيل، والرواند الصيني<sup>(٤)</sup>، والأواني الخزفية، والكافور<sup>(٥)</sup>، والكاغد (الورق)، والقرفة، والكتان، والحرير، والخرز، والذهب والفضة<sup>(٦)</sup> . ومن الصين وصلت أيضاً الهليجات، والأبنوس (خشب)، وأنياب الفيلة،

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٥ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٠٨ .

(٢) الألويسي ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

(٣) انظر عن بضائع الصين : الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٥٧ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٠٨ .

(٤) الرواند الصيني : هو من الأعشاب الطبية . انظر : الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ١٥١ .

(٥) الكافور: هو صمغ شجر لونه أحمر وخشبه أبيض ، وهو أصناف ، ويدخل في صناعة الطيب وله استعمالات

طبية . الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٣١٧ .

(٦) انظر : نور المعارف ، ج ١ ، ص ٤٢٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩-٤٥٠ ، ٤٦٢ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ .

والخولنجان<sup>(١)</sup>، والبسباسة<sup>(٢)</sup>، والدار صيني<sup>(٣)</sup>، والرصاص والخيزران.

ان تنوع البضائع الواصلة من الشرق الأقصى، والصين على وجه التحديد، هي بمثابة مؤشر لحسن العلاقات التي كانت تربط اليمن بذلك الصقع البعيد المسافة، ودليل على ازدهارها، خصوصاً وأن تلك البضائع كانت لها حاجة ماسة في اليمن حيث تدخل في عديد من المجالات والاستعمالات، في المنازل والمعامل الحرفية والصناعية.

## ٢- الهند :

شهدت العلاقات التجارية بين اليمن والهند تطوراً ونشاطاً متميزاً خلال العصر الأيوبي، وقد ذكر ابن المجاور الكثير من المنتجات التي وصلت الى زبيد، وميناء عدن على وجه التحديد، من الهند وفرضت عليها العشور التجارية في الميناء كالفلل والنبل وقشر المحلب والطباشير وعود الدفواء والكافور والقرنفل والحديد والتمر هندي (الحمري) ومادة العوبلي السندابوري ذات العلاقة بصناعة النبيذ، والثياب الخام الهندي<sup>(٤)</sup>.

وقد أعفيت كثير من البضائع الواصلة من الهند الى ميناء عدن من عشور التجارة، مثل الاهليلج المربي ووسائد المواد الجلدية والأرز والسمن والصابون وثياب العرابية المصنوعة بدقلى<sup>(٥)</sup> والتمر المقلد الذي استخرجت نواه، والسمن المملح إذا كان بدون رأس، والنعال الهندية إن كانت بلا شراك (سيور)، أي أنها تصل بشكل اسفنج أو جلد خام وتكمل صناعتها بعدن<sup>(٦)</sup>، بحيث شكلت تلك البضائع جزءاً من حاجة السكان في اليمن.

(١) الخولنجان : هو عروق متشعبة ذات عقد، لونها بين السواد والحمرة ، شبيه بأصول النوع الكبير من السعد ؛ وهذه العروق حريقة للطعم . الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ١١٨ .

(٢) البسباسة : هي قشور جوز الطيب . انظر : الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٣٢ .

(٣) الدار صيني : شجرة الصين ، وهو أنواع : دار صيني جيد ومنه الذون ومنه المعروف بالقرفة ومنه قرفة القرنفل . انظر : الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ١٢٢-١٢٤ .

(٤) المستبصر ، ١٤٠-١٤١ ؛ عن العشور المفروضة على السلع التجارية الواردة أو الصادرة ، انظر : الفصل الأخير من هذه الاطروحة .

(٥) دقلى أو دقلة : لم ألق على ترجمة لها ، ويبدو واضحاً من سياق النص بأنها إحدى المدن أو الجزر الهندية المشهورة بصناعة الثياب المسماة بالعرابية .

(٦) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٢-١٤٣ .

ونتيجة لزيادة النشاط التجاري بين اليمن والهند وتحسن العلاقات بينهما، دخلت الى عدن من الهند اعداد كبيرة من الرقيق والجواري، حيث كانت تجارة الرقيق رائجة، وقد مارس هذه التجارة بعدن تجار من الهند مثل الحسن بن علي حزور الفيروزكوهي الذي نقل لنا عنه ابن المجاور رواية بيعه جارية هندية بعدن لرجل إسكندراني . وأخذت عشور الحديد بعدن على رجل فرواني بمقدار ٥٠ / ٠ من ثمن البضاعة، وكانت تلك العشور قد استجذت في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين سنة ٥٩٨هـ، وقيل إن أول من أخذت منه أبو الحسن البغدادي<sup>(١)</sup> . وعليه فإن السفن المصرية قد أسهمت هي الأخرى في التبادل التجاري بين اليمن والهند، فكانت ترحل الى عدن أو الى زبيد لنقل غلات الهند وشرقي آسيا .

ولما كانت العلاقات التجارية بين اليمن والهند في نشاط مستمر، فقد تعرضت الطرق التجارية البحرية بين البلدين، الى خطر القراصنة الهنود الذين اتخذوا من جزيرة سقطرى مخبأ لهم<sup>(٢)</sup>، الأمر الذي دفع الملك طغتكين بن أيوب الى إرسال الشواني لحماية التجار من السراق نظير فرض عشور جديدة على البضائع، عرفت بعشور الشواني<sup>(٣)</sup>، كما قام الأتابك سنقر أمير عدن بتجريد حملة على جزيرة سقطرى استخدم فيها الشواني<sup>(٤)</sup>، ولعل سببها يرجع الى ازدياد خطر أولئك القراصنة ومهاجمتهم السفن التجارية . ونتيجة للخطر الزائد من القراصنة توقفت التجارة مع الهند لمدة سنة، فأرسل الأتابك سنقر الشواني سنة ٦٠٢هـ للقضاء على اللصوص مرة ثانية، وقد وصلت شواني الأتابك الى قلعات والى كل مكان، وطردت اللصوص من البحر<sup>(٥)</sup>، ونعتقد ان المرة الأولى التي بعث بها الأتابك الشواني لمطاردة اللصوص كانت في حملته على جزيرة سقطرى .

(١) المستبصر، ص ١٤٠، ١٤٦ .

(٢) لقد زار ابن المجاور جزيرة سقطرى سنة ٦١٨هـ، ووصف سكانها بقوله : " ورأس ما في سقطرة وغاية معاش أهل هذه السواحل مع السراق ينزلون عندهم ويقيمون عندهم مدة ستة شهور يبيعون عليهم الكسب ويأكلون ويشربون " . المستبصر، ص ٢٦٨ .

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤١-١٤٢ : انظر عن عشور الشواني : الفصل الأخير من هذه الرسالة، ص ٣٢٧ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٦-٢٦٧ : البار، محمد علي، سقطرى الجزيرة السحرية، ط ١، مكتبة العصر الحديث للنشر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٤٦ .

(٥) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١٣١ : وكانت تحصل المقايضة التي شملت كل أنواع السلع المتبادلة بين اليمن والهند، نستدل على ذلك من خطابين متبادلين بين أحد التجار بالهند ووكيله في عدن يتضح من خلاهما شيوع التبادل التجاري بين القطرين وفقاً لنظام المقايضة . انظر :

Goitein، from Aden to India، p. ٤٥-٤٦، ٥٩-٦٠ . انظر أيضاً عن المقايضة في التبادل التجاري بين الهند وعدن : Goitein،

Leuvers and Docum، p. ١٩٩-١٩٨ .

وبذلك شكلت العلاقات التجارية بين اليمن والهند في العصر الأيوبي أهم ركيزة للاقتصاد؛ لأن تجارة اليمن مع الهند كانت ذات مردود مالي كبير جداً، فقد كان يحمل من عدن إلى خزانة الدولة الأيوبية في تعز كل عام أربع خزائن، كل منها بلغت (١٥٠) ألف دينار يزيد وينقص، أي ما مجموعه (٦٠٠) ألف دينار سنوياً، واستمر الحال حتى سنة ٦٢٥هـ، وهذه الخزائن قد شكلت موارد ضخمة للدولة الأيوبية، مصدرها التجارة مع الهند<sup>(١)</sup>، وهي: خزانة قدوم المراكب من الهند، وخزانة دخول الفوة إلى عدن، وخزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند، وخزانة سفر المراكب إلى الهند .

٢ - مصر :

ارتبطت اليمن بمصر بعلاقات تجارية منذ فترات تاريخية بعيدة<sup>(٢)</sup>، إلا أن قوة تلك العلاقات زادت أهمية بعد أن أصبحت اليمن جزءاً من دولة الفاطميين بمصر، خصوصاً بعد قيام الدولة الصليحية في اليمن التي دانت بمذهب الدولة الفاطمية بمصر، بعدها كان التجار يرحلون من مصر إلى اليمن، فاستقر كثير من تجار مصر في مدن اليمن واتخذوها وطناً ثانياً لهم<sup>(٣)</sup>، وكان ثغر عدن أهم موانئ التجارة اليمنية للمصريين<sup>(٤)</sup>؛ فكانت مصر ترتبط مع اليمن عن طريق البحر، فترسو سفنهم التجارية إما في ميناء زبيد القريب من عيذاب أو في ميناء عدن، الذي يمثل الوسيط التجاري بين دول الشرق ودول الغرب؛ وتوثقت العلاقات التجارية بين مصر واليمن بشكل أكبر عند نجاح الأيوبيين في السيطرة على اليمن وإخضاعها لنفوذهم، وظل الاتصال التجاري قائماً بين البلدين، فقد كان اعتماد أهل عدن، بالذات في توفير بعض موادهم الغذائية، على ما يصلهم من مصر، وهذا دفع القائمين في ميناء عدن في العصر الأيوبي إلى إعفاء بعض المواد أو السلع الواصلة من مصر إلى عدن من عشور التجارة في ميناء عدن<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : بن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٤-١٤٥ ؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص ٢٩٨ .

(٢) عن ذلك انظر : السيد عبدالعزيز والعيادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٥٩ .

(٣) كبنى الخطباء ، وهم تجار تديرها عدن وولي بعضهم نظر عدن أيام الأشرف بن الأفضل الغساني .  
بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ١٠-١١ .

(٤) عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، منشورات دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٢٠٨ .

(٥) عن المواد أو السلع الواردة من مصر والمعفية من العشور ، ينظر فيما سبق ، ص ٢٧٤ .

ومن أهم البضائع الواصلة من مصر: ماء الورد، العفص، المحلب، الزعفران، الكبريت، والثياب، الأبراد، والصفير (نحاس)، والرصاص، والعمائم، والمرجان، والزجاج، والملاوات، والفوط، وغيرها من البضائع<sup>(١)</sup>. ويتضح هنا أن غالبية تلك السلع كانت مواد خام للصناعة، وكانت بعض هذه البضائع مصرية المنشأ والبعض الآخر من دول شتى مثل بلاد الشام وأوروبا والمغرب العربي<sup>(٢)</sup>، وهذا يدل على أن مصر قامت بدور الوسيط التجاري بين تلك الدول واليمن. وعمل المصريون في عدن بمجالات العمل التجاري، فذكر ابن المجاور أن اسكندرانياً اشترى جارية هندية بعدن من رجل هندي، وبقيت معه مدة سبعة أيام ثم ادعى العيب على بائعها وطلب إرجاعها<sup>(٣)</sup>.

وإذا ما تطرقنا إلى البضائع التي كانت تصدر من اليمن عبر ميناء عدن إلى مصر فنجد أن أهمها: الفلفل واللك<sup>(٤)</sup>، والزرنبا<sup>(٥)</sup> والكودة<sup>(٦)</sup>، والفاغرة<sup>(٧)</sup>، والزنجبيل، والاهليلج، والملابس، والتريد<sup>(٨)</sup>، والصبر السقطري، والعاج، والصندل (خشب)، واليقم، والفوفل، والأرز، والسمسم، والحنطة، والمر، والهرد، واللبن، والأبنوس (خشب)<sup>(٩)</sup>.

استمر الاتصال بين مصر وعدن خلال العصر الأيوبي، ذلك لأن اليمن أصبحت جزءاً من الدولة الأيوبية تدار بواسطة ملوك وأمراء بني أيوب، وكان الملوك الأيوبيون يترددون على عدن، وكذلك أمراؤهم الذين عينوا من قبلهم،

(١) نور المعارف، ج ١، ص ٤٧٩-٤٨٤.

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحات.

(٣) المستبصر، ص ١٤٦.

(٤) اللك : هو الصمغ. نور المعارف، ج ١، ص ٤٥١، (ح ٣٣٤٦).

(٥) الزرنبا : هي الزرنباد الذي يسمى عرق الكافور وهو يشبه الزنجبيل يؤتى به من الصين. الملك المظفر، المعتمد في الأدوية، ص ١٦٣.

(٦) لم نجد لها تعريف.

(٧) فاغرة : هي حبة تشبه الحمصة، وفي داخلها حبة صغيرة مدحرجة سوداء، ظاهرها الأعلى أصعب، وتستخدم في الأغراض الطبية. الملك المظفر، المعتمد في الأدوية، ص ٢٨١.

(٨) التريد : يجلب ورقه من وادي خراسان على هيئة ورق اللبلاب الكبيرة، إلا أنه محدد الأطراف وله استعمال عدة. الملك المظفر، المعتمد في الأدوية، ص ٥٠.

(٩) نور المعارف، ج ١، ص ٤٨٥.

ويرسلون الأموال من عدن وزبيد وغيرها من المدن اليمنية الى مصر، كما حصل عند مغادرة الملك توران شاه بن أيوب اليمن الى مصر فالشام ، حيث أرسلت الأموال إليه من الأمراء في اليمن واستمر ذلك حتى وفاته<sup>(١)</sup>، وكانت العلاقات وثيقة بين مصر واليمن في عهد الملك طغتكين، فقد بنى هذا الملك بناية على جبل حقات بعدن كان يرقب منها منظر مراكب تجار الكارم الواصلين من مصر<sup>(٢)</sup>، ونشطت الحركة التجارية بين البلدين واستمرت طوال العصر موضوع الدراسة . ومما يؤكد استمرار العلاقات التجارية بين اليمن ومصر، أن عيذاب كانت مرسى للتجارة الواردة من عدن وزبيد، ففي سنة ٦٠٥ هـ بعث الأمير سيف الدين سنقر أتابك اليمن عشرة آلاف دينار مصري الى الملك العادل في مصر<sup>(٣)</sup>، وكان الأمير سنقر أميراً على عدن، مما ينهض دليلاً على أن موارد اليمن كانت كثيرة وأن العلاقات مع مصر كانت طيبة جداً .

كما أن من أوجه العلاقات التجارية بين البلدين المعاملات المالية (النقدية)، التي كانت وسيلة الاتصال بينهما، فقد كان في اليمن التعامل بالدينانير الملكية التي استمرت طوال العصر الأيوبي، وانتشر التعامل بالدينانير الذهبية المصرية الفاطمية بعدن وغيرها في العصر الأيوبي، وكان الدينار الفاطمي المصري يساوي أربعة دنانير ونصف دينار ملكي<sup>(٤)</sup>، ثم هبط بعدئذ الى ٣٥, ٢ دينار ملكي في عهد الملك صلاح الدين الأيوبي<sup>(٥)</sup> الذي عاصر حكم أخيه طغتكين في اليمن، وتم التعامل بالدرهم الكامل الذي ضرب بمكة<sup>(٦)</sup> .

#### ٤ - شرق إفريقيا :

ان المعلومات التي توفرت لدينا عن علاقة اليمن بهذه المنطقة قليلة جداً، كما ان المصادر لم توضح طبيعة العلاقات التجارية التي كانت تربط اليمن بساحل شرق إفريقيا، وفي اعتقادنا ان هناك ارتباطاً تجارياً بينهما منذ أزمنة بعيدة بسبب

(١) بعدها بدأ كل نائب يستأثر بما يحصل عليه من الأموال والخراج ، بل إن البعض منهم سك العملة باسمه . ابن حاتم

، السمط ، ص ٢٢ : ابن الديبع ، الفضل المزيدي ، ص ٨٢ .

(٢) ابن الجاور ، المستبصر ، ص ١٢٩ .

(٣) المقرئزي ، السلوك في معرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٤) ابن الجاور ، المستبصر ، ص ١٤٥ .

(٥) الشمري ، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ، ص ٣٣٨ .

(٦) نور المعارف ، ج ١ ، ص ٣٥٨ .



تقاربهما الجغرافي وخصوصاً مع الحبشة التي لا يفصل بينها وبين اليمن سوى البحر الأحمر؛ وشكلت تجارة الرقيق جزءاً مهماً من تلك العلاقة؛ إذ كانت تلك التجارة رائجة، فكان يفرض على رأس الرقيق عند دخوله ميناء عدن مبلغ دينارين عشوراً، وإذا صدر من الميناء يفرض عليه نصف دينار<sup>(١)</sup>، وذكر ابن المجاور أن غالب سكان عدن كانوا حبوش وبرابر ومقادشة<sup>(٢)</sup>، وقد أشارت المصادر إلى وصول المراكب التجارية من الحبشة إلى زبيد وعدن<sup>(٣)</sup> حيث كان العبيد يصلون إلى اليمن بأعداد كبيرة، وهذا يدل على أن الأحباش كانوا يشكلون نسبة كبيرة من سكان عدن وزبيد، فعملوا في مجالات النشاط التجاري والبناء وغيرها . وقد كانت تصل إلى ميناء عدن من الحبشة التيوس والأغنام<sup>(٤)</sup>، وقد أعفيت التيوس من العشور التجارية في الميناء، ولعل استيرادها كان لأجل ذبحها وأكل لحومها، إذ لا توجد بعدن زراعة ولا مراعي، ولعلها كانت تصدر من عدن إلى بلدان أخرى .

وفي الحق أن عدن شكلت همزة الوصل في تلك العلاقات التجارية، حيث كانت أهم مركز لصادرات هذا الساحل ووارداته من مصر والشام<sup>(٥)</sup>، وكان تجار الساحل الإفريقي يأتون إليها في مواسم محددة ومشهورة لديهم<sup>(٦)</sup>، وأهم السلع التي كان يجلبها تجار الساحل الإفريقي الشرقي، وخصوصاً تجار الحبشة، إلى مينائي عدن وزبيد بصورة رئيسة هي: الحيوانات والمنتجات الحيوانية النادرة وأهمها: البغال، والأغنام، وقط الزباد، والعاج، والجلود (مادة خام)، والإنطاع (مفروشات جلدية)، والعسل، بالإضافة إلى الرقيق والذهب وبعض المنتجات الأخرى<sup>(٧)</sup> .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٢٣٤ ؛ الفلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١١ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ .

(٥) شهاب ، عدن فرضة اليمن ، ص ٥٥ .

(٦) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١١٧ .

(٧) انظر : نور المعارف ، ج ١ ، ص ٣٦٢-٣٦٧ ، ٤١٢ ، ٤٢٩ ، ٤٤٥-٤٤٨ ، ٤٥٦ ؛ أحمد، علي بن علي

حسين ، النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي ، رسالة

دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٤٠٣-٤٠٤ .

٥ - **علاقات أخرى** : وهناك علاقات تجارية ربطت اليمن ببلدان كثيرة في الشرق والغرب والشمال، حيث ارتبطت اليمن في العصر الأيوبي بعلاقات متميزة مع قيس<sup>(١)</sup>، ونشطت الحركة التجارية بينها وبين الموانئ اليمنية، فتدفقت البضائع والسلع من ميناء قيس إلى ميناء عدن، ومن أهم تلك البضائع الأبريسم (حرير خام) والتمور، والتوتياء<sup>(٢)</sup>، والثمرة الحمراء<sup>(٣)</sup> والملابس والزعفران والسعد (١٠٠٠) والصفرة (نحاس) والعفص وقشر المحلب<sup>(٤)</sup> والكاغد (الورق) والكحل وما الورد والهدس وغيرها<sup>(٥)</sup>.

كما ارتبطت اليمن بعلاقات تجارية مع كل من الحجاز والعراق وبلاد الشام، حيث كان الطريق البري الذي يربط اليمن بتلك البلدان هو الطريق الرئيس في التبادل التجاري الذي حصل بين اليمن وتلك البلدان، وبخاصة التبادل بين اليمن والحجاز، فقد كانت العلاقات الحميمة تربط أهل اليمن خصوصاً من الأشراف في المناطق الزيدية مع أشراف الحجاز، وقد مثل الحجاز حلقة الوصل التي تربط اليمن بالعراق، من جهة، وبلاد الشام من جهة أخرى، فمثلاً كان الإمام عبدالله بن حمزة يشتري من تلك المناطق بعض ما يندر وجوده في اليمن، كالخيول<sup>(٦)</sup>، وغيرها. أما التجار والعامة فقد كانوا يستغلون موسم الحج للتجارة، فيأخذون معهم ما تشتهر به اليمن ويقل وجوده عند غيرهم لبيعه هناك، وعند عودتهم يأخذون معهم البضائع التي تشتهر بها تلك المناطق ولا توجد في اليمن.

(١) قيس: وتسمى كيش، وكيس في نور المعارف، ج، ص: وهي جزيرة في بحر عُمان في الخليج العربي بالقرب من بلاد فارس. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٤.

(٢) التوتياء: ذكر الملك المظفر أن منها ما يكون في المعادن، ومنها ما يكون في الأتاتين التي يسبك فيها النحاس، والمعدنية ثلاثة أجناس، منها البيضاء، ومنها ما يكون إلى الخضرة، ومنها إلى الصفرة مشرب بحمرة، وأجودها البيضاء التي ترى كأن عليها ملح، وإذا غسلت التوتياء صار منها دواء أشد تجفيفاً من كل شيء مجفف. انظر: المعتمد في الأدوية، ص٥٤-٥٥.

(٣) الثمرة الحمراء: تسمى في حضرموت (ثمرة زهرة الورد)، ويستخرج منها ماء الورد وبعض الأدوية، كما تخلط مع الأدوية المسهلة للتخفيف من مفعولها، وتعمل في ظفائر شعر النساء بعد أن تخلط مع مواد عطرية آخر كنوع من الزينة والتجميل. نور المعارف، ج١، ص٤١٧، (ح٣١١٦).

(٤) المحلب: شجر يابس أبيض النور، ويستعمل ثمره في الطيب. الملك المظفر، المعتمد في الأدوية، ص٣٧٧.

(٥) انظر: نور المعارف، ج١، ص٤١٦، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٥٩.

(٦) ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج١، ج٢، ص٣٤١.

أما عن البضائع المتبادلة بين اليمن وتلك البلدان فلا توجد أشياء محددة يمكننا حصرها، إلا أن الأمر لا يخلو من التجارة بالسلاح والملابس والحلي<sup>(١)</sup> والمواشي والأنعام والجلود والخيول والغلات الزراعية. وإذا ما أشرنا إلى التجارة مع العراق فإن ثمة تبادل تجاري وعلاقات من هذا القبيل بينها وبين اليمن، فقد ذكر ابن دعثم أن الإمام عبدالله بن حمزة أهدى الأمير الأيوبي محمد بن كز اليرقشي ومن معه عشرين نصفية من بز العراق<sup>(٢)</sup>، وهذا إنما يدل على أن ثمة علاقة تجارية قائمة مع العراق، وأن هناك بضائع أخرى تم استقدامها من هناك - وإن لم تذكرها المصادر التاريخية - لا سيما إذا علمنا أن العراق يشتهر بالعديد من السلع التجارية التي تمتاز بجودتها وإتقانها. ولا شك في أن العلاقات التجارية التي ربطت اليمن بالعراق قد عكست نفسها على اهتمام أهل اليمن بالمجالات العلمية، فقد كان الكثير من رجال اليمن يرحلون إلى العراق لطلب العلم، وعند عودتهم يأتون بالنفائس الثمينة من هناك، فهذا بامخرمة يورد لنا نبذة من حياة الإمام سالم بن فضل الصوفي أحد علماء حضرموت البارزين، فيذكر أن هذا الإمام سافر إلى العراق لطلب العلم وغاب أربعين سنة؛ وعند عودته إلى اليمن جلب الكثير من الكتب العلمية التي حملت على ظهر الجمال<sup>(٣)</sup>. ومما يعزز أكثر وجود التبادل التجاري بين اليمن والعراق وبيع منتجات العراق في اليمن وبالذات القماش، ما أورده الجندي عن قدوم الشاعر التكريتي الذي لم يكن يتعانى الشعر بل كان تاجراً له فضل، فغرق مركبه بما فيه من قماش بالقرب من ظفار الحبوضي فقصده هذا التاجر بعد ذلك أحد أعيان اليمن المسمى أبو عبدالله محمد بن أحمد الأكل، بعد أن سمع بكرمه، فعوضه الأكل عما فقده في البحر، فامتدحه التكريتي بقصيدة طويلة<sup>(٤)</sup>.

مما تقدم يتضح أن التجارة في اليمن في العصر الأيوبي شهدت نهوضاً ونشاطاً أو انتعاشاً لا نظير له قبل ذلك.

(١) فقد ذكر أن الشاعر عماره اليمني أعاد إلى قاسم بن فليحة أمير مكة مالا هو ثمن لحلي فضية باعها له في أسواق اليمن. بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٣٣، جريدة: محمد سعيد، الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور، ١٩٨٥م، ص ١٥١؛ يتضح من ذلك مدى التبادل التجاري الذي كان يجري بين البلدين ومكة. وتسويق المنتجات الحجازية في اليمن، والأمر كذلك في الحجاز بالنسبة لتصديق المنتجات اليمنية.

(٢) السيرة المنصورية، مج ٢، ج ٣، ص ١٧٩.

(٣) قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٩٧-٢٤٩٨.

(٤) عن أبيات القصيدة التي قالها التكريتي ممتدحاً الأكل وقصته مع سيف الإسلام في عدن انظر: السلوك، ج ١، ص ٤٥٦-٤٦١.

## **الفصل الرابع**

### **النظام المالي في بلاد اليمن**

## أولاً - الدواوين المالية :

عرفت اليمن خلال العصر الأيوبي إدارات (دواوين) كانت تنظم العلاقة المالية بين الرعية والدولة، وبينت هذه الدواوين مصادر الإيرادات المختلفة، ومصروفات الدولة بجميع أنواعها . ورغم أن المصادر التي تمكنا من الإطلاع عليها، لم توضح لنا بجلاء عن الدواوين المالية في اليمن في العصر الأيوبي، إلا أنه من حسن الطالع أن نجد إشارة نستدل بها على وجود الدواوين، فقد ذكر ابن حاتم في معرض حديثه عن الملك العزيز طغتكين ما يفيد بأنه قرر القواعد وأصل الضرائب القديمة في الدواوين<sup>(١)</sup>، كما أن هناك عبارة للخزرجي أكثر شمولاً تشير إلى وجود هذه الدواوين في السنين الأخيرة من العصر الأيوبي زمن الملك المسعود، أوردها في سياق حديثه عن قيام المنصور نور الدين عمر بن رسول بافتتاح حصن تعز سلماً على يد أحد القضاة ويدعى القاضي المكين، حيث قال فيها عن ذلك القاضي: "وهو رجل من أهل مصر كان صاحب الدواوين في الدولة المسعودية"<sup>(٢)</sup> . ورغم عدم إيضاح المصدر للاختصاصات التي أنيطت بهذا الديوان، وموظفيه والمهام الموكلة إليهم، إلا أننا من خلالها نستنتج وجود ديوان ربما يكون ديوان النظر . وهو الديوان الذي يشرف على جميع دواوين الإدارة المالية في الدولة<sup>(٣)</sup> .

ومن أهم الدواوين في العصر موضوع الدراسة مايلي:

### ١ - ديوان الخراج :

وهو من أهم الدواوين، وكان يعرف في بعض الأوقات بـ (الديوان الكبير)، ويبدو أنه كانت له فروع في عدد من أقاليم اليمن، ومنها تهامة حيث كان يتولاه أحد أفراد أسرة ابن القم<sup>(٤)</sup>، ويذكر صاحب العطايا السنية أيضاً اسم أسرة توارث أبناؤها مهنة الكتابة بهذا الديوان وتعرف بأسرة ابن المعلم بتهامة<sup>(٥)</sup> .

(١) السط الغالي ، ص ٣٩ .

(٢) المسجد المصبوك ، ص ١١٥ .

(٣) با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١١٥ ؛ حسنين محمد ربيع ، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، مط جامعة القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ص ٤٠ .

(٤) الملك الأفضل ، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية ، دراسة وتح : عبدالواحد عبدالله الخامري ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م ، ق ١٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ق ٤٤ .

وهذا الديوان هو المسؤول عن جمع الأموال المقررة للدولة، ويأتي في مقدمتها خراج الأراضي الزراعية ورسوم النخل، والعشور، والجزية، والضرائب، والمكوس المختلفة، ثم توريداتها لبيت المال الذي كان بمثابة خزانة عامة للدولة، ويتعلق به المصالح الكلية<sup>(١)</sup> أو ما يسمى في الوقت الحاضر بوزارتي المالية والاقتصاد .

## ٢ - ديوان الجيش :

لا ريب أن هذا الديوان قد وجد في اليمن في العصر الأيوبي، نتيجة الحاجة الماسة إليه، على اعتبار أن الدولة الأيوبية لها شهرتها الواسعة في الميدان الحربي، الأمر الذي استوجب إنشاء هذا الديوان الذي تولاه أشخاص ذوو كفاءة ومقدرة على تصريف شؤون الحرب وما تستلزمه من إمكانيات مالية، حيث تشير المصادر إلى تولي الشيخ عبدالله بن العباس بن المبارك الهمداني<sup>(٢)</sup> منصب كاتب الجيش في زمن الملك المسعود الأيوبي، بما يوحي برئاسته لديوان عرف بهذا الاسم .

ونظراً لأهمية التي يحتلها هذا الديوان في الإدارة المالية، فقد توزعت اختصاصاته، فبالإضافة إلى كونه المتولي الرئيس في صرف الرواتب للعسكريين قادة وجنوداً، وشراء الأسلحة والمؤن، والإنفاق على بناء العمارات والمرافق والحصون العسكرية وترميمها<sup>(٣)</sup>؛ فقد أنيطت به مهمة توزيع الإقطاعات وترتيبها وتغييرها طبقاً للتعليمات الصادرة من الملك أو السلطان<sup>(٤)</sup>، حيث كان يقوم كاتب ديوان الجيش بتسجيل أسماء أصحاب الإقطاعات على اختلاف طبقاتهم، وجميع الأمراء ومراتبهم وما يخص كل واحد منهم من الإقطاع في كل سنة خراجية، ويتم ذلك التسجيل في جريدة من جرائد ديوان الجيش خاصة بهم<sup>(٥)</sup> .

(١) الشيزري ، عبدالرحمن بن عبدالله بن نصر بن عبدالرحمن ، المنهج المملوك في سياسة الملوك ، نج : علي عبدالله الموسوي ، ط١ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٢٩ ؛ ابن حاتم ، السمت الغالي ، ص ٢٩٥ ؛ الخزرجي ، العقود النولوية ، ج ٢ ، ص ٦٢-٦٣ .

(٢) الملك الأفضل ، العطايا السنية ، ج ٢٥ ؛ الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٠١ ؛ بامخرمة ، تاريخ نجر عدن ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

(٣) ابن المجاور ، المستنصر ، ص ٦٢ ؛ حسنين محمد ربيع ، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص ٦٢ .

(٤) ابن حاتم ، السمت الغالي ، ص ٢٥٦-٢٥٧ ؛ وقد حاول الإمام عبدالله بن حمزة قدر الإمكان إنشاء فرقة عسكرية شبيهة بالنسبة عند الأيوبيين ، بل إنه جعل لكل فرقة ديواناً يتولى إدارة الأمور المالية من صرف الرواتب للأفراد ، وشراء السلاح والخيول وبناء وترميم الحصون ، وكان لأصحاب الجرايا والديوان من الفرسان والمشاة أجراً معلوماً كل شهر يسلم لهم نقداً أو عيناً . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩١-٩٧٤ .

(٥) ابن حاتم ، السمت الغالي ، ص ٣٨-٣٩ ؛ حسنين محمد ربيع ، النظم المالية في مصر ، ص ١٦٢ ؛ والمقصود بالجريدة هنا هي القائمة التي يتم الكتابة عليها حينما تطلق أحياناً على فرقة الجيش من الفرسان الخياري الأنداء . انظر: أنفلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢ ، (ج ١) .

وفي جريدة أخرى مستقلة من جرائد ديوان الجيش كان يتم تدوين أسماء الجنود بشكل عام، بما فيهم الموزعون على الإقطاعات المختلفة في اليمن، وبخاصة الجنود الذين يتسلمون أجورهم من الديوان نقداً أو غلة لا إقطاعاً، كذلك وجدت إشارات من قبل بعض الباحثين تحمل في مضمونها أن ديوان الجيش في العصر موضوع الدراسة قد تولى إعداد جريدة تسمى جريدة الإقطاع كان يدون فيها تقسيم كل إقليم من الأقاليم وإقطاعه<sup>(١)</sup>. وفي ضوء ذلك يمكن القول إن ديوان الجيش كان هو مركز توزيع الإقطاع في الدولة الأيوبية في اليمن.

### ٣- ديوان الوقف :

كان يشرف على ديوان الوقف والأوقاف في العصر الأيوبي مجموعة من الفقهاء والقضاة الذين يكلفهم أصحاب الأوقاف بهذه المهمة والإشراف على تنفيذ الوقفية، فكان فقهاء كل منطقة تسند إليهم نظارة الوقف، الذي يوافقون على الإشراف عليه، ومراقبة توجيه ارتفاعه للأغراض التي وقف من أجلها، كذلك كان أئمة المساجد أو المدارس يقومون بدورهم بالإشراف على الأوقاف المخصص ريعها للصرف والتكفل بنفقات هذه المدارس أو المساجد، من حيث كفاية رواتب الأئمة والمؤذنين والقومة والدارسين والمدرسين بهذه المؤسسات التعليمية، ومن أمثلة ذلك: قيام الفقيه علي بن محمد بن غليس العريقي بإسناد نظارة أوقافه على مدرسته بوصاب إلى الفقيه أحمد بن علي بن محمد بن يزيد من قرية أعدان، وكان رجلاً عالماً فاضلاً صالحاً<sup>(٢)</sup>.

ولما كان ديوان الوقف هو المشرف على حسابات الممتلكات التي أوقفها أصحابها للإنفاق من مواردها على العديد من أوجه الخير والصدقات، وتنوعت هذه الأوقاف حتى اشتملت على الأراضي الزراعية، والعقارات، والمؤسسات الاقتصادية كالحوانيت، والمعاصر، والدكاكين، والخانات، والفنادق والحمامات والأسواق، والمجازر، وغيرها<sup>(٣)</sup>، لذلك تطلب الأمر وجود عدد من الموظفين أسندت إليهم

(١) حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، ص ٦٢.

(٢) ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ١٨٥؛ الخزرجي، العقود الثلوية، ج ١، ص ٢٥٥.

(٣) كما اشتمل الوقف كما بينا ذلك في أثر الأوقاف في الحياة الاجتماعية أيضاً على أمهات الكتب الدينية. انظر: -

مهام في ديوان الوقف، فكان أهمهم: كاتب الأوقاف، وهو بمثابة رئيس ديوان الوقف، ومن أهم الأعمال الموكلة إليه، تفقد الأوقاف، ومراجعة حساباتها، ومحاسبة نائب كل وقف عن المتحصل من وقفه ومصرف نفقاته، وأن يرصد الميزانية الخاصة بكل وقف، فيخصص جزءاً منها للصرف على عمارة الوقف وتطويره، وجزءاً آخر لتغطية نفقات القائمين على المؤسسة أو الجهة الموقوف عليها، ومافاض عن ذلك يدونه في سجلاته الخاصة به، وربما كان يرسله الى خزينة الدولة الرئيسة<sup>(١)</sup>.

### ثانياً - الموارد المالية للدولة :

لقيام أية دولة واستمرارها لا بد من وجود (بيت مال) أو موارد مالية تغذيها وتتميتها وتمكنها من الوقوف أمام الصعوبات التي تواجهها، وبخاصة إذا كانت هذه الدولة تعيش حالة من الحرب الدائمة تفرض عليها الكثير من النفقات وتكاليف القتال . وبيت المال هو الذي ينظم حياة الناس الاقتصادية، أي أنه يقوم مقام وزارتي المالية والاقتصاد في عصرنا الحاضر، ففيه بيان شامل بمصادر الإيرادات المختلفة، وبيان آخر بمصروفات الدولة بجميع أنواعها . ومما يلاحظ في بيت المال هذا أن الإيرادات لم تكن كلها نقداً كما هي الحال اليوم، بل كانت متنوعة تدخل فيها من أنواع الغلات والمحصولات الزراعية وأسلحة وثياب وغيرها . وقد تنوعت الموارد المالية لليمن في عصر الدولة الأيوبية، وانحصرت بصفة عامة في: الخراج، الزكاة، الجزية، العشور، المكوس التجارية، والضرائب العامة، والأموال الحشرية، والغنائم، والمصادرات . ويمكن تقسيم هذه الموارد الى قسمين: الأول: الموارد الثابتة، وتشمل: الخراج، والزكاة، والجزية، الثاني: الموارد غير الثابتة، وتشمل: العشور والمكوس التجارية، والأموال الحشرية، والمصادرات، والغنائم، والأوقاف، والمصالحات، والعقوبات المالية على القبائل .

= ص ١٤٩-١٥١ من هذه الرسالة ؛ وللمزيد أيضاً انظر : ابن الديبع ، الفضل المزيدي ، ص ١٠٤ ؛ الخزرجي ،

العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ؛ المسجد المسبوك ، ص ١٥٧ .

(١) والى جانب كاتب الأوقاف وجد مشد الوقف الذي كان له نائب وله ناس ثقات يحضرون صرف النفقات .

للزهراني ، وثائق تعليمية ، ص ٥١ ، ٨٨ - ٨٩ .



## ١ - الموارد الثابتة :

### أ - الزكاة :

الزكاة لغة هي الطهارة والنماء، من أزكى الشيء يزكّيه إذا نماه أو من زكاه تزكّيه إذا طهره، وفي المدلول الشرعي، هي المال الذي يؤخذ من أغنياء المسلمين ويرد على فقرائهم، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾<sup>(١)</sup>، وكانت الزكاة من عصر الرسول (ﷺ) تجبى من المسلمين في كل سنة، والزكاة المفروضة لا تقتصر على المال العيني فقط، ولكنها تشمل كل ما يقوم بمال وهي أنواع:

١ - زكاة النقد كالذهب والفضة وما شاكلهما، وتجب الزكاة فيهما إذا بلغا النصاب، ونصاب الذهب ٢٠ مثقالاً ونصاب الفضة ٢٠٠ درهماً، فإذا ملك مسلم هذا النصاب، وجب عليه أن يخرج زكاته ٢,٥ ٪<sup>(٢)</sup> .

٢ - زكاة السوائم وهي الماشية التي يرسلها صاحبها لترعى في البراري في أكثر أيام السنة بقصد الدر أو النسل أو السمن الذي يراد به تقويتها، لا بقصد ذبحها، فلو اتخذت الماشية للذبح أو الحمل أو الركوب أو الحرث فلا زكاة فيها، وتحدد هذه السوائم بالإبل والغنم والبقر .

٣ - زكاة عروض التجارة (وعروض جمع عرض - بسكون الراء - وهو ماليس بذهب ولا فضة)، ويجب فيه ٢,٥ ٪ شرط أن يتوفر فيها عاملان: الأول: أن تبلغ قيمتها نصاباً من الذهب أو الفضة، والثاني: أن يحول عليها الحول<sup>(٣)</sup> .

٤ - زكاة المعادن والركاز، وهما بمعنى واحد، وهو شرعاً مال وجد تحت الأرض، سواء كان معدناً خلقياً (أي أن الله تعالى خلقه) ويقصد به الطبيعي المتكون لذاته بدون أن يضعه أحد فيها أم كان كنزاً دفنه العدو، وورد عن الحسن البصري قوله: "وما كان من ركاز في أرض الحرب ففيه الخمس، وما كان في أرض السلم ففيه الزكاة"<sup>(٤)</sup> أي ٢,٥ ٪ .

(١) سورة التوبة ، الآية رقم (١٠٣) .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٧٢ ؛ الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية ،

دار الفكر ، بيروت ، ص ١١٦ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١١٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

٥- زكاة الزروع والثمار، و يجب فيها ١٠/١٠٠ إذا كانت تسقى من السماء (المطر) و ٥% إذا كانت تسقى بالدلاء ونحوها<sup>(١)</sup>.

وقد كانت الدولة تقوم بجمع تلك الزكوات ممن وجبت عليهم ، ثم تصرفها في وجوها الشرعية<sup>(٢)</sup>، وعليه فقد اتخذت الزكاة في اليمن في عصر الدولة الأيوبية أشكالاً عدة منها:

العشر: ويؤخذ على الحبوب بأنواعها (كالقمح والشعير والذرة والسمسم)، وعلى الفواكه (كالكرام والرمان والتفاح والخوخ والسفرجل والتوت والتمر)<sup>(٣)</sup>، وعلى الخضروات بمختلف أنواعها، على شرط أن تكون سقيت بمياه الأمطار .

نصف العشر: ويشمل المحاصيل سائلة الذكر كلها عندما تسقى بمياه الآبار، إضافة إلى المعادن المختلفة، فقد أخذ الإمام عبدالله بن حمزة الخمس على الفضة<sup>(٤)</sup> من بلاد المعدن، والخمس على الملح<sup>(٥)</sup> من مأرب، والخمس على الحديد<sup>(٦)</sup> من صعدة وأعمالها .

ربع العشر: ويؤخذ على الذهب والأنعام (كالإبل والبقر والغنم) وعلى عروض التجارة أيضاً<sup>(٧)</sup>، وعن زكاة التجارة يذكر أبو عبيدة أن الرجل، يَقَوْمُ متاعه، إذا كان للتجارة ، إذا حلت عليه الزكاة ، فيزكيه مع ماله، وقد أجمع المسلمون الأولون على أن الزكاة فرض واجب في التجارة<sup>(٨)</sup> .

وقد وجدت في عدن في العصر الأيوبي داراً للزكوات، حيث كانت الزكوات تؤخذ من البضائع التي لا يؤخذ عليها عشور<sup>(٩)</sup>، ومن المرجح أن الملوك والأمراء

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١١٨ - ١١٩ ؛ حسين الحاج حسن ، النظم الإسلامية ، ط ١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٦٣ .

(٢) انظر : الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٤ وما بعدها ؛ عسيري ، الحياة السياسية ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٣) جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٤) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٥) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٧٩ .

(٦) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦٦ .

(٧) الشجاع ، النظم الإسلامية في اليمن ، ص ٦٤ .

(٨) ابن سلام ، الأموال ، ص ٥٢٧ ، ٥٣٠ .

(٩) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٣ ؛ وقد أورد لنا في معرض حديثه عن فداحة الضرائب المفروضة على

في اليمن في العصر الأيوبي كانوا حريصين على تحصيل الزكاة من التجار الواردين على الموانئ اليمنية وتوريدها الى بيت المال أو الخزانة الرئيسية للدولة .

ويفهم من بعض المصادر أن كثيراً من أفراد المجتمع في العصر الأيوبي كانوا يفضلون تفريقها بأنفسهم مهما بلغت<sup>(١)</sup>، حتى إن زكاة بعضهم بلغت أربعين ألف دينار، وقيل ستين ألفاً، كان يتولى توزيعها بنفسه بشكل شبه يومي، حتى كادت لا تنقطع صدقته، ومع ذلك فقد وجد من الناس من كان يفضل تسليمها الى بيت المال<sup>(٢)</sup>، فالقضاة الذين أسندت إليهم مهمة الإشراف على أموال الإيتام كانوا يخرجون الزكاة المفروضة على تلك الأموال ويودعونها بدار الزكاة<sup>(٣)</sup> .

#### ب- الخراج :

كلمة الخراج بالمفهوم الحديث توازي المعنى الذي يقصد من كلمة (ضريبة الأراضي) ولم يكن العرب وحدهم الذين يعرفونها، فقد عرفها الفرس والرومان من قبلهم ولكنها جاءت مع الإسلام بصورة أشمل وأوسع . أما تعريف الخراج: فهو مقدار معين من المال أو الحاصلات ويفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة أو صلحاً وتبقى في يد أهلها، وهذه الأراضي كانت تبقى لهم يتوارثونها وليس لأحد أن يأخذها منهم، ويبقى الخراج متوجباً عليها حتى ولو أسلم أهلها<sup>(٤)</sup> .

وبذلك يكون الخراج ضريبة رسمية تفرضها الدولة على الأراضي الزراعية<sup>(٥)</sup> وبساتين النخيل، ونظراً لأهمية موارد الأراضي الزراعية لمالية اليمن في

= انتاج بعدد وتعدد أنواعها في تقدير ثمن البضائع باختلاف مكان التقويم رواية تشير الى ان مقدار الزكاة كان ٥ % من قيمة البضائع الواردة

(١) ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٢) ومنها يتم صرف رواتب وإعانات سنوية لبعض المحتاجين ، الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ؛  
با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٣) با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٤) الرئيس ، محمد ضياء الدين ، الخراج والنظم المالية الإسلامية ، ط ٤ ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ،  
ص ١٢٣ .

(٥) أبو غانم ، فضل علي أحمد ، القبيلة والدولة في اليمن ، ط ١ ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ،  
ص ١٠٩ .

العصر الإسلامي، ولأن اليمن اعتبرت من البلاد التي أسلم أهلها فهي لذلك أراضٍ عشرية<sup>(١)</sup>، أي أراضي فرض على إنتاجها ما قيمته العُشر أو نصف العُشر طبقاً لیسر موارد الري أو عسرها، فكان تحصيل الخراج يتم بطرق عديدة منها:

١- **طريقة المحاسبة:** ويقضي بأن تجبى الضريبة بالنسبة لمساحة الأرض أو مقدار غلتها، وكانت هذه الضريبة تدفع نقداً أو نوعاً، أو نقداً ونوعاً معاً، وهي عبارة عن مقادير معينة من المال أو الغلة تجبى كل عام بحسب كل قطعة من الأرض، وكانت تجبى أحياناً بحسب نوع غلة الأرض .

٢- **طريقة المقاسمة:** ويقضي هذا النظام بتخصيص مقدار من المحصول يؤدي إلى بيت المال، بمعنى أن يقرر لذلك ثلث المحصول أو ربعه، وهو ما كان يفعله بعض مالكي الأراضي الزراعية الكبيرة (الملاك الكبار) في اليمن وإلى الآن، حيث يؤجرون أرضهم للفلاحين على أن يحصلون على نصف محصولها أو ثلثه . وهذه الطريقة وإن كانت أقرب إلى صالح الفريقين، إلا أنها متعبة ومربكة للسلطة، فلا جدال في أن تنفيذها لا يمكن أن يتوافر بالدقة والعدل اللازمين في مثل هذه الأمور، ولا شك أن مجال التلاعب في كمية الواجب ونوعيته، مجال واسع أيضاً . ثم إن هناك أخطاء التطبيق التي يتعرض لها كل نظام، وخصوصاً نظام المقاسمة الذي لا يقوم على حدود معينة وإنما يعتمد مبدأ (التقدير) أساساً له .

٣- **طريقة الإلتزام :** معنى الإلتزام أن يتعهد شخص من ذوي الغنى والنفوذ، بدفع مال سنة عن خراج إقليم من الأقاليم أو خراج إحدى المدن أو القرى، ويقوم هو بجمع الخراج لنفسه من هذه الجهة، وكان الكثيرون يتنافسون في الحصول على هذا الامتياز، وقد تحدث مزايده بين المتنافسين، فيحصل على الإلتزام أكثرهم عطاء، وفي هذه الطريقة ضمان كاف للحكومة في تحصيل الضرائب المطلوبة وبطريقة عاجلة . وقد شاع نظام الإلتزام في اليمن في العصر الأيوبي، ولم يكن الإلتزام إذ ذاك مقصوراً على إقطاع أجزاء من الأرض في الولاية الواحدة، بل قد يشمل ولاية برمتها، إذ كان الملوك يقطعون الولايات للأمراء، وبخاصة القادة العسكريين،

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٧٣ .

على أن يؤدوا لديوان الدولة مبلغاً معيناً من المال عدا الهدايا والطرف . على أن نظام الإقطاع العسكري هذا لم يخل من العيوب، إذ أن المقطع له أو الملتزم يعمل على الإثراء وجمع الأموال الضخمة ولا يتردد في إرهاب الأهالي وإتقاليهم بأنواع الضرائب المختلفة ليستطيع أن يؤدي إلى الدولة ما عليه من مال الخراج ويحفظ مازاد لنفسه، والأهالي في ذلك مغلوبون على أمرهم، فلما تصل شكاياتهم إلى السلطة المركزية .

وعليه يمكن القول إن الإقطاع يعد أحد الموارد المالية للدولة، فيدرج ضمن مالية الخراج باعتبار أن الإقطاع الممنوح للشخص كان يدر دخلاً معيناً بمثابة راتب مستحق للمقطع، يقوم على جمعه من المزارعين في دائرة إقطاعه، وقد يستتبع عنه من يقوم بذلك، وخاصة من مشايخ القبائل مقابل نصيب محدد يقدره لهم<sup>(١)</sup>، ويقوم المقطع بتدبير نفقاته ونفقات إقطاعه من مال الخراج المتجمع لديه ويورد الباقي إلى خزانة الدولة، وكانت موارد الإقطاع في بعض الأحيان لا تفي بما يتطلبه من نفقات لا سيما في مجال الدفاع، وعندئذ يقوم الحاكم بإمداده بما يسد هذا العجز من الجند والسلاح والمؤن<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من أن نظام الإقطاع الحربي لم يحدد المقدار الذي يستحقه المقطع من إقطاعه كراتب سنوي، إلا أننا لاحظنا أن الأمراء الإقطاعيين في اليمن في العصر الأيوبي من قبل على شرط أخذ نسبة معينة من الخراج، كما فعل الأمير عمر بن مهدي الذي طلب إقطاعه بلاد المشرق والشحر في حضرموت، ومقابل ذلك اشترط عليه الملك المسعود الأيوبي مناصفة خراجها فيما بينهما، فاتفقوا على ذلك<sup>(٣)</sup>، أما الراتب الشهري للمقطع فقد وجدنا إشارة إلى أن القاضي الأسعد مقطع حرص كان يتقاضى شهرياً مبلغ نرجح بأنه ستون ألفاً<sup>(٤)</sup>.

كما أن هناك بعض من الإقطاعيات التي منحها حكام بني أيوب في اليمن لبعض الأعيان والمشايخ نظير التزامهم بمبلغ محدد من المال يقومون بدفعه سنوياً، من ذلك ما التزم به الشيخ علي بن أحمد المعلم للمخلاف من مصابيح إلى ضربة

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٠٠ ، ٢٢٤ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .

(٢) انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .

(٤) الإشارة التي وردت في الشعر الذي أورده ابن حاتم في السمط ، وقد أشرنا إليها ذكرت بأنه كان يتسلم ستون ولم يحدد أن كان ألفاً ديناراً أو درهم . انظر : ص ٣٤٢ من هذه الرسالة .

عمر<sup>(١)</sup> أباخمسین ألف دينار، وذلك في عهد الملك العزيز طغتكين بن أيوب، وفي سبيل تدبير ما التزم به لجأ إلى القسوة والعسف وجمع الأموال من رعية المخلاف فصادر أملاك بعضهم، واشترى أملاك البعض الآخر ومنتجاتهم بأسعار زهيدة فباعوها له إلقاء سطوته، ورغم ذلك عجز عن دفع ما التزم به فصادره طغتكين مصادرة منكرا وقبض غالب أملاكه ودوره في عدد من المواضع باليمن وضمها إلى بيت المال<sup>(٢)</sup>. ومن أدنى شك فإن الخراج المفروض على الأراضي الزراعية في اليمن قد شكل مورداً هاماً وكبيراً من موارد الدولة خلال العصر الأيوبي، بحكم أن اليمن بلد زراعي من الدرجة الأولى، ورغم عدم تحديد المصادر لمقدار الخراج السنوي المتحصل من الأراضي الزراعية<sup>(٣)</sup> - غير النخيل - فالراجح أنه لم يكن ثابتاً بل كان مقداره يختلف من فترة لأخرى تبعاً لتأثره بالعديد من العوامل التي يمكن إبراز أهمها في الآتي:

١ - نوع الذراع المستخدم: لقد تأثر المتحصل من الخراج بنوع الذراع الذي كان يستعمل في قياس الأرض لتحديد مساحتها، ومعه تم تقدير قيمة الخراج المستحق عنها، ومع أن وحدة القياس (الذراع) لم تكن متساوية الطول على الدوام في العصر الأيوبي، حيث وجد الذراع اليدوي والحديدي والأرضي<sup>(٤)</sup>، فمن الطبيعي أن المتحصل من الخراج كان يتأثر مقداره بنوع الذراع الذي يستعمل في قياس الأرض.

٢ - الحروب والصراعات: يرجع عدم ثبات رقعة الدولة في العصر موضوع الدراسة إلى الحروب والصراعات الدائرة بين الأيوبيين من ناحية والقوى المحلية في اليمن وعلى الأخص القوة الزيدية من ناحية أخرى. فمن المعروف أن الدولة الأيوبية قد بلغت أقصى اتساع لها في عهد الملك طغتكين بن أيوب حتى وصلت إلى الجوف وصعدة، إلا أن هذا النفوذ والاتساع مالبث أن تقلصا في عهود خلفاء طغتكين، حتى إن نفوذ الإمام عبدالله بن حمزة قد وصل إلى صنعاء ودمار في وقت من الأوقات<sup>(٥)</sup>.

(١) وهذه المنطقة تقع في مخلاف جعفر والذي يضم أيضاً منطقة إب وجيلة وما حولها . انظر : المقحفي ، معجم ، ص ٩٠ .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢١ ؛ الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٧٠ .

(٣) يذكر ابن الجوار أن المتحصل من أعمال لحج الذي كان يرفع إلى بيت المال لأخزافه الدولة سنوياً مبلغ وقدره ألف دينار ملكي . المستبصر ، ص ١٥٥ ؛ والراجح أنه مقدار خراج الأراضي الزراعية .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ؛ هلثس ، المكاييل والموازين الإسلامية ، ص ٨٥ .

(٥) انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٥٥ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٠٠ .

وهذا بدوره أثر في مساحة الأرض الزراعية التابعة للدولة، وهو الأمر الذي كان له أثره في زيادة كمية الخراج أو نقصانه .

٣- **المسامحات الضريبية وتخفيفها:** لقد تأثر الخراج بما أجراه حكام بني أيوب في اليمن من مسامحات وإعفاءات من الضرائب المقررة على أملاك بعض الأعيان والعلماء والفقهاء ذوي المكانة المرموقة، ومثال على ذلك، أعفى نور الدين عمر بن رسول، وهو أمير أواخر العصر الأيوبي في اليمن، أرض صاحبني عواجة وهما الفقيه محمد بن حسين البجلي (ت- ٦٢١هـ)، والفقيه أبو عبدالله محمد الحكمي (ت- ٦١٧هـ) من الضرائب المقررة عليهما وكانا من الملاك الكبار بمنطقة عواجة<sup>(١)</sup>، وربما انتفع بتلك المسامحات ورثة الفقهاء بعد ذلك . كما نعتقد ان تلك المسامحات قد أطلقت من قبل بعض الملوك والأمراء قبل نور الدين عمر بن رسول وبعد ذلك . كما أعفت الدولة أراضي ذرية الشيخ الصوفي سؤد بن الكميت من الخراج، وكانت مساحتها عشرة آلاف معاد، وقد وقفها الشيخ المذكور في سبيل الله<sup>(٢)</sup> . وجرت العادة عند بعض الملوك الأيوبيين التخفيف عن كاهل الناس من أعباء الضرائب التي كانت تفرض عليهم من قبيل الإحسان، وهو الأمر الذي أقدم عليه الملك طغتكين بن أيوب، حيث عمل على تخفيف الضرائب المفروضة على الفلاحين بحجة أنهم يعانون من مشقة في إنتاج محاصيلهم، بعد مراحل متعددة من السقي والزرع والحصاد<sup>(٣)</sup> .

٤- **نوع العملة:** وكان لها تأثيرها في قيمة الخراج المتحصل وزيادة ونقصان، فالبعض كان يتحصل بالدرهم والبعض بالدنانير، ولاشك ان تلك العملات تختلف في نوعيتها (ذهب وفضة) وفي أوزانها وأثمانها، وهو الأمر الذي أثر في قيمة الخراج المتحصل . وأخيراً يمكن القول إن الإيراد المتحصل من الخراج قد تأثر بكمية الأمطار النازلة على بعض المناطق، وكذلك تأثر بأوقات الدفع في بعض السنوات<sup>(٤)</sup> .

(١) المعلم وطبوط ، حسين بن إسماعيل ، تاريخ المعلم وطبوط ، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير ، رقم (١٧٣)، صنعاء ، ق ٣ .

(٢) الشرجي ، طبقات الخواص ، ٥٨-٥٩ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٠ ؛ وانظر : الأهل ، تحفة الزمن ، ص ٢٩٤ .

(٤) للمزيد عن ذلك انظر : الخرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٦٢-٦٣ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص ٥٤-٥٥ ، ٦١-٦٢ .

### - أثر نظام الخراج على المزارعين:

عندما كان الخراج المطلوب من المزارعين يتحصل البعض منه نقداً والبعض الآخر عيناً، فقد جاءت معاملة الولاة وعمال الخراج متفاوتة بين الشدة حيناً والعدل والإنصاف حيناً آخر، فبينما عمد الملك طغتكين بتوجيه عماله إلى الرفق بالمزارعين وتخفيف الضرائب عنهم، وذلك لما يجدونه من مشقة عظيمة حتى يحصل الواحد منهم على إنتاج أرضه بعد مراحل متعددة من الحرث والسقي والبذر والحصاد والتذرية ومن ثم وجب الترفق بهم، نجده في الوقت ذاته يأمر عماله في التشدد على أصحاب النخيل وجمع الخراج منهم، فبالغوا في استعمال العنف والجور مع أصحاب النخيل، وبلغ خراج النخل في عهد الملك المذكور تسعين ألف دينار غير الذي يأخذه عمال السلطان ونواب الديوان، وغير الذي لأرباب الجاهات وأصحاب الدولة، وقد قدره ابن المجاور بحوالي أربعين ألف دينار فيكون مجموع ما تحصل عليه الدولة من خراج النخل كضمان مائة وثلاثين ألف دينار<sup>(١)</sup>.

وقد زاد خراج النخل في عهود خلفاء طغتكين بن أيوب حتى بلغ سنة ٦٢٤هـ مائة وعشرة أو عشرون ألف دينار صافي، وقد استخدم والي زبيد الأمير يانس الكاملي مع أصحاب النخل وسائل العنف لاستخلاص هذا المبلغ<sup>(٢)</sup>. والحق أن تلك السياسة التي انتهجها الملوك والأمراء من بني أيوب وولاتهم قد ألحقت كثيراً من الضرر بالمزارعين أصحاب النخيل، الأمر الذي جعل الكثير منهم يهرب عن أملاكه نتيجة عجز عن دفع الخراج المفروض عليه، وللسبب ذاته صادرت الدولة نخيل كل من هرب وسمي صافية، أي صفى لبيت المال<sup>(٣)</sup>.

### ج- الجزية:

في البدء لا بد من القول إن الجزية هي ضريبة النفس، أو بالأحرى هي ضريبة

(١) ابن المجاور، المستبصر، ص ٧٩-٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠، العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٩٠.

(٣) ويدلل ابن المجاور على أساليب الشدة التي اتبعتها ملوك وولاة بني أيوب وعلى وجه التحديد الأمير منقر مع

أصحاب النخيل وبخاصة في زبيد قول أهلها: ما شاء للنخل ولا شاء زبيد \* يعلق بالمليمة ويضرب بالجرید.

المستبصر، ص ٨٠.



الدفاع عن النفس فرضها الإسلام، ولا يعني بها التعالي أو الكبر، إذ ليس التعالي والكبرياء من شأن الإسلام، ولم يعن بها التفريق أو إرغام الناس على المدخول في الإسلام، فما من شأنه أيضاً أن يفرق بين بني آدم مطلقاً، وليس من وسيلته الإكراه في الدين؛ والجزية هي مبلغ معين من المال يفرض على الرؤوس من غير المسلمين ويسقط بالإسلام؛ وإذا كان هناك تشابه بين الجزية والخراج في أن كلا منهما جزء من الفيء يجبى في أوقات معينة كل سنة، إلا أنهما يختلفان في الوجوه الآتية:

- أن الجزية موضوعة على الرؤوس وتسقط بالإسلام، وقد ثبت بالنص الوارد في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ بَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (١).

- أما الخراج فهو مفروض على الأراضي، ولا يسقط بإسلام المالك، والخراج ثابت بالاجتهاد. ولقد وجبت الجزية على أهل الكتاب كما وجبت الزكاة على المسلمين، فالطرفان من حيث المبدأ متكافئان، كل منهما يؤدي للدولة التي ترعاه واجباً يختلف عن الواجب الذي يؤديه الآخر.

والمقصود بأهل الكتاب هنا، اليهود والنصارى، أهل التوراة والإنجيل، ولذلك فقد استدل فيها كثير من العلماء بأن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب، أو من شابههم من المجوس، لأن النبي (ﷺ) أخذها منهم (٢).

والحق أن الإسلام لم يعتبر الجزية ديناً على الذمي، يستوفى منه بالوسائل التي تستوفى بها الديون؛ فمن وجبت عليه الجزية، ومات أو اسلم قبل دفعها لم تؤخذ من تركته، ولم يطالب بها ورثته، والجزية واجبة فقط على الأحرار العقلاء الأصحاء القادرين على الدفع، ولا تؤخذ من مسكين يتصدق عليه، ولا ممن لا قدرة له على العمل، ولا من الأعمى أو المقعد أو المجنون وغيرهم من ذوي العاهات (٣).

وينبغي الإشارة إلى أن اسم الجزية مشتق من الجزاء، إما جزاء لكفر أهل

(١) سورة التوبة، الآية رقم (٢٩).

(٢) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص٣٦٠-٣٦١.

(٣) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٤٢-١٤٥.

الكتاب أو جزاءً لحمايتهم وتأمينهم من قبل المسلمين<sup>(١)</sup> . ولا تقبل الجزية من عبدة الأوثان من العرب ولا من المرتدين (وهم المسلمون الذين ارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه) فهؤلاء كانوا يختارون أحد شيئين: الإسلام أو السيف، والحكمة في ذلك الرغبة في توحيد الأمة العربية، وهو الغرض الذي كان الرسول (ﷺ) يسعى إليه، والذي باتباع طريقه قضى على الوثنية في بلاد العرب . وعلى الرغم من غياب المعلومات الكافية في المصادر عن مقدار الجزية الذي كان يدفعه الذمي في العصر موضوع الدراسة، وكذا جملة المبالغ المتحصلة من تلك الجزية في عهود الملوك والأمراء في ذلك العصر؛ لكن من الثابت وجود أعداد كبيرة من اليهود الذين استقروا في بعض المدن اليمنية الخاضعة للسيطرة الأيوبية مثل: عدن، وتعز، وذبي جبل، والجند، وإب، وعمار، وزبيد، وصنعاء<sup>(٢)</sup>، وكذا كان لليهود والنصارى وجود في المناطق التي يسيطر عليها الإمام عبدالله بن حمزة ومنها صعدة ولماطيق المجاورة لها، كذلك كان النصارى يسكنون في نجران والتي كانت تخضع لولاية الأمير بدر الدين محمد بن الإمام عبدالله بن حمزه، فالذي نجزم به أن الإمام وإبنه، وكذا الملوك والأمراء من بني أيوب كانوا يأخذون منهم الجزية مقابل حمايتهم ودفع الضرر عنهم<sup>(٣)</sup>، لكن هذا المورد المالي لم يعول عليه كثيراً، في العصر موضوع الدراسة، لإدارة شئون الدولة حينذاك، بقدر ما كان تنفيذاً لتعاليم الدين الإسلامي الذي يفرض الجزية على أهل الذمة من الأديان الأخرى، لإثبات خضوعهم وامتنالهم لدولة الإسلام . كما إن المتحصل من تلك الجزية خُصص جزء منه كرواتب لبعض القضاة وأهل العلم، مثل قاضي الجند عيسى بن علي الذي شغل منصب القضاء فيها مدة خمس وأربعين سنة، وكانت جامكيتته من جزية اليهود في مدينة الجند ومقدارها خمسة وعشرون ديناراً شهرياً<sup>(٤)</sup> .

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٥١ .

(٢) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٥٠؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٦٨، ١٦٧؛ ج ٢، ص ١٨٧، ٢٠٨، ٢١٨؛ للشرجي، طبقات الخوارج، ص ١٤٦-١٤٧؛ البربري، طبقات صلحاء اليمن، ص ١٧٨، ١٩٩، ٢١٩، ٣٣٢ .

(٣) للمزيد حول هذا الموضوع انظر: لقمان، حمزة علي إبراهيم، تاريخ القبائل اليمنية، ط ١، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٨-٢١ .

(٤) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ١٨٩؛ عليان، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة، ص ١٧٨ .

## ٢- الموارد غير الثابتة :

### أ - العشور والضرائب والرسوم والمكوس التجارية :

حينما نتكلم عن العشور بصورة خاصة مفردة، وحينما نختصها بالبحث على حدة، فلا يعني أنها كانت في الأصل كذلك، بل هي فرع من فروع الخراج، ولقد رأينا تخصيصها لاشتمالها في العصر موضوع الدراسة على مرافق مهمة، ونمو مواردها نمواً جديداً جعلها خليفة أن تكون عنواناً على حدة . أما العشور، كتعريف، فهي ضريبة كانت تفرض على: السفن المارة بثغور المسلمين؛ وكذا التجارة عند مرورها من إقليم إلى إقليم .

والعشور بالمعنى الحاضر هي المكوس الجمركية، ولقد كانت تجبى عن السفن، بعشر حمولتها، وعن التجارة أيضاً بعشر أثمان عروضها، وكانت لا تؤخذ من التاجر إلا إذا انتقل من بلاده إلى بلاد أخرى، وقد تجاوز الإمام الشافعي هذا التحديد وأفتى بأن للإمام أن يزيد عن العشر وأن ينقص منه إلى الحد الأدنى وهو نصف العشر، وله أيضاً أن يرفع ذلك إذا رأى فيه مصلحة، والتجار المسافرون لا تؤخذ منهم العشور إلا مرة واحدة في السنة الواحدة، ولو تكرر قدومه إلا أن يقع التراضي على ذلك<sup>(١)</sup>. ومن هذا يتضح لنا أن النظام السائد في فرض الضرائب الجمركية كان بدائياً صرفاً، غير أنه، من وجهة نظر أخرى، كان يماشي حضارة ذلك العصر، وحيوية التجارة، ولا يمكننا أبداً أن نعدل في الحكم على صلاحية هذا النظام في حينه، إذا كنا نقارنه بمقدرتنا في الوقت الحاضر على التنقل والنقل والمواصلات . وينبغي علينا أيضاً أن نلاحظ التكاليف التي يتكبدها التجار في نقل بضائعهم والجهود المضنية التي كانوا يبذلونها، وعلى الرغم من ذلك كله فإن النظام الإسلامي، يصلح كأساس . يدلنا على ذلك ما ذكره الشافعي (رحمه الله) من جعل أمر فرض ضريبة التجارة بيد الإمام إن شاء رفعه وإن شاء خفضه<sup>(٢)</sup>، متوخياً في ذلك المصلحة، والمصلحة حينها - كما تصرح القوانين الجمركية الحديثة - هي مصدر القوانين وأم الأنظمة .

(١) عن كل ذلك انظر : أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٦٢، ٢٩١-٢٩٣ .

(٢) ابن سلام ، الأموال ، ص ٦٤٠ ؛ محمد أمين صالح ، النظام المالي والاقتصادي في الإسلام ، نشر مكتبة نهضة الشرق ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٢٨ .

ولما كانت التجارة تعد من أهم مصادر الدخل المالي في اليمن، لذلك اعتمدت الدولة الأيوبية، كغيرها من الدول التي حكمت اليمن في تاريخه الإسلامي، على دخلها من الموائء بالدرجة الأساسية من خلال ماكانت تفرضه من ضرائب وعشور متنوعة على مايدخل الى البلاد أو يخرج منها من البضائع والسلع، كما تعددت وتنوعت الأشكال والأساليب التي أتبع لتحصيل تلك الضرائب وما كان يتوجب أخذه من عشور على السفن التجارية ونواحيها<sup>(١)</sup> . ولقد كان ميناء عدن، على وجه التحديد، هو الميناء الرئيس للدولة، وكان يعد المصدر الأساسي لخزانة الدولة الأيوبية في تعز، والتي كانت تستلم كل عام أموال الضرائب النقدية التي فرضت على التجارة والتجار .

وعلى الرغم من عدم تحديد المصادر للسنة التي تم فيها تطبيق تلك الضرائب والعشور فعلياً، وعدم تحديدها كذلك لأي عهد من عهود الملوك والأمراء طبقت فيه، لكننا نحتمل ان تطبيقها بدأ من أيام الدولة الزيرية<sup>(٢)</sup>، ونعتقد ان بني أيوب في اليمن ظلوا يتعاملون بماوصل إليهم من قوانين ضرائبية ممن سبقوهم، وبخاصة في المجال التجاري الخارجي، وسنوا على أساسه قوانينهم الضرائبية تلك<sup>(٣)</sup>، التي لم نتمكن من الوقوف على تفاصيلها، وإن كنا نعتقد أنها لا تختلف كثيراً عما كان مطبق من قبل، مع التأكيد على أنه في العصر الأيوبي تم ادخال بعض صيغ وأحكام جديدة ونسب على بعض السلع والبضائع، واستجدت ضرائب لم تكن موجودة قبل عهدهم، إلا ان أساسها النظام الضرائبي الموروث، مثل: عشور الشواني التي استجدت في عهد الملك طغتكين، وعشور الحديد والخيول، اللتين استجدتا في عهدي المعز والناصر ولدي طغتكين وغيرها من العشور المستجدة وزادت الضريبة المقررة على الفوة المصدرة من عدن من ٣ الى ١٢ ديناراً زمن الملك المعز إسماعيل بن طغتكين<sup>(٤)</sup>.

(١) محيرز ، صيرة ، ص ٦١ ، ٦٤-٦٦ .

(٢) يقول ابن المجاور : "ثم ضرائب وقوانين استجدت من أيام دولة بني زريع " . المستبصر ، ص ١٤٠ .

(٣) محيرز ، صيرة ، ص ٦٤ .

(٤) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠-١٤١ ؛ عن الضرائب والعشور المستجدة في العصر الأيوبي انظر :

ص ٣٢٦-٣٢٨ من هذه الرسالة .

وفيما يلي جدول توضيحي لما أمكنا الوقوف عليه من مقدار ضرائب ورسوم ومكوس (عشور) البضائع والسلع (مال الفرضة) الواردة الى ميناء عدن أو الصادرة منه، والتي تم تحصيلها في العصر الأيوبي وكانت سارية المفعول حتى من قبل هذا العصر، وهو الأمر الذي فصله ابن المجاور<sup>(١)</sup>، وإلى جانب ذلك جدول بما أُستجد من عشور وضرائب مختلفة في العصر الأيوبي:

• ١٤١-١٤٠ ص

\* عشور فرضت على بضائع أو سلع بوزن البهار<sup>(١)</sup> الواحد :

نوع البضاعة	عشورها الرسمية	ضريبة الشواني عند الدخول	ضريبة الشواني عند الخروج	الأجمالي
الفلفل <sup>(٢)</sup>	٨ دنانير	دينار واحد	ديناران	١١ ديناراً
الأنكوة (الحلثيت) <sup>(٣)</sup>	٨ دنانير	---	---	٨ دنانير
قشر الحلب <sup>(٤)</sup>	٣.٥ دنانير	---	---	٣.٥ دنانير
الطباشير	٢١ ديناراً إلا ثلث	دينار واحد	---	٢٢ ديناراً إلا ثلث
عود الدفواء <sup>(٥)</sup>	١٠.٥ دنانير <sup>(٦)</sup>	---	---	١٠.٥ دنانير
الحيل <sup>(٧)</sup>	٧ دنانير	---	---	٧ دنانير
الكان	٧.٥ دنانير	---	---	٧.٥ دنانير
الفوة	١٢ ديناراً <sup>(٨)</sup>	---	---	١٢ ديناراً
الحمر (التمر هندي)	٣ جوز <sup>(٩)</sup>	---	---	٣ جوز
السليط (الزيت)	٥ دنانير	---	---	٥ دنانير

(١) البهار: هو من الأوزان التي تختلف تقديراتها من مكان إلى آخر ، وكان يساوي في الجزيرة العربية ٣٠٠ رطل مكي ، والذي يزن ٢٦٠ درهماً ، كما يذكر ان البهار يساوي ٣٣٣ من بغدادي ، والذي يزن ٢٦٠ درهماً ، وبناءً عليه يكون وزن البهار ٢٧٠،٥٦٢ كغم على حساب وزن الدرهم بمعدل ٣،١٢٥ كغم . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ ؛ هنتس ، المكايل والأوزان الإسلامية ، ص ٢٠-٢٣ .

(٢) شجرة تثبت في بلاد الهند ، تستعمل مع الغذاء وفي الأغراض الطبية . الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٣١٧-٣١٩ .  
(٣) الحلثيت : هو صمغة الأنجذان لها قوة تجذب جذباً بليغاً وتنفس اللحم وتذيبه ، وهو أكثر ألوان الشجر حرارة ونطافة ، وهو مادة طبية مهمة يستعمل لمعالجة الكثير من الأمراض . الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ١٠٠-١٠١ .  
(٤) المعنّب: شجر يابس أبيض اللون وثمره يقع في الطيب ، ويستعمل في المسوحات والنقاوات ، وله استعمال طبي . الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٤٨٦-٤٤٧ .

(٥) يبدو أنه نوع من البخور لكونه يسمى عود الدفواء . الشمري ، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ، ص ٢٦١ ، (٤ ح) .

(٦) الحبشي ، جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ١٠٩ .

(٧) الهيل (الخبان): نوع من الأقاوية العطرية ، حبة أكبر من النبق ، له أقماغ وقشر وفي داخله حب صغير طيب الرائحة منبته أرض الهند ويوجد منه قليل في اليمن وله عدد من الفوائد الطبية . الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٣٧٥-٣٧٦ .  
(٨) أستجد هذا المبلغ زمن الملك المعز ، أما قبل ذلك فكان مقدار عشور الفوة تتراوح بين ٣ و ٢ دينار . انظر : ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠ .

(٩) الجائر: عملة نحاسية صغيرة تقدر بثمانية فلوس وكل فلس أربع درّس وكل ثلاثة جوز تساوي درهماً . ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٢ .

• بضائع فرضت عليها العشور طبقاً لوزن الفراسلة •

البضاعة	عشور الرسمية	ضريبة الشواني (عند الدخول)	ضريبة الشواني (عند الخروج)	إجمالي العشور
الكافور	٢٥, ٧٥ ديناراً	---	---	٢٥.٧٥ ديناراً
القرنفل	١٠ دنانير	دينار واحد	---	١١ ديناراً
الزعفران	٣ دنانير وثلاث	---	---	٣ دينار وثلاث

سلع أو بضائع قدرة ضرائبها بصيغ متنوعة ، وفقاً للعادة والعرف المتبع في بيعها وهي في الغالب من البضائع التي تصدرها اليمن الى البلدان الأخرى •

البضاعة	مقدار العشور	عشور الشواني عند الدخول	عشور عند الخروج	إجمالي العشور
التيلة	غير معروف	٤ دنانير	ربع دينار	٤ دنانير وربع
الذرة (القنعة)	---	---	ثلث دينار	ثلث دينار
العوبلي السندابوري <sup>(١)</sup>	٨ دنانير	دينار واحد	نصف دينار	٩ دنانير ونصف
رأس الرقيق	---	ديناران	نصف دينار	ديناران ونصف
رأس الضان	---	---	ربع دينار	ربع دينار
اللاك أو (اللك)	---	---	ربع دينار <sup>(٢)</sup>	ربع دينار

- (١) ربما أنه إناء مملوء إما بالنبيذ أو بمادة لها صلة بصناعته لا سيما وأن العشور المحصلة عليه كان يتسلمها ضامن دار النبيذ بعدن وغيرها من مدن اليمن ، أما سندابور فهي موضع بساحل الهند كان يجلب منه الطباشير • ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٠ : الملك المظفر ، المعتمد في الأدوية ، ص ٣٠١ •
- (٢) ويقال الثلث وديناران استظهراً • ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠ •

**ومن البضائع التي فرضت عليها ضرائب بصيغ مختلفة المنسوجات على اختلافها ، وبيان ما تم فرضه كالاتي :**

نوع البضاعة	الكمية	مقدار العشور المتحصلة
الثوب الظفاري	الواحد	ربع دينار وجائز
شق الحرير (عمل زبيد)	الشقة عشرون ذراعاً بالحديد	نصف دينار وجائز
الشقة البيضاء	٠٠٠٠	ثمان دينار
الشقة السوسي <sup>(١)</sup>	الواحد	ثلاثة قرايط <sup>(٢)</sup>
فوط السوسي	-	ربع دينار وجائز
كورجة الخباس	الكورجة (٢٠ قطعة)	٤ دنانير
كورجة الأحواك	--	ديناران ونصف
كورجة السباعي	--	ديناران ونصف
كورجة الثياب الخام الهندي	--	ديناران ونصف
سواسي الكتان الكبير	--	جائزان وقيراط
سواسي الكتان الصغير	--	جائزان وفلسين
المقاطع	١٠ قطع	ديناران ونصف
العقدات	١٠ عقد	نصف دينار وربع جائز <sup>(٣)</sup>

- (١) السوسي: نسبة الى مدينة سوسة بالمغرب ، وهي مدينة عظيمة ، ومنها يخرج الى السوس الأقصى ومنه الى القيروان ، وفي سوسة دار الصناعة ، والحياكة فيها كثيرة ويغزل بها الغزل ٠ يلقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨١-٢٨٣ ؛ ونستدل من ذلك على وجود روابط وعلاقات تجارية بين المغرب واليمن ٠
- (٢) عن القيراط ووزنه انظر : هنتس ، المكايل والموازين الإسلامية ، ص ٤٤ ٠
- (٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٠ ٠



واعتبر العقيلي أن كل مذكرناه، من عشور مفروضة على الثياب وشقق الحرير وغيرها من المنسوجات المختلفة، هي بمثابة عشور مفروضة على الصادرات فقط في العصر الأيوبي<sup>(١)</sup>.

أما العشور التي استجدت<sup>(٢)</sup> في اليمن في ذلك العصر فمنها:

١- **عشور الحديد**: وقد بلغت نصف ثمنه، أي ٥٠/٠، وقد أستجد هذا في عهد السلطان طغتكين بن أيوب وذلك سنة ٥٩٨هـ.

٢- **عشور الخيل**: وكان يؤخذ عشور على الرأس الواحد ٥٠ ديناراً إذا دخل ميناء عدن، وقد أستجد ذلك في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين، ويؤخذ على الرأس ٧٠ ديناراً إذا صدر من عدن إلى الخارج بطريق البحر<sup>(٣)</sup>.

٣- **عشور بيع البيوت**: فحين كان يباع بيت معين يدفع المالك ربع قيمته، والبعض يقول ثلث قيمته، يضاف إلى ذلك ديناران للإعلان الرسمي<sup>(٤)</sup>.

٤- **عشور بيع المراكب**: وكان المتحصل من الضرائب على المركب في حالة بيعه كاملاً في عدن مقدار ١٠/٠ من ثمنه يدفعها بائع المركب<sup>(٥)</sup>.

ومن الضرائب المستجدة في العصر الأيوبي، ضريبة الشواني ورسم دار الوكالة والزكاة ورسم الدلالة، ولأهميتها كمورد من الموارد المالية في ذلك العصر سنتطرق إليها بإيجاز على النحو الآتي:

(١) المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٩٨.

(٢) فقد ذكرنا أن العشور المفروضة على بهار الفوة أصبحت اثني عشر ديناراً وذلك في عهد المعز إسماعيل بن طغتكين، وكانت قبل ذلك دينارين وقيل ثلاثة دنانير. ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٠.

(٣) ويعلل بعض الباحثين زيادة العشور على الرأس من الخيل إلى ٧٠ ديناراً عند الخروج (التصدير) من ميناء عدن وذلك من أجل المحافظة على السلالة العربية الأصيلة للخيل داخل بلادها وذلك للحد من تصديرها، وهي سياسة جمركية معمول بها في الوقت الحاضر، وذلك برفع الضريبة على المادة التي تحتاجها البلاد عند تصديرها، والتخفيض على مايرد منها. العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٩٧؛ وهي لا شك سياسة صائبة خصوصاً إذا عرفنا أن ظروف البلاد الحربية أو العسكرية كانت بحاجة ماسة إلى استخدام الخيل في الحروب الدائرة التي كانت تجري داخل اليمن بين الأيوبيين من جهة والقوى المحلية وبخاصة الزيدية من جهة أخرى.

(٤) لقمان، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة، ص ٢٩٨.

(٥) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٠.

## - ضريبة الشواني :

تعد رسوم الشواني، التي ظهرت لأول مرة في عهد الملك طغتكين في مقدمة الرسوم التي شملتها الزيادة خلال العصر الأيوبي، وقد استمرت إلى سنة ٦١٣هـ<sup>(١)</sup>، وكان حكم اليمن وقتذاك للملك المسعود يوسف، فدخل عليه أحد أكابر أهالي عدن وقال له: "خلد الله ملك مولانا السلطان أنه يخرج من خزانة المولى كل عام لأجل الشواني خمسين [أو] ستين ألف دينار بطل [أي باطل] فإن أخذ المولى هذا القدر من التجار لم يضرهم ذلك، قال: فكيف العمل؟ قال: كل ما أخذ من العشور ألف دينار يؤخذ منه الشواني مائة دينار فهو يجتمع للمولى ولم يبق للتاجر"<sup>(٢)</sup>.

وعلى أساس ذلك استمرت هذه الضريبة المقدرة بـ ١٠ / ٠ من قيمة العشور المحصلة من التجار طوال عهد الملك المسعود، سواء خرجت السفن لمباشرة مهامهم في حماية التجارة الواردة إلى اليمن في عرض البحر أم لم تخرج وبقيت في الفرضة أي في فرضة عدن، ولم يتدارك الملك المسعود نتائج تلك السياسة الضرائبية الجائرة على التجارة والتجار إلا في نهاية المطاف، وذلك ربما بمقترح تقدم به أحد مستشاريه لإنهاء ذلك الرسم الذي استجد في العصر الأيوبي، ولما كانت سنة ٦٢٥ هـ وبدأ خطر القراصنة يقل في عرض البحر وبدأ الأمن والاستقرار يستتب نوعاً ما، بادر الملك المسعود إلى إلغاء عشور الشواني<sup>(٣)</sup>.

## - عشور الدلالة :

كانت هذه العشور غير موجودة في المعاملات التجارية في الموانئ اليمنية قبل مجيء الأيوبيين، والدلالون أو السماسرة كانوا معروفين في الموانئ المصرية فقط، حيث كان لهم شأن وأهمية منذ عصر الدولة الفاطمية، وكانوا يتقاضون عمولة خاصة، حددها لهم القانون المتبع هناك على حسب نوع البضاعة

(١) ابن الجاور، المستبصر، ص ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢؛ ويبدو أن ضريبة الشواني كانت بسيطة في البداية أي قبل عهد الملك المسعود ولا تتعدى ١% في رأي بعض الباحثين. العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ق ١، ص ١٩٤.

(٣) ابن الجاور، المستبصر، ص ١٤٢؛ لقمان، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة، ص ٢٩٧-٢٩٨؛ الحبشي، جوانب من الحياة الاقتصادية، ص ١٠٨.

وجنسية التاجر<sup>(١)</sup>، والراجح أنه عند دخول الأيوبيين اليمن جلبوا معهم الدلالون كغيرهم من الموظفين والصناع والخبراء، ومما يؤيد ذلك أن ضريبة الدلالة لم يرد لها أي ذكر في المصادر اليمنية قبل قدوم الأيوبيين .

ومنذ العصر الأيوبي أصبح ضرورياً ألا تتم الصفقات التجارية بين البائع والمشتري إلا على يد شخص يعرف بالدلال، وتتمثل مهمته في تشجيع البيع والشراء، والمناداة على السلعة بالأسواق، والتبادل التجاري بين الناس بصفة عامة، وبين التجار بصفة خاصة، أي أنه وسيط يتلقى أجره من الرسم المعروف بالدلالة أو السمسرة، ومقدار ذلك الأجر، الذي يتلقاه في الصفقات الصغيرة، فلس عن كل دينار من ثمن البضاعة، وفي الصفقات الكبيرة، يُحصَل الدلال ديناراً على كل ١٠٠ دينار أي بواقع ١٠/١٠٠، وأحياناً أخرى يأخذون أجرهم من البضائع المباعة عينا<sup>(٢)</sup> .

وينبغي أن نشير إلى أن مجموع المتحصل من هذه الضريبة يذهب إلى خزينة الدولة، أما الدلال فربما إن الأجر الذي كان يتلقاه هو عمولة محددة من قبل الدولة على كل مادة تجارية، أو صفقة تجارية تتم بواسطته، وربما كان يتقاضى راتباً من الدولة رغم أن المصادر المتوافرة لدينا لم تبين ذلك الأمر .

#### - ضريبة دار الوكالة ودار الزكاة :

في السنوات الأخيرة من عصر أيوبية اليمن استحدث الأمير نور الدين عمر بن رسول، نائب بني أيوب في عدن، ضرائب عديدة قبل أن يستقل بحكم اليمن، بعد وفاة الملك المسعود الأيوبي وذلك سنة ٦٢٦هـ، فقام بتأسيس دار الوكالة ودار الزكاة؛ بغرض فرض ضريبتين جديدتين، فكانت ضريبة دار الوكالة تقدر بواقع قيراط عن الدينار الواحد<sup>(٣)</sup>، أما ضريبة دار الزكاة فكانت تفرض على البضائع التي كانت معفاة من العشور، وهي تُرد من مصر والهند، وكانت نسبة تلك العشور

(١) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٣١٧؛ زيتون، عادل، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٠م، ص ٢٣٧ .

(٢) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٣-١٤٤، ١٤٦؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١، ص ٦٣-٦٤، ٦٧؛ الحبشي، جوانب من الحياة الاقتصادية، ص ١١١-١١٢ .

(٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ١٤٣؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ١، ص ٦٤؛ وقد أورد أيضاً ابن =

تساوي ٥/٠ كما يتضح من قصة الناخوذة عثمان بن عمر الأمدي الذي خرج مديوناً من فرضة عدن<sup>(١)</sup> .

شملت المكوس أو الضرائب العديد من السلع والبضائع وفي مناطق مختلفة من اليمن ولم تعد محصورة فقط على ميناء عدن، فقد كان ميناء العارة أو الفازة على ساحل اليمن الغربي يعد بمثابة فرضة مدينة زبيد، وكانت ترد إليه بعض البضائع من عدن وتصدر منه مجموعة من السلع إلى عدن، كما كان مرفأً للتجار القادمين من زيلع وغيرها من مدن الحبشة، ويقدر ابن المجاور حصيلة المكوس المحصلة منه قبل سنة ٦٢٠هـ بـ ١٢٠٠ دينار كل سنة، ثم ألغيت هذه الرسوم في سنة ٦٢٠هـ، إلى أن أعيدت ثانية سنة ٦٢٤هـ مع زيادتها إلى ١٧٠٠ دينار، وكانت تحصلها الدولة عن طريق الضمان أو الضامن . أي يتولى شخص دفع هذا المبلغ للدولة مقدماً ثم يتولى جمعه من التجار بوسائله الخاصة، ويمدنا ابن المجاور باسم أول من سعى في ضمان قرية الفازة وهو عبدالله بن أبي بكر الأحوري<sup>(٢)</sup> .

= المجاور نصاً آخر يفيد بأن ضريبة دار الوكالة تحصل بواقع ما يقرب من ثلث البضائع الواصلة . انظر : المستبصر ، ص ١٤٤ . وكان التاجر الذي لا يصحب بضاعته ، ولم يرتبط بصديق تاجر يسوقها له ، يقوم بإيداعها لدى عامل يعرف بالوكيل ليتولى حفظها وتسويقها بدلاً منه ، ومن هنا جاء لفظ الوكالة أو دار الوكالة ، التي كانت معروفة على نطاق واسع في مصر وبلاد الشام في العصورين الأيوبي والمملوكي ، حيث كانت مخصصة لنزول التجار وتخزين بضائعهم . انظر : الفلشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩٣ ، وتجدر الإشارة إلى أن الوكيل في عدن كان موظفاً رسمياً . انظر :

Smith, G.R , " More on the port practices and Taxes of Medieval Aden" , New Arabian studies , vol, ٣ , ١٩٩٦, p. ٢٠٩, ٢١٢ .

(١) قال ابن المجاور : " إن الناخوذة عثمان بن عمر الأمدي قدم [إلى عدن] ومعه مئتين عود ، فلما جاء وقت المحاسبة قُومَ بستة دنائير ، فخرج العشور دينار ونصف ، والشواني نصف وربع - ٣/٤ - وقُومَ فسي دار الوكالة بخمسة وعشرين ديناراً ، فخرجت ضريبتها ثمانية دنائير ودانقين (الدانق وحدة وزن تساوي السدس) ، والزكاة ديناراً وربعاً ، والدلالة نصف دينار ، فأصبح المجموع خمسة عشر ديناراً ، ولما كان الستمن ستة دنائير فقط ، كان عليه دفع تسعة دنائير أخرى . عندئذ حلف الناخوذة بأنه لم يزن منه شيئاً ، وقال : ما يكفي أنكم تأخذون مني مئتين بلا شيء ويطالبوني بتسعة دنائير أخرى ، ثم تدخل المتوسط حتى خرج رأس برأس" . المستبصر ، ص ١٤٤ ؛ من ذلك يتضح لنا كيفية تحصيل هذه الضرائب والمكوس ، وما يعانيه التجار من الظلم والجور .

(٢) للمستبصر ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

لم تقتصر المكوس على البضائع في الموانئ والمناطق بل شملت البضائع الموجودة في الأسواق، وكذا التّجارات الداخلة الى المدن اليمنية أو الخارجة منها لغيرها، ففي الخوخة الواقعة بين زبيد وعدن كان يؤخذ على كل حمل حمل من التمر مقدار سدس الحمل، ومن صيادي السمك بها ضمان ٧٠ ديناراً كل شهر، كما يحصل في موزع، وهي من أعمال بني مجيد، مكس على كل حمل حمل يقدر بحوالي الثمن من الحمل<sup>(١)</sup>، وهكذا دخلت المكوس على شكل الضمان الى كل أسواق اليمن في عدن وزبيد وغيرها، حتى صار كل شيء فيه ضمان ما خلا الماء والسمك<sup>(٢)</sup>، وصارت هذه هي الطريقة المتبعة في تحصيل هذه المكوس في العصر الأيوبي .

وفيما يلي أسماء المراكز التجارية في المناطق اليمنية التي شملها الضمان (المكوس)، وبخاصة في أواخر أيوبية اليمن، ومقدار متّحصل المكوس من تلك المؤسسات التي كانت تمثل مورداً مالياً من موارد الدولة:

- القبان بعدن، حيث تم تحصيل المكس منه مبلغ وقدره ١٢٠ ألف دينار سنوياً .
- السليط الواصل الى سوق عدن، ضمن على كل بهار خمسة دنانير .
- سوق الخضر والجواري والرطب واللحم وجميع الدواب ضمن بمبلغ أحد عشر ألف دينار سنوياً<sup>(٣)</sup> .
- منطقة الملاح في ضواحي عدن شملها الضمان<sup>(٤)</sup>، إلا أن الضمان ذلك لم يكن مقداره محدداً .
- سنابيق (زوارق) الصيادين الصغيرة في زبيد، والباعة الجائلين، والخضر والبقول والغلال التي تباع في أسواق زبيد وكل ما يدخل من باب زبيد، فالضمان المٌحصل من كل ذلك مبلغ وقدره ٩٠ ألف دينار ملكي .
- المدبغة في زبيد، حُصل منها عن طريق الضمان مبلغ ١٣ ألف دينار سنوياً<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ١٤٨ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٤) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٥) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٩ - ٩٠ .

- ضمان النخل في زبيد بلغ مائة ألف دينار .
  - ضمان سوق السمك بزبيد، وفيه عن كل يوم ثلاثة عشر ديناراً ملكية<sup>(١)</sup> .
  - ضمان دار الضرب، وبلغ مقداره حوالي ١٣ ألف دينار<sup>(٢)</sup> .
  - ضمان دار النبيذ ومعصرها، حيث بلغت في إحدى السنوات ١٢ ألف دينار<sup>(٣)</sup> .
- ب - الغنائم :**

الغنيمة هي كل ما يناله المسلمون من المشركين بالقتال . وأقسام الغنيمة، بحسب هذا التعريف، هي ثلاثة أقسام: الأول: الأسرى، وهم المقاتلون الذين وقعوا في الأسر . والثاني: السبي، وهم النساء والأطفال الذين وقعوا في أيدي المسلمين، وهذان القسمان تُقَبَّلُ عنهم الفدية جميعاً، فإن فُديَ بهم أسرى من المسلمين، عوض الفاتحون عنهم من سهم المصالح، وكذلك في حال المن عليهم، أي العفو . والثالث: الأموال ويقصد بها الأموال المنقولة، من عين أو ماشية يغنمها المسلمون في قتالهم<sup>(٤)</sup> . وفي هذه الحالة يعتبر خمس هذه الغنائم مورداً شرعياً في الدولة الإسلامية؛ لأنها من مال الكفار . أما الغنائم التي نعينها هنا فهي تختلف بأنها غنائم من طوائف المسلمين المتقاتلين، وفي هذه الحالة فهي تعد مورداً غير شرعي أو ثابت، ونتيجة لاستمرار الصراع والحروب فيما بين الدولة الأيوبية من جهة، والقوى المحلية المتواجدة في اليمن من جهة أخرى، فإن عملية الاستيلاء على الغنائم ظلت ظاهرة بارزة عند كلا الطرفين، وشكلت الغنائم مورداً مؤقتاً غير شرعي لمالية بعض دويلات اليمن، وبلغت الغنائم مبالغ مالية ضخمة في كثير من الأحوال<sup>(٥)</sup> .

فالدولة الزيدية التي كان يقودها الإمام عبدالله بن حمزة كان المورد

(١) ابن المجاور ، المستبصر، ص ٢٤٣ ؛ وهذا يعني أن مجموع المتحصل من سوق السمك سنوياً يصل الى مايقرب من ٣٧٥٠ ديناراً .

(٢) وتلك المبالغ هي حصيلة الرسوم التي يدفعها المتقدم للدار بما معه من ذهب وفضة بغرض سكها دراهم ودنانير وفقاً لعملة الدولة الرسمية .

(٣) ابن المجاور، المستبصر ، ص ٩٠ ؛ وشمل الضمان أيضاً سوق الكدراء، والتي شقق فيها طغتكين ضامنه بسبب ظلمه لأحد الرعية . بامخرمة ، قلادة النحر ، مج ٢، ص ٢٥٥٢ .

(٤) انظر : أبو يوسف ، الخراج ، ص ٢١ ؛ حسين الحاج ، النظم الإسلامية ، ص ٢٧٢ ؛ الرئيس ، الخراج والنظم المالية ، ص ١١١ .

(٥) السروري ، الحياة السياسية ، ص ٥٣٣ .

الرئيس والعمود الاقتصادي لها هو الغنائم التي قامت عليها دولته، والمتتبع للسيرة المنصورية يلحظ وبلا شك أنها لا تخلو صفحة من صفحاتها عن ذكر مثل هذه الغنائم<sup>(١)</sup>، التي كان الكثير من أنصار الإمام يعولون عليها في النفقة على أنفسهم وأهليهم، وبخاصة في أثناء الجذب والجفاف، وعادة ما تكون تلك الغنائم قطعاً من الإبل والبقر والغنم<sup>(٢)</sup>، والحمير والخيول، أو مخازن للحبوب والغللات الزراعية التي تم حصادها في وقت قريب، أو أسلحة ومتاعاً وآثافاً<sup>(٣)</sup>، تركها أصحابها . وما شابه ذلك من الأشياء التي ينتفع بها الإنسان في حياته، وتقسم الغنائم بعد أن يؤخذ منها خمس الإمام، فيعطي للفارس سهمان وللراجل سهم واحد<sup>(٤)</sup> .

### ج - المصادر :

كانت المصادرات التي تعرض لها كبار رجال الدولة من الموارد المالية والاقتصادية غير الثابتة في العصر الأيوبي، وتعتبر نوعاً من المحاسبة المالية، يأمر بها الحاكم ضد الأشخاص العاملين بأجهزة الدولة الذين اتهموا بالاستيلاء على الأموال العامة أو أموال الرعية بطرق غير مشروعة، وكثيرة هي المصادرات التي حدثت في اليمن في ذلك العصر وجنت الدولة من ورائها أموالاً طائلة، ومن أمثلة ذلك مايلي:

١ - صادر توران شاه عند استيلائه على اليمن أموال الحكام وخزانات الدول التي كانت قائمة في اليمن قبله، وأشهر تلك المصادرات ماجرى لأموال بني مهدي، فبعد هزيمتهم على يد توران شاه، والقبض على زعيمهم عبدالنبي بن مهدي، أمر توران شاه بتسليمه إلى الأمير سيف الدولة مبارك بن منقذ ليستخرج منه الأموال الطائلة التي كانت تحويها خزائنه - وكانت تحوي أموال خمس وعشرين دولة من دول اليمن

(١) انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٨١ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ٢٥٤ ، ٣٠٣ - ٣٠٤ ؛  
مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٢٩ وغيرها من الصفحات .

(٢) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ؛ كذلك فإن الكيانات القبلية عولة كثيراً على هذا المورد ، فقبائل برع أخذت على الأيوبيين جملاً كثيرة محملة أموالاً جمة من الذهب والفضة والسلاح والآله وكثيراً مما استنصبوه من البلاد المصرية وعدن وزبيد يوم الاستيلاء عليهما ، ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٩ .

(٤) ابن حاتم ، السمط ، ص ٢٥١ ؛ للمزيد من التفاصيل عن تقسيم الغنائم بحسب الطرق الشرعية انظر :  
الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢١٤ .

السابقة<sup>(١)</sup> فأعطاه منها شيئاً كثيراً، ثم أنه دلهم على قبر كان قد صنعه لوالده، وبنى عليه بناية عظيمة وله هناك دفائن كثيرة فأعلمهم بها، فاستخرجت الأموال منها، وكانت جليلة المقدار، ودلتهم زوجته الحرة على ودائع لها فأخذ منها ما لا كثيراً<sup>(٢)</sup> .

٢- صادر الملك طغتكين بن أيوب أموال حطان بن منقذ نائب الأيوبيين في زبيد، فعندما عزم حطان على مغادرة اليمن متوجهاً إلى الشام، جمع كل أمواله وذخائره التي تحصل عليها من اليمن وهي كثيرة، وبعد أخذ الموافقة من الملك طغتكين للرحيل، خرج بكل مامعه إلى منطقة الجناذب الواقعة خارج باب زبيد، فأمر الملك طغتكين بالقبض على حطان وقتله ومصادرة أمواله كلها، وقد قدرت تلك الأموال بألف ألف دينار، وذكر أبو شامة أنها كانت تضم ما يعني بحصر تفاصيل حمله أنمل الحاسب، وكان بين هذه الذخائر نيف وسبعون غلافاً من غلف الزرد كانت مملوءة بالذهب الأحمر<sup>(٣)</sup> .

٣- صادر الملك طغتكين أيضاً أموال الأمير عثمان الزنجيلي، نائب بني أيوب على عدن، حينما حاول الهرب بذخائره بحراً إلى الشام سنة ٥٧٩هـ، فأمر طغتكين بإعداد السفن وقطع الطريق عليه، فتمكنت قوات طغتكين من القبض على جميع سفن الزنجيلي بكل ما فيها من أموال وذخائر وأخذت قماشه ما عدا السفينة التي استقلها وفيها الخف النفيس من ممتلكاته<sup>(٤)</sup> .

٤- صادر الملك طغتكين أموال وأملاك الشيخ علي بن أحمد المعلم ملتزم مخلاف جعفر عندما عجز عن أداء ما التزم به وهو خمسين ألف دينار، وشملت المصادرة الأموال والأملاك والدور التي كانت كثيرة وفي أماكن مختلفة من اليمن<sup>(٥)</sup> .

(١) عمارة، المفيد، ص ٢٣٤؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٤٣٨ .

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ١٨ .

(٣) الروضتين، ج ١، ص ٢٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ١٠٥؛ ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٢٤؛ المقرئ، السلوك في معرفة دول الملوك، ج ١، ص ٧٨؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزمان، ص ٧٨؛ محمد عبد العال، الأيوبيون في اليمن، ص ١٢٢ .

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ١٠٣؛ الخزندجي، العسجد المسبوك، ص ١٥٨؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٠٧؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٧٥ .

(٥) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٣٢١؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٨٣؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥٦٦ .



٥- صادر الملك المعز إسماعيل بن طغتكين القاضي الأسعد صاحب حرض وأمر بقتله واستباح أمواله وجميع ما في داره من العبيد والخدم والجواري<sup>(١)</sup> .

٦- صادر الملك الناصر أيوب بن طغتكين أموال وذخائر الأمير بكتمر السيفي ، وكان من جملتها مائة وسبعون درعاً وأربعمائة قوس، بخلاف ماتم مصادرتة من الدواب التي تزيد على مائة، وكذا الثياب والآلات والأثاث؛ واستولى الناصر كذلك على أموال وممالك الأمير وردسار أمير صنعاء بعد أن توفي مسموماً على يدي الناصر<sup>(٢)</sup> .

٧- وبالإضافة الى ماسبق، فإن مزارع النخل التي كان يهرب منها أصحابها بسبب مبالغة العمال في تقدير مايجب عليه من الضرائب، يصير ملكاً للدولة، بعد مصادرتة من الملاك الأصليين، ويطلق عليه اسم الصوافي<sup>(٣)</sup> .

٨- ومن المصادرات التي حصلت في المناطق الزيدية، الأملاك والضيايع والدور التي كان الإمام يستولي عليها من القرى والهجر المخالفة، والتي تجلس في أبهى صورها في الحرب التي شنها الإمام عبدالله بن حمزة على هجر المطرفية<sup>(٤)</sup>، ودروبهم، بعد أن استباحها واعتبرها دارحرب وردة، فقتل الرجال فيها، وسبى النساء والصبيان، وصادر الأملاك والدور وضمها لبيت مال المسلمين كما كان يطلق عليه .

#### د - المصالحات :

كانت المصالحات تشكل إحدى موارد الدولة المالية المؤقتة في عصر أيوبية اليمن، والتي عادت على الخزانة اليمنية بالمال الوفير وغيره من المؤن والآلات، وأبرز تلك المصالحات مايلي:

١- مصالحة شمس الدولة توران شاه لصاحب طمار من أعمال تهامة وغيره من

(١) ابن حاتم ، السمعط الغالي ، ص ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥١-١٥٢ ؛ السروري ، محمد عبده محمد ، تاريخ اليمن الإسلامي منذ قيام الدولة الصليحية حتى نهاية الدولة الأيوبية (٤٢٩-٦٢٦هـ)، ط ٢، مكتبة خالد بن الوليد وعالم الكتب اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٧٧ . وصادر الشيخ علي بن القم فوماً على مال وأراد أن يشتري به من أراضهم فوافقوه إنقاء سطوته . بامخرمة ، قلادة النحر، مج ٢، ص ٢٥١٦ .

(٣) ابن المجاور ، المستبصر ، ص ٨٠ ؛ عليان ، الحياة السياسية ، ص ١٨٣ .

(٤) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٦٥ ؛ إسماعيل الأكوخ ، هجر العلم ومعاقله ، ج ٤ ، ص ٢٣٤٤-٢٣٤٥ .

مشائخ قبائل اليمن على دفع بعض الأموال للأيوبيين مقابل إبقائهم على الزعامة القبلية في مناطقهم<sup>(١)</sup> .

٢- مصالحة الملك طغتكين بن أيوب للسلطان علي بن حاتم الياامي حاكم صنعاء وذلك في سنة ٥٨٣هـ، على أن يدفع له ابن حاتم مبلغ وقدره ثمانين ألف دينار حاتمية ومائة حصان في سنة واحدة<sup>(٢)</sup>، مقابل عدم استيلاء الملك طغتكين على صنعاء .

٣- مصالحة الملك طغتكين مرة ثانية، ولمدة عامين، مع بني حاتم بزعامة السلطان علي بن حاتم على أن يدفعوا للملك طغتكين مبلغ مائة وستين ألف دينار ومائتي فرس<sup>(٣)</sup> .

٤- مصالحة الأمير وردسار مع الإمام عبدالله بن حمزة، حيث تم الإتفاق بينهما على أن يدفع الإمام في كل سنة مائة حمل موقرة حديداً وعشرين رأساً من الخيل تحمّل لعلم الدين وردسار<sup>(٤)</sup> .

٥- مصالحة الإمام عبدالله بن حمزة مرة ثانية مع الأمير وردسار، التزم فيها الإمام بتقديم عشرة رؤوس من الخيل وعشراً من الإبل وخمسة أحمال من الحديد للأيوبيين<sup>(٥)</sup> .

#### هـ - العقوبات المالية على القبائل :

وتعتبر من الموارد المالية غير الشرعية أو الثابتة التي كان يفرضها الحكام والأمراء على القبائل التي تخرج عن طاعة الدولة، ويعتبر هذا عقاباً لها على تمردھا، وهذا المورد يشبه المورد المتحصل عليه من الغنائم، فكلاهما يؤخذ كرهماً وقهراً، وقد تبطل بعض القبائل بالاثنتين معاً، إذا لم تتدارك الأمر، وتفقد نفسها بالمال بدلاً من الحرب والعقوبة معاً .

(١) أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٧ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٧٦ ؛ ويذكر بامخرمة أن صلحاً عقد بين الطرفين المذكورين تعهد فيه علي بن حاتم بدفع ٥٠٠ دينار و ٥٠٠ كيلة من الطعام شهرياً مقابل الصلح مع الملك طغتكين ورد أملاك بني حاتم . انظر: تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ؛ وانظر أيضاً : ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٤١ .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٨ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٧٨ .

(٤) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٨ ؛ وهناك أمثلة أخرى للمصالحات انظر عنها: المصدر نفسه، ص ١٠١، ١٣٠ .

أما العقوبات المالية فتتفاوت باختلاف العصيان والتمرد، وعادة ما تكون كبيرة تعجز القبيلة عن دفعها، فتشفع الشفاعات لدى الإمام أو الملك أو الأمير حتى يخفّضها لها، كما أن المهلة الزمنية التي تُعطى للقبيلة لتسديد هذا المبلغ توحى بذلك أيضاً، وفي العموم فإن ابن دعثم يذكر أن الإمام عبدالله بن حمزة أخذ من بعض القبائل التي خرجت عن طوعه ما مقداره ثلاثة آلاف دينار شמושية<sup>(١)</sup>، وفي أخرى خمسة آلاف دينار<sup>(٢)</sup> وفي ثلاثة تسعة آلاف<sup>(٣)</sup> دينار، وهي بالتأكيد مبالغ كبيرة إذا ما قورنت أيضاً بباقي المتحصل من باب العقوبات التي كان يفرضها الأيوبيون على القبائل في مناطق اليمن المختلفة .

#### و - الحارث الحشرية :

هي مال من يموت وليس له وارث، أو له وارث لا يستحق كل ميراثه، فعندما لا يكون للميت وارث تذهب جميع أمواله إلى خزانة الدولة، بعد أن ينفق منها على دفنه، وتنفيذ وصاياه . أما إذا كان له وارث لا يستحق كل الإرث، فإنه يعطى نصيبه الشرعي منها ويذهب الباقي إلى خزانة الدولة أيضاً<sup>(٤)</sup> .

ورغم ندرة الشواهد الدالة على مثل هذا المورد المالي غير الثابت في العصر موضوع الدراسة، وصمت المصادر عن إمدادنا بأية معلومات عن مجموع المتحصل منه، إلا أنه من غير المستبعد أن تكون الدولة قد اهتمت بهذا المورد غير الثابت وعينت له في كل مدينة عدداً من الموظفين، أهمهم العامل، والمشارف<sup>(٥)</sup> والكاظم، ليقوموا بحصر وتسجيل المتوفين، وتحصيل تركاتهم وإرسالها إلى خزانة الدولة، وهو الأمر الذي كان سائداً في زمن الرسولين، والذين بالطبع استفادوا من خبرات وتجارب من سبقوهم<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر : السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، ٦١٨ .

(٢) وهي العقوبة التي فرضها الإمام على أهل غيل مراد . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٠٩ .

(٤) القلشدي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣ ، المقرئ ، الخطط والآثار ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٥) المشارف : وظيفة إدارية كان صاحبها يتولى الإشراف على بعض الواردات المالية والوظائف الإدارية في الجهات التي يعمل بها ، ولها ذكر في العصر الفاطمي ، والأيوبي ، والمملوكي . للمزيد انظر : ابن الطوير ، أبو محمد المرتضى عبدالسلام بن الحسن ، نزهة المفتين في أخبار الدولتين ، جمع وتح : أيمن فؤاد سيد ، شتوتغارت ، فراقتس شستايتر ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٩٥ .

١١٥ ، ١٣٩ - ١٤٠ .

(٦) انظر : الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

## ز - الأوقاف :

إذا كانت الأوقاف في اليمن قد شكلت ظاهرة عامة في العصر الأيوبي وأسهمت في الحياة الاجتماعية وكان لها أثرها البارز<sup>(١)</sup>، فإنها أسهمت أيضاً في الحياة الاقتصادية ومثلت مورداً من الموارد غير الثابتة التي انتفعت بها الدولة في أغراض عدة وجوانب وشئون مختلفة، حيث كانت ترتفع من الأوقاف إلى الخزائن الأيوبية أموال جلية، وكذلك كانت أموال الأوقاف مصدراً للإنفاق في الوجوه المختلفة، ومنها الصرف على الفقراء والمساكين، والمساجد والمدارس والقائمين عليها، والدارسين<sup>(٢)</sup> .

تجدر الإشارة إلى أن جميع الأموال المتحصلة للدولة في العصر موضوع الدراسة من شتى الموارد التي ذكرناها كانت تورد في البداية إلى خزانة زبيد، ثم بعد ذلك في خزانة حصن نعر وهي الخزينة الرئيسة للأيوبيين<sup>(٣)</sup> .

## ثالثاً - مصروفات مالية الدولة :

فيما سبق عرفنا أهم الموارد المالية لليمن في العصر الأيوبي، ومثلما تعددت تلك الموارد، فإن مصارف هذه الموارد قد تعددت أيضاً، حيث تنوعت أوجه الإنفاق فيها، فكان لكل نوع من الموارد المالية لليمن أوجه صرفها المحددة، فقد صُرفت لمصالح وجوه عديدة ومصالح مختلفة منها:

### ١ - الصدقات :

الزكاة أو الصدقة التي تؤخذ على الزروع والثمار والمعادن وعشور الأموال التجارية من المسلمين (أي ربع العشر) كانت تصرف وفقاً لما حدده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ﴾<sup>(٤)</sup>؛ وفي ضوء هذا التحديد الإلهي فإن المؤلفة قلوبهم المقصود بهم زعماء قریش الذين أسلموا بعد الفتح، والذين

(١) عن الأوقاف وأثرها في الحياة الاجتماعية انظر : ص ١٤٦ من هذه الرسالة .

(٢) عن ما أوقف لمصالح المساجد والمدارس والفقراء وغيرها من أوجه الخير انظر : ص ١٤٧-١٥٠ .

(٣) حيث كانت تودع فيها المتحصلات المالية الواردة من عدن والتي كانت تربو على ٦٠٠ ألف دينار في العصر الأيوبي،

وينقل الفائض منها إلى الدملوة . ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٢٦٩ .

(٤) سورة التوبة ، الآية رقم (٦٠) .

حاول الرسول (ﷺ) تأليف قلوبهم، وجعلهم يرغبون في الإسلام عن طريق المال، فجعل لهم نصيباً من الغنائم حتى ترضى أنفسهم . وقد اتبع بعض الملوك والسلاطين والأئمة في اليمن مع خصومهم الذين أظهروا لهم الطاعة، الأسلوب الذي استخدمه الرسول (ﷺ)، فالإمام عبدالله بن حمزة حاول تأليف قلوب خصومه بإعطائهم المال وغيره لعلهم يرضوا، وأبرزهم بشر بن حاتم، الذي حاول الإمام تأليف قلبه بأربعة من الخيل، وبمائتي مد طعام<sup>(١)</sup> وغيرها من الهبات، إلا أن هذا الأسلوب أو الطريقة لم تتجح مع الإمام حيث انفصل عنه بشر، ولكن الأسلوب نجح مع بني أيوب الذين كانوا يعطون بسخاء أكثر<sup>(٢)</sup>، نظراً لإمكانياتهم المادية الكبيرة، ومع ذلك ظل الطرفان يتنافسان في اكتساب هؤلاء المؤلفة قلوبهم، كلاً إلى جانبه .

وعلى الرغم من أن الإشارات التاريخية التي تدل على أن مصروف الصدقات كانت قليلة، إلا أنه يعتقد أن بعض الأمراء والأئمة في اليمن جعلوا الربع، مما يتحصل لبيت المال في كل منطقة أو الذي يورد إلى خزانة الدولة، للفقراء والمساكين، فمثلاً: جاء قوم من وادي فريح<sup>(٣)</sup> إلى الإمام عبدالله بن حمزة وسألوه شيئاً لضعفاء بلادهم ومساكينها مما سلموه من الحقوق الواجبة عليهم، فأمر الإمام بالربع من هذه الحقوق على أن توزع على الضعفاء والمساكين<sup>(٤)</sup> . وإذا افترضنا عدم وجود هذه الإشارة التاريخية، فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن الزكاة تؤخذ من أغنياء القوم وترد إلى فقرائهم، إذاً لا بد أن يكون للفقراء والمساكين في العصر الأيوبي نصيباً من مال الزكاة .

## ٢- الهدايا والهبات والخلع والأعطيات :

اشتهر بعض حكام اليمن وأماؤها في العصر الأيوبي بإطلاق أوجه هذه المصروفات التي كلفتهم الكثير من خزانة الدولة نقداً وعيناً، فكثيراً ما منح هؤلاء الحكام والأمراء تلك المصروفات على سبيل المجاملة كهدية لأمير آخر أو قائد

(١) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

(٢) فالأتابك سنقر ضاعف الإحسان لأهل وصاب وكتب لهم منشوراً بالصدقة عليهم ببلادهم ، وأن لا مطلب عليهم فيها . ابن حاتم ، السط الغالي ، ص ١٣٥ .

(٣) وادي فريح : من وديان عزلة البطنة ، ناحية القفلة ، في خمير على بعد (٦ كيلو متر) شمال شرق صور . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ، (ح ١) .

(٤) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

عسكري أو إطلاق الأعطيات على الجند على سبيل المكافأة داخل البلاد أو إرسالها أو استصحابها لحاكم خارج البلاد، ومن أمثلة ذلك مايلي:

أ- إفاضة الملك العزيز طغتكين بن أيوب على السلطان بشر بن حاتم عند قدومه من صنعاء الى تعز، فقد رحب به طغتكين وأكرمه وأعطاه خلعة الخليفة وسيفه وسرجاً من ذهب وطوقاً من ذهب غير ما أعطاه من الخلع السنوية وسمح له من القطيعة عشرين ألف دينار وعشرين حصاناً<sup>(١)</sup> .

ب- خلع واحسان الملك طغتكين للسلطان عبدالله بن يحيى الجنبي وأولاده، وللقاضي حاتم بن أسعد، وكذا لعمر بن حاتم الذي أعطاه الملك طغتكين بلاداً معينة وكتب له بخيرية أمواله أينما وجدت<sup>(٢)</sup> .

ج- العطاء الذي أطلقه الأمير سيف الدين سنقر أمير عدن المعزول شجاع الدين مهكار بن محمود، فقد أعطاه سنقر مبلغ عشرة آلاف دينار، وأبقاه من جملة عسكره حتى ولآه زبيد وملك المخلاف جميعه<sup>(٣)</sup> .

د- إفاضة الأمير سيف الدين سنقر بالعطاء للأمير والقائد وردسار، وعن ذلك يقول ابن حاتم: "ثم إنه أقطعه صنعاء من نقيل سرح الى البون، وشال له الطبلخانه، وساق إليه عشرين ألف دينار، وعشرين مملوكاً، وعشرين حصاناً، وأضاف إليه رمع [أي متحصلات منطقة رمع] معونة له لأجل النفقات"<sup>(٤)</sup> .

هـ - إعطاء الأتابك سنقر الأموال والكسوات لأبي المعالي ابن أحمد الحرازي وهو من أعيان أهل ريمة<sup>(٥)</sup> .

و - منح الملك المسعود الأيوبي العطايا الجليلة لأحد الأشراف الحمزيين الموالين له، ويدعى علم الدين سليمان بن موسى الحمزي، وذلك عند قدومه لمحطة بكر معلناً الطاعة للمسعود<sup>(٦)</sup> .

(١) ابن حاتم ، المسقط لغاللي ، ص ٣٠ : الخزرجي ، المسجد المنيوك ، ص ١٦٢ ، السروي ، تاريخ اليمن الإسلامي ، ص ٢٤٠ .

(٢) ابن حاتم ، المسقط لغاللي ، ص ٣٦ ، ٣٣ ، ٢٦ .

(٣) وقد كان شجاع الدين والياً على عدن من قبل الملك المعز ، فلما كان سنقر أتابكاً للناصر عزل شجاع الدين عن عدن وولى بدلاً عنه شخص يدعى برغش . ابن حاتم ، المسقط لغاللي ، ص ٨٥ ، أما عن الملك المعز إسماعيل بن طغتكين فيقدر الخزرجي ما أنفقه من الإعانات والعطايا بما قيمته ستة عشر لئاً ، واختص بالجانب الأكبر من عطاياء الشعراء لولعه بالشعر وسماحه ونظمه بينما ظب عليه الشح بالنسبة للجند .

للمسجد المنيوك ، ص ١٧٣ .

(٤) المسقط لغاللي ، ص ٩٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

(٦) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٤ .

ز- خلعة الملك المسعود لبني علي بن رسول عندما خرجوا لاستقباله في الهلية من تهامة وقت قدومه إلى اليمن سنة ٦١٢هـ، فخلع عليهم الخلع السنية فكانت خلعة الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول فرجية وشربوشاً<sup>(١)</sup> وحصاناً بسرج وألف دينار ذهباً، وخلعوا على الكل خلعاً من غير دراهم<sup>(٢)</sup>.

ح - الهدية التي صاحبها الملك المسعود الأيوبي لوالده الملك الكامل محمد عند خروج المسعود من اليمن إلى الديار المصرية، وقد اشتملت على أشياء عظيمة، من جملتها ثلاثة أفيلة أحدها يدعى الملك، عليه محفة تتسع عشر أنفس، ومائتا خادم، وأحمال عود ومسك وتحف اليمن<sup>(٣)</sup>.

والشيء الجدير بالملاحظة والذكر أن ملوك وأمراء اليمن في العصر الأيوبي اعتادوا على إطلاق الخلع والهدايا تقريباً لكبار المشائخ والقادة، ولما كان الإمام يشكل كياناً مستقلاً في المناطق الزيدية، فكثيراً ما كانت تلك الهبات والأعطيات تطلق من الجانبين الأيوبي والزيدي من باب التناقص وأكتساب رضا أطراف أو قبائل وشخصيات لها تأثيرها في وسط المجتمع اليمني، ومن تلك المنح أيضاً العطايا الجليلة التي أنعم بها الإمام عبدالله بن حمزة على الأمراء المنشقين عن بني أيوب، الذين كانوا يشكلون سندا للزيدية في العصر موضوع الدراسة، وكذا على بعض الأمراء الآخرين، مثل الأمير المؤيد بن قاسم الذي أهداه الإمام أربع من جياد الخيل، وخلع عليه وعلى أصحابه وخواصه خلعاً سنياً، وعلى سائر العسكر برداً من الحرير الصنف<sup>(٤)</sup>، كذلك الأمير محمد بن كز اليرقشي الذي تلقاه الإمام بما هو أهل له من الاحترام، وقدم له ثمانين أفراس من جياد الخيل وعشرين نصفية من بز العراق، وأربعة أبراد حريرية من أبراد حجة<sup>(٥)</sup>.

## ٢- الأموال المخصصة للصالح :

- (١) الفرجية : لباس فوقاني(جبة) وسميت فرجية لأنها مفرجة أي مفتوحة من الأمام من أعلاها إلى أسفلها بصف من الأزرار. نايـر، ل. أ. ، الملابس الممنوكة ، ترجمة : صالح الشيكلي ، مراجعة : عبدالرحمن فهمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ٩١ . والشربوش : نوع من الأحذية الرجالية والنسائية . نور المعارف ، ج ١ ، ص ١١ ، ١٢ .
- (٢) ابن حاتم ، السط الغالي ، ص ١٦٦-١٦٧ ، كذلك أطلق المسعود وأتباعه ابن فليت الإحسان بالخلع والمال لمشائخ وأهالي ذمار والحقول شجاعه وأهل مسنحان وبني شهاب ، وأكرم ابن فليت الأمير عز الدين محمد بن حاتم العلوي العباسي وخلع عليه مائة صده شكر . ابن حاتم ، السط الغالي ، ص ١٦٦-١٦٧ .
- (٣) الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تج : ناظم رشيد ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص ٣٦٤ .
- (٤) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .
- (٥) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ .

كثيرة هي المعاهدات والمصالحات والهدنات التي عقدت في اليمن في عصر أيوبية اليمن، والتي كانت تلزم أطراف معينة على دفع الكثير من المصروفات المالية النقدية والعينية مقابل صلح معين لإبقاء السكينة والاستقرار أو إطلاق رهائن، وهنا نتطرق الى ماكان يتكبده طرفا الصراع في اليمن: الأيوبيون والزيديون من نفقات أو مصروفات مالية مقابل ذلك، فمثلاً:

- عقد الإمام عبدالله بن حمزة كثيراً من المعاهدات مع عدد من الأمراء الأيوبيين، وعلى رأسهم الأتابك سنقر والأمير وردسار، كانت تلزمه مرة بدفع مائة حمل موقرة حديداً وعشرين رأساً من الخيل يسوقه لعلم الدين وردسار<sup>(١)</sup>، ومرة ثانية أن يدفع عشراً من الخيل وعشراً من الإبل وخمسة أحمال حديد كل سنة، وحصاناً أصفر<sup>(٢)</sup>، مقابل إقرار الصلح بين الطرفين، وعدم اعتداء طرف على الآخر . أما المصالحات التي عقدها بنو أيوب، والتي كبدت الدولة الكثير من النفقات المالية، فمن أهمها مايلي:

أ- **مصالحة أبي ريا مع السلطان علي بن حاتم**، قضت بنود المصالحة التي أمر بها الملك طغتكين، بإعطاء السلطان علي بن حاتم في الشهر خمسمائة دينار وخميس مائة كيلجة<sup>(٣)</sup> بحيث لا تكون له سلطة على أي بلاد<sup>(٤)</sup>.

ب - **مصالحة الملك الناصر للإمير بكتمر السيفي**، نصت بنود المصالحة على أن يسلم الملك الناصر لبكتمر أربعين ألف مثقال، ثمن دوابه، وذلك مقابل وقف الحرب والخروج من اليمن الى الشام<sup>(٥)</sup>. ولا شك أن هناك الكثير من المصالحات الأخرى التي أنفق حكام اليمن في سبيلها أموالاً جمة، وفي الجملة كانت المصالحات والمعاهدات تشكل عبئاً مالياً ثقيلاً على الدولة .

#### ٤- الرواتب :

من الثابت أن موظفي الدولة في العصر الأيوبي من أمراء وولاة ومقطعين ووزراء وقضاة وكتاب وجنود وغيرهم، كانوا يتلقون رواتب نقدية أو عينية أو كليهما معاً نظير خدماتهم، إلا أن الإشارات في المصادر التي تذكر مقدار تلك

(١) ابن حاتم ، السط الغالي ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٨ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٩ .

(٣) الكيلجة : هي مقدار كيل خاص بصنعاء . نور المعارف ، ج ٢ ، ص ٣٦ (ح ٢) .

(٤) ابن حاتم ، السط الغالي ، ص ٣٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥١ ؛ السروري ، تاريخ اليمن الإسلامي ، ص ٢٧٧ .



الرواتب التي يتلقاها موظفو الدولة بشكل عام، و تكتفي على قلتها بذكر رواتب وجامكيات بعض المقطعين أو الأمراء أو الأشراف فقط، فهذا ابن حاتم يورد لنا بعض أبيات من الشعر لأحد الشعراء، يذكر فيها أن مقطع حرض القاضي الأسعد كان يتلقى راتباً شهرياً مقداره ستين<sup>(١)</sup>، ونرجح أنه ستون ألف درهماً .

كذلك كان الملك طغتكين قد قرر راتباً مقداره خمسمائة دينار وخمسمائة كيلجة في كل شهر، على سبيل الجامكية للسلطان علي بن حاتم<sup>(٢)</sup> .

كذا قرر الإمام عبدالله بن حمزة لبعض الأمراء والأشراف معاشاً شهرياً، حتى لا ينضموا إلى الدولة الأيوبية، ومن هؤلاء القاضي حاتم بن أسعد الذي جعل له الإمام خمسمائة دينار شמושية<sup>(٣)</sup> في كل شهر، استجلاًباً لهمدان، بل إن ابن دعثم يذكر، أن جماعة من بني زهير<sup>(٤)</sup> وآل منصور<sup>(٥)</sup> وبني مجيد<sup>(٦)</sup> وبني يزيد<sup>(٧)</sup> وغيرهم، جاؤا إلى الإمام وهو في شوابة، يشكون ما أصابهم من الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة من المظالم التي أوغرت صدورهم وغيّرت قلوبهم، وألجأتهم إلى مكاتبة ورددسار الأيوبي، وكيف أن الإمام قبل شكائهم، وأزال باللطف والإحسان إليهم ما كان قد رسخ في قلوبهم، وجعل لكبارهم من الشيوخ من الحقوق الواجبة التي تحصل من زرعهم أسهماً طلبوها منه، فساعدهم على ذلك، فقرر لهم ذلك بمثابة رواتب عينية، فرضوا وطابت نفوسهم وصلحت أحوالهم<sup>(٨)</sup> .

(١) وقد ورد في أحد الأبيات قول الشاعر: نقده في الشهر ستون سوا \* من أسبيات له متّجهة . انظر: السمط الغالي، ص ٤٤ .

(٢) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٤١؛ ويذكر كذلك أن الأمير ورددسار أجرى عشرين حصاناً للسلطان بشر بن حاتم ولأصحابه جامكية . السمط الغالي، ص ١٤٠؛ السروري، تاريخ اليمن الإسلامي، ص ٢٤٤ .

(٣) ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ١، ج ٢، ص ٤١٨ .

(٤) بنو زهير: من قبائل أرحب . المقحفي، معجم، ص ٣٠٤ .

(٥) قبائل منصور: من أرحب، وآل منصور قبائل بني جبر، من خولان العالية . ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ١، ج ٢، ص ١٧٨، (ج ٣) .

(٦) بنو مجيد: من ولد بن حمير بن سبأ؛ لهم مواطن في لحج وأبين ولهم مواطن أخرى في تهامة . الهمداني، صفة، ص ٩٥، ١٥٠، ١٦٩، ١٩٢؛ الملك الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول، طرفة الأصحاب

في معرفة الأنساب، تح: ك . ستر ستين، ط ٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٧٨ .

(٧) يزيد بن قاسم بطن من مرهبة بن الدعام، وبني يزيد من كهلان . السيرة المنصورية، مج ١، ج ٢، ص ١٧٨، (ج ٥) .

(٨) ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ١، ج ٢، ص ١٧٨-١٧٩ .

أما عن رواتب أو جامكية العلماء والفقهاء فبال تأكيد أنها كانت تتفاوت من عالم لآخر، وذلك على حسب المنزلة العلمية التي يتبوأها كل شخص منهم . أما القضاة فقد كانت رواتبهم في كثير من الأحيان من جزية اليهود، ومن هؤلاء القضاة القاضي عيسى بن علي بن مفلح ، الذي كان يتلقى جامكية مقدارها خمسة عشر (١٥) ديناراً تستقطع من جزية اليهود ببلده<sup>(١)</sup>، ولم توضح الرواية، التي وردت في المصادر، ما إذا كانت هذه الجامكية شهرية أم سنوية، وإن كان يبدو من مقدارها أنها شهرية، والمرجح أيضاً أنه حتى رواتب القضاة كانت هي الأخرى تتفاوت في مقدارها من قاض لآخر، وذلك على حسب المكانة العلمية للقاضي، وأهمية المدينة أو المنطقة التي يتولاها، فقاضي مدينة الجند مثلاً يتقاضى خمسة عشر (١٥) ديناراً في الشهر<sup>(٢)</sup>، بينما كان قاضي عدن يتقاضى أربعين (٤٠) ديناراً في الفترة نفسها<sup>(٣)</sup> .

هذه بعض الأمثلة على رواتب بعض موظفي الدولة في العصر الأيوبي، والتي توافرت لنا عنها معلومات يسيرة، وغالب الظن أن الدولة قد أنفقت الكثير من المبالغ المالية في هذا الجانب من المصارف .

#### ٥- الإنفاقات العسكرية :

وهذا المصروف كان يستنزف قسماً كبيراً من موارد الدولة المالية، حيث فرضت الأحوال السياسية الداخلية لليمن في العصر الأيوبي الاهتمام بالجانب الحربي، الذي شمل الإنفاق على شراء الأسلحة وبناء الحصون في المواقع المهمة وشراء الحصون واستفتاحها بالمصالحة المالية وإقامة الأسوار والخنادق حول المدن وتعمير الدروب، فضلاً عن عناية ملوك اليمن بتجهيز الجيوش اللازمة وشحنها بالأسلحة لمواجهة القوى المعادية واستنزال الحصون المخالفة لهم . والأمثلة على كل ذلك كثيرة، إذ تشير الكثير من المصادر إلى أن حكام اليمن ملوكها وأمرائها أنفقوا

(١) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥٠-٤٥١ ؛ الخرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٦٧ ؛ بامخرمة ،

تاريخ شعر عدن ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥١ ؛ الخرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

أموالاً طائلة في هذا الجانب، وما يهمننا هنا هو ذكر أهم جوانب هذا المصروف: -  
فشراء بعض الحصون الحربية وعمارة البعض الآخر كلفت الدولة مصروفات  
كثيرة، حيث نجدها قد أخذت النصيب الأكبر من مصروفات الخزنة، لما لها من  
أهمية في حماية الدولة من أخطار الصراع الدائر داخل اليمن ومثال على ذلك:

- شراء الملك العزيز طغتكين حصن الدملة مرتين، في المرة الأولى تم شراؤه من  
جوهر المعظمي مولى الدعاة بني زريع بمبلغ عشرة آلاف دينار ذهباً، وخرج منه  
متوجهاً إلى الحبشة تاركاً نائباً على الحصن من باب الاحترازات الأمنية حتى يرحل،  
وبالمبلغ نفسه<sup>(١)</sup> تم شراء الحصن مرة ثانية من النائب الذي أبقاها جوهر في الحصن؛  
وبهذا يكون إجمال ما صرف لشراء حصن الدملة هو عشرون ألف دينار ذهباً ثمن  
الدينار الواحد في ذلك الوقت أربعة دنائير سبائية .

- تسليم حصن كوكبان للأمير وردسار الأيوبي بعد أن اشتراه من الإمام عبدالله بن  
حمزة بخمسة آلاف دينار سبائية، ولأهمية الحصن وإلى جانب المبالغ المالية أضيفت  
للإمام عدة نواحي وقرى<sup>(٢)</sup> .

- شراء الملك المسعود حصن بكرسنة ٦١٧هـ من الأمير يحيى بن حمزة بمبلغ  
عشرة آلاف مثقال<sup>(٣)</sup> .

تجدر الإشارة إلى أنه في أثناء الصراع بين الأيوبيين من جهة، والقوى المحلية  
داخل اليمن من جهة أخرى، وبخاصة مع الأئمة الزيدية، كان الإمام كثيراً ما يعرض  
على أصحاب الحصون شراءها منهم بأموال جمة، كما حصل مع بني حاتم، في  
حصني بكر وكوكبان، اللذين كلفاه أحد عشر ألف دينار شموسية<sup>(٤)</sup> .

ومن النفقات الحربية أيضاً، بناء الأسوار حول المدن والقلاع، وبناء الحصون  
في المواقع المهمة والحصينة، والأمثلة على ذلك كثيرة، وقد يطول المقام بتعدادها،  
ولكن نكتفي بالإشارة إلى أن الأيوبيين قد بنوا في اليمن مدينة عسكرية متكاملة

(١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٢٩-٣١؛ الأشرف الرسولي، فلكية الزمن، ص ٢٧٨؛ ابن الديبع، فرة العيون، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٢) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ١١٣ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٤؛ أما ابن الديبع فيذكر أن الملك المسعود اشترى الحصن بعشرة آلاف دينار مصرية . فرة العيون، ص ٢٩٤ .

(٤) ابن دعثم، السيرة المنصورية، مج ١، ج ٢، ص ٣٧٣، ٤٣٦ .

وسمحو للجنود بالإقامة فيها، وهذه المدينة هي مدينة المنصورة، التي أنشأها الملك طغتكين بن أيوب وبنى فيها مساكن للعسكر<sup>(١)</sup>؛ وهو الذي أحاط زبيد بسور جديد، وسور صنعاء بعد أن خرب سورها . وفضلاً عن ذلك فقد كان حكام اليمن يأمرّون الأمراء بإعادة إعمار الحصون العسكرية وترميمها، وتزويدها بالحبوب، والماء، والسلاح، والمقاتلين، وهذا بالتأكيد يحتاج إلى كثير من المال . وعلى الرغم من أن النظام الإقطاعي الحربي الذي طبّقته الدولة الأيوبية في اليمن يقضي بأن يتولى الأمير أو القائد الإنفاق على جنوده وتزويدهم بما يحتاجون إليه في الحرب، إلا أن قسماً لا بأس به من الجيش لم يكن تابعاً للأمراء الإقطاعيين وإنما كان تابعاً للملك؛ وهذا القسم تصرف رواتبه نقداً من قبل الملك، لذلك قيل بأن سبب مقتل الملك المعز بن طغتكين هو غضب الجنود عليه نتيجة إهماله لهم وبخله عليهم بالمال<sup>(٢)</sup> .

#### ٦- الإنفاقات على المنشآت الدينية والمدنية :

يمثل الوجود الأيوبي في اليمن عصراً زاخراً بالإنجازات العمرانية الدينية والمدنية، وذلك لما حفل به من تشييد للمساجد والمدارس والقصور والدور، ولأرباب بأن الدولة قد أنفقت أموالاً طائلة على إنشائها، من جهة، وعلى صيانتها والمحافظة عليها، من جهة أخرى .

##### أ- المنشآت الدينية :

تأتي المساجد في مقدمة المنشآت الدينية التي حرص حكام اليمن وسلطانها وأمرؤها في العصر موضوع الدراسة، على بنائها وبذل الأموال الطائلة في إقامتها تقرباً إلى الله تعالى من جهة، وتخليداً لذكراهم وكسباً لمرضاة رعاياهم، من جهة ثانية، وقد أشارت كثير من المصادر إلى ماتم تشييده من تلك المساجد في مدن وقرى اليمن المختلفة، مثل: جامع ظفار، الذي أنشأه الإمام عبدالله بن حمزة، والجامع الذي أقامه الأمير سنقر في عدن، وألحق به الكثير من البرك والحمامات وعين لها العمال لنظافتها، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة، وما أحدثه الأمير وردسار من تجديدات في جامعي صنعاء وزبيد . أما الأتابك سنقر فقد كان له العديد من الإنجازات في هذا

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ٨١ .

المجال، فهو الذي بنى الجامع في خنفر من أعمال أبين وبنى الصفيين والجناحين والمؤخر من مسجد الجند<sup>(١)</sup> في تعز، وغيرها من الجوامع والتجديدات الأخرى .  
تجدر الإشارة إلى أن بناء المساجد لم يكن مقصوراً على الحكام والسلاطين والأمراء وحدهم، بل إن هناك من الأعيان والأفراد من أسهم في إقامة العديد من المساجد في أرجاء البلاد المختلفة وأنفقوا الأموال عليها، وأوقفوا الأوقاف المختلفة من أراضٍ وكتب وغيرها .

أما المدارس، فلا شك أنها هي الأخرى قد تطلبت النفقات المالية والعينية الطائلة، وللايوبيين نصيب كبير في إنشاء المدارس في اليمن، حيث تشير العديد من المصادر إلى النشاط الملحوظ لهم في هذا الجانب<sup>(٢)</sup> .

وهذه المساجد أو الجوامع والمدارس وغيرها كثير لا شك أنها احتاجت إلى مصروفات كثيرة لإقامتها وكفاية القائمين عليها؛ فقد كانت المدارس بحاجة إلى مدرسين وكان هؤلاء المدرسون يتقاضون راتباً من الدولة لقاء خدمتهم هذه، بل ولقد كانت الدولة تكفل المأوى والمأكل لطلبة العلم الوافدين من المناطق البعيدة، والذين لا يملكون ما يكفيهم من المال، فقد ذكر ابن دعثم أن الإمام عبدالله بن حمزة لما آن أوان نضج الثمار ووقت حصادها قرر إرزاق الجند، وأعطى أهل المدارس نفقاتهم<sup>(٣)</sup>، وفي موضع آخر يذكر: أن القاضي نصر بن محمد فرق أهل المدارس بسوء عشرته وخبط ولايته؛ لأن نفقاتهم كانت على يديه<sup>(٤)</sup>، وهذه النصوص تدل على أن الدولة الأيوبية كانت تكفل نفقات المدارس وطلبتها والمساجد وأئمتها .

#### ب- المنشآت المدنية :

تزخر المصادر التاريخية بالكثير من الإشارات التي تتعلق بنشاط ملوك اليمن وأمرائها في العصر الأيوبي واهتمامهم بمجال العمران المدني، فقد أنفقت الدولة الكثير من الأموال في إنشاء القصور السلطانية للحكام، والدور والمباني الجميلة

(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص ١٧٨ .

(٢) عن المدارس التي تم إنشائها في العصر الأيوبي في اليمن انظر : ص ١٥٨-١٥٩ من هذه الرسالة .

(٣) السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦٥ .

للأمراء والأعيان، والتي أقاموها في العديد من المدن والقرى اليمنية، وكذلك صُرِفَت أموالاً طائلة في إنشاء البساتين والمنتزهات الخاصة والعامة، وفي إقامة الطرقات وإصلاحها<sup>(١)</sup>، وإعادة إعمار بعض القرى والدور التي كانت تتأثر من جراء الحروب والصراعات التي كانت تحصل في أغلب مناطق اليمن إن لم تكن في جميعها في العصر الأيوبي .

وبالإضافة إلى ماسبق، فقد احتاجت سفريات الحج إلى أموال طائلة، وكذا الأسطة والمواكب الخاصة التي كان يقيمها الملوك والأمرء في مناسبات شتى، إلى أموال كبيرة جداً، الأمر الذي جعل الدولة تخصص لها ديواناً خاصاً، عرف بديوان الحلال<sup>(٢)</sup>، يتم الصرف منه على كافة الدور السلطانية والمطابخ وما شابه ذلك .

ومهما يكن من أمر فإن نفقات الدولة ومصروفاتها في العصر موضوع الدراسة كانت أقل بكثير من مواردها؛ لذا فقد توافر في خزانة الدولة احتياطي كبير من الأموال، إلا أن الشيء المؤسف أن الأيوبيين لم يحسنوا استخدام هذه الأموال الاحتياطية الضخمة في الإنفاق على النهوض ببلاد اليمن في جميع المجالات ومختلف الميادين، وبدلاً من ذلك عمدوا إلى جمع الأموال بوسائل مشروعة وغير مشروعة، وإنفاقها في مصالحهم الشخصية دون النظر إلى مصلحة العامة .

(١) عن الإنجازات العمرانية في اليمن في العصر الأيوبي انظر: المبحث الخاص بذلك ، ص ١٥٣-١٦٧ .

(٢) يعرف ديوان الحلال أحياناً بديوان الجلال ويبدو أنه شبيه بديوان الأملاك السلطانية عند المماليك .

القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ ؛ ج ٤ ، ص ٣٢ .

## الخاتمة

لا شك أن عصر الدولة الأيوبية في اليمن لم يكن طويلاً، إذ لم يتجاوز ثمانية وخمسين سنة (من سنة ٥٦٩هـ إلى سنة ٦٢٦هـ)، وقد شهدت اليمن خلاله قيام الصراعات الداخلية بين القوى المحلية المختلفة، وعلى رأسها الزيدية والأيوبيين الوافدين إلى اليمن، والذين حاولوا توحيد بلاد اليمن وبسط نفوذهم وسيطرتهم عنها، وعلى الرغم من ذلك فقد حدثت في اليمن تغييرات هامة في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

فعلى مستوى الحياة الاجتماعية أبرزت هذه الدراسة كيف تشكل المجتمع اليمني من مجموع العناصر السكانية المحلية وغير المحلية، وعلى رأس هذه العناصر القبائل اليمنية التي شكلت السواد الأعظم من سكان اليمن الأصليين للارتباط التاريخي بالارض وانتشارها منذ القدم في المناطق اليمنية كافة؛ يليها في ذلك العناصر الأجنبية القادمة الى اليمن من شتى الأماكن وأهمها عناصر الأكراد والأتراك والمماليك والأحبوش، وأهل الذمة والرقيق .

كذلك أوضحت هذه الدراسة انقسام المجتمع اليمني في عصر الدولة الأيوبية الى طبقتين اجتماعيتين أساسيتين، هما الخاصة والعامة، انطوت تحتها فئات وشرائح اجتماعية عديدة، فالطبقة الأولى الخاصة، ضمت فئة الحكام، والتي تشكلت من زعماء القبائل والأشراف والأحبوش والغز الأيوبيون (أكراد وأتراك)، وفئة العلماء التي تكونت من الفقهاء والقضاة والمحدثين والقراء ومن في شاكلتهم، وفئة كبار الملاك، التي تألفت من كبار ملاك الأراضي وكبار التجار . أما الطبقة العامة، فقد احتوت على الغالبية العظمى من سكان البلاد، وتشمل فئة الجند والرعايا والفلاحين والحرفيين، وقد بينت الدراسة الدور والإسهام التي أدته كل طبقة داخل المجتمع اليمني أكان سلباً أم إيجاباً، وألمحت كذلك الى مرونة الانتقال بين الطبقات والفئات الاجتماعية صعوداً ونزولاً، وهو الأمر الذي بيناه في فئة الحكام، سواء كان عند زعماء القبائل أم الأحبوش أم المماليك أم العلماء أم التجار، حيث وصل عدد من هؤلاء الى أعلى المناصب وهم لم يكونوا كذلك، وربما كان لتحمل مناصب قيادية في الجيوش وللثراء الفاحش لبعض أولئك دور في تنقلهم من طبقة الى أخرى .

وفيما يتعلق بمظاهر الحياة الاجتماعية أظهرت الدراسة المكانة التي تبوأتها المرأة في المجتمع اليمني وإسهاماتها المختلفة التي كانت تؤديها، ومشاركاتها الفاعلة في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية والعلمية، حيث أوضحت كيف أدت المرأة دورها كمربية لأبنائها ومشاركة لزوجها أو أسرتها في العمل الزراعي والتجاري، وكيف كانت قائدة في ميدان العمل السياسي، وإن اقتصر هذا الأخير على نساء الطبقة الخاصة، وقدمت هذه الدراسة تفاصيل متنوعة عن عادات وتقاليد حياة الناس داخل المجتمع اليمني ومدى محافظتهم على هذه العادات والتقاليد في جميع المناسبات المختلفة مما يبرهن على أصالة هذا الشعب، ومنها تقاليد الزواج وإجراءاته وأخطواته، والولادة والختان وحفلاتهما، والمآتم وعاداتها، والأعياد والمناسبات الدينية والدنيوية واحتفالاتها، والأطعمة والأشربة والأكسية وأنواعها، والاختلاف في جميع ما ذكرناه من منطقة إلى أخرى داخل بلاد اليمن، وفضلاً عن ذلك بينت هذه الدراسة مدى المساهمة الكبيرة التي أداها حكام وسلطين اليمن في العصر الأيوبي والجهود التي بذلوها في الإنشاء والتعمير من جوامع ومدارس وقصور وجسور وأسوار وطرق و دور ضيافة وذلك كمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية، ولم يقتصر ذلك الإسهام في كل ذلك على فئة الحكام بل شمل أعيان البلاد وميسوريها كنوع من المشاركة والتفاعل والتكاتف لما فيه مصلحة المجتمع اليمني، وفي هذا الصدد كان للأيوبيين النصيب الأكبر في إقامة المدارس داخل اليمن، ورعايتها ورعاية القائمين عليها والدارسين فيها، مما كان له أثر كبير في خدمة الأهالي، خاصة وأن المستفيدين من ريعها الكثير من الناس ومن شتى الطوائف الدينية والمدنية، ويذكر لهم أيضاً عدم تدخلهم في تغيير الكثير من العادات والتقاليد المتبعة داخل المجتمع، الأمر الذي عكس نفسه على حرص الناس في اليمن للمحافظة على بعض شئونهم الخاصة .

أما على مستوى الحياة الاقتصادية فقد أبرزت هذه الدراسة الزراعة والثروة الحيوانية ومدى توافر المقومات الطبيعية والبشرية اللازمة لقيامها في اليمن، من خصوبة التربة وتنوع المناخ ووفرة المياه، فضلاً عن تشجيع الحكام والولاة في اليمن للزراعة والاهتمام بها، وذلك من خلال إنشائهم البساتين الملحقة بقصورهم والعناية



بها وجلب الغرسات المختلفة لها من شتى الأقطار، وجعل تلك البساتين كمحطات تجارب زراعية، عُممت بعد ذلك في أماكن مختلفة من بلاد اليمن . وبينت الدراسة الوسائل والطرق المتبعة في زراعة الأرض من حرث وبذر وسقاية وحصاد ووسائل تخزين الحبوب، وكيف تفوق الفلاح اليمني منذ أزمنة بعيدة في هذا المجال لدرجة أن أطلق على اليمن البلاد السعيدة، الأمر الذي أدى الى تنوع المحاصيل الزراعية، ووفرة إنتاجها بما يكفي حاجة البلاد الأساسية وتصدير الفائض من الإنتاج الزراعي الى خارج اليمن . وقد أوضحت الدراسة غنى اليمن بالمراعي الطبيعية والثروة الحيوانية المتنوعة لا سيما من الخيول والأغنام، مما جعل بلدان كثيرة تتسابق على استيراد خيول وأغنام اليمن لجودتها الفائقة، ومن هذه البلدان الهند ومصر .

وفي هذه الدراسة توصلنا من خلال فحص المصادر التي توافرت الى **مقومات الصناعة في اليمن** من مواد خام طبيعية وأيدي عاملة مدربة وماهرة، واستعرضنا الفنون الصناعية التي وجدت في اليمن في العصر موضوع الدراسة، حيث ذاعت شهرة بعض الصناعات اليمنية كالبرود اليمنية وأوانها الجميلة، وكذلك السيوف اليمنية ودقة صناعتها، وغيرها من **الصناعات المعدنية** الأخرى التي تشهد على براعة اليمنيين في هذا المجال، وذياع شهرتهم في هذه الصناعات وإقبال الدول المجاورة على استيرادها، بالإضافة الى جملة الصناعات الأخرى، وأهمها النسيجية والخزفية والزجاجية التي أضافت لليمن شهرة الى جانب شهرتها كمركز اقتصادي عالمي . ليس هذا فحسب بل ألمحت الدراسة الى الاهتمامات السلطانية بالفنون الصناعية المختلفة كأساس لنهضة البلاد .

وفي **مجال التجارة**، أظهرت الدراسة الدور الذي لعبته اليمن والموقع الذي تمتعت به في هذا المجال، أكان ذلك على مستوى التجارة الداخلية، أم على مستوى التجارة الخارجية .

ففي **جانب التجارة الداخلية** أظهرت الدراسة ما للتجارة من نشاط إيجابي أكان في بيع وشراء السلع بين المناطق اليمنية، وأنواع هذه السلع والطرق التي كانت تسير فيها القوافل التجارية، وأبرزت الأسواق التي كانت تصرف المنتجات سواء المحلية أم المستوردة من الخارج، وهي أسواق عديدة وفي مناطق شتى من اليمن موسمية

وأسبوعية ويومية ودائمة ومتخصصة، وألمحت الى وجود نظام الحسبة أو المحتسب في الأسواق اليمنية .

أما في جانب التجارة الخارجية أوضحت الدراسة ما لليمن من نشاط تجاري بحري وبري ربطها بأقطار خارجية عديدة، خصوصاً وأن مدينة عدن كانت تمثل الوسيط التجاري بين بلدان الشرق وبلدان الغرب بحكم الموقع الجغرافي الذي تتبوأه، وهذا ما جعلها تمثل رافداً مالياً كبيراً لخزانة الدولة في العصر الأيوبي، الأمر الذي أدى الى اهتمام ملوك بني أيوب بالتجارة وتشجيع التجار وتطوير السنظم والأساليب التجارية وحماية الطرق التجارية من اللصوص والقراصنة، ومن جراء ذلك حدثت بعض الطفرات في زيادة الرسوم الجمركية في العصر موضوع الدراسة، التي لم تكن موجودة من قبل، وقد بينت في هذا الجانب كيف أن الأيوبيين فرضوا ضرائب إضافية عديدة على بعض السلع الواردة التي يوجد لها مثل داخل اليمن، وذلك حماية للمنتج، وأبرزت أيضاً قوائم السلع المتبادلة وقيمة العشور المفروضة عليها في ثغر عدن، وبينت كذلك كيف عمد اليمنيون الى زيادة الرسوم على بعض المنتجات عند تصديرها في محاولة للإبقاء عليها لحاجة البلاد إليها . وفي مجال المعاملات التجارية أظهرت الدراسة معرفة اليمن التعامل النقدي مبينة في ذلك أنواع العملة المتداولة في أسواقها، سواء كانت تلك المضروبة في دور سكنها المنتشرة في أنحاء البلاد أم الواردة إليها من العملات الخارجية . ومن خلال العرض المفصل عن وسائل المعاملات التجارية بينت الدراسة مجموعة المكايل والموازين والمقاييس المستخدمة في اليمن، سواء تلك التي اشتركت في استعمالها مع مثيلاتها في بلدان الشرق آنذاك، أم ما اقتصر استخدامه على أسواق اليمن فقط، مبيناً اختلاف تلك الوحدات في عياراتها داخل اليمن من مدينة الى أخرى من ناحية، وحسب نوعية السلع الموزنة بهذه الوحدات، من ناحية أخرى، كما أشرت في ذات المجال (التجارة الخارجية) الى مستوى التبادل التجاري بين اليمن والأقطار الأخرى التي ارتبطت عبر البحر، ومنها الصين والهند وشرق إفريقيا ومصر، وكذا اقطار عربية ارتبطت بعلاقات تجارية مع اليمن عبر البر، ومنها الحجاز والعراق والشام ومصر، وأوردنا أنواع السلع والبضائع والمصنوعات (المنتجات) الصادرة من اليمن الى تلك البلدان، والتي يأتي في مقدمتها السيوف

اليمانية والعقيق اليماني وغيرها، والواردة من تلك البلدان ويأتي في مقدمتها المواد الغذائية .

وفيما يتعلق بالجانب المالي فقد أوضحت الدراسة الموارد المالية الشرعية لخزينة الدولة في العصر الأيوبي، مثل الزكاة والخراج والجزية، وكانت لهذه الموارد (الإيرادات) أوجه صرف محددة، ومن ثم لم تكن كافية لتغطية نفقات الدولة المختلفة، الأمر الذي جعل الدولة تقوم بفرض ضرائب وأموال (إيرادات غير شرعية) على أنواع التجارة وبعض الأراضي الزراعية، والتي شكلت رافداً كبيراً لبيت مال الدولة جعلتها تلبي حاجات الدولة المتنوعة ونفقاتها المختلفة، مثل مرتبات الجند والموظفين، ونفقات المصالحات وشراء الأسلحة، وبناء المرافق العامة العسكرية والدينية والمدنية، والإنفاق على الولائم والاحتفالات، وبناء القصور الخاصة بالسلطين والأمراء، وغيرها الكثير من الإنفاقات الأخرى، مع بقاء الكثير من الأموال في خزانة الدولة التي لم يتم استغلالها في الأوجه الاقتصادية المناسبة والتي تعود بالفائدة على المجتمع اليمني .



## الملاحق

**الملحق الأول : الأشكال :**

**شكل رقم (١) : بنو أيوب في اليمن (١)**

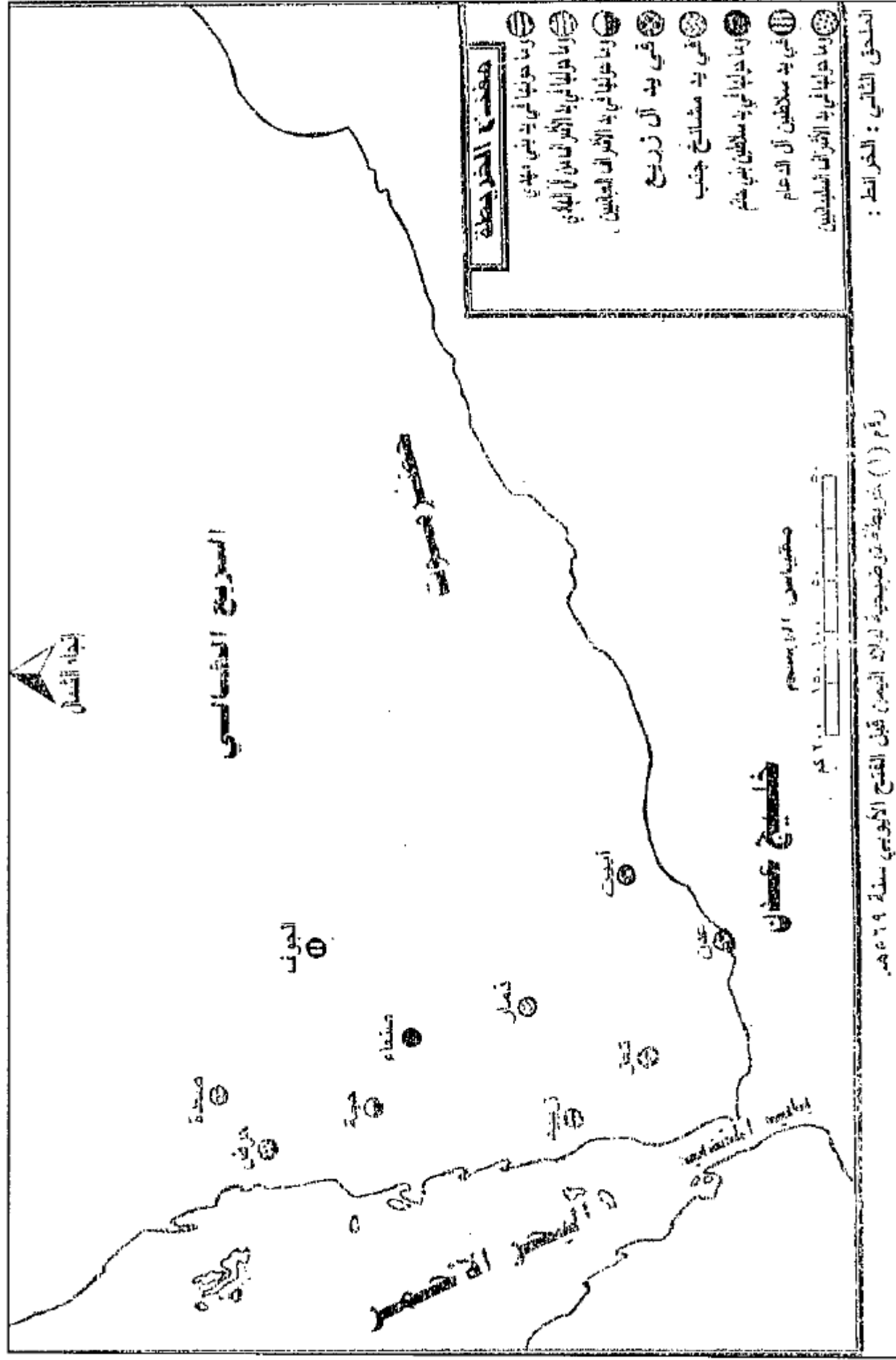
**نجم الدين أبو الشكر أيوب**

العادل أبوبكر سيف الدين ت: ٦١٥ هـ	الناصر صلاح الدين يوسف ت: ٥٨٩ هـ	٢- سيف الإسلام طفتكين ت: ٥٩٢ هـ	١- شمس الدولة توران شاه ت: ٥٧٦ هـ	شاهنشاه الأول نورالدين ت: ٥٤٢ هـ
الأمنم ميسى ت: ٦٢٥ هـ	الكامل محمد ت: ٦٢٥ هـ	٢- المعز إسماعيل ت: ٥٩٨ هـ	٤- الناصر أيوب ت: ٦١١ هـ	المظفر الأول ممرلقي الدين
٦- المسعود يوسف ت: ٦٢٦ هـ				شاهنشاه الثاني سعد الدين
				٥- الأمنم سليمان الصوفي

<p>هامش الوجه</p> <p>ضرب / بحوث / سنة / إحد / عشرة / ستمية.</p>	<p>الوجه</p> <p>في الوسط نجمة سداسية مقسمة إلى ستة أجزاء مستقلة: بسم الله / الرحمن ال / رحيم لا إله إلا / الله محمد ر / رسول الله علي / ولي الله.</p>	
<p>هامش الظهر</p> <p>ابن ر / رسول / الله / صلى / الله عليه / وآله.</p>	<p>الظهر</p> <p>في الوسط نجمة سداسية مقسمة إلى ستة أجزاء مستقلة: الإمام / المنصور / بالله أمير / المؤمنين / عبدالله بن / حمزة بن سليمن.</p>	

شكل رقم (٣) يوضح ماثورات الدراهم المنصورية (الدرهم الخفيف)

<p>هامش الوجه</p> <p>ضرب / بظفار / سنة / .... / .... ستمية.</p>	<p>الوجه</p> <p>في الوسط نجمة سداسية مقسمة إلى ستة أجزاء مستقلة: بسم الله / الرحمن ال / رحيم لا إله إلا / الله محمد ر / رسول الله علي / ولي الله.</p>	
<p>هامش الظهر</p> <p>ابن ر / رسول / الله / صلى / الله عليه / وآله.</p>	<p>الظهر</p> <p>في الوسط نجمة سداسية مقسمة إلى ستة أجزاء مستقلة: الإمام / المنصور / بالله أمير / المؤمنين / عبدالله بن / حمزة بن سليمن.</p>	

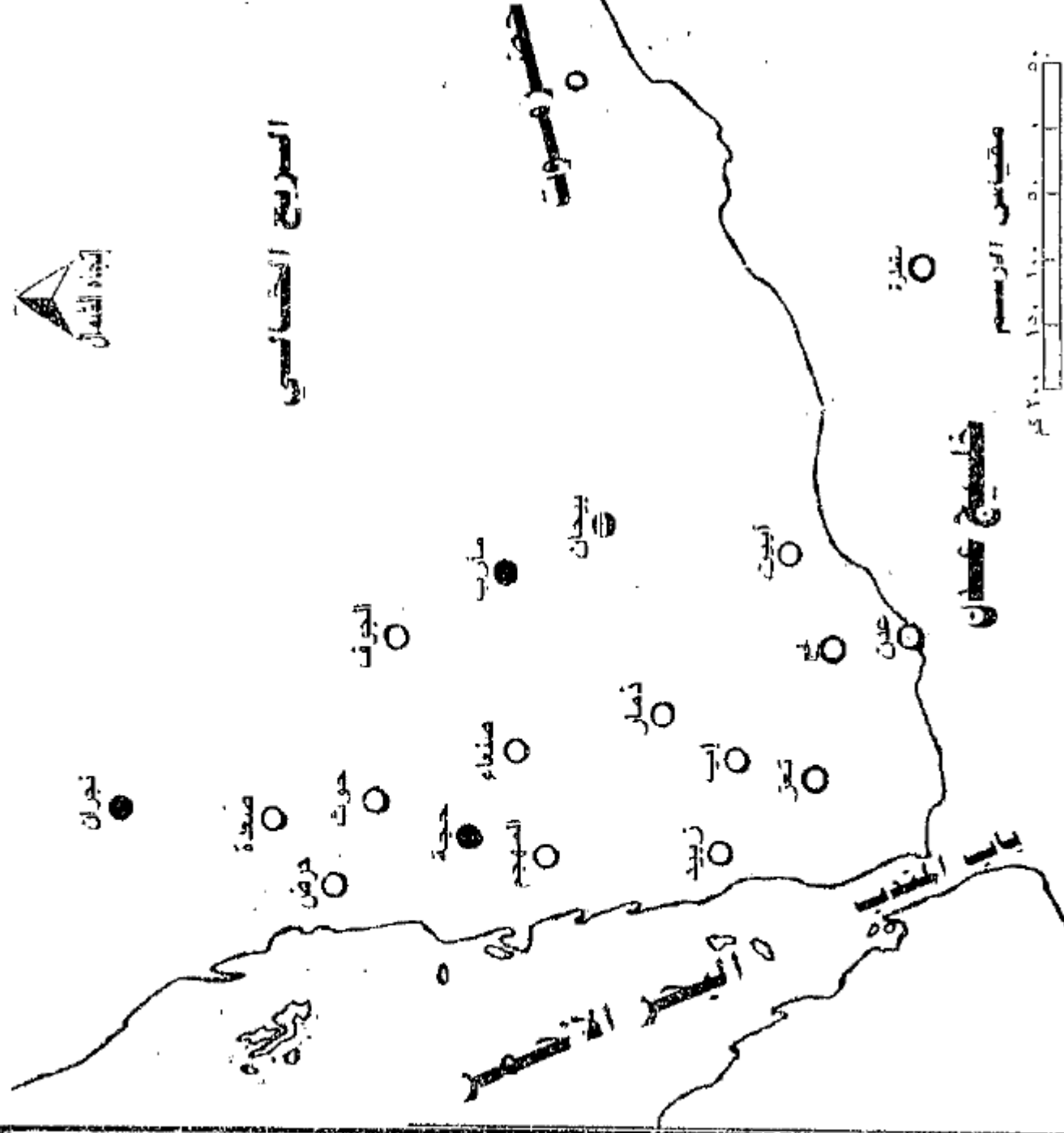








11-11-61



قصة الخياط

○ مناطق تحت نفوذ الدولة الأيوبية

مناطق تحت نفوذ الدولة الزيدية

## قائمة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم .

#### أولاً : المصادر المخطوطة:

- الأنف، عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبدالله (ت: ٨٧٢هـ):
  - ١- نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام في اليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار، مخطوط مصور، دار الكتب المصرية، القاهرة، ميكروفيلم، رقم (٢٢٥٣) .
  - الحجوري، يحيى بن سليمان بن أبي الحفيظ (ت: ٦٣٦هـ):
    - ٢- روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكت الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسرار، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ميكروفيلم، رقم (٤٣٦) .
    - الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت: ٨١٢هـ):
      - ٣- المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوطة مصورة، ط٢، نشر وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب ١/٦، صنعاء، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
      - الشرفي، أحمد بن محمد بن صلاح (ت: ١٠٥٥هـ):
        - ٤- اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية، مخطوط مصور، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ميكروفيلم، رقم (٥٨) .
        - اللحجي، مسلم بن محمد بن جعفر (ت: ٥٤٥هـ):
          - ٥- تاريخ مسلم اللحجي وطبقات مشاهير اليمن، مخطوط مصور بالمكتبة الخاصة بالدكتور محمد عبده السروري، رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة صنعاء .
        - مؤلف مجهول :
          - ٦- تاريخ اليمن، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٩٦٨) .
          - المحلي، الحسن حسام الدين حميد بن أحمد بن عبد الواحد الهمداني (ت: ٦٥٢هـ)
            - ٧- الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، مخطوطة مصورة، ج٢، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ١٩٨٢م .
          - المعلم وطبوط، حسين بن إسماعيل (ت: بعد ٨٠٠هـ):

٨- تاريخ المعلم وطيطوط، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير، صنعاء، رقم (١٧٣) .

• يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت: ١١٠٠هـ):

٩- إنباء أنباء الزمن في تاريخ اليمن، مخطوط بدار الكتب المصرية القاهرة، رقم (١٢٤) .

ثانياً: المصادر المطبوعة :

• ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ):

١٠- الكامل في التاريخ، تح: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

• أحمد بن يحيى (ت: ٣٢٥هـ):

١١- الخوارج طليعة التكفير في الإسلام (رسالة الرد على مسائل الإباضية)، تح: إمام حنفي سيد عبدالله، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

• ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت: ٧٢٩هـ):

١٢- معالم القرية في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه: روبن ليوي، مكتبة المثني، القاهرة، ج١، د٠ ت .

• الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز (ت: في القرن السادس الهجري):

١٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مؤسسة الثقافة الدينية، القاهرة، د٠ ت .

• ابن الأزرقي، أبو عبدالله (ت: ٨٩٦هـ):

١٤- بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م .

• الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله (ت: حوالي ٢٥٠هـ):

١٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي صالح ملس، مكة المكرمة، ١٣٥٢هـ .

• الأشرف الرسولي، السلطان الملك الأشرف أبي العباس إسماعيل بن العباس الرسولي (ت: ٨٠٣هـ):

١٦- فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر والزمن، (الباب الخامس)، دراسة وتح: علي حسن علي معيلي، رسالة دكتوراه، جامعة تونس، تونس، ٢٠٠٤-٢٠٠٥ م .

• الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٣٣٠هـ):

١٧- مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩ م .

• الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت: ٣٤٦هـ):

١٨- مسالك الممالك، تح: محمد جابر عبدالعال ومحمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ/١٩٦٠ م .

• الأهدل، بدر الدين أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن محمد (ت: ٨٥٥هـ):

١٩- تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، منشورات المدينة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦ م .

٢٠- كشف القناع في معرفة أحكام الزراعة، تح: عبدالله محمد الحبشي، مجلة الإكليل، العدد (١)، صنعاء، ١٩٨٠ م .

• بافقيه، محمد بن عمر الطيب (ت: بعد سنة ١٠٤٠هـ):

٢١- تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٩هـ/١٩٩٩ م .

• بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت: ٩٤٧هـ):

٢٢- تاريخ ثغر عدن، ط٢، دار الجيل، بيروت / دار عمار، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧ م .

٢٣- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دراسة وتح: عبدالرحمن محمد جيلان الصغير، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م .

• البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل ابن المغيرة (ت: ٢٥٦هـ):

٢٤- صحيح البخاري، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١١هـ/١٩٩١ م .

• البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن (ت: ٩٠٤هـ):

- ٢٥- طبقات صلحاء اليمن المعروف بـ (تاريخ البريهي)، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت: ٧٧٩هـ):
- ٢٦- رحلة ابن بطوطة المسماة بـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
- البغدادي، صفي الدين (ت: ٧٣٩هـ):
- ٢٧- مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح وتعليق: علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، حلب، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .
- البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت: ٤٢٩هـ):
- ٢٨- الفرق بين الفرق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .
- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت: ٤٨٧هـ):
- ٢٩- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م .
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ):
- ٣٠- فتوح البلدان، بإشراف لجنة التراث، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت: ٨٧٤هـ):
- ٣١- النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م .
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت: ٧٢٨هـ):
- ٣٢- الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، تح: الشيخ إبراهيم رمضان، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢م .
- الثقفى، سليمان بن يحيى (كان حياً في منتصف القرن السادس الهجري):
- ٣٣- سيرة الإمام أحمد بن سليمان (٥٣٢-٥٦٦هـ)، تح: عبدالغني محمود عبد العاطي، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م .

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٢٥هـ):
  - ٣٤- العثمانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م .
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت: ٦١٤هـ):
  - ٣٥- رحلة ابن جبير المسماة بـ (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار)، ط١، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ):
  - ٣٦- التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م .
- ابن جرير الصنعاني، إسحاق بن يحيى (ت: ٤٥٠هـ):
  - ٣٧- تاريخ صنعاء، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة السنعاني، صنعاء، د . ت .
- الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: ٧٣٢هـ):
  - ٣٨- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد الياضي (ت: ٧٠٣هـ):
  - ٣٩- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سمث، ط لندن، ١٩٧٤م .
- الحمادي، محمد بن مالك بن أبي القبائل (ت: ٤٧٠هـ):
  - ٤٠- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، القاهرة، ١٩٣٩م .
- الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله (ت: ٧١٤هـ):
  - ٤١- تاريخ اليمن (من كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار)، دراسة وتح: عبدالمحسن مدعج المدعج، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٩٢م .
- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت: حوالي القرن الثامن):
  - ٤٢- الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تح: إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م .
- الحميري، نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣هـ):
  - ٤٣- الحور العين، تح: كمال مصطفى، دار أزال، بيروت، ١٩٨٥م .

٤٤- منتخبات في أخبار اليمن من (كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

• الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت: ٨٧٦هـ):

٤٥- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تح: ناظم رشيد، بغداد، ١٩٧٩م .

• ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل محمد النصيبي (ت: ٣٦٧هـ):

٤٦- صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م .

• ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: في حدود ٣٠٠هـ):

٤٧- المسالك والممالك، تح: دي جويه م . ي، لندن، ١٩٨٩م .

• الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت: ٨١٢هـ):

٤٨- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن، دراسة وتح: مطهر حمود، رسالة

ماجستير، جامعة بغداد، بغداد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م .

٤٩- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، عنى بتصحيحه، محمد بسيوني عسل

مط الهلال، القاهرة، ١٢٣٩هـ/١٩١١م .

• ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت: ٨٠٨هـ):

٥٠- تاريخ ابن خلدون المسمى بـ (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، مؤسسة جمال للطباعة

والنشر، بيروت، د . ت .

٥١- مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبدالواحد وافي، ط٣، دار النهضة بمصر،

القاهرة، ١٤٠١هـ .

• ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ):

٥٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه وعلق عليه ووضع فهرسه: محمد

محي الدين عبدالحميد، ط١، ١٣٦٧هـ .

• ابن دعثم، أبو فراس بن دعثم الصنعاني (ت: ٦١٤هـ):

٥٣- السيرة المنصورية (سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ٥٩٣-

٦١٤هـ)، تح: عبدالغني محمود عبدالعاطي، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت،

١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

- ابن الديبع، وجيه الدين عبدالرحمن بن علي الشيباني(ت: ٩٤٤ هـ):
  - ٥٤- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٩ م .
  - ٥٥- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تح: محمد بن علي الأكوع، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
  - ٥٦- الفضل المزيّد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م .
  - ٥٧- نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، صنفه: أحمد راتب حموس، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ١٤١٣هـ- / ١٩٩٢م .
- الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داؤد(ت: ٢٨٢هـ):
  - ٥٨- الأخبار الطوال، قدم له ووثق نصوصه ووضع حواشيه، عصام محمد الحاج علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .
- الرازي، أحمد بن عبدالله(ت : ٤٦٠هـ):
  - ٥٩- تاريخ مدينة صنعاء، تح ودراسة: حسين عبدالله العمري، ط٣، دار الفكر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
- الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر(ت: ٦٠٦هـ):
  - ٦٠- مختار الصحاح، تح وضبط: حمزة فتح الله، ترتيب: محمود خاطر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
- الربيعي، مفرح بن أحمد(كان حياً في القرن الخامس الهجري):
  - ٦١- سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد إبن جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني، تح: رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، ط١، بيروت، ١٩٩٣م .
- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر(كان حياً سنة ٢٩٠هـ):
  - ٦٢- الأعلام النفيسة، مطبريل ليدن، هولنده، ١٨٩١م .
- ابن رسول، السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف(ت: ٦٩٦هـ):



- ٦٣- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تح: ك . سترستين، ط٢، دار التوير، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- ٦٤- ملح الملاحة في معرفة الفلاحة، نسخه وعلق عليه: محمد عبدالرحيم جازم، مجلة الإكليل، العدد(١)، السنة الثانية، ١٩٨٥م .
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى(ت: ١٢٠٥هـ):
- ٦٥- تاج العروس في شرح القاموس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٠٦-١٣٠٧هـ .
- الزبيدي، أبو عبدالله مصعب بن عبدالله بن مصعب(ت: ٢٣٦هـ):
- ٦٦- نسب قریش، ط٣، القاهرة، د.ت .
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ):
- ٦٧- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مط العاني، بغداد، د.ت .
- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب(ت: ٧٧١هـ):
- ٦٨- معيد النعم ومبيد النقم، تح: محمد علي النجار وآخرون، ط٢، مط الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م .
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم(ت : ٢٢٤هـ):
- ٦٩- الأموال، ط١، بيروت، ١٩٨١م .
- ابن سمره الجعدي، عمر بن علي بن سمره(ت: ٥٨٦هـ):
- ٧٠- طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م .
- السويدي البغدادي، أبو الفور محمد أمين(لايوجد له تاريخ وفاة):
- ٧١- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م .
- أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل(ت: ٦٦٥هـ):
- ٧٢- الروضتين في أخبار الدولتين، تح: محمد حلمي ومحمد مصطفى زيادة، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦٢م .
- الشرجي، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف(ت : ٨٩٣هـ):

- ٧٣- طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ط١، الدار اليمنية للنشر والتوزيع / دار المناهل للطباعة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
- الشلبي، جمال الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد الحسيني (ت: ١٠٩٣هـ):
  - ٧٤- المشرع الروي في مناقب السادة آل بني العلوي، القاهرة، ١٣١٩هـ .
  - شنبل، أحمد بن عبدالله (ت: ٩٢٠هـ):
  - ٧٥- تاريخ حضرموت المعروف بـ تاريخ شنبل، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة صنعاء الأثرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
  - الشهرستاني، محمد عبدالكريم ابن أبي أحمد (ت: ٥٤٨هـ):
  - ٧٦- الملل والنحل، دار الفكر، بيروت، د. ت .
  - الشيزري، عبدالرحمن بن عبدالله بن نصر بن عبدالرحمن (ت: ٥٨٩هـ):
  - ٧٧- المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تح ودراسة: علي عبدالله المؤسني، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
  - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ):
  - ٧٨- تاريخ الأمم والملوك، راجعه وقدم له وأعد فهرسه: نواف الجراح، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
  - الطرطوشي، أبوبكر محمد بن محمد بن الوليد (ت: ٥٢٠هـ):
  - ٧٩- سراج الملوك، ط١، القاهرة، ١٩٣٥م .
  - ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبدالسلام بن الحسن (ت: ٦١٧هـ):
  - ٨٠- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، جمع وتح: أيمن فؤاد سيد، شتوتغارت، فرانكس شتايز، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
  - العامري، يحيى بن أبي بكر محمد بن يحيى (ت: ٨٩٣هـ):
  - ٨١- غربال الزمان في وفيات الأعيان، صححه وعلق عليه: محمد ناجي زعبي العمر، الإشراف: عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، دار الخير، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
  - ابن عدي، أبو عمر أحمد بن محمد (ت: ٣٢٨هـ):
  - ٨٢- العقد الفريد، تح: محمد سعيد العريان، دار الفكر، لبنان، بيروت، د. ت .
  - عبدالله بن حمزة، الإمام المنصور بالله (ت: ٦١٤هـ):

- ٨٣- الشافعي، تقديم: مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، مج ١، ج ١، ط ١، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ٨٤- المجموع المنصوري (١) العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين، تح: عبدالسلام بن عباس الوجيه، ط ١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .
- ٨٥- المجموع المنصوري (٢)، مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، ج ١، ج ٢، تح: عبدالسلام بن عباس الوجيه، ط ١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .
- ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبد الباقي بن عبدالمجيد اليماني (ت: ٧٤٤هـ):
- ٨٦- تاريخ اليمن المسمى (بهجة الزمن في تاريخ اليمن)، تح: عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، ط ١، دار الحكمة اليمنية، صنعاء، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ٨٧- تاريخ اليمن المسمى (بهجة الزمن في تاريخ اليمن)، تح: مصطفى حجازي، ط ٢، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٥م .
- العلوي، علي بن محمد بن عبدالله بن عبيدالله العباسي (ت: ٣١٠هـ):
- ٨٨- سيرة الإمام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين، تح: سهيل زكار، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- عمارة، نجم الدين عمارة بن علي اليميني (ت: ٥٦٩هـ):
- ٨٩- تاريخ اليمن المسمى (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها)، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط ٣، المكتبة اليمنية، صنعاء، ١٩٨٥م .
- الفاسي المكي، أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني (ت: ٨٣٢هـ):
- ٩٠- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: محمد حامد الفقهي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م .
- الفراء، أبو يعنى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت: ٤٥٨هـ):
- ٩١- الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقهي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ):
- ٩٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (القسم الخاص بمملكة اليمن)، تح وتقديم: أيمن فؤاد سيد، دار الإعتصام، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ابن الفقيه الهمداني، أبوبكر أحمد بن محمد (ت: نحو ٢٨٩هـ):
- ٩٣- مختصر كتاب البلدان، ط ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٥٥ م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت: ٨١٦هـ):
- ٩٤- القاموس المحيط، تح: مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٦، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م.
- القاضي، النعمان بن محمد (ت: ٣٦٣هـ):
- ٩٥- رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية)، ط٢، دار المنتظر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ):
- ٩٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.
- ٩٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق: نبيل الخطيب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.
- ٩٨- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، حققه وقدم له ووضع فهرسه: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣ م.
- الكبيسي، محمد بن إسماعيل بن محمد (ت: ١٣٠٨هـ):
- ٩٩- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، حققه وضبط نصه وعلق عليه: (أبو إحسان) خالد أبا زايد الأذرعي، ط١، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ):
- ١٠٠- تفسير القرآن العظيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ):
- ١٠١- الأحكام السلطانية الولايات الدينية، دار الفكر، بيروت، د. ت.

- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت: بعد ٦٢٦هـ):
- ١٠٢- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة بـ (تاريخ المستبصر)، أعتنى بتصحيحها: أوسكر لوفجرين، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ):
- ١٠٣- التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م .
- ١٠٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح وتقديم: مصطفى السيد بن أبي ليلى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٠م .
- المقدسي، أبو زيد أحمد بن سهل البلخي وهو المطهر بن طاهر (ت: ٥٠٧هـ):
- ١٠٥- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د . ت .
- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٣٨٠هـ):
- ١٠٦- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: دي جويه م . ي، ليدن، ١٩٠٦م .
- المقرئ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت: ٨٥٤هـ):
- ١٠٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: مصطفى زيادة، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م .
- ١٠٨- الطرف الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة، عني بنشره: فوسكوي، بون، ١٩٥٥م .
- ١٠٩- المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار، تح: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
- ابن المقفع، أبو محمد عبدالله بن روزبه بن داؤويه (ت: ١٤٢هـ):
- ١١٠- الأدب الكبير والأدب الصغير ورسالة الصحابة، أشرف على طبعه: عمر أبو النصر، ط١، دار التوفيق، بيروت، ١٩٧٨م .
- الملك الأفضل، العباس بن علي بن رسول (ت: ٧٧٨هـ):
- ١١١- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، دراسة وتح: عبدالواحد عبدالله الخامري، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م .
- الملك المظفر، يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت: ٦٩٤هـ):

- ١١٢- المخترع في فنون من الصنع، دراسة وتح: محمد عيسى صالحية، ط١، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٨٩م .
- ١١٣- المعتمد في الأدوية المفردة، تح وتصحيح وفهرسة: مصطفى السقا، دار القلم، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت: ٧١١هـ):
- ١١٤- لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصاوي العبيدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م .
- مؤلف مجهول(ت: ٨٤٠هـ):
- ١١٥- تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي، مط الكاتب العربي، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .
- مؤلف مجهول(ت: ----):
- ١١٦- حواشي يمانية، تح: عبدالله محمد الحبشي، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية العربية اليمنية، د.ت .
- المؤيد الشهابي، جمال الدين علي بن عبدالله(ت: ١١٦١هـ):
- ١١٧- المنشورات الجلية في أخبار الدولة الرسولية، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٣م .
- ١١٨- نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، تح: محمد عبدالرحيم جازم، ط١، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٣م .
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب(ت: ٧٣٣هـ):
- ١١٩- نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: علي محمد البجاوي، المكتبة العربية، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب(ت: ٣٦٠هـ):
- ١٢٠- الإكليل، ج١، ج٢، تح وتعليق: محمد بن علي الأكوع، ط٣، دار التوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

١٢١- الإكليل، ج٨، حرره وعلق على حواشيه: نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت، د.ت.

١٢٢- الإكليل، ج١٠، تح: محمد بن علي الأكوع، ط١، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م؛ وج١٠، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

١٢٣- الجوهريين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تح وتقديم: كريستوفر تول: ط٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، مشروع الكتاب ٣/١٥، ١٩٨٥م.

١٢٤- صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، أشرف على طبعه: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، د.ت.

• ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ):

١٢٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ج٢، ج٣، تح: جمال الدين الشيال، دار العلم، القاهرة، د.ت. وج٤، تح: حسنين محمد ربيع، وراجعاه وقدم له: سعيد عبدالفتاح عاشور، مط دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.

• الوصابي، وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحبشي (ت: ٧٨٢هـ):

١٢٦- تاريخ وصاب المسمى بـ (الإعتماد في التواريخ والآثار)، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

• ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ):

١٢٧- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٨٧٠م.

• يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت: ١١٠٠هـ):

١٢٨- غاية الأمان في أخبار قطر اليماني، تح وتقديم: سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

• اليعقوبي، أحمد بن أبو يعقوب بن جعفر بن وهب (ت: ٢٤٠هـ):

١٢٩- تاريخ اليعقوبي، تح: عبدالأمير مهنا، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- أبو يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ):
- ١٣٠- كتاب الخراج، تح: إحسان عباس، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٥م.
- ثالثاً: المراجع العربية والمعرّبة:
- ١- الكتب:
- إبراهيم أنيس وآخرون:
- ١٣١- المعجم الوسيط، ط١، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- أحمد أمين:
- ١٣٢- ضحى الإسلام، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.
- ١٣٣- فجر الإسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.
- أحمد حسين شرف الدين:
- ١٣٤- تاريخ اليمن الثقافي، ط١٠، مط الكيلاني الصغير، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- ١٣٥- اليمن عبر التاريخ، ط١، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- أحمد وصفي زكريا:
- ١٣٦- رحلتي إلى اليمن، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- إدجار أوبالانس:
- ١٣٧- اليمن الثورة والحرب، ترجمة: عبد الخالق محمد لاشيد، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.
- آدم ميتز:
- ١٣٨- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط٤، بيروت، ١٩٦٧م.
- الأفغاني، سعيد:
- ١٣٩- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، بيروت، ١٩٧٤م.
- الأكوع، إسماعيل بن علي:
- ١٤٠- أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١٤١- البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت / مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.



- ١٤٢- المدارس الإسلامية في اليمن، منشورات جامعة صنعاء، صنعاء،  
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- ١٤٣- هجر العلم ومعاقله، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت/ دار الفكر، دمشق،  
١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
- الأكوخ، محمد بن علي:
- ١٤٤- اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط١، مط السعادة، القاهرة،  
١٣٩١هـ/١٩٧٢م .
- الألوسي، محمود شكري:
- ١٤٥- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وضبط وتصحيح: محمد بهجة  
الأثري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣١٤هـ .
- أيمن فؤاد سيد(الدكتور):
- ١٤٦- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي  
للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م .
- ١٤٧- تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، ط١،  
الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- البار، محمد علي:
- ١٤٨- سقطرى الجزيرة السحرية، ط١، مكتبة العصر الحديث، بيروت،  
١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
- الباشا، حسن(الدكتور):
- ١٤٩- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة،  
١٩٧٨م .
- بامطرف، محمد عبدالقادر :
- ١٥٠- الشهداء السبعة، مط، الجمهورية، منشورات دار الحرية، بغداد، ١٩٧٤م .
- بتروفسكي، م . ب:
- ١٥١- تاريخ اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تعريب: محمد محمد  
الشعبي، ط١، بيروت، ١٩٨٧م .

- البكري، صلاح :
- ١٥٢- تاريخ حضرموت السياسي، القاهرة، ١٩٤٩م .
- البيحاني، محمد بن سالم:
- ١٥٣- أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، مط المدني، القاهرة، د . ت .
- بيضاتي، إيمان أحمد عوض(الدكتوراه):
- ١٥٤- الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية في اليمن في صدر الإسلام، ط١، دار الفكر العربي، مصر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .
- تسترستين:
- ١٥٥- دائرة المعارف الإسلامية، ط طهران، توما، أميل، د . ت .
- تول، كرسنوفر:
- ١٥٦- مصطلحات عربية في المعايير والأوزان من كتاب الجوهريين العتيقين للهمداني، ضمن كتاب أوراق في تاريخ اليمن وأثاره، بحوث ومقالات، ترجمة: يوسف محمد عبدالله، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
- الثور، عبدالله أحمد:
- ١٥٧- هذه هي اليمن، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م .
- الجابري، محمد عابد:
- ١٥٨- بنية العقل العربي، ط٣، بيروت، ١٩٩٠م .
- جارالله، عبدالرحمن حسن(الدكتور):
- ١٥٩- ذي السفال مدينة الآثار الإسلامية، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
- جاك، س، ريسنر:
- ١٦٠- الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، القاهرة، د . ت .
- جرادة، محمد سعيد:
- ١٦١- الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور، ١٩٨٥م .
- الجرافي، عبدالله الكريم :

- ١٦٢- المقتطف من تاريخ اليمن، تقديم: إلياس عبود، ط٢، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤م .
- جميل حرب محمود حسين:
- ١٦٣- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ط١، نشر تهامة، مط سحر، جده، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- جواد علي:
- ١٦٤- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٦م .
- جوبان، محمد محفوظ:
- ١٦٥- اليمن والخوارج حتى نهاية العصر الأموي، ط١، دار الثقافة العربية، الشارقة، ٢٠٠٢م .
- ابن الحاج، أبو عبدالله محمد بن العبدري:
- ١٦٦- المدخل الى الشرع الشريف، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨١م .
- الحبشي، عبدالله محمد:
- ١٦٧- حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، ط٢، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٠م .
- الحجري، محمد بن أحمد:
- ١٦٨- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تح: إسماعيل بن علي الأكوع، ط٢، دار الحكمة، صنعاء، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
- ١٦٩- مساجد صنعاء، ط٢، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- الحداد، عبدالله عبدالسلام:
- ١٧٠- مدينة حيس اليمنية تاريخها وأثارها الدينية، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
- الحداد، محمد يحيى :
- ١٧١- التاريخ العام لليمن (السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن)، ط١، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
- الحديثي، نزار عبداللطيف:

- ١٧٢- أهل اليمن في صدر الإسلام (دورهم واستقرارهم في الأمصار)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د . ت .
- الحريري، محمد عيسى:
- ١٧٣- الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٣١٧هـ/١٩٩٧م .
- حسن إبراهيم حسن (الدكتور):
- ١٧٤- اليمن البلاد السعيدة، دار المعارف، القاهرة، د . ت .
- حسن سليمان محمود:
- ١٧٥- تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، ط١، بغداد، ١٩٦٩م .
- حسنين محمد ربيع:
- ١٧٦- النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، مط جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٦٤م .
- حسين الحاج حسن:
- ١٧٧- النظم الإسلامية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٧م .
- الحضرمي، عبدالرحمن عبدالله أحمد صالح:
- ١٧٨- تهامة في التاريخ، ط١، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٥م .
- حلاق، حسان:
- ١٧٩- مدن وشعوب إسلامية، دار الراتب الجامعية، سوفانير، د . ت .
- حمّاد، أسامة أحمد (الدكتور):
- ١٨٠- مظاهر الحضارة في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول)، ط١، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
- حوراني، جورج فضلو:
- ١٨١- العرب والملاحاة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة: السيد يعقوب بكر، مط دار الكتاب العربي، منشورات مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٥٨م .

- الخربوطلي، حسن:
- ١٨٢- الإسلام وأهل الذمة، القاهرة، ١٩٦٩ م .
- الخضري، محمد (الدكتور):
- ١٨٣- الدولة الأموية، مكتبة الإيمان، القاهرة، د . ت .
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم:
- ١٨٤- معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،  
١٤١٦هـ/١٩٩٦ م .
- خليفة، ربيع حامد (الدكتور):
- ١٨٥- الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، ط١، الدار المصرية اللبنانية،  
القاهرة، ١٩٩٢ م .
- الدمياطي، محمود مصطفى:
- ١٨٦- معجم أسماء النبات الواردة في تاج العروس للزبيدي، الدار المصرية للتأليف  
والنشر، ١٩٦٦ م .
- دهمان، محمد أحمد:
- ١٨٧- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت /  
دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠ م .
- الدوري، عبدالعزيز:
- ١٨٨- مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ط٥، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٧ م .
- الريحاوي، عبد القادر (الدكتور):
- ١٨٩- العمارة في الحضارة الإسلامية، مركز النشر العلمي، ط١، جامعة الملك  
عبد العزيز، جدة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠ م .
- الرئيس، محمد ضياء الدين:
- ١٩٠- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط٤، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧ م .
- زكار، سهيل:
- ١٩١- الجامع في أخبار القرامطة، ط٣، دار حسان، دمشق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م .
- الزهراني، ضيف الله بن يحيى والرفاعي، طلال بن جميل:

١٩٢- وثائق تعليمية من عصر الدولة الرسولية: وثيقتا مدرسة السلطان الأشرف (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) والسلطان الظاهر (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٩م)، مط بهادر، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

• الزهراني، محمد بن مسفر:

١٩٣- نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية، ط٢، مط المدني، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

• زيتون، عادل:

١٩٤- العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

• أبو زيد، طه أحمد:

١٩٥- إسماعيل المقري (حياته وشعره)، ط مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء / دار الآداب، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

• سامح عبدالرحمن فهمي (الدكتور):

١٩٦- المكايل في صدر الإسلام، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د. ت.

١٩٧- الوحدات النقدية المملوكية (عصر المماليك البحرية)، ط١، جدة، ١٩٨٣م.

• السروري، محمد عبده محمد (الدكتور):

١٩٨- تاريخ اليمن الإسلامي منذ قيام الدولة الصليحية حتى نهاية الدولة الأيوبية (٤٢٩-٦٢٦هـ)، ط٢، مكتبة خالد بن الوليد وعالم الكتب اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٣م.

١٩٩- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة (٤٢٩-٦٢٦هـ)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

• سعاد ماهر (الدكتورة):

٢٠٠- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

• السقا، أحمد حجازي:

٢٠١- تاريخ اليمن القديم (من إبراهيم عليه السلام الى ظهور الإسلام)، ط١، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠٠٣م.

- السيد الباز العريني (الدكتور):  
٢٠٢- الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون)، دار النهضة العربية، بيروت،  
١٣٨٦هـ/١٩٩٧م.
- السيد عبدالعزيز سالم (الدكتور):  
٢٠٣- البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،  
١٩٩٣م.
- السيد عبدالعزيز سالم، والعبادي، أحمد مختار:  
٢٠٤- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م.
- سيد مصطفى سالم (الدكتور):  
٢٠٥- تكوين اليمن الحديث، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية،  
القاهرة، ١٩٦٣م.
- الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد (الدكتور):  
٢٠٦- تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، ط٤، ٢٠٠٢م.
- ٢٠٧- النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأة، ط١، دار الفكر، دمشق،  
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الشرباحي، أحمد رضا:  
٢٠٨- المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، ١٩٨١م.
- الشرجبي، قائد نعمان:  
٢٠٩- القرية والدولة في المجتمع اليمني، ط١، دار التضامن، بيروت، ١٩٩٠م.
- الشعبيني، محمد مصطفى (الدكتور):  
٢١٠- اليمن الدولة والمجتمع، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- شلبي، أحمد (الدكتور):  
٢١١- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٩، مكتبة النهضة  
المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الشماحي، عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد:

٢١٢- اليمن الإنسان والحضارة، ط٣، منشورات المدينة، بيروت،  
١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

• الشمري، محمد كريم إبراهيم(الدكتور):

٢١٣- عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية(٤٧٦-٦٢٧هـ)، ط٢، إصدار  
جامعة عدن، عدن، ٢٠٠٤م .

• شهاب، حسن صالح(الدكتور):

٢١٤- أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م .

٢١٥- عدن فرضة اليمن، ط٢، مركز الشرعي للطباعة والنشر، صنعاء ، ١٩٨٩م .

٢١٦- فن الملاحة عند العرب، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٨٤م .

• شيحة، مصطفى(الدكتور):

٢١٧- مدخل الى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة،  
١٩٨٧م .

• الصايدي، أحمد قائد(الدكتور):

٢١٨- المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت  
/دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

• ضومط، أنطوان خليل:

٢١٩- الدولة المملوكية(التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري)، ط دار الحداثة،  
بيروت، ١٩٨٠م .

• طرخان، إبراهيم علي:

٢٢٠- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتب العربي،  
القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

• عاشور، سعيد عبدالفتاح:

٢٢١- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، القاهرة، ١٩٦٢م .

• العبدلي، أحمد بن فضل بن علي بن محسن:

٢٢٢- هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،  
١٤١٨هـ/١٩٩٧م .



- عبد المنعم ماجد (الدكتور):  
٢٢٣- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، منشورات دار المعارف،  
القاهرة، ١٩٦٨م.
- العرشي، حسين بن أحمد:  
٢٢٤- بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، مط،  
البريتيري، القاهرة، ١٩٣٩م.
- العزي، عبدالله بن حمود:  
٢٢٥- عرض لحياة وآثار الإمام المنصور عبدالله بن حمزة (٥٦١-٦١٤هـ)،  
ط مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- عسيري، محمد بن علي مسفر:  
٢٢٦- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٥٩-  
٦٢٦هـ)، ط١، دار المدني، جدة، ١٩٨٥م.
- العطار، محمد سعيد (الدكتور):  
٢٢٧- التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، مط الوطنية الجزائرية، ١٩٦٥م.
- العقيلي، محمد بن أحمد بن عيسى (الدكتور):  
٢٢٨- تاريخ المخلاف السليماني أو (الجنوب العربي في التاريخ)، مط الرياض،  
١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.
- أبو العلاء، محمود طه (الدكتور):  
٢٢٩- جغرافية شبه جزيرة العرب، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.
- علي محمد زيد (الدكتور):  
٢٣٠- تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، ط١، المركز الفرنسي  
للدراسات اليمنية، صنعاء، ١٩٩٧م.
- العودي، حمود صالح (الدكتور):  
٢٣١- المجتمع اليمني، ط١، جامعة عدن، عدن، ١٩٨٦م.
- ٢٣٢- المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي، دراسة عن المجتمع  
اليمني، ط٢، ١٩٨٩م.

- أبو غانم، فضل علي أحمد (الدكتور):  
٢٣٣- البنية القبلية في اليمن بين الإستمرار والتغيير، ط٢، دار الحكمة اليمنية، صنعاء، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- ٢٣٤- القبيلة والدولة في اليمن، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
- غزالي، نصارى فهمي محمد:  
٢٣٥- المظاهر السياسية والحضارية في اليمن على العهد الأيوبي، كلية الدراسات العربية، جامعة ألمنيا، ١٩٩٣م .
- الفقهي، عصام الدين عبدالرؤوف (الدكتور):  
٢٣٦- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت .
- ٢٣٧- اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م .
- فلهاوزن، يوليوس:  
٢٣٨- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمه عن الألمانية: عبدالرحمن بدوي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨م .
- فنستر بربرارة:  
٢٣٩- تقارير أثرية حول بعض المباني الإسلامية في اليمن، ترجمة: عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي، المعهد الألماني للآثار بصنعاء، صنعاء، ١٩٨٢م .
- كلود كاهن:  
٢٤٠- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية من ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، نقله الى العربية: بدر الدين القاسم، ط١، دار الحقيقة للطباعة، بيروت، ١٩٧٢م .
- لقمان، حمزة علي إبراهيم:  
٢٤١- تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠م .
- ٢٤٢- تاريخ القبائل اليمنية، ط١، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- محمد أمين صالح:

٢٤٣- تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة (عصر الولاة)، ط١، مط الكيلاني، القاهرة، ١٩٨٥م .

٢٤٤- النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، ط١، نشر مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

• مادلوج، و . ف .:

٢٤٥- أصول الهجرة اليمنية (من كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي)، ترجمة وتقديم: نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، د . ت .

• محمد حسين:

٢٤٦- قلب اليمن، ط١، بغداد، ١٩٤٧م .

• محمد عبدالعال أحمد (الدكتور):

٢٤٧- الأيوبيون في اليمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م .

٢٤٨- بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدها (٦٢٨-٩٢٣هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م .

• محمود علي عامر:

٢٤٩- المكايل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني دراسة وثائقية، مط ابن حيان، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

• محيرز، عبدالله أحمد:

٢٥٠- الأعمال الكاملة (العقبة، صهاريج عدن، صيرة)، دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية وأبحاث متعمقة، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

٢٥١- صيرة (أبحاث متعمقة عن بعض معالم عدن ومرافقها الاقتصادية والعسكرية)، ط١، عدن، ١٩٩١م .

• المعجم الوجيز:

٢٥٢- مجمع اللغة العربية، ط وزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٤م .

٢٥٣- مقدمة في الآثار اليمنية، منشورات جامعة صنعاء، صنعاء، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

- المقحفي، إبراهيم بن أحمد:  
٢٥٤- معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط٢، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- مفلح، سالم فرج:  
٢٥٥- حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة / العاشر والسابع عشر للميلاد، بين الإباضية والمعتزلة (مشروع رؤية)، ط١، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٦م .
- ٢٥٦- المنجد في اللغة والأعلام، ط٤١، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٥م .
- المودودي، أبو الأعلى:  
٢٥٧- مسألة ملكية الأرض في الإسلام، ترجمة: محمد عاصم الحداد، ط٢، الكويت، ١٩٦٩م .
- موس، هـ . سانت . ل . ب:  
٢٥٨- ميلاد العصور الوسطى، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، راجعه: السيد الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م .
- الموسوي، السيد عبدالرسول:  
٢٥٩- الشيعة في التاريخ (١٠-١٤٢١هـ)، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م .
- الناصر، محمد حامد:  
٢٦٠- الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، ط١، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
- الناصري، علي حسين:  
٢٦١- النشاط التجاري في شبه جزيرة العرب أواخر العصور الوسطى، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١م .
- ناير، ل . أ:  
٢٦٢- الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيكلي، مراجعة: عبدالرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م .
- نعيم زكي فهمي:

٢٦٣- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م .

• نقولا زيادة:

٢٦٤- الجغرافيه والرحلات عند العرب، بيروت، ١٩٦٢م .

• نوره عبدالله العلي:

٢٦٥- الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ط١، الرياض، ١٩٩٢م .

• الهمداني، حسين بن فيض الله، ومحمود، حسن سليمان:

٢٦٦- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، دار المختار للطباعة، دمشق،  
١٩٥٥م .

• هنتس، فالتر:

٢٦٧- المكايل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل  
العسلي، مط، القوات المسلحة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م .

• الواسعي، عبدالواسع بن يحيى:

٢٦٨- تاريخ اليمن المسمى بـ(فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن)، مط  
حجازي، القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .

• و . بارتولد:

٢٦٩- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية  
العامة للكتاب، ١٩٩٦م .

• الويسي، حسين بن علي:

٢٧٠- اليمن الكبرى(كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي)، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء،  
١٤١٢هـ/١٩٩١م .

٢- الرسائل العلمية :

• أحمد، علي بن علي حسين:

٢٧١- النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر  
الأيوبي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

• السندي، عبدالعزيز بن راشد:

٢٧٢- المدارس الإسلامية وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ)، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

• العراشي، عبدالحكيم محمد ثابت:

٢٧٣- الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر يوسف بن عمر (دراسة سياسية وحضارية)، رسالة ماجستير، جامعة عدن، عدن، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

• عليان، محمد عبدالفتاح:

٢٧٤- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م .

• فرحان، عباس علوي حسين:

٢٧٥- بنو حاتم الهمدانيون (دراسة سياسية حضارية)، رسالة ماجستير، جامعة عدن، عدن، ٢٠٠٥م .

• قائد حميد عثمان :

٢٧٦- أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل دولة بني رسول (٦٢٦-٨٥٨هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة البصرة، البصرة، ٢٠٠٠م .

• الميسري، محمد عبدالله سعيد سالم:

٢٧٧- الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ودوره في إحياء الدولة الزيدية (٥٩٣-٦١٤هـ)، رسالة ماجستير، جامعة عدن، عدن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

• هُدَيل، طه حسين عوض:

٢٧٨- الحياة الاجتماعية في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، صنعاء، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م .

٣- البحوث والمقالات:

• البابا، محمد زهير:

٢٧٩- "اليمن والفلاحة العربية قبل الإسلام"، مجلة الإكليل، العدد (١)، صنعاء، يناير، ١٩٨٠م .

• بلعفير، محمد صالح (الدكتور):

- ٢٨٠- "العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية في عصر الدولتين الصليحية والزريعية (دراسة للمصادر المكتوبة والأثرية)"، مجلة اليمن، العدد (٢٥)، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .
- ٢٨١- "العملة والتداول النقدي بعدن في عهد الدولة الطاهرية"، مجلة سبأ، العدد (١٤-١٥)، دار جامعة عدن، عدن، ١٤٢٨هـ/يوليو ٢٠٠٧م .
- ٢٨٢- "مجموعات النقود الإسلامية وكنوزها في اليمن"، مجلة اليمن، العدد (٩)، مركز الدراسات والبحوث، جامعة عدن، عدن، ١٩٩٦م .
- ٢٨٣- "معطيات جديدة عن تاريخ اليمن الإسلامي: دراسة لتاريخ الدولتين الصليحية والزريعية من خلال المسكوكات"، مجلة العلوم الاجتماعية، (العدد الأول)، يونيو، ١٩٩٦م .
- الجرو، إسمهان سعيد (الدكتوراه):
- ٢٨٤- "تماذج من المحاصيل الزراعية في اليمن القديم"، مجلة سبأ، العدد (٨)، دار جامعة عدن، عدن، ٢٠٠٠م .
- ٢٨٥- "النهضة الزراعية في اليمن القديم"، مجلة سبأ، العدد (٧)، دار جامعة عدن، عدن، ١٩٩٨م .
- الحبشي، عبدالله محمد:
- ٢٨٦- "جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني"، مجلة الكلمة، العدد (٥١-٥٢)، صنعاء، ١٩٧٩م .
- الحسيني، عبدالمحسن :
- ٢٨٧- "الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد (٦-٧)، سنة ١٩٥٢-١٩٥٣م .
- الحضرمي، عبدالرحمن عبدالله أحمد صالح:
- ٢٨٨- "الدولة الرسولية والسبوت في زبيد"، مجلة اليمن الجديد، العدد (٦)، صنعاء، السنة السابعة، فبراير - مارس، ١٩٧٥م .
- ٢٨٩- "زبيد العاصمة الأولى لليمن بعد الإسلام (لمحات تاريخية - جغرافية - ثقافية)"، مجلة الحكمة، العدد (١٤)، يوليو، ١٩٧٢م .

- خليفة، ربيع حامد (الدكتور):  
٢٩٠- "توقعات الصناعات والفنانين على الآثار والفنون اليمنية الإسلامية"، مجلة الإكليل، العدد (٣-٤)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- ٢٩١- "مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء، دراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر الإسلامي"، مجلة الإكليل، العدد (٢)، صنعاء، ١٩٨٨م .
- الرعوي، عارف:  
٢٩٢- "إب سرّة اليمن وسجاداتها الخضراء"، مجلة الموقف، العدد (٥٦)، المركز العام للدراسات والبحوث والإصدار، محافظة إب، ٢٠٠٦م .
- زبال، سليم:  
٢٩٣- "عدن مدينة مبنية في فوهة بركان"، مجلة العربي، العدد (٦٨)، الكويت، ١٩٦٤م .
- الزهراني، ضيف الله يحيى:  
٢٩٤- "دار السكة نشأتها أعمالها إدارتها"، مجلة الدارة، العدد (٢)، السنة ٢٠، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .
- سيجر، كيرين اليزابيث:  
٢٩٥- "المرأة والتغيير في الجمهورية العربية اليمنية (دراسة نظرية)"، عرض وتعريب: عبدالوهاب المقالح، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٥)، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، ١٩٨٩م .
- السيف، عبدالله محمد:  
٢٩٦- "الصناعة في اليمن في العصر الأموي"، مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة التاسعة عشر، الرياض، أكتوبر - نوفمبر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
- شائف عبده سعيد (الدكتور):  
٢٩٧- "الحياة الاقتصادية في اليمن لدى الجغرافيين العرب في العصور الوسطى"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٤١)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .



٢٩٨- "الصراع الاجتماعي في اليمن في عهد الأيوبيين والرسوليين"، مجلة سبأ، العدد (٧)، دار جامعة عدن، عدن، ١٩٩٧م .

• الشاطر بصيلي:

٢٩٩- "الكارمية"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث عشر، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٧م .

• الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد(الدكتور):

٣٠٠- "زبيد بأقلام الرحالة(دراسة النصوص التي وردت عن زبيد في كتب الرحالة حتى منتصف القرن الثامن الهجري)"، مجلة كلية الآداب، العدد(١٢)، جامعة صنعاء، صنعاء، ١٩٩١م .

٣٠١- "القبائل الكهلانية ودورها في التاريخ اليمني الإسلامي"، بحث مقدم للندوة السنوية التي أقيمت بمركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، عدن، سنة ٢٠٠٣م .

• الشعبي، حسين عيظة:

٣٠٢- "مدينة صعدة عبر أطوار التاريخ"، مجلة الإكليل، العدد(١)، السنة التاسعة، صنعاء، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

• الشمري، محمد كريم إبراهيم(الدكتور):

٣٠٣- "الإجراءات الأمنية لحماية التجارة والتجار في ميناء عدن خلال العصر الأيوبي"، مجلة المؤرخ العربي، العدد(٤٥)، السنة الثامنة عشر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٣٠٤- "إنجازات الأيوبيين في تشجيع وحماية التجارة والتجار في عدن"، مجلة التراث، العدد(٤)، مركز البحوث والدراسات اليمني، عدن، يناير - مارس، ١٩٩٢م .

٣٠٥- "الإنجازات العمرانية لبني أيوب في عدن"، مجلة التراث، العدد(٥)، مركز البحوث والدراسات اليمني، عدن، أبريل، ١٩٩٢م .

٣٠٦- "الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسادس الهجري، دراسة تاريخية"، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٣٥)، السنة الرابعة عشر، بغداد، ١٩٨٨ م .

• الصائدي، أحمد قائد(الدكتور):

٣٠٧- "المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٥)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

• صبحي لبيب(الدكتور):

٣٠٨- "التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، العدد (٢)، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٢ م .

• الصلوي، إبراهيم محمد:

٣٠٩- "ألفاظ يمانية خاصة، (دراسة لغوية دلالية مقارنة)"، مجلة كلية الآداب، العدد (١٢)، جامعة صنعاء، صنعاء، ١٩٩١ م .

• صيام، نادر محمد:

٣١٠- "المحل والجفاف والتغيرات المناخية"، مجلة كلية الآداب، العدد (١٢)، جامعة صنعاء، صنعاء، ١٩٩١ م .

• عبدالغني محمود عبدالعاطي:

٣١١- "أبو فراس بن دعثم وكتابة السيرة المنصورية"، مجلة كلية الآداب، العدد (١٠)، جامعة صنعاء، صنعاء، ١٩٨٩ م .

• العروسي، محمد علي(الدكتور):

٣١٢- "مدارس العلوم الإسلامية في اليمن الجزء الأول الأيوبيون والمدارس في اليمن"، مجلة الإكليل، العدد (٢٥)، وزارة الثقافة، صنعاء، أبريل - يونيو ٢٠٠١ م .

• العش ، محمد أبو الفرج :

٣١٣- "المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، الآثار الإسلامية في الوطن العربي"، المؤتمر التاسع، تونس، ١٩٨٥ م .

• غازي رجب محمد:

٣١٤- "اليمن وصلاتها الفنية في العصر الإسلامي"، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٤٣)، بغداد، السنة ٦، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

• الغشم، محمد يحيى:

٣١٥- "حشرة الجراد الصحراوي(ماهيتها وأخطارها وموقف الإنسان منها)"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٥)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٩م .

• ماضي، محمد عبدالله:

٣١٦- "دولة اليمن الزيدية، نشأتها، تطورها، علاقتها"، المجلة التاريخية المصرية، مج ٣، العدد (١)، مايو، ١٩٥٠م .

• المتيمي، محمد:

٣١٧- "الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء وآفاق تطورها"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٢٢)، صنعاء، أكتوبر - نوفمبر، ١٩٨٥م .

٣١٨- "الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء وآفاق تطورها"، مجلة دراسات يمنية، العدد (٣٢)، أبريل - يونيو، صنعاء، ١٩٨٨م .

• مصيلحي، سعيد محمد:

٣١٩- "كتابات الجامع الكبير بصنعاء وأهميتها التاريخية الأثرية"، مجلة كلية الآداب، العدد (١٢)، جامعة صنعاء، صنعاء، ١٩٩١م .

• نقولا زيادة:

٣٢٠- "الزراع"، مجلة العربي، العدد (٥١٨)، الكويت، ٢٠٠٢م .

رابعاً: المراجع الأجنبية:

**-BaloG, PAUL :**

321- Dirhems Ayoubites inedites du yemen, " Bulletin de l'institut d Egypte tome XxxVI ,( Fascicule 2), session. 1953-1954 , Le Caire, 1955 .

322-THE COINAGE OF THE AYYUBIDS ,  
ROYAL NUMISMATIC SOCIETY SPECIAL  
PUBLICATION NO .12,LONDON ,1980.

**- Balafier , mohamed :**

323- tresors et collections de monnaies islamiques des musées du yemen , these de Doctorat , Université de Paris – Sorbonne (Paris IV), 1994, tome I.

**- porter , (vi):**

324- The Coinage of the Rasulids (Yemen 3000 years pp. 232-253.  
the Jews of yemen ( in yemen 3000 years)pp.265-300.

**- Goitein,(S.D.):**

325-Letters and documents on the India trade in  
medieval times, Islamic, vol .XXXVII, No. I, January , 1963

**-Geoffery King + R . Lew: ,**

326- "Key Monuments of Islamic Architecture in Arabia " .  
Architecture of Islamic world , Michelle G , Thames and  
Hudson , London , 1978 .

**-Doan (R.E.DarLeY):**

327- Examples of Islamic coinage from yemen , (in  
yemen 3000 years of Art and civilization in Arabia felix , ed , by  
Werner Amsterdamsche uitgeverij , 1988. pp .182-204

**-Serjeant(R,B):**

328-Azaidi manual of Hisbah  
the 3<sup>rd</sup> century (H) , R. S .o , XXVI 1953 .

229 -Islamic textiles , material for a  
history up to the Mongol Conquest Librairie du Liban ,(ch XV,  
textiles in the yemen) Beirut, Lebanon ,

330- From Aden to India specimens of the 1972.  
correspondence of India traders of the Twelfth century , Journal  
of the economic and social history of the orient , vol . XXIII, parts 1-  
2 ,April , Leiden , 1980 .

- **Smith , G . R:**

331 - more on the port practices and taxes of medieval Aden ,  
New Arabian studies , Vol , 3 1996 .

-**Miles (G.C) :**

332 - the Ayyubids Dynasty of the Yemen and their  
Coinage Numismatic chronicle, 5er, 19, (1939).

٧٩١٧٨٦

-**Nutzel, Heinrich:**

333-münzen der Rasuliden Nebst Einem Abriss der  
Geschichte dieser Jemenischen Dynastie Coinage of the  
Rasulids, also Comprising A synopsis of the History of the  
Yemenite Dynasty , translated by . Dr . AlFerd  
Kinzelbach , Mainz , 1987.

### Abstract

**This studying tackled the economic & social life in Yemen during the era of the Iubyian ruling (569AH – 626AH).**

So the nature of this research led to dividing it into an introduction, two chapters and a conclusion. The introduction highlighted the public life in Yemen before the Iubyians. Also, we have mentioned the geography of Yemen and its different natural divisions on which the economic & social activities heavily depended on furthermore, it dealt with the political life in Yemen before the Iubyians where we have mentioned some of the political, tribal & religious entities which existed in Yemen of which: Al-Zurai'a in Aden, Banu Hatim Al-Hamadanion in Sana'a, Al-Mahdi in Zabid and Zaidi Ashrafs in Sa'ada. In addition, we mentioned the motivations that pushed the Iubyians to capture Yemen, also we displayed the political life in which Yemen lived during the Iubyians existence.

The first chapter includes the social life in Yemen during the era of the Iubyians ruling. This chapter contains two sections divided as follows:

First section: Mentions the people in Yemen, so it talks about the people categories such as the Yemeni tribals, foreign individuals, non-muslims and slaves. It also tackled society classes of which the private class that includes the rulers, Salatins, princes, tribes head, Alashraf, Alahboush and Alghuz (Akrad – Iubyians), also it includes the scholars group, senior land lords (owners of the agricultural lands), and traders. Whereas, the public class includes the soliders, farmers, professionals and makers. In addition, this section tackles the religious approaches in Yemen and the most important of which are: Suna, Zaidia, Ismailians & Khwarj.

The second section includes a study of the social life aspects and it is divided into eight parts. The first part tackles the state of the woman and her

role in the society, and the second part mentions the marriage and its procedures of which the engagement and dowry.

The third part mentions the different types of celebrations such as circumcision, births and Eids besides ramadhan nights Eid Alfitr and Aladba'a, Friday, religious occasions, bee season, and receptions. The fourth part highlights other habits and traditions. However, the fifth part tackles food and clothes. The sixth part mentions entertainment ways used at that time such as gardens, hunting, shooting, chess, and Horse racing. And the seventh part tackles the matter of Awkaf (endowment) and its effect on the social life, of which the Awkaf of the poor, orphan students, and Awkaf of mosques buildings and schools.

The eight parts displays in details the urban aspect of cities, mosques, schools, forts and roads established during the Iubyians rule to Yemen.

As for the second chapter, it tackled the economic life in Yemen during the era of Iubyians. So this chapter contains four sections as follows:

First section: it dealt with agriculture and animal wealth. This section is divided into two main parts, the first one tackles agriculture, natural & human fundamentals in Yemen, besides irrigation methods and the stages of the field agriculture like fertilizing, cultivating and seeding. Furthermore, it dealt with the agricultural lesion and natural catastrophes affecting the agriculture, in addition to types of the ownership such as private or belong to the government, or leased (renting the land from the owner against an amount agreed upon between the two parties).

Also this section tackled the matter of corns and storing, and the aspects of encouraging the agriculture in the Iubyian era, besides mentioning the most important agricultural harvests in Yemen in the Iubyians era. However, the second part mentions the animals wealth and highlighted the grazes, and known animals in Yemen.

As for the second chapter, it dealt with the Industry in Yemen during the Iubyians era. This chapter contains two sections, the first one mentions the fundamentals of Industry, and the second section deals with the most important handicrafts such as: metal industries like gold, silver, agate, sulfur, and steel. In addition to the clothes industry such as silk clothes, dresses. Also this section tackled the leather industries, pottery, glasses, perfumes, and wooden industries besides other ones.

The third section, includes a study about the trading in Yemen, and it is divided into four parts, the first part mentions the internal trading especially the commercial movement among the Yemeni markets, and the most important trading markets, in addition to kinds of goods. Also it includes the price control and inspector of weights in the Yemeni markets during the Iubyians era.

The second part tackled the outer trading, and displays the marine and land ways in addition to the trading centuries during the Iubyian era, of which: Aden, Zabid, and Sana'a. This part mentions also the movement of ingoing & outgoing goods from & to Yemen. The third part deals with the commercial procedures, where it examined the currency of Yemen during the Iubyians era, besides the measures and different kinds of weights. However, the fourth part mentions Yemen's commercial relations with other countries of which: China,, India, Egypt and East of Africa. The fourth section examines the financial system applied at the Iubyians era in Yemen, so this section highlighted the most important financial departments (resources) of legal & illegal kinds, besides the expenses and collection methods.

The study ends with a conclusion contains the most important findings & conclusions in addition to supporting appendixes to some of the studying.